UNIVERSAL
LIBRARY
OU_232593
UNIVERSAL
LIBRARY

الجزء الاول

من كتاب الكامل

في اللغة والادب تأليف العلامة

الهمام علم الائمة الاعلام أبي العباس محمد

ابن يزيد المعروف بالمبرد النحوي المتوفى سنة ٢٨٥

هجريه تغمده الله برحمته وأسكنه

فسيح جنته

آمين

((في مقدمة تاريخ الامام ابن خلدون ما نصه))

وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول فن الادب وأركانه أربعة دواوين وهي كتاب الكامل للمبرد وأدب الكاتب لابن قتيبة وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لابي علي القالي البغدادي وسوى هذه الاربعة فتبع لها وفروع منها اه

وقد طرزها مشه بكتاب الفصول المختارة من كتب الامام أبي عثمان عمرو الجاحظ بن بحر بن محبوب الكناني البصري المتوفى بالبصرة في المحرم سنة ٢٥٥ هجريه اختيار الامام عبيد الله بن حسان رحمه الله ونفعنا به آمين

((محل مبيعه))

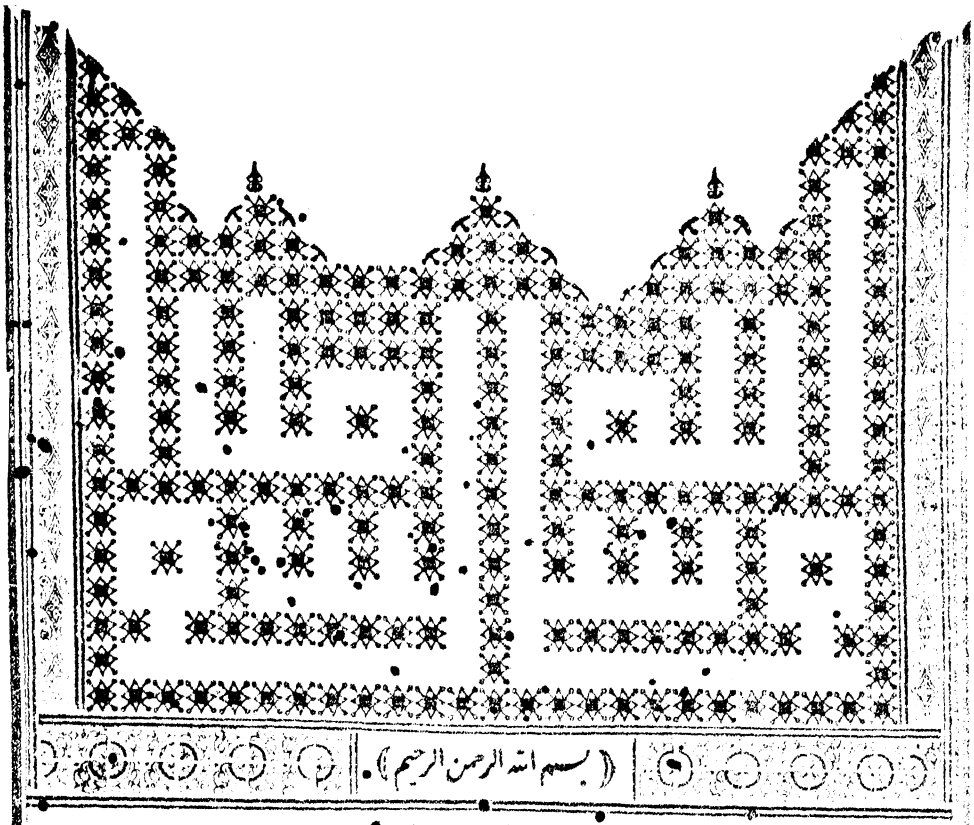
(بمكتبة السيد محمد عبد الواحد بدر الطوبي وأخيه)

((بجوار مسجد الحسيني بمصر))

((الطبعة الأولى))

((بمطبعة التقدم العليه بدرب الدليل بمصر المحميه))

((سنة ١٣٢٣ هجريه))



(بسم الله الرحمن الرحيم)

(فصل من صدر كتابه في الحاسد والمحسود)

وهب الله لك السلامة وأدام لك الكرامة ورزقك الاستقامة ورفع عنك الندامة كتبت الي أيدك الله تسألني عن الحسد ما هو ومن أين هو وما دليله وأفعاله وكيف تعرف أموره وأحواله ولم يعرف ظاهره ومكتومه وكيف يعلم مجهوله ومعلومه ولم صار في العلماء أكثر منه في الجهلاء ولم كثر في الاقرباء وقل في البعداء وكيف دب في الصالحين أكثر منه في الفاسقين وكيف خص به الجيران من بين جميع أهل الاوطان والحسد أيقاك الله شر داء ينهك الجسد ويفسد الأود علاجه عسر وصاحبه ضجر وهو باب غامض وأمر متعذر وما ظهر منه فلا يداوى وما بطن منه فمداويه في عناء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم دب اليكم داء الأمم من

(بسم الله الرحمن الرحيم)

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

حدثنا أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز قال حدثنا أبو عثمان سعيد بن هاشم قال حدثنا أبو الحسن علي بن سليمان الاخفش قراءة عليه قال قرئ لي هذا الكتاب على أبي العباس محمد بن يزيد المبرد

الحمد لله حمدا كثيرا يبلغ رضاه ويوجب مزيده ويتجير من سخطه وصلى الله على محمد خاتم النبيين ورسول رب العالمين صلاة تامة زاكية تؤدي حقه وتزلفه عند ربه (قال أبو العباس) هذا كتاب ألفناه يجمع ضروبا من الآداب مابين كلام منثور وشعر موصوف ومثل شائر وموعظة بالغة واختيار من خطبة شريفة ورسالة بليغة والنية فيه أن نفسر كل ما وقع في هذا الكتاب من كلام غريب أو معنى مستغلق وأن نشرح ما يعرض فيه من الاعراب شرحا شافيا حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفيا وعن أن يرجع الى أحد في تفسيره مستغنيا وبالله التوفيق والحول والقوة واليه مفزعنا في درك كل طلبة والتوفيق لما فيه صلاح أمورنا من عمل بطاعته وعقد برضاه وقول صادق يرفعه عمل صالح انه على كل شئ قدير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للانصار في كلام جرى انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع الفزع في كلام العرب على وجهين أحدهما أما تستعمله العامة تريد به الذعر والآخر الاستنجاد والاستصراخ من ذلك قول

قبلكم الحسد والبغضاء وقال بعض الناس لجلسائه أى الناس أقل غفلة فقال بعضهم صاحب ليل انما همه أن يصبح فقال انه لكذا وليس كذا وقال بعضهم المسافر انما همه أن يقطع سفره فقال انه لكذا وليس كذا فقالوا له فاخبرنا باقل الناس غفلة فقال الحاسد انما همه ان ينزع الله منك النعمة التى اعطاكها فلا يغفل أبدا ويروى عن الحسن انه قال الحسد أسرع فى الدين من النار فى الحطب اليابس وما أتى المحسود من حاسده الا من قبل فضل الله عنده ونعمه عليه قال الله عز وجل أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما والحسد عقيد الكفر وحليف الباطل وضد الحق وحرب البيان فقد ذم الله أهل الكتاب به فقال ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم منه تتولد العداوة وهو سبب كل قطيعة ومنتج كل وحشة ومغرق كل جماعة وقاطع

قَلَامة بن جَنْدَل كُنَّا اذا ما أتانا صارخ فَزِعُ • كان الصُّراخُ له قَرْعَ الظَّنابيب

يقول اذا أتانا مستغيث كانت اغاثته الجِدَّ فى نصرته يقال فَزِعَ لذلك الامر ظُنْبوبه اذا جدَّ فيه ولم يفتر ويشتق من هذا المعنى ان يقع فَزِعَ فى معنى أغاث كما قال الكُلَحْبَة اليَرْبوعى (قال أبو الحسن الكلحبة لقبه واسمه هُبَيْرَة وهو من بنى عَمْرِو بن يَرْبوع والنسب اليه عَمْرِيّ وكثير من الناس يقول عُمَرِيّ ولا يدرى وعُرَيْنَة من اليمن قال جرير (يهجو عَمْرِو بن يربوع

عَمْرٌ من عُرَيْنَة ليس منّا • بَرِئْتُ الى عُرَيْنَة من عَمْرِ)

فقلتُ لكأس ألجميها فانما • حَلَلْتُ الكثيبَ من زَرُودَ لا فَزِعا

يقول لأغيث وكأس اسم جارية يقول انما أمرها بالجام فرسه ليعيث والظنبوب مُقَدَّم عَظْم الساق • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أُخْبِرُكُم بأحبكم الىّ وأقربكم منى مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطّؤن أكنافا الذين يألفون ويُؤلفون ألا أخبركم بأبغضكم الىّ وأبعدكم منى مجالس يوم القيامة الثرثارون المتفيهقون قوله صلى الله عليه وسلم الموطؤن أكنافا مثل وحقيقته ان التوطئة هى التذليل والتمهيد يقال دابة وَطِئَة ومُوَاتِية وهو الذى لا يُحَرِّك راكبه فى مسيره وفراش وطىء اذا كان وثيرا لا يُؤْذِى جَنْب النائم عليه فأراد القائل بقوله مُوَطَّأ الاكناف ان ناحيته يمكن فيها صاحبها غير مُؤْذًى ولا ناب به موضعه (قال أبو العباس) حدثنى العباس بن الفَرَج الرياشى قال حدثنى الاصمعى قال قيل لأعرابى وهو المُنْخَل بن نَبْهان ما السَّمَيْدَع فقال السيد المُوَطَّأ الاكناف وتأويل الاكناف الجوانب يقال فى المثل فلان فى كنف فلان كما يقال فلان فى ظل فلان وفى ذرى فلان وفى ناحية فلان وفى حَيِّز فلان وقوله صلى الله عليه وسلم الثرثارون يعنى الذين يكثرون الكلام تكلفا وتجاوزا وخروجا عن الحق وأصل هذه اللفظة من العين الواسعة من عيون الماء يقال عين ثَرْثارة وكان يقال لنهر بعينه الثرثار وانما سمى به لكثرة مائه قال الأخطل (واسمه غِيَاث بن غَوْث يكنى أبا مالك ويلقب بدَوْبَل والدَّوْبَل الخنزير)

لَعَمْرِى لقد لاقَتْ سُلَيْمٌ وعامرٌ • على جانب الثرثار رَاغِيَةَ البَكْرِ

قوله راغية البكر أراد أن بكرا ثمود رغا فيهم فأهلكوا فضربته العرب مثلا وأكثرت فيه قال علقمة بن عَبَدَة النَّحْل رغا فوقهم سَقْبُ السماء فَدَاحِضٌ • بشكيمة لم يُسْتَلَبْ وسَلِيبُ

(قال أبو الحسن الهاحض الساقط والداحض أيضا الزالق) وكذلك اذا لم تضعف الثاء. فقلت عين ثرة فانما معناها غزيرة واسعة قال عنترة

جادت عليها كل عين ثرة * فتركن كل حديقة كالدرهم

(قال أبو العباس) وليست الثرة عند النحويين البصريين من لفظة الثرثارة ولكنها في معناها ويجب أن يكون من الثرة ثرارة وقوله صلى الله عليه وسلم المتفيهقون انما هو بمنزلة قوله الثارون توكيد له ومتفيهق متفيعل من قولهم فهق الغدير يفهق اذا امتلأ ماء فلم يكن فيه موضع مزيد كما قال الأعشى

نفى الذم عن رهط المحلق جفنة * كجابية الشيخ العراقي تفهق

كذا ينشده أهل البصرة وتأويله عندهم ان العراقي اذا تمكن من الماء لم يحتج الى جابيته لانه حضري فلا يعرف مواقع الماء ولا مجالته (قال أبو العباس) وسمعت اعرابية تنشد (قال أبو الحسن هي أم الهيثم الكلابية من ولد المحلق وهي راوية أهل الكوفة) لجابية الشيخ تريد النهر الذي يجري على جابيته فاؤها لا يسقط لان النهر منه ومثل قول البصريين فيما ذكروا به العراقي الشيخ قول الشاعر (قال أبو الحسن هو ذو الرمة)

لها ذنب صاف وذفرى أسيلة * وخد كمرآة الغريبة أسجح

يقول ان الغريبة لا ناصح لها في وجهها البعد ها بين أهلها كمرآتها البدوية المجلوة لفرط حاجتها اليها وتصديق ما فسرنا من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يريد الصدق في المنطق والقصد وترك ما لا يحتاج اليه قوله لجرير بن عبد الله البجلي يا جرير اذا علمت فأوجز واذا بلغت حاجتك فلا تتكلف

(قال أبو العباس) ومما يؤثر من حكيم الأخبار وبارع الآداب ما حدثنا به عن عبد الرحمن ابن عوف وهو انه قال دخلت يوما على أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه في علته التي مات فيها فقلت له أرانك بارئا يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما اني على ذلك لشديد الوجع ولما لقيت منكم يا معشر المهاجرين أشد علي من وجعي اني وليت أموركم خيركم في نفسي فكلكم ورم أنفه أن يكون له الامر من دونه والله لتتخذن نضائد الديباج وستور الحرير ولتألمن النوم على الصوف الاذربي كما يألم أحدكم النوم على حسك السعدان والذي نفسي بيده لأن يقدم أحدكم فتضرب عنقه في غير حد خير له من ان يخوض غمرات الدنيا هادئا فطويبي جرت انما هو

كل رحم من الاقربا. ومحدث التفرق بين القرنا. وملقح الشر بين الحلفا. يكمن في الصدر كمون النار في الحجر ولو لم يدخل على الحاسد بعد تراكم الغموم على قلبه واستكمان الحزن في جوفه وكثرة مضضه ووسواس ضميره وتنغص عمره وكدر نفسه ونكد عيشه الا استصغاره نعمة الله وسخطه على سيده بما أفاد غيره وتمنيه عليه ان يرجع في هبته اياه وان لا يرزق أحدا سواه لكان عند ذوي العقول مرجوما وكان لديهم في القياس مظلوما وقد قال بعض الاعراب ما رأيت ظالما أشبه مظلومه من الحاسد نفس دائم وقلب هائم وحزن لازم والحاسد مخذول وموزور والمحسود محبوب ومنصور والحاسد مغموم ومهجور والمحسود مغشي ومسرور والحسد رحم الله أول خطيئة ظهرت في السموات وأول معصية حدثت في الأرض خص به أفضل الملائكة فعصى ربه وقايسه في خلقه واستكبر عليه فقال خلقتني من نار وخلقته من طين فلعنه

وجعله ابليسا وأنزله من جواره بعدان كان أنيسا وشوه خلقه تشويها وموه على مثليه تمويها نسي به عزم ربه فواقع الخطيئة فاربدع المحسود وتاب عليه وهدى ومضى اللعين الحاسد في حسده فشقي وغوى وأما في الأرض فابنا آدم حسد أحدهما أخاه فعصى ربه وأثكل أباه وبالحسد طوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين فقد جهله الحسد الى غاية القسوة وبلغ أقصى حدود العقوق فانساه من رحمته جميع الحقوق اذ ألقى الحجر عليه تفاديا وأصبح عليه نادما صارخا رمن شأن الحاسد ان كان المحسود غنيا ان يبخه على المال فيقول جمعه حراما ومنعه أيتاما وغلب عليه محاويج أقاربه فتركهم له خصما وأعانهم في الباطن وحمل المحسود على قطيعتهم في الظاهر فقال لقد كفروا معروفه وأظهروا في الناس ذمك ليس أمثالهم يوصلون فانهم لا يشكرون وان وجدهم خصما أعانه عليه ظلما وان كان ممن يعاشره فاستشاره غشه أو تفضل

وانه الفجر أو البحر فقلت خفض عليك يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا جهيضد الى مابد فوالله مازلت صالحا مصلحا لا تأس على شئ فاتك من أمر الدنيا ولقد تخليت بالامر وحدك فما رأيت الا خيرا قوله نضائد الديباج واحدتها نضيدة وهي الوسادة وما ينضد من المتاع قال الراجز

وقربت خدامها الوسائدا * حتى اذا ماعلوا النضائدا * سبحت ربي قائما وقاعدا

وقد تسمى العرب جماعة ذلك النضد والمعنى واحد انما هو ما نضد في البيت من متاع قال النابغة

* ورفعته الى السبعين فالنضد * ويقال نضدت المتاع اذا ضممت بعضه الى بعض فهذا أصله قال الله تبارك وتعالى لها طلع نضيد وقال عز وجل في سدر مخضود وطلح منضود ويقال نضدت اللبن على الميت وقوله على الصرف الأذربي فهذا منسوب الى أذربيجان وكذلك تقول العرب قال الشماخ

تذكرتها رهنا وقد حال دونها * قرى أذربيجان المسالح والجال

وقوله على حسد السعدان فالسعدان نبت كثير الحسك تأكله الابل فتسمن عليه ويغذوها غذاء لا يوجد في غيره من أمثال العرب مرعى ولا كالسعدان تفضيلا له قال النابغة

الراهب الهائه الابكار زينها * سعدان توضح في أوبارها اللبد

وروى في بعض الحديث انه يؤمر بالكافر يوم القيامة فيسحب على السعدان والله أعلم بذلك (قال أبو الحسن السعدان نبت كثير الشوك كما ذكر أبو العباس وانما هو منفرش على وجه الارض حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى الشيباني عن ابن الاعرابي قال قيل لرجل من أهل البادية وخرج عنها أترجع الى البادية فقال أما ما دام السعدان مستلقيا فلا يريد أنه لا يرجع الى البادية أبدا كان السعدان لا يزول عن الاستلقاء أبدا وقال أبو علي البصير واسمه الفضل ابن جعفر وان لم يكن بحجة ولكنه أجاد فذكرنا شعره هذا لجودته لا للاحتجاج به يمدح عبيد الله ابن يحيى بن خاقان وآله فقال

يا وزراء السلطان * أنتم وآل خاقان

كبعض ما رويناه * في سالف الازمان ماء ولا كصداء * مرعى ولا كالسعدان

وهذه الامثال ثلاثة منها قولهم مرعى ولا كالسعدان وفي ولا كمالك وماء ولا كصداء تضرب هذه الأمثال للشئ الذي فيه فضل وغيره أفضل منه كقولهم ما من طامة الا فوقها طامة أي ما من داهية الا وفوقها داهية ويقال طما الماء وطم اذا ارتفع وزاد ومالك الذي ذكروا هو مالك

عليه بمعروف كفره أو دعاه الى نصر خذله وان حضر مدحه ذمه وان سئل عنه همز وان كانت عنده شهادة كتمها وان كانت منه اليه زلة عظمها يحب ان يعاد ولا يعود ويرى عليه القعود وان كان المحسود عالما قال مبتدع لرأيه متبع حاطب ليل ومبتغى نيل لا يدرى ماحمل قد ترك العمل فاقبل على الحيل قد أقبل بوجوه الناس اليه وما أحقهم اذا نالوا عليه فقيهه الله من عالم ما أعظم بليته وأقل رعيته وأسوء طعمته وان كان المحسود ذا دين قال يتصنع ان يوصى اليه ويحج بشئ عليه ويصوم لتقبل شهادته ويظهر النسك ليودع المال بيته ويقرأ فى المسجد ليزوجه جاره ابنته ويحضر الجنائز لتعرف شهرته وما لقيت حاسدا قط الا تبين مكنونه بتغيرلونه وتخوص عينه واخضاء سلامه والاقبال على غيرك والاعراض عنك والاستثقال لحديثك والخلاف لرأيك وكان عبد الله بن أبى قبل نفاقه يسمع وحده لجودة رأيه وبعد همته ونبل شيمته

ابن نُوَيْرَة أخو مُتَمِّم بن نُوَيْرَة وصَدَّاء يُمَدُّ وبعضهم يقول صُدًّى فيضم أوله ويقصر فأما أبو العباس محمد بن يزيد فانه قال لم أسمع من أصحابنا الا صَدَّاء يا فتى وهو اسم لماء معروفة وهما همزتان بينهما ألف والالف لا تكون الا ساكنة كانت قلت صَدْعاء يا هذا) وقوله انما هو والله الفجر أو البحر يقول ان انتظرت حتى يُضيء لك الفجر الطريق أبصرت قصدك وان خبطت الظلماء وركبت العشواء هجمت بك على المكروه وضرب ذلك مثلا لغمرات الدنيا وتحيرها أهلها وقوله يَهِيضُ مأخوذ من قولهم هيض العظم اذا جبر ثم أصابه شئ بعنته فآذاه فكسره ثانية أو لم يكسره وأكثر ما يستعمل فى كسره ثانية ويقال عظم مَهِيضٌ وجناح مَهِيضٌ فى هذا المعنى ثم يشتق لغير ذلك وأصله ما ذكرت لك فمن ذلك قول عمر بن عبد العزيز وجه الله لما كسر يزيد بن المُهَلَّب سجنه وهرب فكتب اليه لو علمت انك تبقى ما فعلت ولكنك مسموم ولم أكن لأضع يدى فى يد ابن عاتكة (هو يزيد بن عبد الملك بن مروان وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية وولى الملك بعد عمر ابن عبد العزيز ولا يعلم أحدا أعرق فى الخلافة منه) فقال عمر اللهم انه قد هاضنى فهضه فهذا معناه وقوله فكلكم وَرِمَ أنفه يقول امتلأ من ذلك غضبا وذكر انفه دون السائر كما يقال فلان شامخ بانفه يريد رافع رأسه وهذا يكون من الغضب كما قال الشاعر * ولا يهاج اذا ما أنفه وَرِمَا * أى لا يكلم عند الغضب ويقال للمائل برأسه كبرا مُتَشَاوِسٌ وثانى عطفه وثانى جيده انما هذا كله من الكبرياء قال الله عز وجل ثانى عِطْفِهِ ليضل عن سبيل الله وقال الشماخ (يمدح الربيع بن علباء السلمى)

نبئت أن ربيعا أن رعى ابلا * يهدى على حَنَاهُ ثانى الجيد

وقوله أرانا بارئا بنا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون من برئت من المرض وبرأت كلاهما يقال فمن قال برئت قال أبرأ يا فتى لا غير ومن قال برأت قال فى المضارع أبرأ وأبرؤ يا فتى مثل فرغ يفرغ ويفرغ والآية تقرأ على وجهين سنفرغ لكم أيها الثقلان وسنفرغ والمصدر فيهما البرء يا فتى * ومما روى لنا عنه رضى الله عنه حيث عهد عند موته وهو بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد به أبو بكر خليفة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة فى الحال التى يؤمن فيها الكافر ويتقى فيها الفاجر انى استعملت عليكم عمر ابن الخطاب فان بَرَّ وعدل فذلك علمى به ورأيى فيه وان جار وبدل فلا علم لى بالغيب والخير أردت

ولكل امرئ ما اكتسب وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون نصب أي بقوله ينقلبون ولا يكون نصبها بسيعلم لان حروف الاستفهام اذا كانت أسماء امتنعت مما قبلها كما يمتنع ما بعد الالف من أن يعمل فيه ما قبله وذلك نحو قولك علمت زيدا منطلقا فان أدخلت الالف قلت علمت أزيدٌ منطلقٌ أم لا فأيٌّ بمنزلة زيد الواقع بعد الالف ألا ترى ان معناها أذا أم ذا وقال الله عز وجل لنعلم أيّ الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا الان معناها أهذا أم هذا وقال تعالى فلينظر أيها أزكى طعاما على ما فسرت لك وتقول أعلم أيهم ضرب زيدا وأعلم أيهم ضرب زيدٌ تنصب ايا بضرب لان زيدا فاعل فافهما هذا لما بعده وكذلك ما أضيف الى اسم من هذه الاسماء المستفهم بها نحو قد علمت غلام أيهم في الدار وقد عرفت غلام من في الدار وقد علمت غلام من ضربت فتنصبه بضربت فعلى هذا فجرى الباب * ومما يُؤثر من هذه الآداب ويُقدَّم قول عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في أول خطبة خطبها حدثنا العُتبي قال لم أر أقلّ منها في اللفظ ولا أكثر في المعنى حمد الله وأثنى عليه وهو أهله وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال أيها الناس انه والله ما فيكم أحد أقوى عندي من الضعيف حتى آخذ الحق له ولا أضعف عندي من القوي حتى آخذ الحق منه ثم نزل وانما حسّن هذا القول سرعة ما يستحقه من قبل الاختيار بما عضده به من الفعل المشاكل له (قال أبو الحسن قدر وينا هذه الخطبة التي عزاها الى عمر بن الخطاب عن أبي بكر رضي الله عنهما وهو الصحيح) قال أبو العباس ومن ذلك رسالته في القضاء الى أبي موسى الاشعري وهي التي جمع فيها جُمَل الاحكام واختصرها بأجود الكلام وجعل الناس بعده يتخذونها اماما ولا يجد محيدا عنها عدلا ولا ظالم عن حدودها محيصا وهي بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر ابن الخطاب أمير المؤمنين الى عبد الله بن قيس سلام عليك أما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذا أُدلي اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له آس في الناس بين وجهك في عدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك البينة على من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا لا يمنعنك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك وهديت فيه لرشدك أن ترجع الى الحق فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب

وانقياد العشيرة له بالسيادة وادعائهم له بالرياسة وما استوجب ذلك الا بعد ما استجمع لهم لبه وتبين لهم عقله وفقد بينهم جهله ورأوه لذلك أهلا لما أطاق حملا فلما بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم وقدم المدينة ورأى غيره تشمخ بأنفه فهدم اسلامه لحسده وأظهر نفاقه وما صار منافقا حتى صار حسودا ولا صار حسودا حتى صار حقودا فحمق بعد اللب وجهل بعد العقل وتبوأ النار بعد الجنة ولقد خطب النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فشكاه الى الانصار فقالوا يا رسول الله لا تلمه فانا كنا عقدنا له الخرز قبل قدومك لنتوجه ولو سلم للخذول قلبه من الحسد لكان من الاسلام بمكان ومن السودد في ارتفاع فوضعه الله لحسد وأظهر نفاقه ولذلك قال القائل

طال على الحاسد أحزانه
فاصفر من كثرة أحزانه
دعه فقد أشعلت في جوفه
ما هاج من حر نيرانه
العيب أشهى عنده لذة
من لذة المال لخزانه
فارم على غاربه حبله
تسلم من كثرة جهتانه

ولاسنة ثم اعرف الاشباه والامثال فقس الامور عند ذلك وانعم ذا الى أقربها الى الله وأشبهها بالحق واجعل لمن ادعى حقا غائبا أو بينة أمدا ينتهي اليه فان أحضر بينته أخذت له بحقه والا استحللت عليه القضية فانه أنفى للشك وأجلى للعمى المسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجلودا في حد أو مجربا عليه شهادة زور أو ظنينا في ولاء او نسب فان الله تولى منكم السرائر ودرأ بالبينات والايمان واياك والقلق والضجر والتأذي بالخصوم والتنكر عند الخصومات فان الحق في مواطن الحق يعظم الله به الاجر ويحسن به الذخر فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانه الله فما ظنك بثواب غير الله عز وجل في عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام (قال أبو العباس) قوله آس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك يقول سو بينهم وتقديره اجعل بعضهم أسوة بعض والتاسي من ذا أن يرى ذو البلاء من به مثل بلائه فيكون قد ساواه فيه فيسكن ذلك من وجده قالت الخنساء

فلولا كثرة الباكين حولي ... على اخوانهم لقتلت نفسي

وما يبكون مثل أخي ولكن ... أعزي النفس عنه بالتاسي

يذكرني طلوع الشمس صخرا ... وأذكره لكل غروب شمس

تقول أذكره في أول النهار للغارة وفي آخره للضيفان وقتل مصعب بن الزبير يوم قتل بهذا البيت

وان الاتي بالطف من آل هاشم ... تآسوا فسنوا للكرام التآسيا

وقوله حتى لا يطمع شريف في حيفك يقول في ميلك معه لشرفه وقوله فيما تلجلج في صدرك يقول تردد وأصل ذلك المضغة والاكلة يرددها الرجل في فيه فلا تزال تتردد الى أن يسيغها أو يقذفها والكلمة يرددها الرجل الى ان يصلحها باخرة يقال فلان لجلاج وقد يكون من الآفة تعتري اللسان قال زهير

تلجلج مضغة فيها أنيض ... أصلت فهي تحت الكشح داء

وقوله أنيض أي لم تنضج ومن أمثال العرب الحق لجلج والباطل لجلج أي يتردد فيه صاحبه فلا يصيب مخرجا وقوله أو ظنينا في ولاء أو نسب فهو المتهم وأصله مظنون وهي ظننت التي تتعدى الى مفعول واحد تقول ظننت بزيد وظننت زيدا أي اتهمت ومن ذلك قول الشاعر وأحسبه عبد الرحمن بن حسان

فلا وأبيك ما عن جناية ... هجرت ولكن أنت بالحب ظنين

(فصل في حسد الجيران) وذلك ان الجيران يرحمك الله طلائع عليك وعيونهم نواظر اليك فمتى كنت بينهم معدما فأيسرت فبذلت وأعطيت وكسوت وأطعمت وكانوا في مثل حالك فاتضعوا وسلبوا النعمة وألبستها عظمت عليهم بلية الحسد وصاروا منه في تبغيض آخر الابد ولولا ان المحسود بنصر الله اياه مستور وهو بصنعه محجور لم يأت عليه يوم الا كان مقبورا ولم تأت ليلة الا وكان عن منافعه مقصورا ولم يمس الا وماله مسلوب ودمه مسفوك وعرضه بالضرب منهوك (فصل منه) وأنا أقول حفاظا لخاطر الحسد قلبا الا يمكنه ضبطه ولا قدر على تنصيفه وكتمانه حتى يتمرد عليه بظهوره واعلانه فيستعبده ويستميله ويستنطقه لظهوره عليه فهو أغلب على صاحبه من السيد على عبده ومن السلطان على رعيته ومن الرجل على زوجته ومن الاسير على الأسير وكان ابن الزبير بالصبر موصوفا وبالدهاء معروفا وبالعقل موسوما وبالمداراة متهوما

وفي بعض المصاحف وماهو على الغيب بظنين وانما قال عمر رضي الله عنه ذلك لما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ملعون ملعون من انتمى الى غير أبيه أو ادعى الى غير مواليه فلما كانت معه الاقامة على هذا لم يرد للشهادة موضعا وقوله ودرأ بالبينات والأيمان انما هو دفع من ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ادرؤا الحدود بالشبهات وقال الله عز وجل قل فادرؤا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين وقال فادارأتم فيها أي تدافعتم وأما قوله واياك والغلق والضجر فانه ضيق الصدر وقلة الصبر يقال في سوء الخلق رجل غلق وأصل ذلك من قولهم أغلق عليه أمره اذا لم يتضح ولم ينفتح من ذلك قولهم غلق الرهن أي لم يوجد له تخلص وأغلقت الباب من هذا قال زهير

وفارقتك برهن لا فكاك له * يوم الوداع فأمسى الرهن قد غلقا

وقوله ومن تخلق للناس بقول أنه لهم للناس في خلقه خلاف بينه وقوله تخلق يريد أظهر خلقا مثل تجمل يريد أنه أظهر جمالا وتصنع وكذلك تجبر انما أراد به الاظهار أي أظهر جبرية (وان شئت جبرية وان شئت جبروتا وان شئت جبروتي ومن كلامهم اترب على هذا الوزن زهوق خير لك من رهوق أي لأن تزهق خيرا لك من أن ترهق) قال أبو العباس وأنشدونا عن أبي زيد (الشعر لسالم ابن وابصة الأسدي)

يا أيها المحتلي غير شيمته * (ومن سجيته الاتلاف والكرم)

دع الخلائق يفعلن ما أردن به * ان الخلائق بالتدريج تتفق

ولا ترين لعيبا فيما نابك من * ذي الاحرة الا وأنت أعرف به خلقي

قال وأنشدني أبو الهيثم الخلادية

ومن يتخلق حيما ليس في حيم نفسه * يجد عوره يغلبه على النفس حيمها

وقال ذو الأصبع العدواني (ذو الاصبع اسمه حرثان بن الحرث بن محرث وقيل له ذو الاصبع لان أفعى نهشت اصبعه)

محل امرئ ذي رأي مجمع وبصيرة * واني نمى لحلا الى حين

أما قوله ثوب فاشتقاقه من ثاب يثوب اذا رجع وتأويله ما يثوب اليك من معناك والله وفضله

* وكتب عثمان بن عفان الى علي بن أبي طالب رضي الله عنهما حين أحيط به أما بعد فان جاوز الماء الزبى وبلغ الحزام الطبيين فجاوز لا أمر بن قد ذممت وطمع فيمن لا يدفع عن نفسه

فان كنت ما كولا فكن خير آكل * والا فادركني ولما أمزق

فاظهر بلسانه حسدا كان والطب عليه أربعين سنة ابني هاشم فما اتسع قلبه لكتمانه ولا صبر على اكتتامه لما طالت في قلبه عليلة تظهر مواعلنه مع صبره على المكاره وحمله نفسه على خشونتها وقلة مكترثه والتفاته لاحجار الجرائق التي غر عليه فتذهب بطائفة من قومه ما يلتفت اليها احدث ذلك عن علي بن مسهر عن الاعمش عن صالح بن حباب عن سعيد بن جبير قال قدمت ابن عباس حتى ادخلته على ابن الزبير قال أنت الذي لو نبي قال نعم لاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس على من بات شبعانا وجاره طاو فقال له ابن الزبير ان قلت ذلك اني لاكتم بغضكم أهل البيت منذ اربعين سنة فمر ابن عباس عن ذراعيه كأنهما عسيبا نخل ثم قال لابن الزبير ثم فليبلغ ذلك منك ما ترى قد أجلت لك ظهر البطن وفكرت في جوابه لابن عباس ان أجدله معنى دون الحمد فلم أجده وكانت وشيجة في قلبه لم يبدها ولم يرع بني

قوله قد جاوز الماء الزبى فالزبية مصيدة الاسد ولا تتخذ الا فى قلة أو رابية أو هضبة قال الراجز

(فانت والامر الذى قد كيدا) * كالمدترى زبية فاصطيدا

وقال الطرماح

يا طيئ السهل والاجبال موعدكم * كبغى الصيد أعلى زبية الاسد

(ويروى فى عريسة الاسد) وتقول العرب قد علا الماء الزبى وقد بلغ السكين العظم وبلغ الحزام الطبيين وقد انقطع السلى فى البطن فالسلى من المرأة والشاة ما يلتف فيه الولد فى البطن قال العجاج

* فقد علا الماء الزبى فلا غير *

أى قد جل الامر عن أن يغير ويصلح وقوله وبلغ الحزام الطبيين فان السباع والحيوان يقال لمراضع الاخلاف منها أطباء يأتى واحدها طبى كما يقال فى الطلب والحلب خلف هذا مكان هذا فاذا بلغ الحزام الطبيين فقد انتهى فى المكروه ومثل هذا من أمثالهم التقت حلقتا البطان ويقولون التقت حلقتا البطان والحقب ويقال حقب البعير اذا صار الحزام فى الحقب قال الشاعر (قال أبو بكر هو لوليد بن يزيد بن عبد الملك يأوله سليمى تلك فى السير * فان شئت لبينى * فلما أن بدا الصبح

بأصوات العصافير * تمرينا بتقى الصيد * بأبناء اليعلفير)

اذا ما حقب جال * شددنا بتشمير

(زبونا العيس فارتمت * بهذاب وتشمير)

وقال أوس بن حجر

وازدحمت حلقتا البطان بافوا * ه ووطاءت نفوسهم جزعا

وقد تمثل بالبيت بشار كل قول القائل

فان ألم بقفر لا تكن أدمت نازلى * فبعض مثايا القوم أكرم من بعض

* ويروى عن قنبر مولى على بن أبى طالب رضى الله عنه انه قال دخلت مع على بن أبى طالب على عثمان بن عفان رضى الله عنهما فاخبا الخلوة فلما رأى عليا التنحى فتنحيت غير بعيد فجعل عثمان يعاتب عليا وعلى مطرق فاقبل عليه عثمان فقال ما لك لا تقول فقال ان قلت لم أقل الا ما تكره وليس لى عندى الا ما تحب تأويل ذلك ان قلت أعتذر عليك بمثل ما اعتذر به على قلة عذ عتابى عقدى الا أفعل وان كنت عاتبا الا ما تحب * وتحدث ابن عائشة فى اسناد ذكره أن عليا رضى الله عنه انتهى اليه أن خيلا لمعاوية وردت الانبار فقسموا ما حملاله يقال له

هاشم حول الحرم باسقة وعروق دوحاتهم بين أطباقها راسية ومجالسهم من أعاليها عامرة وبحورها باوراق العباد زاخرة وانجمها بالهدى زاهرة فلما خلت البطحاء من صناديدها استقبله بما اكن فى نفسه والحاسد لا يغفل عن فرصته الى أن يأتى الموت على رمته وما استقبل ابن عباس بذلك الا لما رأى من تقدمه على أهل القدم ونظر اليه وقد أطاق به أهل الحرم فأوسعهم حكما وثقبوا منه رأيا وفهما وسبقهم علما وحلما

(فصل منه) وكيف يصبر من استكن الحسد فى قلبه على امامته ولقد كان اخوة يوسف حلماء وأحلة علماء ولدهم الانبياء فلم يغفلوا عما قدح فى قلوبهم من الحسد ليوسف حتى اعطوا أباهم المواثيق المؤكدة والعهود المقبلة والايمان المغلظة انهم له حافظون وهو شقيقهم وبضعة منهم فخالفوا العهود ونكثوا عليه بالظلم وألقوه فى غيابة الجب وجاؤا على قميصه بدم كذب فيظلمهم يوسف ظلموا أباهم طمعا

حسان بن حسان فخرج مغضبا يجر ثوبه حتى أتى النخيلة واتبعه الناس فرقى ربارة من الأرض فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله الذل وسيما الخسف وديث بالصغار وقد دعوتكم الى حرب هؤلاء القوم ليلا ونهارا وسرا وعلانا وقلت لكم اغزوهم من قبل أن يغزوكم فوالذي نفسي بيده ما غزي قوم قط في عقر دارهم الا ذلوا فتخاذلتم وتواكلتم وتثاقلتم عليكم فولي واتخذتموه وراءكم ظهريا حتى شنت عليكم الغارات هذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار وقتلوا حسان بن حسان ورجالا منهم كثيرا ونساء والذي نفسي بيده لقد بلغني انه كان يدخل على المرأة المسلمة والمعاهدة فتنتزع أحجالها وقلبها وقلائدها ثم انصرفوا موفورين لم يكلم منهم أحد كلما فلو أن امرأ مسلما مات من دون هذا أسفا ما كان عندي فيه ملوما بل كان به عندي جديرا يا عجبا كل العجب عجب يميت القلب ويشغل الفهم ويكثر الاحزان من تضافر هؤلاء القوم على باطلهم وفشلكم عن حقكم حتى أصبحتم غرضا ترمون ولا ترمون وتغار عليكم ولا تغيرون وتعصى الله عز وجل فيكم وترضون اذا قلت لكم اغزوهم في الشتاء قلتم هذا أوان قر وتصيروا ان قلت لكم اغزوهم في الصيف قلتم هذه حمارة القيظ أنظرنا يسلخ عنا الحر فاذا كنتم من الحر والبرد تفرون فانتم والله من السيف أفر يا أشباه الرجال ولا رجال يا طغام الاحلام وبا عقول ربات الحجال والله لقد أفسدتم علي رأيي بالعصيان ولقد ملأتم جوفي غيظا حتى قالت قريش ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا رأي له في الحرب لله درهم من ذا يكون أعلم بها مني وأشد لها مراسا فوالله لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين وها أنذا قد نيفت اليوم على الستين ولكن لا رأي لمن لا يطاع يقولها ثلاثا فقام اليه رجل ومعه أخوه (الرجل وأخوه يعرفان بابني عفيف من الانصار) فقال يا أمير المؤمنين أنا ترى هذا كما قال الله تعالى رب اني لا أملك الا نفسي وأخي فمرنا بأمرك فوالله لننتهين اليه ولو حال بيننا وبينه جمر الغضى وشوك القتاد فقال لهما أين تقعان مما أريد ثم نزل (قال) أبو العباس قوله سيما الخسف قال هكذا حدثوناه وأنشدوه سيم الخسف يا هذا من قول الله عز وجل يسومونكم سوء العذاب ومعنى قوله سيما الخسف تأويله علامة هذا أصل ذا قال الله عز وجل سيماهم في وجوههم من أثر السجود وقال عز وجل يعرف المجرمون بسيماهم

ان يخلو لهم وجه أبيهم ويتفردوا بحبه وظنوا ان الايام تسليه وحبه لهم من بعد عمه يلهيه فاسألوا عبرته وأحرقوا قلبه وكيف تقر أعين الحاسدين بعد يوسف وقد ملكه الله خزائن الارض بصبره على أذى حساده ومقابلته اياهم بالعفو والمكافاة بحسن العشرة والمؤاخاة بعد امكانه منهم لما أتوه ممتارين ووفدوا عليه خائفين وهم له منكرون فأحسن وفادتهم وكرم قراهم واقروا له لما عرفوه بالاذعان وسألوه بعد ذلك الغفران وخروا له سجدا لما وردوا عليه وفدا فاذا أحسست رحمك الله من صديقك بالحسد فاقابل ما استطعت من مخالطته فانه اعون الاشياء على مسالمته وحصن مرك منه تسلم من شره وبوائق ضره واياك والرغبة في مشاورته ولا يغرنك خدع ملقه وبيان زلقه فان ذلك من حبائل نفاقه فان أردت ان تعرف آية مصداقه فأدنين اليه من يهينك عنده ويذمك بحضرته فانه سيظهر من شأنه لك ما أنت به جاهل ومن

وقال أبو عبيدة في قوله عز وجل مُسَوَّمِينَ قال مُعْلَمِينَ واشتقاقه من السِّيما التي ذكرنا ومن قال مُسَوَّمِينَ فانما أراد مُرْسَلِينَ من الابل السائمة أي المُرْسَلة في مراعيها وانما أخذ هذا من التفسير وقال المفسرون في قوله تعالى والخيل المُسَوَّمة القولين جميعا من العلامة والارسال وأما قوله عز وجل حجارة من سجيل مَنْضود مُسَوَّمة عند ربك فلم يقولوا فيه الا قولا واحدا قالوا مُعْلَمة وكان عليها أمثال الخواتيم ومن قال سيما قصر ويقال في هذا المعنى سِيمَاء ممدود قال الشاعر (وهو ابن عَنَقاء الفزاري في عُمَيلة الفزاري)

غلام رماه الله بالحسن يافعا * له سيماء لا تشق على البصر

(كأن الثريا علقت في جبينه * وفي أنفه الشعرى وفي خده القمر)

وقوله وقتلوا حسان بن حسان من أخذ حسانا من الحسن صرفه لان وزنه فعال فالنون منه في موضع الدال من حماد ومن أخذه من الحسن لم يصرفه لانه حينئذ فعلان فلا ينصرف في المعرفة وينصرف في النكرة لانه ليست له فعلى فهو عندئذ سدان يسرحان وقوله ردينا بالصغار تأويله ذللنا يقال للبعير اذا ذللته الرياضة بعيد مدين أي مذلل وقوله في عقر دارهم أي في أصل دارهم والعقر الاصل ومن ثم قيل لفلان عقار أي أصل مال ويروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من باع دارا أو عقارا لم يرد ثمنه في مثله فذلك مال من لا يبارك له فيه وقوله فمن يريد خليق ويقال أيضا قمين وقمن (قال أبو الحسن من قال قمن لم يثن ولم يجمع ومن قال قمن قمنين ثنى وجمع) ويقال للرجل اذا اتخذ ضيعة أو دارا قد تأثل فلان أي اتخذ أصل مال وقوله وتقول كلتهم اغلاقي ومشيتي من وكلت الامر اليك وكلته اليك أي لم يقوله واحد منا دون صاحبه ولكن أحالني به كل واحد منا على الآخر ومن ذلك قول الحطيئة

فلا أيا قصرت الطرف عنهم بحسرة * أمون اذا ما كلتها لا توآكل

وقوله راتخذتموه وراءكم ظهريا أي رميتم به وراء ظهوركم أي لم تلتفتوا اليه ويقال في المثل لا تجعل حاجتي منك بظهر أي لا تطرحها غير ناظر اليها وقوله حتى شننت عليكم الغارات يقول صببت يقال شننت الماء على رأسه أي صببته وشننت الشراب في الاناء أي صببته ومن كلام العرب فلما ألقى فلان فلانا شننه السيف أي صبه عليه صبا وقوله هذا أخو غامد فهو رجل مشهور

خلاف المودة ما أنت عنه غافل وهو ألح في حسدك من الذباب وأسرع في تمزيقك من السيل الى الحدور وما أحب أن تكون عن حاسدك غبيا وعن وهمك بما في ضميره نسيا الا أن تكون للذل محتملا وعلى الدناءة مشتملا ولأخلاق الكرام مجانبا وعن محمود شيمهم ذاهبا أو تكون بذل لجاجه قد صيرتك لسهام الرماة هدفا وعرضك لمن أبادك غرضا وقد قيل على وجه العوض الحرة تجوع ولا تأكل بثديها وربما كان الحسد للمحسود خيرا من المعروف أكفره وأشد احتقادا منه وأكثر تصغيرا له من أعدائه

﴿فصل منه﴾ ومتى رأيت حاسدا يضرب لك رأيا وان كنت مصيبا أو يرشدك الى صواب وان كنت مخطئا أو أنصح لك بالخير في هيئته عند أمر قصر من غيبته لك فهو الكلاب الكلب والنمر النمر والسم القتال والفعل القطع والعيش العرمرمان ملك قتل وسبى وان ملك عصى وبغى حياتك موته وموتك

من

من أصحاب معاوية من بني غامد بن نصر بن الأزد بن الغوث وفي هذه القبيلة يقول القائل

الأهل أتاها على نأيها ... بما فضحت قومها غامد

تمنيتم مائتي فارس ... فردكم فارس واحد (هو زيعة بن مكدم)

فليت لنا بارتباط الخيو ... ل ما نالها حالب قاعد

وقوله فتنتزع أحجالهما يعني الخلاخيل واحدها حجل ومن هذا قيل للدابة محجل ويقال للقيد حجل لانه يقع في ذلك الموضع قال جرير يعير الفرزدق حين قيد نفسه وأقسم ألا يحلها حتى يحفظ القرآن فلما جاء جرير البعيث هجا الفرزدق جريرا معونة للبعيث وزبأ عن عشيرته فقال جرير

ولما التقى القين العراقي باسته ... فرغت الى العبد المقيد في الحجل

(يعني بقوله ولما التقى القين العراقي باسته البعيث وسماه القين لانه من رهط الفرزدق) ومعنى فرغت عمدت قال الله عز وجل سنفرغ لكم أيها الثقلان أي سنعمد (تميم تقول فرغ يفرغ فراغا وأهل العالية وهم قريش ومن والاها يقولون فرغ يفرغ فروغا) وقوله ورعثهما الواحدة رعثة وجمعها رعاث وجمع الجمع رعث وهي الشنوف وقوله ثم انصرفوا موفورين من الوفر أي لم ينل أحد منهم بان يرزأ في بدن ولا مال يقال فلان موفور وفلان ذو وفر أي ذو مال ويكون موفورا في بدنه اذا ذكرما أصيب به غيره في بدنه قال حاتم الطائي

وقد علم الاقوام لو أن حاتما ... أراد ثراء المال كان له وفر

ويروى أمنى له وفر وقوله لم يكلم أحد منهم كلما يقول لم يخدش أحد منهم خدشا وكل جرح صغر أو كبر فهو كلم قال جرير

تواصت من تكرمها قريش ... بردا الخيل دامية الكلوم

وقوله ملت من دون هذا أسفا يقول تحسرا فهذا موضع ذا وقد يكون الأسف الغضب قال الله عز وجل فلما آسفونا انتقمنا منهم والأسيف يكون الاجير ويكون الأسير فقد قيل في بيت الأعشى

أرى رجلا منهم أسيفا كأنما ... يضم الى كشحيه كفا مخضبا

المشهور انه من التأسف لقطع يده وقيل بل هو أسير قد كبلت يده ويقال قد رحها العل والقول الاول هو المجتمع عليه ويقال في معنى أسيف عسيف أيضا وقوله من تضافر هؤلاء القوم على باطلهم يقول من تعاونهم وتظاهرهم وقوله وفشلكم عن حقكم يقال فشل فلان عن كذا اذا هابه

عرسه وسروره يصدق عليه كل شاهد زور ويكذب كل عدل مرضي لا يجب من الناس الا من يبغضه ولا يبغض الا من يحبه عدو له بطانة وصديق علانية وقلت انك ربما غلطت في أمره لما يظهر لك من بره ولو كنت تعرف الجليل من الرأي والدقيق من المعنى وكنت في مذاهبه فطنا نهابا ولم تك في عيب من ظهر لك عيبه مرتابا لاستغنيت بالرمز عن الاشارة وبالاشارة عن الكلام وبالسر عن الجهر وبالجهر عن الرفع والاختصار عن التطويل وبالجمل عن التفصيل وأرحتنا من طلب التحصيل ولكني أخاف عليه أن قلبه لصديق غير مستقيم وان ضمير قلبه غير سليم وان رفعت القذى عن لحيته وسويت عليه ثوبه فوق مركبه وقبلت صبيه بحضرته ولبست له ثوب الاستكانة عند رؤيته واغتررت له الزلة واستحسنت كل ما يقبح من جهته وصدقته على كذبه وأعنته على فجرته فما

فتكلم عنه وامتنع من المضي فيه وقوله قلتم هذا أوان قر وصر فالصر شدة البرد قال الله عز وجل كمثل ريح فيها صر وقوله هذه حمارة القيظ فالقيظ الصيف وحمارته اشتداد حره واحتدامه وحمارة مما لا يجوز أن يحتج عليه ببيت شعر لان كل ما كان فيه من الحروف التقاء ساكنين لا يقع في وزن الشعر الا في ضرب منه يقال له المتقارب فانه جوز فيه على بعد التقاء الساكنين وهو قوله

فذاك القصاص وكان التقا ۞ ص فرضا رحتما على المسلمينا

ولو قال وكان القصاص فرضا كان أجود وأحسن ولكن قد أجازوا هذا في هذا العروض ولا نظير له في غيرها من الأعاريض وقوله وياطغام الأحلام فجاز الطغام عند العرب من لا عقل له ولا معرفة عنده وكانوا يقولون طغام أهل الشام كما قال

(اذا ما كان مثلهم رجالا) ۞ فما فضل اللبيب على الطغام

وقوله وياعقوا ربات الحجال تذهبهم الى ضعف النساء وهو السائر في كلام العرب قال الله تعالى يذكر البنات أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين

(باب)

قال أبو العباس من كلام العرب الاستصغار للمفهم والاستهتار للمفخم وقد يقع الايماء الى الشيء فيغني عند ذوي الالباب عن كشفه كما قيل لمحة دالة وربما يضطر الشاعر المفلق والخطيب المصقع والكاتب البليغ فيقع في كلام أحدهم المعنى المستغلق واللفظ المستكره فان انعطفت عليه جنبتا الكلام غطتا على عواره وسترتا من شينه وان شاء قائل أن يقول بل الكلام القبيح في الكلام الحسن أظهر ويجاورنه له أشهر كان ذلك له ولكن يغتفر السيئ للحسن والبعيد للقريب فمن ألفاظ العرب البينة القريبة المفهمة الحسنة الوصف الجميلة الرصف قول الحطيئة

وذاك فتى ان تأته في صنيعة ۞ الى ماله لا تأته بشفيع

وكذلك قول عنترة

يخبرك من شهد الوقيعة أنني ۞ اغشى الوغى واعف عند المغنم

وكما قال زهير

على مكثريهم حق من يعتريهم ۞ وعند المقلين السماحة والبذل

ومما وقع كالايماء قول الفرزدق

هذا الغلام كأنك لم تقرأ المعوذة ولم تسمع مخاطبته نبيه صلى الله عليه وسلم في التقدمة اليه بالاستعاذة من شر حاسد اذا حسد انطلب ويحك أثرا بعد عين أو عطرا بعد عروس أو تريد أن تجتني عنبا من شوك أو تلتمس حلب لبن من جمل انك اذا أعيا من باقل وأحمق من الضبع وأغفل من هرم ان كنت تجهل بعد ما أعلمناك وتعرج بعد ما قومناك وتبلد بعد ما ثقفناك وتضل اذ هديناك وتنسى اذ ذكرناك فأنت كمن أضله الله على علم فبطلت عنده المواعظ وعمي عن المنافع فختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فنعوذ بالله من الخذلان انه لا يأتي ولكن يتأول ولا يحاك ولكن يواري أحسن ما تكون عنده حالا أعظم ما يكون ضلالا وأفرح ما يكون بل أقرب ما يكون بالمصيبة عهدا وأبعد ما يكون فاذا كان الأمر على هذا فمجاورة الموتى ومخالطة الزمنى والاجتنان بالجدران ومصر

ضَرَبَتْ عليكَ العنكبوتُ بنسجِها * وقضى عليكَ به الكتابُ المُنزَلُ

فتأويل هذا ان بيت جرير في العرب كالبيت الواهي الضعيف فقال وقضى عليك به الكتاب المنزل يريد به قول الله تبارك وتعالى وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ومن كلامه المستحسن قوله لجرير

فهل ضربةُ الرومي جاءت لكم * أبا عن كليبٍ أو أبا مثل دارمِ

ومن أقبح الضرورة وأهجن الالفاظ وأبعد المعاني قوله

ومامثلُه في الناس الا مملكاً * أبو أمه حيٌّ أبوه يقاربُه

مدح بهذا الشعر ابراهيم بن هشام بن اسمعيل بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهو خال هشام بن عبد الملك فقال ومامثله في الناس الا مملكا يعني بالمملك هشاما أبو أم ذلك المملك أبو هذا الممدوح ولو كان هذا الكلام على وجهه لكان قبيحا ولكان يكون اذا وضع الكلام في موضعه أن يقول ومامثله في الناس حي يقاربه الا مملك أبو أم هذا المملك أبو هذا الممدوح فدل على انه خاله بهذا اللفظ البعيد وهجنه بما أوقع فيه من التقديم والتأخير حتى كأن هذا الشعر لم يجتمع في صدر رجل واحد مع قوله حيث يقول

تصرَّمَ مني وُدُّ بكرِ بنِ وائلٍ * وما كادَ مني وُدُّهم يتصرَّمُ

قوارصُ تأتيني وتحتقرونها * وقد مَلأُ القطرُ الاناءَ فيفعمُ

(القارصة الكلمة المؤذية) وكأنه لم يقع ذلك الكلام لمن يقول

والشيبُ ينهضُ في السواد كأنه * ليلٌ يصيحُ بجانبيه نهارُ

فهذا أوضح معنى وأعرب لفظ وأقرب مأخذ وليس لقدم العهد يفضل القائل ولا لحدثان عهد يهتضم المصيب ولكن يعطى كل ما يستحق ألا ترى كيف يفضل قول عمارة على قرب عهده

تهشَّمتُم مُعطى فعيرتم بخلَه * بخيلةُ نفسٍ كان تُحاضمِيرُها

ولن يلبثَ الخشيرُ نفساً كريمةً * عريكتُها أن يستمرَّ مريرُها

وما النفسُ الا نطفةٌ بقرارةٍ * اذا لم تكدَّر كان صفواً غديرُها

فهذا كلام واضح وقول مهذب وكذلك قوله أيضا

المصران وأكل القردان أهون من معاشرته والانصال بحبله والغل نتيجة الحسد ورضيعه وغصن من أغصانه وعون من أعوانه وشعبة من شعبه وفعل من أفعاله كأنه ليس فرع الا له أصل ولا مولود الا له مولد ولا نبات الا من أرض ولا رضيع الا من مرضع وان تغير اسمه فانه صفة من صفاته ونبت من نباته ونعت من نعوته ورأيت الله جل جلاله ذكر الجنة فلا هاني كتابه باحسن حلية وزينها باحسن زينة وجعلها دار أوليائه ومحل أنبيائه ففيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فذكر في كتابه ما من به عليهم من السرور والكرامة عند ما دخلوها وبوأهاهم فقال ان المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين فما أنزلهم دار كرامته الا بعد ما نزع الغل والحسد من قلوبهم فتهنوا

بَنِي دَارِمٍ إِنْ يَفْنَ عُمْرِي فَقَدْ مَضَى • حَيَاتِي لَكُمْ مِنِّي ثَنَاءٌ مُخَلَّدُ

بَدَأْتُمْ فَأَحْسَنْتُمْ فَأَثْنَيْتُ جَاهِدًا • وَإِنْ عُدْتُمُ أَثْنَيْتُ وَالْعُودُ أَحْمَدُ

ومما يُفَضَّلُ لِتَخَلُّصِهِ من التكلُّف وسلامته من التزيُّد وبُعْدِه من الاستعانة قولُ أبي حَيَّةَ النُّمَيْرِيِّ

رَمَتْنِي وَسِتْرُ اللهِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا • عَشِيَّةَ أَرْآمِ الكِنَاسِ رَمِيمُ

(قيل في سِتْرِ اللهِ الإسلامُ وقيل فيه انه الشَّيْبُ وقيل ما حَرَّمَ اللهُ عليهما)

أَلَا رُبَّ يَوْمٍ لَوْ رَمَتْنِي رَمَيْتُهَا • وَلَكِنَّ عَهْدِي بِالنِّضَالِ قَدِيمُ

(يَرَى النَّاسُ أَنِّي قَدْ سَلَوْتُ وَإِنَّنِي • لَمَرْمَى أَحْنَاءِ الضُّلُوعِ سَقِيمُ)

يقول رَمَتْنِي بِطَرْفِهَا وأصابَتْنِي بمَحاسِنِها ولو كنتُ شابًّا لَرَمَيْتُ كما رَمِيتُ وفَتَنْتُ كما فُتِنْتُ ولكن قد تطاوَلَ عَهْدِي بالشَّبابِ فهذا كلامٌ واضحٌ (قال أبو الحسن أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى البيتين عن عبد الله بن شَبِيبٍ ورَوَى • عَشِيَّةَ أَحْجَارِ الكِنَاسِ رَمِيمُ • وزاد فيه

رَمِيمُ التي قالَتْ لِجَارَاتِ بَيْتِهَا • ضَمِنْتُ لَكُمْ أَنْ لَا يَزَالَ يَهِيمُ

الكِناسُ والمَكْنِسُ الموضعُ الذي تأوي إليه الظِّباءُ وجميعُ الكِناسِ كُنُسٌ وجمعُ المَكْنِسِ مَكانِسُ ورَمِيمُ اسمُ جاريةٍ مأخوذٌ من العِظامِ الرَّمِيمِ وهي البالِيَةُ وكذلك الرِّمَّةُ والرُّمَّةُ القِطْعَةُ البالِيَةُ من الحَبْلِ وكلُّ ما اشْتُقَّ من هذا فإليه يَرْجِعُ) قال أبو العباس وأما ما ذكرناه من الاستعانة فهو أن يَدْخُلَ في الكلامِ ما لا حاجةَ بالمستمعِ إليه ليُصَحِّحَ به نَظْمًا أو وَزْنًا إن كان في شِعْرٍ أو ليتذكَّرَ به ما بعدَه إن كان في كلامٍ منثورٍ كنحوِ ما تَسْمَعُه في كثيرٍ من كلامِ العامَّةِ مثلِ قولِهم أَلَسْتَ تَسْمَعُ أَفَهِمْتَ أَيْنَ أَنْتَ وما أَشْبَهَ هذا وربما تَشاغَلَ العَيِيُّ بِفَتْلِ إصبعِه ومَسْحِ لِحْيَتِه وغيرِ ذلك من بدنِه وربما تَنَحْنَحَ وقد قال الشاعرُ يَعِيبُ بعضَ الخُطَباءِ في شِعْرِه

مَلَى بُهُرٍ وافتِعَاتٍ وسُعْلَةٍ • وَمَسْحَةِ عُثْنُونٍ وفَتْلِ الأَصَابِعِ

وقال رجلٌ من الخَوارِجِ يَصِفُ خَطِيبًا منهم بالحُسْنِ وأنه يُجِيدُ لولا أن الرُّعْبَ أَذْهَلَهُ

نَحْنَحَ زَيْدٌ وسَعَلْ • لَمَّا رَأَى وَقْعَ الأَسَلْ • وَبَلَّهُ إِذْ ارْتَجَلْ • ثُمَّ أَطَالَ وَاحْتَفَلْ

(وقال رجلٌ يَصِفُ رجلًا من إيادٍ بالعِيِّ وكان أبوه خَطِيبًا وخالُه)

جَمَعْتَ صُنُوفَ العِيِّ من كلِّ وِجْهَةٍ • وَكُنْتَ مَلِيئًا بالبَلَاغَةِ مِنْ كَتَبْ

بالجنة وقابلوا اخوانهم على السرر وتلذذوا بالنظر في مقابلة الوجوه لسلامة صدورهم ونزع الغل من قلوبهم ولو لم ينزع ذلك من صدورهم ويخرجه من قلوبهم لافتقدوا لذاذة الجنة وتدابروا وتقاطعوا وتحاسدوا وواقعوا الخطيئة ولمسهم فيها النصب وأعقبوا منها الخروج لانه عز وجل فضل بينهم في المنازل ورفع درجات بعضهم فوق بعض في الكرامات وسنى العطيات فلما نزع الغل والحسد من قلوبهم ظن أدناهم منزلة فيها وأقربهم بدخول الجنة عهدا أنه أفضلهم منزلة وأكرمهم درجة وأوسعهم دارا بسلامة قلبه ونزع الغل من صدره فقرت عينه وطاب أكله ولو كان غير ذلك لصاروا الى التبغيض في النظر بالعيون والاهتمام بالقلوب وحدثت فيهم العيوب والذنوب وما أرى السلامة الا في قطع الجاسد ولا السرور الا في افتقاد وجهه ولا الراحة الا في صرم مداراته ولا الربح الا في

أبوك معمّم في الكلام ومخوّل * وخالك وثّاب الجرائم في الخطب)

ومما يشاكل هذا المعنى ويجانس هذا المذهب ما كان من خالد بن عبد الله القسري فانه كان متقدما في الخطابة ومتناهيا في البلاغة فخرج عليه المغيرة بن سعيد بالكوفة في عشرين رجلا فعطعطوا به فقال خالد أطعموني ماء وهو على المنبر فعيّر بذلك فكتب به هشام اليه في رسالة يوبّخه فيها وسنذكرها في موضعها ان شاء الله وعيّره يحيى بن نوفل فقال

لأعلاج ثمانية وعبد * لئيم الأصل في عدد يسير
هتفت بكل صوتك أطعموني * شرابا ثم بلت على السرير

فهذا عارض وقال آخر يعيّره

بل المنابر من خوف ومن وهل * واستطعم الماء لما جدّ في الهرب
وألحن الناس كل الناس قاطبة * وكان يولع بالتشديق في الخطب

* ومما يستحسن لفظه ويستغرب معناه ويحمد اختصاره قول أعرابي من بني كلاب

فمن يدّ لم يعرض فاني وناقتي * بحجر الى أهل الحمى غرضان
(هوى ناقتي خلفي وتدّامي الهوى * واني واياها لمختلفان)
تحن فتبدي ما بها من صبابة * وأخفي الذي لولا الأسى لقضاني

(أنشد صاعد بعدهما زيادة تبيهما

فيا كبدينا أجلا قد وجدتما * بأهل الحمى ما لم يجد كبدان
اذا كبدا ناحت فتاوشدّ نيّة * وعاجل بين ظلمتا تجبان)

يريد لقضى عليّ فأخرجه لفصاحته وعلمه بجوهر الكلام أحسن مخرج قال الله عز وجل واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون والمعنى اذا كالوا لهم أو وزنوا لهم ألا ترى أن أول الآية الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون فهؤلاء أخذوا منهم ثم أعطوهم وقال الله تبارك وتعالى واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا أي من قومه وقال الشاعر (هو أغشى طرود واسمه اياس ابن عامر)

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به * فقد تركتك ذا مال وذا نشب

أي أمرتك بالخير ومن ذا قول الفرزدق

ترك مكافأته فاذا فعلت ذلك فكل هنيئا مريئا وعش في السرور مليا ونحن نسأل الله الجليل أن يصفي كدر صدرنا ويجنبنا واياك سوء الألفة والاتفاق ويحسن توفيقك وتسديدك والسلام

(فصل من صدر كتابه في المعلمين) أعانك الله على سورة الغضب وعصمك من ثورة الهوى وصرف ما أعارك من القوة الى حب الانصاف ورجح في قلبك ايثار الاناة فقد استعملت في المعلمين نوك السفهاء وخطل الجهلاء ومفاحشة الايذاء ومجانبة سبل الحكماء وتهكم المقتدرين وامن المغترين ومن تعرض للعداوة وجدها حاضرة ولا حاجة بك الى تكلف ما كفيت

(فصل منه) ولولا الكتاب لاختلت اخبار الماضين وانقطعت آثار الغائبين وانما اللسان للشاهد لك والعلم للغائب عنك وللماضي قبلك والغابر بعدك فصار نفعه أعم والدواوين اليه افقر والملك المقيم بالواسطة لا يدرك مصالح أطرافه

ومنّا الذى اختير الرجال سماحة • وجودا اذا هب الرياح الزعازع

أى من الرجال فهذا الكلام الفصيح وتقول العرب أفقت ثلاثا ما أذوقهن طعاما ولا شرابا أى ما أذوق فيهن وقال الشاعر

ويوما شهدناه سليما وعامرا • قليلا سوى الطعن النهال نوافله

(قال أبو الحسن قوله لم يعرض أى لم يشتق يقال عرضت الى القائد وحنفت الى القائد وعطشت الى القائد وجعت الى القائد أى اشتقت أخبرنا بذلك أبو العباس أحمد بن يحيى عن ابن الاعرابى وأنشدنا عنه

من ذا رسول ناصح فمبلغ • مني عتبة غير قول الكاذب

أني عرضت الى تناصف وجهها • عرض المحب الى الحبيب الغائب

التناصف الحسن وأما قوله لقضاني فانما يريد لقضى علي الموت كما قال الله تبارك وتعالى فلما قضينا عليه الموت فالموت فى النية وهو معلوم بمنزلة ما نطقت به فلهذا ناسب هذا قوله عز وجل واختار موسى قومه وكذلك قوله تعالى كالوهم فالهاء المكيل معلوم فهو بمنزلة ما ذكر فى اللفظ ولا يجوز مررت زيدا وأنت تريد مررت بزيد لانه لا يتعدى الا بحرف جر وذلك انه فعل الفاعل فى نفسه وليس فيه دليل على المفعول وليس هذا بمنزلة ما يتعدى الى مفعولين فيتعدى الى أحدهما بحرف جر والى الآخر بنفسه لان قولك اخترت الرجال زيدا قد علم بذكرك زيدا أن حرف الجر محذوف من الاول فأما قول الشاعر وهو جرير وانشاد أهل الكوفة له وهو قوله

تمرون الديار ولم تعوجوا • كلامكم علي اذا حرام

ورواية بعضهم لم تعوجون الديار فليسا بشئ لما ذكرت لك والسماع الصحيح والقياس المطرد لا تعترض عليه الرواية الشاذة أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد قال قرأت على عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير • مررتم بالديار ولم تعوجوا • فهذا يدلك على ان الرواية مغيرة فاما قولهم أقمت ثلاثا ما أذوقهن طعاما ولا شرابا وقول الراجز

قد صبحت صبحها الطلام • ببيذخا طحا سنام • فى ساعة يحبها الطعام

يريد فى ساعة يحب فيها الطعام وكذلك الاول معناها أذوق فيهن فليس هذا عندى من باب قوله جل وعلا واختار موسى قومه الا فى الحذف فقط وذلك أن ضمير الظرف تجعله العرب مفعولا على

وسد ثغوره وتقويم سكان مملكته الا بالكتاب ولولا الكتاب لما تم تدبير ولا استقامت الأمور وقد رأينا عمود صلاح الدين والدنيا انما يعتدل فى نصابه ويقوم على أساسه فى الكتاب والحساب وليس علينا لأحد فى ذلك من المنة بعد الله الذى اخترع ذلك لنا ودلنا عليه وأخذ بنواصينا اليه ما للعلمين الذين سخرهم لنا ووصل حاجتهم الى ما فى أيدينا وهؤلاء هم الذين هجوتهم وشكوتهم وحاججتهم وفشت عليهم وألزمت الأكابر ذنب الأصاغر وحكمت على المجتهدين بتفريط المقصرين ورثيت لآباء الصبيان عن ابطاء المعلمين عن تحديقهم ولم ترث للعلمين عن ابطاء الصبيان عما يراد بهم وبعدهم عن صرف القلوب لما يحفظونه ويدرسونه والمعلون أشقى بالصبيان من رعاة الضأن ورواض المهارة ولو نظرت من جهة النظر علمت ان النعمة فيهم عظيمة سابغة والشكر عليها لازم واجب (فصل منه)

السعة كقولهم يوم الجمعة بيرته ومكانكم فتته وشهر رمضان حمته فهذا يشبه في السعة بقولك زيد ضربته وما أشبهه فهذا بين) قال أبو العباس ومما يستحسن ويستجاد قول أعرابي من بني سعد بن زيد مناة بن تميم وكان ممكانا فنزل به أضياف فقام الى الرحى فطحن لهم فمرت به زوجته في نسوة فقالت لهن أهذا بعلي فأعلم بذلك فقال (قال أبو الحسن أخبرنا به عن أبي محلم يعني السعدي)

تقول وصكت صدرها بيمينها • أبعلي هذا بالرحى المتقاعس

فقلت لها لا تنجبي وتبيني • بلائي اذا التفت على الفوارس

ألست أرد القرن يركب ردعه • وفيه سنان ذو غرارين يابس

اذا هاب أقوام تجشمت هولها • يهاب حياه الألد المداعس

لعمر أبيك الخير اني لخادم • لضيفي واني ان ركبت لفارس

قوله المتقاعس انما هو الذي يخرج صدره ويدخل ظهره ويقال عزة قعساء وانما هذا مثل أي لا تضع ظهرها الى الارض وقوله بالرحى المتقاعس لو أراد الذي يتقاعس بالرحى لم يجز لان قوله بالرحى من صلة الذي والصلة من تمام الموصول فلو قدمها قبل لكان لحنا وخطأ فاحشا وكان كمن جعل آخر الاسم قبل أوله ولكنه جعل المتقاعس اسما على وجهه وجعل قوله بالرحى تبيينا بمنزلة لك التي تقع بعد قولك سقيا بمنزلة بؤسا التي تقع بعد مرحبا فان قدمتها قبل سقيا ومرحبا فذلك جيد بالغ تقول بك مرحبا وأهلا وتقول لك حمدا ولزيد سقيا فأما قول الله عز وجل وأنا على ذلكم من الشاهدين وكذلك وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين فيكون تفسيره على وجهين أحدهما أن يكون وأنا ناصح لكما وأنا شاهد على ذلكم ثم جعل من الشاهدين ولمن الناصحين تفسيرا الشاهد وناصح ويكون على ما فسرنا يراد به التبيين فلا يدخل في الصلة ويكون على مذهب المازني وقال أبو العباس وهو الذي أختار على أن الالف واللام للتعريف لا على معنى الذي ألا ترى أنك تقول نعم القائم زيد ولا يجوز نعم الذي قام زيد وانما هو بمنزلة قولك نعم الرجل زيد وهذا الذي شرحناه متصل في هذا الباب كله مطرد على القياس وقوله • ألست أرد القرن يركب ردعه • فانما اشتقاقه من السهم يقال ارتدع السهم اذا رجع الفصل متأخرا في السخ ويقال ركب البعير ردعه اذا سقط فدخلت عنقه في جوفه فالكلام مشتق بعضه من بعض ومبين بعضه بعضا

واجمعوا على انهم لم يجدوا كلمة أقل حرفا ولا أكثر ريعا ولا أعم نفعا ولا أحث على بيان ولا ادعى الى تبين ولا اهجى لمن ترك التفهم وقصر في الافهام من قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله تعالى عليه قيمة كل امرئ ما يحسن وقد أحسن من قال مذاكرة الرجال تلقيح لألبابها وزهت الحكماء الرؤساء اصحاب الاستنباط والتفكير جودة الحفظ لمكان الاتكال عليه واغفال العقل من التمييز حتى قالوا الحفظ عذق الذهن ولأن مستعمل الحفظ لا يكون الا مقلدا والاستنباط هو الذي يفضي بصاحبه الى برد اليقين وعز الثقة والقضية الصحيحة والحكم المحمود انه متى ادام الحفظ أضر ذلك بالاستنباط ومتى أدام الاستنباط أضر ذلك بالحفظ وان كان الحفظ أشرف منزلة منه ومتى أهمل النظر لم تسرع اليه المعاني ومتى أهمل الحفظ لم يعلق بقلبه وقل مكثها في صدره وطبيعة الحفظ غير طبيعة

فيقال من هذا فى المثل ذهب فلان فى حاجتى فارتدع عنها أى رجع وكذلك فلان لا يرتدع عن قبيح

والاصل ماذكرت لك أولا ومثل هذا قولهم فلان على الدابة وعلى الجبل أى فوق كل واحد منهما ثم

تقول فلان عليه دين ثمثيلا وكذلك ركبه دين وانما تريد أن الدين علاه وقهره وكذلك فلان على

الكوفة اذا كان والياعليها وكذلك علا فلان القوم اذا علاهم بأمره وقهرهم أو جعل فى هذا

الموضع وقوله • وفيه سنان ذو غرارين يابس • فالغرار ههنا الحد والغرار مواضع قال أبو

العباس وحدثنى الرياشى فى اسناده قال قال جبر بن حبيب وذكر الراعى أخطأ الأعور قال ولم يعلم

الحاكى عنه أن الراعى كان أعور الا من هذا الخبر فى قوله

فصادف سهمه أحجار قف • كسرن العير منه والغرارا

وجبر بن حبيب هو المخطئ لان الغرار ههنا هو الحد وذهب جبر الى أنه المثال وقد يكون المثال

وليس ذلك بما نعه من أن يحتمل معانى يقال بنو أبيوتهم على غرار واحد أى على مثال واحد كما

قال عمرو بن أحمر الباهلى وضعن وكلهن على غرار • هجان اللون قد وسقت جنينا

(الرواية عن أبى العباس وضعن بفتح الضاد والواو والصحيح وضعن بضم الواو وكسر الضاد)

ويقال لسوقنا درة وغرار أى نفاق وكساد فهذا معنى آخر وانما تأويل الغرار فى هذا المعنى

الاخير أنه شئ بعد شئ ومن هذا غار الطائر فرخه لأنه انما يعطيه شيأ بعد شئ وكذلك غارت الناقة

فى الحلب ويقال من هذا ما ذقت الا غرارا قال الشاعر

ما أذوق النوم الا غرارا • مثل حسو الطير ماء الثماد

فكشف فى هذا البيت معنى الغرار وأوضحه وقوله • هاب حياه الالد المداعس • فأصل

الحيا انما هى صدمة الشئ يقال فلان حامى الحيا ويقال صدمته حيا الكأس يراد بذلك سورتها

وقوله الالد فأصله الشديد الخصومة يقال خصم ألد أى لا ينثنى عن خصمه قال الله عز وجل

وتنذر به قوما لدا كما قال بل هم قوم خصمون وقال مهلهل

ان تحت الاحجار حزما وجودا • وخصيما ألد ذا معلاق

ويروى مغلاق فمن روى ذلك فتأويله أنه يغلق الحجة على الخصم ومن قال ذا معلاق فانما يريد أنه

اذا علق خصما لم يتخلص منه وجعل السعدى الالد الذى لا ينثنى عن الحرب تشبيها بذلك

الاستنباط والاذان يعالجان به ويستعينان متفق عليه الا وهو فراغ القلب للشئ والشهوة له وبهما يكون التمام وتظهر الفضيلة ولصاحب الحفظ سبب آخر يتفقان عليه وهو الموضع والوقت فأما الموضع فانهما يختاران اذا أرادا ذلك الفرق دون الشغل واما الساعات فالاسحار دون سائر الأوقات لأن ذلك الوقت قبل وقت الاشتغال وتعقب تمام الراحة والحمام لان للحمام مقدارا هو المصلحة كما ان للكد مقدارا هو المصلحة (فصل منه) ويستدل أيضا بوصايا الملوك للمؤدبين فى ابنائهم وفى تقويم احداثهم على انهم قد قلدوهم أمورهم وضمير هم بلوغ التمام فى تأديبهم وما قلدوهم ذلك الا بعد ان ارتفع اليهم فى فى الخنوحالهم فى الأدب وبعد ان كشفهم الامتحان وقاموا على الخلاص وأنت حفظك الله لو استقصيت عدد النحويين والعروضيين والفرضيين والحساب

والمداعس المطاعن يقال دعسه بالرمح اذا طعنه قال عمير بن الحباب السلمي

أنا عمير وأبو المغلس ٭ وبالقنا مازني مدعس

(قال أبو الحسن تأويل قوله أي قول السعدي ٭ أبعلي هذا بالرحى المتقاعس ٭ بالرحى تبيين ولم يوضحه فان تقدير ما كان من هذا الضرب أنه اذا قال أبعلي هذا بالرحى المتقاعس فان المتقاعس يدل على أن تقاعسا وقع فكأنه قال وقع التقاعس بالرحى ولم يرد ان يعمل المتقاعس في قوله بالرحى لانه في الصلة والصلة من الموصول بمنزلة الدال من زيد أو الياء فكما لا يجوز أن يتقدم حروف الاسم بعضها على بعض لم يجز أن تتقدم الصلة على الموصول فأما قول الله عز وجل وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين وكذلك وأنا على ذلكم من الشاهدين فانه يكون على التبيين الذي قدمنا ذكره وهو قول البصريين أجمعين الا أن أبا عمر الجرمي أجاز أن يجعل لكما وعلى ذلكم معلقين بشيئين محذوفين دل عليهما ما من الناصحين ومن الشاهدين لان من مبعضة فكأنه قال والله أعلم وقاسمهما اني ناصح لكما من الناصحين وأنا شاهد على ذلكم من الشاهدين وأما اختياره وذكره أنه قول المازني وجعله الالف واللام العهد مثلهما في الرجل وما أشبهه فان هذا القول غير مرضي عندي لانك اذا قلت نعم القائم زيد فجعلت الالف واللام كالالف واللام الداخلتين على ما لم يؤخذ من الفعل كالانسان والفرس وما أشبهه فانه اذا كان هكذا دخل في باب الاسماء الجامدة وهي التي لم تؤخذ من أمثلة الفعل وامتنع من أن يعمل مؤخرا الا على حيلة ووجه بعيد من التبيين الذي ذكرنا واذا كان في التأخير لا يعمل بنفسه فكيف يعمل اذا تقدم عليه الظرف وهذا مستحيل لا وجه له وأما انشاده ٭ لا أذوق النوم الا غرارا ٭ فان هذه أبيات أربعة أنشدناها عن الزيادي وذكر أنه كان يستحسنها وهي لاعرابي قال

ما لعيني كحلت بالسهاد ٭ ولجنبي نابيا عن وسادي
لا أذوق النوم الا غرارا ٭ مثل حسو الطير ماء الثماد
أبتغي اصلاح سعدى بجهدي ٭ وهي تسعى جهدها في فسادي
فتتاركنا على غير شيء ٭ ربما أفسد طول التمادي

وأما انشاده ٭ وضعن وكلهن على غرار ٭ فان البيت لعمرو بن أحمر العمردي الباهلي) قال

والخطاطين لو جدت أكثرهم مؤدب كبار ومعلم صغار فكم تظن انا وجدنا منهم من الرواة والقضاة والحكام والولاة من المناكير والدهاة ومن الحماة والكفاة ومن القادة والذادة ومن الرؤساء والسادة ومن كبار الكتاب والشعراء والوزراء والأدباء ومن اصحاب الرسائل والخطابة والمذكورين بجميع اصناف البلاغة ومن الفرسان واصحاب الطعان ومن نديم كريم وعالم حكيم ومن مليح ظريف ومن شاب عفيف ولا تهجل بالقضية حتى تستوفي آخر الكتاب وتبلغ أقصى العذر فان كنت تعمدت تذممت وان كنت جهلت تعلمت وما أظن من احسن بك الظن الا وقد خالف الحزم (فصل منه) قال المعلم وجدنا كل صنف من جميع ما بالناس الى تعلمه حاجة المعلمين كمعلمي الكتاب والحساب والفرائض والقرآن والنحو والعروض والاشعار والاخبار والآثار ووجدنا

أبو العباس ومن سهل الشعر وحسنه قول طخيم بن أبي الطخماء الأسدي يمدح قوما من أهل الحيرة من بني امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم ثم من رهط عدي بن زيد العبادي قال

كأن لم يكن يوم بزورة صالح * وبالقصر ظل دائم وصديق
ولم أرد البطحاء يمزج ماءها * شراب من البرقين عتيق
معي كل فضفاض القميص كأنه * اذا ماسرت فيه المدام فنبق
بنو السمط والحداء كل سميدع * له في العروق الصالحات عروق
واني وان كانوا نصارى أحبهم * ويرتاح قلبي نحوهم ويتوق

قال أبو العباس أنشدني هذا الشعر أبو محلم ثم أنشده رجل نصراني يكنى أبا يحيى شاعر من هؤلاء القوم الذين مدحوا به وذكر أنه يذكر طخيما وهو يترداد اليهم ويظل عندهم قال هذا النصراني وهو رجل من بني الحداء قال أذكره وانا صغير جدا والسلطان يطلبه لقوله

* له في العروق الصالحات عروق * يقول لا يقول هذا القوم من النصارى وكان هذا النصراني قد قارب مائة سنة فيما ذكر وقوله معي كل فضفاض القميص يريد أن قميصه ذو فضول وانما يقصد الى ما فيه من الخيلاء كما قال زهير

يجرون الذيول وقد تمشت * جنبا الكأس فيهم والغناء

ويقال ان تأويل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل الازار في النار انما اراد معنى الخيلاء وقال الشاعر

ولا ينسيني الحدثان عرضي * ولا أرخي من الحرج الازارا

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لابي جمعة الهجيمي اياك والمخيلة فقال يارسول الله نحن قوم عرب فما المخيلة فقال صلى الله عليه وسلم سبل الازار والحديث يعرض لما يجري في الحديث قبله وان لم يكن من بابه ولكن يذكر به قال ابو العباس روي لنا ان رجلا من الصالحين كان عند ابراهيم بن هشام فأنشد ابراهيم قول الشاعر

اذا أنت فيهم لم تنلك معايبه * واذا أجرك منهم سادرا رسنه

فقام ذلك الرجل (هو ابن ابي عتيق) فرمى بشق ردائه واقبل يسحبه حتى خرج من المجلس ثم رجع على تلك الحال فجلس فقال له ابراهيم بن هشام مابدا * فقال اني كنت سمعت هذا الشعر

الأوائل كانوا يتخذون لابنائهم من يعلمهم الكتاب والحساب ثم لعب الصوالجة والرمي في التنبوك والجثمة والطير الخاطف ورمي البنجكاز والبنادق وقبل ذلك الدبوق والنفخ في الشيطار وبعد ذلك الفروسية واللعب بالرماح والسيوف والمشاولة والمنازلة والمطاردة ثم النجوم والعيون والطب والهندسة وتعلم النرد والشطرنج وضرب الدفوف وضرب الأوتار والوقع والنفخ في اصناف المزامير ويأمرون بتعليم ابناء الرعية الفلاحة والتجارة والبنيان والصياغة والخياطة والسرد والصبغ وانواع الحياكة نعم حتى علموا البلابل واصناف الطير الالحان وناسا يعلمون القرود والدببة والكلاب والظباء المكية والببغاء والسعل وغراب البين ويعلمون الابل والخيل والبغال والحمير والفيلة اصناف المشي واجناس الخطو ويعلمون الشواهين والصقور والبوازين

فاستحسنته فآليت ألا أسمعه الا جررت ردائى كما تراى كما تعب هذا الرجل رسنه وأما الفنيق فانه الفحل وانما أراد خطرانه بذنبه من الخيلاء فشبه الرجل من هؤلاء اذا انتشى بالفعل وهو اذا خطر ضرب بذنبه يمنة وشامة قال ذو الرمة

وقرّبن بالزرق الجمائل بعدما ٭ تقوّب عن غربان أورا كها الخطر

ومن حسن الشعر وما يقرب مأخذه قول مخنس بن أرطاة الاعرجى والاعرج الحرث بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم لرجل من بنى حنيفة يقال له يحيى وكان يصير الى امرأة فى قرية من قرى اليمامة يقال لها بقعاء (قال أبو الحسن أنشدته عن الرياشى نقعاء وسألت رجلا من أهل اليمامة فصيحا من بنى حنيفة عن هذا فقال ما أعرفها الا بقعاء بالباء)

عرضت نصيحة منى ليحيى ٭ فقال فششتنى والنصح مرّ
وما بى أن أكون أعيب يحيى ٭ ويحيى طاهر الاخلاق برّ
ولكن قد أتانى أن يحيى ٭ يقال عليه فى بقعاء شرّ
فقلت له تجنب كل شئ ٭ يعاب عليه ان الحرّ حرّ

فهذا كلام ليس فيه فضل عن معناه وقوله ان الحر حر انما تأويله أن الحر على الاخلاق التى عهدت فى الاحرار ومثل ذلك ٭ أنا أبو النجم وشعرى شعرى ٭ أى شعرى كما بلغك وكما كنت تعهد وكذلك قولهم الناس الناس أى الناس كما كنت تعهدهم (قال أبو الحسن ومنه قول الله عز وجل فغشيهم من اليم ما غشيهم) وقوله فقلت له تجنب كل شئ يعاب عليه كقول عمرو بن العاص لمعاوية حين وصف عبد الملك بن مروان فقال آخذ بثلاث تارك لثلاث آخذ بقلوب الرجال اذا حدث وبحسن الاستماع اذا حدث وبأيسر الامرين عليه اذا خولف تارك للمراء تارك لمقاربة اللئيم تارك لما يعتذر منه كقوله تجنب كل شئ ٭ يعاب عليه ان الحرّ حرّ

٭ ومما يستحسن انشاده من الشعر لصحة معناه وجزالة لفظه وكثرة تردد ضربه من المعانى بين الناس قول ابن ميادة لرياح بن عثمان بن حيان المرّى من مرة غطفان وكلاهما من مرة غطفان يقوله فى فتنة محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن وكان أشار عليه بأن يعتزل القوم فلم يفعل فقتل فقال ابن ميادة

أمرتك بارياح بأمر حزيم ٭ فقلت هشيمة من أهل نجد

والفهود والكلاب وعناق الارض الصيد ويعلمون الدواب الطعن والبغاث الهمز حتى يروضوا الهملاج والعناق بالتطليع وغير التطليع وبالموضوع والأوسط والمرفوع ووجدنا الاشياء كلها معلمين وانما قيل للانسان العالم الصغير سليل العالم الكبير لان فى الانسان من جميع طبائع الحيوان اشكالا من ختل الذئب وروغان الثعلب ووثوب الأسد وحقد البعير وهداية القطاة وهذا كثير وهذا بابه ولانه يحكى كل صوت بفيه ويصور كل صورة بيده ثم فضله الله تعالى بالمنطق والروية وامكان التصرف وعلى انا لا نعلم ان لأحد من جميع أصناف المعلمين لجميع هذه الأصناف كفضيلة المعلم من الناس الاحداث المنطق المنثور كالكلام الاحتجاج والصفات والمناقلات من المسائل والجوابات فى جميع العلامات بين الموزون من القصائد والارجاز من المزدوج والاسماع مع الكتاب والحساب

نَهَيْتُكَ عن رجالٍ من قُرَيْشٍ * على مَحْبُوكَةِ الأَصْلابِ جُرْدِ

ووَجَدًا ما وَجَدْتُ على رِياحٍ * وما أَغْنَيْتُ شيأً غيرَ وَجْدِي

فقوله فقلت هشيمة من أهل نجد تأويله ضعفة وأصل الهشيم النبت اذا ولى ويبس وتكسر فذرته الرياح يمينا وشمالا قال الله تعالى فأصبح هشيما تذروه الرياح والنجد أعالى الأرض وقوله على محبوكة الاصلاب جرد فالمحبوك الذى فيه طرائق واحدها حبائك والجماعة حبك يقال لطرائق الماء حبك وكذلك الطرائق التى على جناح الطائر من ذلك قول الله تبارك وتعالى والسماء ذات الحبك

(قال أبو الحسن ابن ميادة اسمه الرماح وأمه ميادة وأبوه أبرد وكان عاقا بأمه ولها يقول

اعْرَنْزِي ميادَ للقوافي * واسْتَمِعِيهِنَّ ولا تُخافِي * تَجِدِينَ ابْنَكِ ذا قَذافِ

وأصل الاعرنزام التجمع والتقبض يقول استعدى لها وتهيئى وأنشدنا أبو العباس محمد بن يزيد له

ونَواعِمٍ قد قُلْنَ يومَ تَرَحُّلِي * قَوْلَ المُجِدِّ وهُنَّ كالمُرَّاحِ

يا لَيْتَنا مِن غَيْرِ أمْرٍ فادِحٍ * طَلَعَتْ علينا العِيسُ بالرَّمَّاحِ

فى أبيات له يعنى نفسه قال أبو الحسن وتمام الابيات

بَيْنا كذاكَ رَأَيْتَنِى مُتَعَصِّبًا * بالخَزِّ فوقَ جُلالَةٍ سِرْداحِ

فيهِنَّ صَفْواءُ المَعاصِمِ طَفْلَةٌ * بَيْضاءُ مِثْلُ غَرِيضَةِ التُّفّاحِ

رَيَّشْنَ حينَ أَرَدْنَ أَنْ يَرْمِينَنِى * نَبْلًا بلا رِيشٍ ولا بِقِداحِ

ونَظَرْنَ مِن خَلَلِ السُّتُورِ بأَعْيُنٍ * مَرْضَى مُخالِطُها السَّقامُ صِحاحِ)

قال أبو العباس ثم نذكر من كلام الحكماء وأمثالهم وآدابهم صدرا ثم نعود الى المقطعات ان شاء الله

يروى عن ابن عمر أنه كان يقول انا معشر قريش كنا نعد الجود والحلم السؤدد ونعد العفاف واصلاح المال المروءة قال الاحنف بن قيس كثرة الضحك تذهب الهيبة وكثرة المزح تذهب المروءة ومن لزم شيأ عرف به وقيل لعبد الملك بن مروان ما المروءة فقال مواساة الاكفاء ومداجاة الاعداء وتأويل المداجاة المداراة أى لا تظهر لهم ما عندك من العداوة وأصله من الدجى وهو ما أبسدل الليل من ظلمته وقيل لمعاوية ما المروءة فقال احتمال الجريرة واصلاح أمر العشيرة فقيل له وما النبل فقال الحلم عند الغضب والعفو عند القدرة وكان أبو سفيان اذا نزل به جار

وماشاكل ذلك ووافقه واتصل به وذهب مذهبه وقالوا انما اشتق اسم المعلم من العلم واسم المؤدب من الأدب وقد علمنا ان العلم هو الأصل والأدب هو الفرع والأدب اما خلق واما رواية وقد اطلق قوله اسم المؤدب على العموم والعلم اصل لكل خير وبه ينفصل الكرم من اللؤم والحلال من الحرام والفضل من الموازنة بين افضل الخيرين والمقابلة بين انقص الشرين فلم يعرضوا لأحد من هذه الأصناف الذى اتخذ الناس لها المعلمين من جميع انواع الحق والباطل والسرف والاقتصاد والجد والهزل الا هؤلاء الذين لا يعلمون الا الكتاب والحساب والشعر والنحو والفرائض والعروض وما بالسماء من نجوم الاهتداء والانواء والسعود واسماء الأيام والشهور والمناقلات ويمنعهم العرامة ويأخذهم بالصلاة فى الجماعة ويدرسهم القرآن ويهذبون السنتهم برواية القصيد والأرجاز ويعاقب على

قال له يا هذا انك قد اخترتني جارا واخترت داري دارا فجنايتك يدك علي دوني فان جنت عليك يدي فاحتكم علي حكم الصبي على أهله وذلك أن الصبي قد يطلب مالا يوجد الا بعيدا ويطلب مالا يكون البتة قال الشاعر (هو الأعرج المعني)

ولا تحكما حكم الصبي فانه ٭ كثير على ظهر الطريق مجاهله

ويروى أن معاوية بن أبي سفيان لما نصب يزيد لولاية العهد أقعده في قبة حمراء فجعل الناس يسلمون على معاوية ثم يميلون الى يزيد حتى جاء رجل ففعل ذلك ثم رجع الى معاوية فقال يا أمير المؤمنين اعلم أنك لو لم تول هذا أمور المسلمين لأضعتها والأحنف جالس فقال له معاوية مالك لا تقول يا أبا بحر فقال أخاف الله ان كذبت وأخافكم ان صدقت فقال جزاك الله عن الطاعة خيرا وأمر له بألوف فلما خرج الأحنف لقيه الرجل بالباب فقال يا أبا بحر اني لأعلم أن شر من خلق الله هذا وابنه ولكنهم قد استوثقوا من هذه الأموال بالأبواب والأقفال فلسنا نطمع في استخراجها الا بما سمعت فقال له الأحنف يا هذا أمسك فان ذا الوجهين خليق ألا يكون عند الله وجيها وقال رجل يهجو بلال بن البعير المحاربي (الشاعر الرماح بن ميادة)

يقولون أبناء البعير وانه ٭ سنام ولا في ذروة المجد غارب

أرادت وذاكم من سفاهة رأيها ٭ لأهجوها لما هجتني محارب

معاذ الهوى اني بعشيرتي ٭ ونفسي عن ذاك المقام لراغب

وقال أبو الطمحان القيني (اسمه حنظلة بن الشرقي والطمعان فعلان من طمح بأنفه وبصره اذا تكبر والقين الحداد وكل صانع قين والقين أيضا موضع القيد من البعير)

واني من القوم الذين هم هم ٭ اذا مات منهم سيد قام صاحبه

نجوم سماء كلما غار كوكب ٭ بدا كوكب تأوي اليه كواكبه

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم ٭ دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

ومازال منهم حيث كانوا مسود ٭ تسير المنايا حيث سارت كتائبه

وقال اياس بن الوليد يمدح قومه

اني وجدتك من قوم اذا طلبوا ٭ بعد النسيئة دينا أحسنوا الطلبا

التهاون ويضرب على الفرار ويأخذهم بالمناقلة والمناقلة أسباب المنافسة لحقير بخلاف هذه السيرة وبضد هذه المعاملة

(فصل منه) وقد ذهب قوم الى أن الأدب خرق وطلبه شوم وأنشد قول الشاعر

ما ازددت في أدبي حرفا أسر به
الا تزيدت حرفا تحته شوم

ان المقدم في حذق بصنعته
اني توجه فيها فهو محروم

ولم نر شاعرا نال بشعره الرغائب ولا أديبا بلغ بأدبه المراتب ذكر عن الأدب ولا بركة قول الشعر فانما حرم الواحد منهم والرجل الشاذ ذكر خرق الأدب وشوم الشعر وان كان عدد من نال الرغائب أكثر من عدد من اخفق ومهما عيرنا من كان في هذه الصنعة فانا غير عايرين لابي يعقوب الخزيمي لانه قال بالشعر وأدرك بالأدب وليس الذي يحمل أكثر الناس على هذا القول الا وجدان المعاني والالفاظ فانهم يكرهون ان يضيعوا بابا من اظهار الظرف وفضل الشأن وهم عليه قادرون

لاتحسبوا هجم أبياتي علانيةً • ولا استلاب سلاحي ذاهباً لعبا
تبقى المعايرُ بعد القوم باقيةً • ويذهبُ المالُ فيما كان قد ذهبا

وقال آخر

ليسوا لعمرو وغيرتا شيب نسبةً • ولكن عمراً غيبته المقابرُ
اذا عيروا قالوا مقادير قُدِّرتْ • وما العارُ الا ما تجرُّ المقادرُ

وقال رجل من بني نهشل بن دارم

اذا مولاكَ كان عليكَ عوناً • أتاكَ القومُ بالعجب العجيب
فلا تخنع اليه ولا ترده • ورام برأسه عرض الجبوب
فما الشاآفة من غير ذنب • اذا ولّى صديقٌ من طبيب

قوله ورام برأسه عرض الجبوب يريد الأرض وهو اسم من أسمائها أنشد في التوزي لرجل من بني مرة يرثي ابنه

بُنيَّ على عيني وقلبي مكانُهُ • ثوى بين أحجار ورهن جبوب

وقوله فما الشاآفة يقول لبغض يقال شنفت الرجل أشنأه شآفة وشأما مثل شعفا وقد يقال في هذا المعنى شنفته قال الراجز

لما رأتني أم عمرو وصدفت • وتعتني خبرها وشنفت

وقال آخر

ولم تداوِ غُلّة القلب الشنف • وقال نبهان بن عكي العنبري

يقرّ بعيني أن أرى من مكانه • ذرا عقدات الأبرق المتقاود
وأن أرد الماء الذي شربت به • سُليمى وقد مل السُّرى كل واجد
وألصق أحشائي ببرد ترابه • وان كان مخلوطاً بسم الأساود

قوله ذرا عقدات فالذروة من كل شيء أعلاه وذروة السنام أعلاه وذروة المجد أرفعه وأسناه ويقال فلان في ذروة قومه اذا كان في الموضع الرفيع منهم وأما قول أبيد

مُدمنٌ يجلو بأطراف الذرا • دنس الاسؤق عن عضب أفل

فانما يقول هذا رجل يعرقب الابل ينحرها ثم يمسح ذرا أسنمتها بسيفه ليجلو ما عليه من دم الاسؤق وقوله عضب أي قاطع ومن ذلك رجل عضب اللسان وجعله أفل لكثرة ما يقارع به الحروب كما قال النابغة

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب

وقوله عقدات فهو ما انعقد وصلب من الرمل الواحدة عقدة والجمع عقد وأعقاد أيضا وعقدات

(فصل) وقد قالوا الصبي عن الصبي أفهم وبه أشكل وكذلك الغافل والغافل والاحمق والاحمق والغبي والغبي والمرأة والمرأة قال الله تبارك وتعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا لان الناس عن الناس أفهم واليهم اسكن فمما امتن الله تعالى به الصبيان ان قرب طبائعهم ومقادير عقولهم من مقادير عقول العالمين وسمع الحجاج وهو يسير كلام امرأة من دار قوم فيه تخليط وهذيان فقال مجنونة أو ترقص صبيا ألا ترى ان أبلغ الناس لسانا وأجودهم بيانا وأدقهم فطنة وأبعدهم رويّة لو ناطق طفلا أو ناغى صبيا لتوخى حكاية مقادير عقول الصبيان والشبه لمخارج كلامهم وكان لا يجد بدا من ان ينصرف عن كل ما فضله الله به بالمعرفة الشريفة والالفاظ الكريمة وكذلك تكون المشاكلة بين المتفقين في الصنيعات

(فصل في رياضة الصبي)

واما النحو فلا تشغل قلبه منه الا بقدر ما يؤديه الى

قال ذو الرمة لهلال بن أحوز المازني يمدحه

رفعت مجد تميم يا هلال لها ٭ رفع الطراف على العلياء بالعمد

حتى نساء تميم وهي نازحة ٭ بقلة الحزن فالصمان فالعقد

لو يستطعن اذا ضافت مجحفة ٭ وقيندا الموت بالآباء والولد

وقوله الابرق فالأبرق حجارة يخلطها رمل وطين يقال لتلك برقة وأبرق وبرقاء يافتى كما يقال الأمعز والمعزاء وهي الأرض الكثيرة الحصباء ومثل ذلك الأبطح والبطحاء وهو ما انبطح من الأرض فمن قال أبرق فانما أراد المكان ومن قال برقاء فانما أراد البقعة وقوله المتقاود يريد المنقاد المستقيم ومن ذلك قولهم قدته أي جررته على استقامة وكذلك طريق منقاد وفلان قائد الجيش قال حاتم بن عبد الله الطائي يضرب هذا مثلا

ان الكريم من تلفت حوله ٭ وان اللئيم دائم الطرف أقود

وقوله ولو كان مخلوطا باسم الاسود يريد جمع أسود سالم وجمعه على أساود لانه يجرى مجرى الاسماء وما كان من باب أفعل اسما فجمعه على أفاعل نحو أفكل وأفاكل والاكبر والاكابر وكذلك كل ما سميت به رجلا تقول أحمد وأحامد وأسلم وأسالم فان كان نعتا فجمعه على فعل نحو أحمر وحمر وأصفر وصفر ولكن أسود اذا عنيت به الحية وأدهم اذا عنيت به القيد وأبطح اذا عنيت به المكان المنبطح وأبرق اذا عنيت به المكان مضارعة للاسماء لأنها تدل على ذات الشئ وان كانت في الأصل نعتا تقول في جمعها الأباطح والأبارق والأداهم والأساود فان أردت نعتا محضا يتبع المنعوت قلت مررت بثياب سود وبخيل دهم وكل ما أشبه هذا فهذا مجراه قال جرير

هو القين وابن القين لا قين مثله ٭ لفطح المساحي أو لجدل الأداهم

وقال الأشهب بن رميلة (قال أبو الحسن رميلة اسم أمه)

أسود شرى لاقت أسود خفية ٭ تساقوا على حرد دماء الأساود

قوله على حرد يقول على قصد وأما قول الله عز وجل وغدوا على حرد قادرين فان فيه قولين أحدهما ما ذكرنا من القصد قال الشاعر

قد جاء سيل جاء من أمر الله ٭ يحرد حرد الجنة المغله

السلامة من فاحش اللحن ومن مقدار جهل العوام في كتابه وشعر ان أنشده وشئ ان وصفه وما زاد على ذلك فهو مشغلة عما هو اولى به ومذهل عما هو أرد عليه منه من رواية المثل والشاهد والخبر الصادق والتعبير البارع وانما يرغب في بلوغ غايته ومجاوزة الاقتصاد فيه من لا يحتاج الى تعرف جسيمات الامور والاستنباط لغوامض التدبر ولمصالح العباد والبلاد والعلم وبالاركان والقطب الذي تدور عليه الرحا ومن ليس له حظ غيره ولا معاش سواه وعويص النحو لا يجرى في المعاملات ولا يضطر اليه شئ فمن الرأى ان يعتمد به في حساب العقد دون حساب الهند ودون الهندسة وعويص ما يدخل في المساحة وعليك في ذلك بما يحتاج اليه كفاة السلطان وكتاب الدواوين وأنا أقول ان البلوغ في معرفة الحساب الذي يدور عليه العمل والتوفي فيه والسبب اليه أرد عليه من البلوغ

(قال أبو حاتم هذه صنعة من لا أحسن الله ذكره يعني قطربا) وقالوا على حرد أي على منع من قولهم حاردت السنة اذا منعت قطرها وحاردت الناقة اذا منعت درها (قال أبو الحسن رواية أبي العباس يقر بعيني يريد يقر عيني ثم أتى بالباء توكيدا وقال لنا هكذا سمعته ويقال أقر الله عينه يقرها وقرت عينه تقر وقررت بالمكان أقر وقال الأصمعي قرت عينه من القر وهو البرد أي جدت فلم تدمع وهو بعد ذا سخنت عينه وأجود ما روي عندي يقر بعيني وهو الاصل والباء في موضعها غير مؤكدة وقال أبو العباس الذي روينا وقد مل السرى كل واحد وهو المنفرد في السير المتوحد به وروي غيره كل واجد أي عاشق وروي أيضا كل واخد وهو من الوخد والوخدان وهو السير الشديد والوخد المصدر والوخدان الاسم) قال أبو العباس وقال القتال الكلابي واسمه عبيد بن المضرحي

أنا ابن أسماء أعمامي لها وأبي ... اذا ترامى بنو الامران بالعار
لا أرضع الدهر الا ذي راضعة ... لواضح الخد يحمي حوزة الجار
من آل سفيان أو ورقاء منعها ... تحت الحباجة ضرب غير عوار
يا ليتني والمنى ليست بنافعة ... لي مالك أو لحصن أو لسيار
طوال أنضية الاعناق لم يجدوا ... ريح الاماء اذا راحت بأزفار

قوله اذا ترامى بنو الامران بالعار فالامران جمع أمة وأصل أمة فعلة متحركة العين وليس شيء من الاسماء على حرفين الا وقد سقط منه حرف يستدل عليه بجمعه أو بتثنيته أو بفعل ان كان مشتقا منه لان اقل الاصول ثلاثة أحرف ولا يلحق التصغير ما كان أقل منها فأمة قد علمنا أن الذاهب منها واو بقولهم اموان كما علمنا أن الذاهب من أب وأخ الواو بقولهم أبوان وأخوان وعلمنا أن أمة فعلة متحركة بقولهم في الجميع آم فوزن هذا أفعل كما قالوا أكمة وآكم ولا تكون فعلة على أفعل ثم قالوا امون كما قالوا في المذكر الذي هو منقوص مثله اخوان واستوى المذكر والمؤنث لان الهاء زائدة كما استويا في فعل الساكن العين تقول كلب وكلب وكعب وكعاب كما تقول في المؤنث طلحة وطلاح وجفنة وجفان وصحفة وصحاف ونظير ذلك من غير المعتل ورل وورلان وبرق وبرقان وغرب وغربان وهو ذكر الحبارى والبرق الحمل ومن أنشد امون فقد غلط لانه يحتج بقولهم حمل

في صناعة المحررين ورؤوس الخطاطين لان في أدنى طبقات الخط مع صحة الهجا بلاغا وليس كذلك حال الحساب ثم خذ بتعريف حجج الكتاب وتخلصهم باللفظ السهل القريب المأخذ الى المعنى الغامض وأذقه حلاوة الاختصار وراحة الكفاية وحذرة التكلف واستكراه العبارة فان أكرم ذلك كله ما كان افهاما للسامع ولا يحوج الى التأويل والتعقب ويكون مقصورا على معناه لا مقصرا به عنه ولا فاضلا عليه فاختر من المعاني ما لم يكن مستورا باللفظ المنعقد مفرقا في الاكثار والتكلف فما أكثر من لا يحفل باستهلاك المعنى مع براعة اللفظ وغموضه على السامع بعد ان يقبين له القول وما زال المعنى محجوبا لم تكشف عنه العبارة فالمعنى بعد مقيم على استخفائه وصارت العبارة لغوا وظرفا خاليا وشر البلغاء من هم أرسم المعنى قبل ان يهيئ المعنى عشقا لذلك اللفظ وشغفا بذلك الاسم حتى صار يجر

وحملان وفلق وفلقان وهذا انما يحمل على ما كان معتلا مثله نحو أخ واخوان وقد روى أبو زيد أخوان فالى هذا ذهبوا والقياس المطرد لا تعترض عليه الرواية الضعيفة وقوله لا أرضع الدهر فهذا على لغته لان قيسا تقول رضع يرضع وأهل الحجاز يقولون رضع يرضع وينشدون بيت عبد الله بن همام السلولى على وجهين وهو

اذا نصبوا للقول قالوا فأحسنوا ● ولكن حسن القول خالفه الفعل

وذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها ● أفاويق حتى ما يدر لها ثعل

وبعضهم يقول يرضعونها وقوله لا أرضع الدهر الا ندى واضحة يقول انما ترضعنى أمى وليست غير كريمة كما قال الاعشى

يا خير من يركب المطى ولا ● يشرب كأسا بكف من بخلا

يقول انما تشرب بكفك ولست بخيل ومثل هذا قول التميمى لنجدة بن عامر الحنفى الخارجى

متى تلق الحريش حريش سعد ● وعبادا يقود الدار عينا

تبين أن أمك لم تورثك ● ولم ترضع أمير المؤمنينا

وقوله واضحة أى خالصة فى نسبها وليست بأمة وهذا توكيد لبيته الاول وقد أنشد بعضهم لواضح الجد والمعنى قريب وقوله يحمى حوزة الجار أى ما يحوزه يقال فلان مانع لحوزته أى لما صار فى حيزه ويروى عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنه قال للزد أربع ليست لحى بذل لما ملكت أيديهم ومنع لحوزتهم وحى عمارة لا يحتاجون الى غيرهم وشجعان لا يحبنون وقوله لمالك أو لحصن أو لسيار فهؤلاء بيت فزارة وبيوتات العرب فى الجاهلية ثلاثة فبيت تميم بنو عبد الله بن دارم ومركزه بنو زرارة وبيت قيس بنو فزارة ومركزه بنو بدر وبيت بكر بن وائل بنو شيبان ومركزه بنو ذى الجدين وقوله طوال أنضية الاعناق فالنضى مركب النصل فى السهم وشبه به مثلا وانما أراد طوال الاعناق كما قال الاعشى

الواطئين على صدور نعالهم ● يمشون فى الدفنى والابراد

يريد السود والنعمة ولم يخصص الصدور وانما أراد النعال كلها وقال الشاعر (هو الشمردل ابن شريد اليربوعى عن ابن قتيبة)

يشبهن ملوكا فى تجللهم ● وطول أنضيه الاعناق والقمم

اليه المعنى جر او يلزقه به الزاقا حتى كان الله تعالى لم يخلق لذلك المعنى اسما غيره ومنعه الافصاح عنه الا به والآفة الكبرى ان يكون ردىء الطبع بطئ اللفظ كليل الحد شديد الحجب ويكون مع ذلك حريصا على أن يعد فى البلغاء شديد التكلف بانتحال اسم الادب فاذا كان كذلك خفى عليه فرق ما بين اجابة الالفاظ واستكراهه لها وبالجملة ان لكل معنى شريف أو وضيع هزلا أو جدا وحزم أو اضاعه ضرب من اللفظ هو حقه وحظه ونصيبه الذى لا ينبغى ان يجاوزه أو يقصر دونه ومن قرأ كتب البلغاء وتصفح دواوين الحكماء ليستفيد المعانى فهو على سبيل صواب ومن نظر فيها ليستفيد الالفاظ فهو على سبيل الخطأ والخسران هاهنا فى وزن الربح هناك لان من كانت غايته انتزاع الالفاظ حمله الحرص عليها والاستهتار بها الى أن يستعملها قبل وقتها ويضعها فى غير مكانها

اذا بدا المسك ينذى فى مفارقهم * راحوا كأنهم مرضى من الكرم

(قال أبو الحسن وغيره يروى يشبهون قريشا فى تجلتهم) وقوله بأزفار فالزفر الحمل ويضرب مثلا للرجل فيقال انه لزفر أى حمال للاثقال ويقال أتى حمله فازدفره قال أبو قحافة أعشى باهلة

أخو رغائب يعطيها ويسئلها * يأبى الظلامة منه النوفل الزفر

وانما يريد به بعينه كقولك لئن لقيت فلانا ليلقينك منه الأسد وقوله النوفل من قولهم انه لذو فضل ونوافل وقال رجل من بنى عبس (قال أبو الحسن يقوله لعروة بن الورد)

لا تشتمنى يا ابن ورد فانني * تعود على مالى الحقوق العوائد

ومن يؤثر الحق النؤوب تكن به * خصاصة جسم وهو طيان ماجد

وانى امرؤ هانى انائى شركة * وأنت امرؤ هانى انائك واحد

أقسم جسمى فى جسوم كثيرة * وأحسو قراح الماء والماء بارد

قوله النؤوب يريد الذى ينوب وكل واو انضمت لغير علة فأنت فى همزها وتركها بالخيار تقول فى جمع دار أدؤر وان شئت لم تهمز وكذلك النؤوب والقؤول لانضمام الواو فأما الواو الثانية فانها ساكنة وقبلها ضمة وهى مدة فلا يعتد بها ولو التقت واوان فى أول كلمة وليست احداهما مدة لم يكن بد من همز الاولى تقول فى تصغير واصل ووادّ أويصل وأويدّ لا بد من ذلك فأما وجوه فان شئت همزت فقلت أجوه وان شئت لم تهمز قال الله عز وجل واذا الرسل أقتت والاصل وقتت ولو كان فى غير القرآن لجاز اظهار الواو وان شئت وقوله تعالى ما روى عنهما الواو الثانية مدة فلا يعتد بها ولو كان فى غير القرآن لجاز الهمز لانضمام الواو وقولى اذا انضمت من غير علة فالعلة أن تكون ضمتها اعرابا نحو هذا غزو يافتى ودلو كما زى فهذا مما لا يجوز همزه لان الضمة للاعراب فليست بلازمة أو تنضم لالتقاء الساكنين فذلك أيضا غير لازم فلا يجوز همزه نحو أخشوا الرجل ولتبلون فى أموالكم وأنفسكم ولتروون البحيم ومن همز من هذا شيأ فقد أخطأ وقال رجل من بنى تميم

ألبان ابل تعلة بن مسافر * ما دام يملكها على حرام

وطعام عمران بن أوفى مثلها * ما دام يذكى فى البطون طعام

ولذلك قال بعض الشعراء لصاحبه أنا أشعر منك قال صاحبه ولم ذاك قال لانى أقول البيت وأخاه وأنت تقول البيت وابن عمه وانما هى رياضة وسياحة والرفيق مصلح والآخر مفسد ولا بد من هذان طبيعة متناسبة وسماع الالفاظ ضار ونافع فالوجه النافع ان يدور فى مسامعه ويغيب فى قلبه ويخيم فى صدره فاذا طال مكثها تناكحت ثم تلاقحت وكانت نتيجتها أكرم نتيجة وثمرتها أطيب ثمرة لانها حينئذ تخرج غير مسترقة ولا مختلسة ولا مغتصبة ولا دالة على فقرا ذلم يكن القصد الى شئ بعينه والاعتماد عليه دون غيره وبين الشئ اذا عشش فى الصدر ثم باض ثم فرخ ثم نهض وبين ان يكون الخاطر مختارا واللفظ اعتسافا واغتصابا فرق بين ومتى اتكل صاحب البلاغة على الهوينا والوكال وعلى السرقة والاحتيال لم يتمثل طائلا وشق عليه النزوع واستولى عليه الهوان

إنَّ الذين يَسُوغُ فى أعناقهم • زادُ عَنْ عليهم لئامُ

لَعَنَ الالهُ ثَعْلَبَةَ بنَ مُسافرٍ • لَعْنًا يُشَنُّ عليه من قُدَّامُ

وهذا كلام فصيح جدا قوله يسوغ فى أعناقهم يريد حلوقهم لان العُنُق يحيط بالحلق ويُشبهه هذا فى الاتساع فى الفصاحة لا فى المعنى قول القُطَامِيّ

لَمْ تَرْقُ مَاهُمُ شَرًّا لاخوتهم • مِنَّا عَشِيَّةَ يَجْرِى بالدَّمِ الوادى

نَقْرِيهِمُ لَهْذَمِيَّاتٍ نَقِيدُهَا • ما كانَ خاطَ عليهم كُلُّ زَرَّادِ

لان الخياطة تَضُمُّ خرقَ القميص والسَّرْدَ يضم حلقَ الدرعِ فضربه مَثَلًا لفعله خياطةً (قال أبو الحسن رَوَى أبو العباس • وطعام عمران بن أوفى مثلها • ردالها، والالف على الالبان وهذا لا نظر فيه ورَوَى أيضا مثلُه لان الالبان تجرى مجرى اللبن فحمله على المعنى وقد يجوز أن تجعل الالبان جمعا فتذكر لتذكيرالجمع ورُوِىَ أيضا • مادام يسلك فى الحُلُوق طعام • ورَوَى الفَرَّاءُ فى هذا الشعر • ان الذين يَسُوغُ فى أحلاقهم • وانما كان ينبغى أن يكون فى أحلُقهم كقولك فَلْسٌ وأفلُسٌ وما أشبهه ولكنه شبَّه باب فَعْل بباب فَعَل كما قالوا زَنَدٌ وأزنادٌ وفَرْخٌ وأفراخٌ قال الحُطَيْئَةُ لعُمَر رحمه الله تعالى

ماذا تَقُولُ لأفراخٍ بذى مَرَخٍ • حُمْرِ الحواصلِ لا ماءٌ ولا شَجَرُ

ففعلوا هذا تشبيها بباب فَعَل كما شبَّهوا فَعَلًا بفَعْل فى الجمع فقالوا أجبُلٌ وأجبُلٌ وزَمَنٌ وأزمُنٌ كما قال

انِّى لآكُنِى بأجبالٍ عن اجبُلِها • وباسمِ أودِيَةٍ حُبًّا لوادِيها

فأتى به على الأصل وشبهها بغيره على ما أخبرتُك وقال ذو الرُّمَّة

أمنزِلَتَىْ مَىٍّ سَلامٌ عليكُما • هَلِ الأزمنُ اللَّاتِى مَضَيْنَ رَواجِعُ

والباب أزمان كما قال رُؤْبَةُ أزمانَ لا أدرِى وان سألتِ • ما فَرْقُ بين جُمعةٍ وسَبْتِ

ورَوَى أبو العباس البيتَ الاخير مُقَوًّى وجعله نكرة وهو قوله من قُدَّامِ كما تقول جئتُك من قَبْلُ ومن بَعْدُ ومن عَلُ وما أشبهه كما قرأ بعضهم لله الأمرُ من قَبْلُ ومن بَعْدُ كما تقول أوَّلًا وآخرًا ورواه الفراء من قُدَّامُ وجعله معرفة وأجراه مُجرى الغايات نحو قَبْلُ وبَعْدُ كما قال طَرَفَةُ بن العَبْد

ثم تَفْرِى اللَّحْمَ من تعدائها • فهى من تحتُ مُشِيحاتُ الحُزُمْ

واستهلك سوء العادة والوجه الضار ان يحفظ ألفاظا باعيانها من كتاب بعينه أو من لفظ رجل ثم يريد ان يعد تلك الالفاظ قسيما من المعانى فهذا لا يكون الا بخيلا فقيرا وحائفا سروقا ولا يكون الا مستكرها لالفاظه متكلفا لمعانيه مضطرب التأليف منقطع النظام فاذا مر كلامه بنقاد الالفاظ وجهابذة المعانى استخفوا عقله وبهرجوا عمله ثم اعلم أن الاستكراه فى كل شئ سمج وحيث ما وقع فهو مذموم وهو فى الطرف أسمج وفى البلاغة أقبح وما أحسن حاله مادامت الالفاظ مسموعة من فيه مسرودة فى نفسه ولم تكن مخلدة فى كتبه وخير الكتب ماذا اعدت النظر فيه زاد لك فى حسنه وأوقفك على حده.

(فصل فى ذم اللواط)

والذى يدل على أن هذه الشهوة معيبة فى نفسها قبيحة فى عينها ان الله تعالى وعز لم يعوض فى الاخرة بشهوة الولدان من ترك لوجهه فى الدنيا شهوة

وكما قال عتى بن مالك العقيلي أنشده الفراء أيضا

اذا أنام أو من عليك ولم يكن ٭ لقاؤك الا من ورا ورا ٭

فهذا الضرب مما وقع معرفة على غير جهة التعريف وجهة التعريف أن يكون معرفا بنفسه كزيد وعمرو أو يكون معرفا بالألف واللام أو بالاضافة فهذه جهة التعريف وهذا الضرب انما هو معرف بالمعنى فلذلك بني اذ خرج من الباب ويروى لعنا يسن عليه بالسين ويسن ويشن واحد أي يصب الا أن بعضهم قال السن الصب على جهة واحدة وقالوا يقال شننت عليه الماء وسننته وسننت عليه الدرع لا غير وقالوا اشنت عليه الغارة لا غير) قال أبو العباس وقال القطامي

فمن تكن الحضارة أعجبته ٭ فأي رجال بادية ترانا

ومن ربط الجحاش فاننا ٭ فنأسلبا وأفراسا حسانا

وكنا اذا أغرن على قبيل ٭ فأعوزهن كون حيث كانا

أغرن من الضباب على حلال ٭ وضبة انه من حان حانا

وأحيانا على بكر أخينا ٭ اذا ما لم نجد الا أخانا

قوله الحضارة يريد الأمصار وتقول العرب فلان بادٍ وفلان حاضر وفي الحديث ولا يبيع حاضر لباد وتأويل ذلك أن البادي يقدم وقد عرف أسعار ما معه وما مقدار ربحه فاذا جاءه الحاضر عرفه سنة البلد فأغلى على الناس ومثل ذلك النهي عن تلقي الجلب ومثله دعوا عباد الله يصب بعضهم من بعض ويقال حي حلال اذا كانوا متجاورين مقيمين وأنشد الاصمعي

أقوم يبعثون العير تجرا ٭ أحب اليك أم حي حلال

﴿ باب ﴾

قيل لمعاوية ما النبل فقال الحلم عند الغضب والعفو عند القدرة ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى قال من أكل وحده ومنع رفده وضرب عبده ألا أخبركم بشر من ذلكم من لا يقيل عثرة ولا يقبل معذرة ولا يغفر ذنبا ألا أخبركم بشر من ذلكم من يبغض الناس ويبغضونه ويروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى

بذمتهم

الغلمان كما يسقى في الاخرة الخمر من تركها له في الدنيا ثم مدح خمر الجنة بأقصر الكلام فنظم به جميع المعاني المكروهة في خمر الدنيا فقال لا يصدعون عنها ولا ينزفون كأنه تبارك وتعالى قال لا سكر فيها ولا خمار وفي اكتفاء الرجال بالرجال والنساء بالنساء انقطاع النسل وفي انقطاع النسل بطلان جميع الدين والدنيا وغشيان الرجل الرجل والمرأة المرأة من المنكوس المعكوس ومن المبدل المقلوب لان الله جل ذكره انما خلق الذكر للانثى وجعل بينهما أسباب التحاب وعلائق الشركة وعلل المشاكلة وجعل الذكر طبقا للانثى وجعل الانثى سكنا للرجل فقلب هؤلاء الامر وعكسوه واستقبلوا من اختار الله لهم بالرد والزهد فيه

(فصل) ومن المعلمين ثم من البلغاء المتأدبين عبد الله بن المقفع ويكنى أبا عمرو وكان يتولى لآل الاهتم وكان مقدما في بلاغة اللسان والقلم

بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم والمرء كثير بأخيه قوله صلى الله عليه وسلم تتكافأ دماؤهم من قولك فلان كفء لفلان أى عديله وموضوع بحذائه قال الله عز وجل ولم يكن له كفوا أحد ويقال فلان كفاء فلان وكفى فلان وكف فلان ويروى أن الفرزدق بلغه أن رجلا من الحبطات بن عمرو بن تميم خطب امرأة من بنى دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم فقال الفرزدق

بنو دارم أكفاؤهم آل مسمع • وتنكح فى أكفائها الحبطات

فآل مسمع بيت بكر بن وائل فى الاسلام وهم من بنى قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل والحبطات هم بنو الحرث بن عمرو بن تميم فقوله أكفاؤهم انما هو جمع كفء يافتى فقال رجل من الحبطات يجيبه

أما كان عباد كفئا لدارم • بلى ولابيات بها الحجرات

يعنى بنى هاشم من قول الله عز وجل ان الذين ينادونك من وراء الحجرات وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه من لانت كلمته وجبت محبته وقال قيمة كل امرئ ما يحسن وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثلاث يثبتن لك الود فى صدر أخيك أن تبدأه بالسلام وتوسع له فى المجلس وتدعوه بأحب الاسماء اليه وقال كفى بالمرء غيا أن تكون فيه خلة من ثلاث أن يعيب شيأ ثم يأتى مثله أو يبدو له من أخيه ما يخفى عليه من نفسه أو يؤذى جليسه فيما لا يعنيه وقال عبد الله بن العباس لبعض اليمانية لكم من السماء نجمها ومن الكعبة ركنها ومن السيوف صمصامها يعنى سهيلا من النجوم والركن اليمانى وصمصامة عمرو بن معدى كرب ويروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال يوما من أجود العرب فقيل له حاتم قال فمن شاعرها قيل امرؤ القيس بن حجر قال فمن فارسها قيل عمرو بن معدى كرب قال فأى سيوفها أمضى قيل الصمصامة وقال معاوية بن أبى سفيان للاحنف بن قيس وجارية بن قدامة ورجال من بنى سعد معهما كلاما أحفظهم فردوا عليه جوابا مقذعا ابنة قرظة فى بيت يقرب منه فسمعت ذلك فلما خرجوا قالت يا أمير المؤمنين لقد سمعت من هؤلاء الاحلاف كلاما تلقوك به فى مثل تنكرة فكدت أخرج اليهم فأسطو بهم فقال لها معاوية ان مضر كاهل العرب وغيما كاهل مضر وسعدا كاهل تميم وهؤلاء كاهل سعد وكان معاوية يقول انى لاحمل السيف على من لا سيف معه وان لم تكن الا كلمة يشتفى بها مشتف جعلتها تحت قدمى ودبر أذنى المقذع الذى فيه اقذاع وهو السيئ من القول

والترجمة واختراع المعانى وابتداع السير وكان جوادا فارسا جميلا وكان اذا شاء ان يقول الشعر قاله وكان يتعاطى الكلام ولم يكن يحسن منه لا قليلا ولا كثيرا وكان ضابطا لحكايات المقالات ولا يعرف من أين غر المغتر ووثق الواثق واذا أردت ان تعتبر ذلك ان كنت من خلص المتكلمين ومن النظارين فاعتبر ذلك بان تنظر فى آخر رسالته الهاشمية فانك تجده جيد الحكاية لدعوى القوم ردئ المدخل فى مواضع الطعن عليهم وقد يكون الرجل يحسن الصنف والصنفين من العلم فيظن بنفسه عند ذلك انه لا يحمل عقله على شئ الا بعد به فيه كالذى اعترى الخليل بن أحمد بعد احسانه فى النحو والعروض ان ادعى العلم بالكلام وباوزان الاغانى فخرج من الجهل الى مقدار لا يبلغه أحد الا بخذلان الله تعالى فلا حرمنا الله تعالى عصمته ولا ابتلانا بخذلانه

(فصل) وهذان

(باب)

قال أبو العباس قال رجل أحسبه من بنى سعد يرثى رجلا

ومختضر المنافع أريحيّ * نبيل فى معاوزة طوال
عزيز عزّة فى غير فحش * ذليل للذليل من الموالى
جعلت وساده احدى يديه * وتحت جمائه خشبات ضال
ورثت سلاحه وورثت ذودا * وحزنا دائما أخرى الليالى

قوله أريحى هو الذى يرتاح للمعروف أى يخف له ويقال أخذت فلانا أريحية أى خفة وحركة لفعل المعروف والمعاوز الثياب التى يتبذل فيها الرجل وهى دون الثياب التى يتجمل بها واحدها معوز قال الشماخ فى نعت القوس

اذا سقط الانداء صينت وأشعرت * حبيرا ولم تدرج عليها المعاوز

وقوله فى معاوزة فزاد الهاء فانما يفعل ذلك لتحقيق التأنيث لان كل جمع مؤنث كما تقول فى جمع صيقل صياقل وصياقلة وكذلك جوارب وجواربة الا أن أكثر الاعجمى يختص بالهاء وهو فى العربى جيد وفى الاعجمى أكثر استعمالا نحو الموازجة فان كان منسوبا كان الباب فيه اثبات الهاء وتركها جائز نحو المهالبة والمهالبى والمسامعة والمسامعى والمنذرة والمنذرى وقالوا السبابجة لانه قد اجتمع فيه النسب والعجمة وقوله تحت جمائه يعنى شخصه والضال السدر البرى وما كان من السدر على الانهار فليس بضال ولكن يقال له عبرى قال ذو الرمة

(قطعت اذا تجوبت العواطى * ضروب السدر عبريا ووغلا

وقوله ورثت سلاحه وورثت ذودا يصف قرب نسبه منه والذود القطعة من الابل وأكثر ما يستعمل ذلك فى الاناث ويجوز فى الذكور ومنه قولهم الذود الى الذود ابل ثم قال

* وحزنا دائما أخرى الليالى * كان القال الأول وغبط بميراث ورثه من أحد أهله

يقول جزء ولم يقتل جلادا * أنى ترزحت نائما جذلا
ان كنت أزننتنى بها كذبا * جزء فلاقيت مثلها عجلا
أغبط أن أرزأ الكرام وأن * أورث ذودا شصائصا نبلا

الشاعران جاهليان بعيدان من التوليد وبنجوة من التكليف (فصل) ومن خصال العبادة وان كانت كلها راجحة فليس فيها شئ أرد فى عاجل ولا أفضل فى آجل من حسن الظن بالله تعالى وعز ثم اعلم أن أعقل الناس السلطان ومن احتاج الى معاملته وعلى قدر الحاجة اليه ينفتح له باب الحيلة والاهتداء الى مواضع الحجة وما أقرب فضل الراعى على الرعية من فضل السائس على الدابة ولولا السلطان لأكل الناس بعضهم بعضا كما انه لولا المسيم لوثب السباع على السوام ودعنى من تدريس كتب أبى حنيفة ودعنى من قولهم اصرفه الى الصيارفة فان صناعة الصرف تجمع مع الكتاب والحساب المعرفة باصناف الأموال ولا تجد بدا من حملة السلطان ودعنى من قول من يقول قد كانت قريش تجارا فان هذا باب لا ينقاس ولا يطرد ومن قاس تجار الكرج وباعته وتجار

قوله

قوله ولم يقل جلال أى صغيرا والجلال يكون للصغير ويكون للكبير من ذلك قوله

• كل شئ ما خلا الله جلل • أى صغير وقال لبيد في الكبير

وأرى أربد قد فارقني • ومن الأرزاء رزء ذو جلل

وقوله شصائصا يعنى حقيرة ذميمة وزعم التوزى أن النبل من الاضداد يكون للجليل والحقير واحتج بهذا البيت الذى ذكرناه قال يريد ههنا الحقيرة وقوله أزننتنى أى قرفتنى ونسبتنى اليه يقال فلان يزن بكذا وكذا أى يسمى به وينسب اليه قال امرؤ القيس بن حجر

كذبت لقد أصبى على المرء عرسه • وأمنع عرسى أن يزن بها الخالى

وفى معنى قوله ورثت سلاحه قول الشاعر

يفرح الوارث بالمال اذا • ورث المال ويبكى ان غضب

ومثله قول نعامة الفزارى • يا حبذا التراث لولا الذلة • وقال جميل بن معمر

ما صائب من نابل قذفت به • يد وعمر العقدتين وثيق

له من خوافى النسر حم نظائر • ونصل كنصل الزاعبى فتيق

على نبعة زوراء أيما خطامها • فتن وأيما عودها فعتيق

بأوشن قتلا منذ يوم رميتنى • نوافذ لم تعلم لهن خروق

كان لم تحارب يا بثين لرانها • تكشف غماها وأنت صديق

قوله ما صائب يريد قاصدا يقال صاب يصوب اذا قصد ومن ذلك قوله تعالى أو كصيب من السماء. وقد قالوا النازل والقاصد أحكم كما قال بشر بن أبى خازم الاسدى

تؤمل أن أؤب لها بغنم • ولم تعلم بأن السهم صابا

(صدر البيت عن أبى الحسن) وقوله وعمر العقدتين يعنى وترا والعمر الشديد الفتل وقوله من خوافى النسر حم نظائر يريد ريش السهم والحم السود ذلك أخلصه وأجوده وجعلها نظائر فى مقاديرها لانه أقصد للسهم واذا كانت الريشات بطن الواحدة منها الى ظهر الاخرى فهو الذى يختارونه والذى يقال له اللؤام وانما أخذ من قولهم ملتئم وان كان ظهر الواحدة الى ظهر الاخرى وبطنها الى بطن الاخرى فذلك مكروه ويقال له اللعاب وقوله كنصل الزاعبى شبه نصل السهم

الاهواز والبصرة على تجار قريش فقد أخطأ مواضع القياس وجهل اقدار العلل قريش قوم لم يزل الله تعالى يقلبهم فى الأرحام البريئة من الآفات وينقلهم من الاصلاب السليمة من العاهات ويبقيهم لكل جسيم ويربيهم لكل عظيم ولو علم هذا القائل ما كانت قريش عليه فى التجارة لعرف اختلاف السبل وتفاوت ما بين الطرق ولو كانت علتهم فى ذلك كعلة تجارة الابلة ومحتكرى أهل الحيرة لثلمت دقة التجارة فى اغراضهم ولنهك سخف الربح من مروآتهم ولصغر ذلك من اقدارهم فى صدور العرب ولوضع من علوهم عند أهل الشرف وكيف وقد ارتحلت اليهم الشعراء كما ارتحلت الى الملوك العظماء فاسنوا لهم العطية ولم يقصروا عن غاية فسقوا الحجيج وأقاموا القرى لزوار الله تعالى وهم بواد غير ذى زرع فلولا انه كان معهم من الفضل ما يبهر العقول

ومن المجد ما يخرج فيه العيون لما أصلح طبائعهم الشئ الذى يفسد جميع الأمة ولقد أورث ذلك صدورهم من السعة بقدر ما أورث غيرهم من الضيق ولو كانت سبلهم عند الملوك اذا وفدوا عليهم أو ورد وا بلادهم بالتجارات سبل غيرهم من التجار لما أوجهوهم وقربوهم ولما أقاموا لهم قرى الملوك وحبوهم بكرامة الخاص واذا كانت قريش حسانفسد فى دينها وتناله فى عبادتها وكان ما نالهم من الغارات والسباء ومن وطء النساء من جهة المغنم ولذلك لم يتخذوا البنات ولا ولدت منهم امرأة غيرهم من جهة السباء ولا زوجوا أحدا من العرب حتى يتحمس ويدين بدينهم ولذلك لما صاروا الى بناء الكعبة لم يخرجوا فى بنائها من أموالهم الا موار يث آبائهم ونسائهم خوفا من أن يخالطه شئ من حرام اذ كانت أرباح التجارات مخوفا عليها لذلك فلما كانوا بواد غير ذى زرع ويحتاجون الى الأقوات

ينصل الرمح الزاعبي وهو منسوب الى رجل من الخزرج يقال له زاعب كان يعمل الاسنة هذا قول قوم وأما الاصمعى فكان يقول الزاعبي هو الذى اذا هز فكأن كعوبه يجرى بعضها فى بعض للينه وتثنيه يقال مر يزعب بحمله اذا مر به مرا سهلا وقوله فتيق يعنى حادا رقيقا يقال فتيق الشفرتين وتأويله انه يفتق ما عمد به له وفعيل يقع اسما للفاعل ويقع للمفعول فاما الفاعل فمثل رحيم وعليم وحكيم وشهيد وأما ما كان للمفعول فنحو جريح وقتيل وصريع وقوله زورا يريد معوجة وكلما كانت القوس أشد انعطافا كان سهمها أمضى وقوله على نبعة يعنى قوسا وأكرم القسى ما كان من النبع وقوله أيما يريد أما واستثقل التضعيف فأبدل الياء من احدى الميمين وينشد بيت ابن أبى ربيعة

رأت رجلا أيما اذا الشمس عارضت ٭ فيضحى وأيما بالعشى فيخصر

وهذا يقع وانما بابه أن تكون قبل المضاعف كسرة فيما يكون على فعال فيكرهون التضعيف والكسر فيبدلون من المضعف الأول الياء للكسرة وذلك قولهم دينار وقيراط وديوان وما أشبه ذلك فان زالت الكسرة وانفصل أحد الطرفين من الآخر رجع التضعيف فقلت دنانير وقراريط ودواوين وكذلك ان صغرت قلت قريريط ودنينير وقوله وأيما عودها فعتيق يصف كرم هذه القوس وعتقها ويحمد منها أن تترك ولجاؤها عليها بعد القطع حتى تشرب ماءه كما قال الشماخ

قطعها حولين ما لحائها ٭ ويظمر منها أنها هو غامز

قطعها شربها (قوله قطعها حولين أى تركها فى الظل حولين حتى تشرب ماء الظل يقال تظلع الرجل الظل اذا تحول من مكان الى مكان) وقوله بأوشذ قتلا منذ يقول بأسرع يقال أمر وشيذ أى سريع ويقال يوشذ فلان أن يفعل كذا وكذا أى يقارب ذلك ويوشذ يفعل كذا بطرح أن كل ذلك جيد قال الشاعر (هو أمية بن أبى الصلت)

يوشذ من فرقه من صيته ٭ فى بعض غراته يوافقها
من لم يمت مبطة يمت هرما ٭ للموت كأس فالمرء ذائقها

(قال أبو الحسن هذه الابيات أربعة وهى لرجل من الخوارج قتله الحجاج أولها

ما رغبة النفس فى الحياة وان ٭ عاشت قليلا فالموت لاحقها

وأيقنت

وأيقنت أنها تعودكما • كان براها بالأمس خالقها

قوله عبطة أي شابا يقال اعتبط الرجل اذا مات شابا من غير مرض وأصل العبيط الطري من كل شئ وقوله نوافذ لم تعلم لهن خروق معنى طريف وقد أخذه أبو حية منه فكشفه في أبيات مختارة وهي (اسم أبي حية الهيثم بن الربيع)

وان دما لو تعلمين جنيته • على الحي جاني مثله غير يسالم
أما انه لو كان غيرك أرقلت • اليه القنا بالزاعفات اللهاذم
ولكن لعمر الله ما طل مسلما • كغر الثنايا واضحات الملاغم
اذا هن ساقطن الحديث كأنه • سقاط حصى المرجان من سلك ناظم
رمين فأقصدن القلوب فلم تجد • دما مائرا الا جوى في الحيازم

(الكاف في قوله كغر فاعلة بقوله طل ومنه قول الاعشى

أتنتهون ولن ينهى ذوي شطط • كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل

وقول امرئ القيس

وانك لم يفخر عليك كفاخر • ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

قال أبو الحسن وأول هذه الابيات المختارة أنشدناه نصيره

خبرك الواشون أني لن أحبكم • بلى وستور الله ذات المحارم
أصد وما الصد الذي تعلمينه • شفاء لنا الا اجتراع العلاقم
حياء وبقيا أن تشيع نميمة • بنا وبكم أف لاهل النمائم

قال أبو العباس فهذا مأخوذ من ذلك وقوله ولكن لعمر الله ما طل مسلما يقول ما طل دمه يقال دم مطلول اذا مضى هدرا كما قال الراجز • بغير عقل ودم مطلول • وحدثني التوزي قال قال يحيى بن يعمر لرجل نازعته امرأته عنده ان طالبتك بثمن شكرها وشبرك أنشأت تطلها وتضهلها قوله ثمن شكرها فانما يعني الرضاع والشبر النكاح والشكر الفرج وقوله أنشأت تطلها أي تسعى في بطلان حقها وقوله تضهلها أي تعطيها الشئ بعد الشئ يقال بضهول اذا كان ماؤها يخرج من جرابها شيأ بعد شئ وجرابها جوانبها وانما يغزر ماؤها اذا خرج من قرارتها فتعضم جنباتها وقوله واضحات الملاغم يريد العوارض قال الغرر الدق

واقامة القرى لم يجدوا بدا من أن يتكلفوا ما يعيشهم ويصلح شأنهم فأخذوا الايلاف ورحلوا الى الملوك بالتجارات فهذا هو السبب فانظركم بين علتهم وعلة غيرهم فيسرك بعد هذا ان يتحول ابتذال في ملاخ صالح الذر اليري أو في طباع ابن آدم وفي عقل بن سامري فان زعموا ان أصحاب السلطان بعرض مكروه فليعلموا ان كل مسافر بعرض مكروه وقد قال بعض الحكماء المسافر ومتاعه على قلة الا من حفظ الله تعالى يعني على هلاك وراكب البحر أشد خطرا ومشتري طعام الاهواز أشد تهورا ورافع الشراع بعرض هلكة والمتعرض للام والمعرض نفسه للسباع أقل شفقة وسكان الجزائر والسواحل أحق بالتعرض وأولى بالخوف والمهوم بالطعام الردئ والمدمن للشراب أشبه باصحاب التغرير والمتبارى في ذلك والمتزيد منه أحق بتوقع الحدثان وحوادث الازمان قد جرت عليه عادة الدهر وسيرة الايام

سَقَتْهَا خُرُوقٌ فِي المَسَامِعِ لَمْ تَكُنْ ● عِلَاطًا وَلَا مَخْبُوطَةً فِي المَلَاغِمِ

يقول علم أرباب الماء لمن هي فسقاها ما سمعوه من ذكر أصحابها بالعز منهم ومنعتهم ولم تحتج أن تكون بها سمة والعلاط وسم في العنق والخباط في الوجه

(باب)

قال بعض الحكماء من أدب ولده صغيرا سر به كبيرا وكان يقال من أدب ولده أرغم حاسده وقال رجل لعبد الملك بن مروان اني أريد أن أسر اليك شيأ فقال عبد الملك لاصحابه اذا شئتم فنهضوا فأراد الرجل الكلام فقال له عبد الملك قف لا تغدني فأنا أعلم بنفسي منك ولا تكذبني فانه لا رأى لمكذوب ولا تغتب عندي أحدا فقال الرجل يا أمير المؤمنين أفتأذن لي في الانصراف قال له اذا شئت وقال بعض الحكماء ثلاث لا غربة معهن مجانبة الريب وحسن الادب وكف الاذى وقال عمرو بن العاصي لدهقان نهر تيرى بم يتبل الرجل عندكم فقال بترك الكذب فانه لا يشرف الا من يوثق بقوله وبقيامه بأمر أهله فانه لا يتبل من يحتاج أهله الى غيره وبمجانبة الريب فانه لا يعزم من لا يؤمن أن يصادف على سوأة وبالاهتمام بحاجات الناس فانه من رجى الفرج لديه كثرت غاشيته وقال بزرجمهر من كثر أدبه كثر شرفه وان كان قبيلا وضيعا وبعد صيته وان كان خاملا وساد وان كان غريبا وكثرت الحاجة اليه وان كان مقترا وكان يقال عليكم بالادب فانه صاحب في السفر ومؤنس في الوحدة وجمال في المحفل وسبب الى طلب الحاجة وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أفضل ما أعطيته العرب الابيات يقدمها الرجل أمام حاجته يستعطف بها الكريم ويستنزل بها اللئيم وكان شعبة ابن الحجاج أو سماك بن حرب (قال أبو الحسن هو سماك بلا شك) اذا كانت له الى أمير حاجة استنزله بأبيات يقولها فيه وقال بعض الملوك لبعض وزرائه وأراد محنته ما خير ما يرزقه العبد قال عقل يعيش به قال فان عدمه قال فأدب يتحلى به قال فان عدمه قال فمال يستره قال فان عدمه قال فصاعقة تحرقه فتريح منه العباد والبلاد وقيل لرجل من ملوك العجم متى يكون العلم شرا من عدمه قال اذا كثر الادب ونقصت القريحة وقال أزدشير من لم يكن عقله أغلب خلاله الخير عليه كان حتفه في أغلب خلاله الخير عليه وقال محمد بن علي بن

وهذا كله أحق بالاهتمام وان كنت الى الاشفاق تذهب والى اعطاء الحزم أكثر من نصيبه وكيف دار الأمر فان التاجر قد استشعر الذل وتغشى ثوب المذلة وصاحب السلطان قد تجاوز حد العز والهيبة وانما عيبه شكر السلطان وافراط التعظيم قد استبطن بالعز وظاهر بالبشر واستحكمت تجربته وبعدت بصيرته حتى عرف مصلحة كل مضر واصلاح كل فاسد واقامة كل معوج وعمارة كل خرب ولا أعلم في الأرض أعم اقلاسا ولا أشد نكبة ولا أكثر تحولا من يسر الى عسر ولا رأينا الحوائج الى أحد أهدى منها الى أموال الصيارفة وكيف يقاس شأن قوم تعمهم المعاطب بشأن قوم أهل السلامة فيهم أكثر والنكبات فيهم أقل وبعد هذا فاني أرى ان لا تستكرهه فتبغض اليه الأدب ولا تحمله فيعتاد اللهو على انى لا أعلم في جميع الارض شيأ أجلب لجميع الفساد من قرناء السوء والفراغ الغاصل

عبد الله بن العباس وذكر رجلا من أهله انى لأكره أن يكون لعله فضل على عقله كما أكره أن يكون للسانه فضل على عله وقال محمد بن على بن الحسين جميع التعايش والتناصف والتعاشر فى مل مكيال ثلثاه فطنة وثلث تغافل فلم يجعل لغير الفطنة نصيب من الخير ولا خطأ فى الصلاح لأن الانسان لا يتغافل الا عن شئ قد عرفه وفطن به

(باب)

قال رجل من بنى عبد الله بن غطفان وجاور فى طيئ وهو خائف

جزى الله خيرا طيئا من عشيرة * ومن صاحب تلقاهم كل مجمع
هم خلطونى بالنفوس ودافعوا * ورانى بركن ذى منا كب مدفع
وقالوا تعلم أن مالك أن يصب * نفذك وان تحبس نزرك ونشفع

وقال رجل من بنى سلامان بن سعد هذيم من قضاعة وجاور فى طيئ

كأن الجار فى شعبى بن جرم * له نعماء أو نسب قريب
يحاط ذماره ويذب عنه * ويحمى سربه أنف غضوب
ألفت مساكن الجبلين انى * رأيت الغوث يألفها الغريب

(الجبلان سلمى وأجأ وهما لطيئ والغوث قبيلة من طيئ) وأنشدنى عبد الوهاب بن جنبة الغنوى لعبيد بن العرندس الكلبى يصف قوما نزل بهم

هينمين لينون أيسار ذو ويسر * سواس مكرمة أبناء أيسار
لا ينطقون على العمياء ان نطقوا * ولا يمارون ان مارو ا باكثار
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم * مثل النجوم التى يسرى بها الساري

(قال أبو الحسن حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى قال حدثت عن أبى الفضل العباس بن الفرج الرياشى قال قصد رجل من الشعراء ثلاثة اخوة من غنى وكانوا مقلين فامتدحهم فجعلوا له عليهم فى كل سنة ذودا فكان يأتى فيأخذ الذود والشعر الذى امتدحهم به قوله

يا دار بين كليات وأظفار * والحمتين سقاك الله من دار

عن الجهاد فى دراسة العلم ممن كان فارغا من أشغال الرجال ومطالب ذوى الهمم واحتل فى أن تكون أحب اليه من أمه ولا تستطيع أن يحصل المقة ويصفى لك المودة مع كراهته لما تحمل اليه من ثقل التأديب عند من لم يبلغ حال العارف بفضل فاستخرج مكنون محبته ببر اللسان وبذل المال ولهذا مقدار من حازه أفرط والافراط مسرف ومن قصر عنه فرط والمفرط مضياع ولا تستكثرن هذا كله فان بعض النعمة فيه تأتى على أضعاف النعامة والذى تحاول من اصلاح أمر من تؤمل فيه أن يقوم فى أهلك مقامك واصلاح ما خلفت كقيامك الحقيق بالحيطة عليه وباعطائه المجهود من نفسك وقال زكريا عليه السلام رب لا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين فعلم الله تبارك وتعالى فوهب له غلاما وقال الله عز وجل وليس الذكر كالأنثى اعلم انه اعطاك ولدا غيرة عين العدو وقرة عين

عَلَى تَقَادُمِ مَا قَدْ مَرَّ مِنْ عُصُرٍ • مَعَ الَّذِي مَرَّ مِنْ رِيحٍ وَأَمْطَارِ
عَنَّا غَنِيتَ بِذَاتِ الرِّمْثِ مِنْ أَجَلِي • وَالْعَهْدُ مِنْذُ قَدِيمٌ مُنْذُ أَعْصَارِ

أراد أنى فقلب الهمز عينا

وَقَدْ تَرَى بِكَ وَالْأَيَّامُ جَامِعَةٌ • بِيضًا عَقَائِلَ مِنْ عِينٍ وَأَبْكَارِ
فِيهِنَّ عَمْمَةُ لَا يَمْلَأْنَ عِشْرَتَهَا • وَلَا عَلِمْنَ لَهَا يَوْمًا بِأَسْرَارِ
إِذْ يَحْسَبُ النَّاسُ أَنْ قَدْ نِلْتَ نَائِلَهَا • قِدْمًا وَأَنْتَ عَلَيْهَا عَاتِبٌ زَارِي
بَلْ أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْمُغْنِي شَبِيبَتَهُ • يَبْكِي عَلَى ذَاتِ خَلْخَالٍ وَأَسْوَارِ
خَيْرَ ثَنَاءِ بَنِي عَمْرٍو فَإِنَّهُمُ • أَوْلُو فُضُولٍ وَأَنْفَالٍ وَأَخْطَارِ
هَيْنُونَ لَيِّنُونَ أَيْسَارٌ ذَوُو كَرَمٍ • سُوَّاسُ مَكْرُمَةٍ أَبْنَاءُ أَيْسَارِ
فِيهِمْ وَمِنْهُمْ يُعَدُّ الْمَجْدُ مُتَّئِدًا • وَلَا يُعَدُّ ثَنَاهُمْ خِزْيٌ وَلَا عَارِ
لَا يَظْعَنُونَ عَلَى الْعَمْيَاءِ إِنْ ظَعَنُوا • وَلَا يُمَارُونَ إِنْ مَارُوا بِأَكْثَارِ
وَإِنْ تَلِيمَتُهُمْ لَانُوا وَإِنْ شُهِمُوا • كَشَفْتَ أَدْمَاءَ حَرْبٍ غَيْرَ أَغْمَارِ
إِنْ يُسْتَلُوا الْعُرْفَ يُعْطُوهُ وَإِنْ جُهِدُوا • فَالْجُهْدُ يَكْشِفُ مِنْهُمْ طِيبَ أَخْبَارِ
مَنْ تَلْقَ مِنْهُمْ تَقُلْ لَاقَيْتُ سَيِّدَهُمْ • مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي)

قال أبو العباس وكان قوم نزلوا ببني العنبر بن عمرو بن تميم والقوم من بني ضبة فأغير عليهم فاستغاثوا جيرانهم فلم يغيثوهم وجعلوا يدافعونهم حتى خافوا فوتها فاستغاثوا ببني مازن بن مالك ابن عمرو بن تميم فركبوا فردوها عليهم فقال المكعبر الضبي في ذلك (اسمه حريث بن عفوظ)

أَبْلِغْ طَرِيفًا حَيْثُ شَطَّتْ بِهَا النَّوَى • فَلَيْسَ لِدَهْرِ الطَّالِبِينَ فَنَاءُ
كُسَالَى إِذَا لَاقَيْتَهُمْ غَيْرَ مُنْطِقٍ • يُلْهَى بِهِ الْمَحْرُوبُ وَهُوَ عَنَاءُ
وَإِنِّي لَأَرْجُوكُمْ عَلَى بُطْءِ سَعْيِكُمْ • كَمَا فِي بُطُونِ الْحَامِلَاتِ رَجَاءُ
أُخَيِّرُ مَنْ لَاقَيْتُ إِنْ قَدْ وَفَيْتُمُ • وَلَوْ شِئْتُ قَالَ الْمُخْبَرُونَ أَسَاؤُا
فَهَلَّا سَعَيْتُمْ سَعْيَ أُسْرَةِ مَالِكٍ • وَهَلْ كُفَلَائِي فِي الْوَفَاءِ سَوَاءُ
كَأَنَّ دَنَانِيرًا عَلَى قَسَمَاتِهِمْ • وَإِنْ كَانَ قَدْ شَفَّ الْوُجُوهَ لِقَاءُ

لهم

الصديق الولى فاحمد الله وأخلص له فى الدعاء وأكثر من الخيران شاء الله تعالى

(فصل من كتاب التربيع والتدوير)

فانظر فى مسالمة النفوس مع تقارب منازلها ولم تجاذبت عند تقارب مراتبها ولم اختلف الكثير واتفق القليل ولم كانت الكثرة علة للتخاذل والقلة سببا للتناصر وما فرق ما بين المجازاة والتحاسد وبين المنافسة والتغالب فانك متى عرفت ذلك استرحت مناورجونا ان نستريح منك وكيف يعرف السبب من يجهل المسبب وكيف يعرف الوصل من يجهل الفصل وكيف يعرف الحدود من لم يسمع الفصول بل كيف يعرف الحجة من الشبهة والعذر من الحيلة والواجب من الممكن والعقل من الموسوم والمحال من الصحيح والاسرار من المجهول ومن كبار الدلائل الخفية وما يعلم مما لا يعلم وما يعلم باللفظ دون الاشارة مما لا يعلم الا بالاشارة دون اللفظ وما يعلم معتقدا ولا

لهم أذرع بادنوا شرلحمها • وبعض الرجال في الحروب غثاء

قوله حيث شطت بها النوى معنى شطت تباعدت يقال أشط فلان في الحكم اذا عدل عنه متباعدا قال الله تعالى فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط وقال الاحوص

ألا يا لقومي قد أشطت عواذلي • ويزعمن أن أودى بحقي باطلي

ويلحينني في اللهو ألا أحبه • وللهو داع دائب غير غافل

والنوى البعد ويقال شطت بهم نية قذف أي رحلة بعيدة قال الشاعر

• وصحصحان قذف كالترس • وليس بمأخوذ من نأيت في اللفظ ولكنه مثله في المعنى وقوله

• فليس لدهر الطالبين فناء • يقول الطالب في اثر طلبته أبدا ويروى أن رجلا من قريش بعث الى رجل منهم وكان أخذ له غلاما يا هذا ان الرجل ينام على الثكل ولا ينام على الحرب فاما رددته واما عرضت اسمك على الله في كل يوم وليلة خمس مرات ومن أمثال العرب لا ينام الا من اثأر ويقال لمن أدرك ثأرا نبيلا أصاب ثأرا منيما وأنشد

تقول لي ابنة البكري عمرو • لعلك لست بالثأر المنيم

وقوله وانى لأرجوكم على بطء سعيكم • كما في بطون الحاملات رجاء

يقول هذا رجاء غير صادق ولا موقوف عليه كما أن هذه الحوامل لا يعلم ما في بطونها وليس يئوس منه وانما يتهكم بهم وهو يعلم أن سعيهم غير كائن ألا تراه يقول

أخبر من لاقيت أن قد وفيتم • ولو شئت قال المخبرون أساؤا

وقوله كأن دنانيرا على قسماتهم زعم أبو عبيدة أن القسمات مجارى الدموع واحدتها قسمة وقال الاصمعي القسمات أعالي الوجه ولم يبينه بأكثر من هذا وقول أبو عبيدة مشروح ويقال من هذا رجل قسيم ورجل مقسم ووجه قسيم ومقسم قال الشاعر

ويوما توافينا بوجه مقسم • كأن ظبية تعطو الى وارق السلم

قوله تعطو أي تتناول يقال عطا يعطو اذا تناول وأعطيته أنا أي ناولته قال امرؤ القيس

وتعطو برخص غير شثن كأنه • أساريع ظبي أو مساويك اسحل

والسلم شجر بعينه كثير الشوك فاذا أرادوا أن يجتنبوه شدوه ثم قطعوه فمن ذلك قول الحجاج

يعلم مكيفا ولا يعلم معتقدا وما المستغلق الذي يجوز ان يفارقه استغلاقه والمستبهم الذي لا يفارقه استبهامه ومن هو طائر مع العوام حيث طارت وساقط معها حيث سقطت مع الزراية والرغبة عنها قد طلبها بفضل طلبه لنفسه وجرى معها بقدر مناسبتها لقدره فاعرف الجنس من الصنف والقسم من النصف وفرق ما بين الذم واللوم وفصل ما بين الحمد والشكر وحد الاختيار من الامكان والاضطرار من الايجاب وستعرف من جملة ما ذكرنا بابا بابا أنت اليه أحوج وهو علينا أرد

(فصل) وما في الارض قرارا أثبت ودليل أوضح وشاهد أصدق من شاهدي عليك على ما ادعيت لنفسك من الرفعة مع ما ظهر من حسدك لأصل الصنعة وهل يكون كذلك الافاسد الحس ظاهر العناد راجاهل بالمحال وبعد فانت أبقاك الله في يدك قياس لا يكسر وجوار لا يقطع ولك حد

والله لا خرمنكم خرم السلمة ولا ضربنكم ضرب غرائب الابل قال ومدثنى التوزى عن أبى زيد قال سمعت العرب تنشد هذا البيت فتنصب الظبية وترفعها وتخفضها قال أبو العباس أما رفعها فعلى الضمير يريد كأنها ظبية وهذا شرط أن وكأن اذا خففتا انما هو على حذف الضمير وعلى هذا قوله تعالى علم أن سيكون منكم مرضى وهذا الكتاب قد شرحناه فى الكتاب المقتضب فى باب أن وان بجميع علله ومن نصب فعلى غير ضمير وعملها مخففة عملها منقلة لانها تعمل لشبهها بالفعل فاذا خففت عملت عمل الفعل المحذوف كقولك لم يك زيد منطلقا فالفعل اذا حذف يعمل عمله تاما فيصير التقدير كأن ظبية تعطو الى وارق السلم هذه المرأة وحذف الخبر لما تقدم من ذكره ومن قال كأن ظبية جعل أن زائدة وأعمل الكاف أراد كظبية وزاد أن كما تزيدها فى قولك لما أن جاء زيد كلمته ووالله أن لو جئتنى لاعطيتك وقوله * لهم أذرع بادنو اشر لحمها * فكل شئ كان على فعال من المؤنث فجمعه أفعل وكذلك فعال تقول ذراع وأذرع وذراع وأذرع لانهما مؤنثتان ومن أنث اللسان قال ألسن ومن ذكره قال ألسنة وشمال وأشمل كما قال (هو أبو النجم العجلى) * يأتى لها من أيمن وأشمل * فأما المذكر فعلى أفعلة فى أدنى العدد وفعل فى الكثير يقال حمار وأحمرة وحمر وفراش وأفرشة وفرش والنواشر ما يظهر من العروق فى ظهر الذراع عما يلى المعصم وذلك الموضع يقال له أسلة الذراع قال زهير

ودارها بالرقمتين كأنها * مراجع وشم فى نواشر معصم

وقوله * وبعض الرجال فى الحروب غثاء * فالغثاء ما يبس من البقل حتى يصير حطاما وينتهى فى اليبس فيسود فيقال له غثاء وهشيم ودندن وثن على قدر اختلاف أجناسه ويقال له الدارين قال الله عز وجل فجعله غثاء أحوى وقال فأصبح هشيما تذروه الرياح وقال الشاعر يصف سحابا (هو ابن ميادة وقبله)

سحائب لا من صيف ذى صواعق * ولا محرفات ماؤهن حميم

اذا ما هبطن الارض قد مات عودها * بكين بها حتى يعيش هشيم

وقال الراجز * تكفى الفصيل أكلة من ثن * وقد يقال للشئ الذى لا خير فيه هذا غثاء أى قد صار كذلك الذى وصفناه ويضرب هذا مثلا للكلام الذى لا وجه له وقال رجل أحسبه تميميا (هو الفرزدق)

لو لم يفارقنى عطية لم أهن * ولم أعط أعدائى الذى كنت أمنع

لا يفل وغرب لا يثنى وهو قياس الذى اليه تنسب ومذهب الذى اليه تذهب أو تقول وما على أن يرانى الناس عريضا واكون فى حكمهم غليظا وأنا عبد الله تعالى طويل جميل وفى الحقيقة مقدود رشيق وقد علموا حفظك الله ان لك مع طول البال راكبا الظهر جالسا ولكن بينهم فيلا اذا قمت اختلاف وعليك لهم اذا اضطجعت مسائل ومن غريب ما أعطيت ومن بديع ما أوتيت أنا لم نر مقدودا أوسع الجفرة غيرك ولا رشيقا مستفيض الخاصرة سواك فانت المديد وأنت البسيط وأنت الطويل وأنت المتقارب فيا شعر اجمع الاعاريض ويا شعر اجمع الاستدارة والطول بل ما بهما من أقاويلهم ويتعاظمك من اختلافهم والراسخون فى العلم والناطقون بالفهم يعلمون ان استفاضة عرضك قد ادخلت الميم فى ارتفاع سمكك وان ما ذهب منك عرضا قد استغرق ما ذهب منك طولا وان اختلفوا

شُجاعٌ اذا لاقى وَرَامٍ اذا رمى * وهادٍ اذا ما أظلمَ الليلُ مِصدَعُ

سأبكيهِ حتى تنفدَ العينُ ماءَها * ويشفي مِنّي الدمعُ ما أتوجَّعُ

أحسنُ الانشادَين عندي لم أهِنْ يأخذه من وهَنَ يَهِنُ لأنه اذا قال لم أهِنْ فهو من الهَوان ومن قال لم أهِنْ فانما هو من الضَّعف وهو أشبه بقوله * ولم أُعطِ أعدائي الذي كنتُ أمنع * والآخر غير بعيد يقول لم أهِنْ على أعدائي واذا قال لم أهِنْ فالأصل لم أوهِنْ ولكنَّ الواو اذا كانت في موضع الفاء من الفعل وكان ذلك الفعل على يَفْعِلُ فالواو محذوفة وانما تُحذَفُ الواو لوقوعها بين ياء وكسرة وتصير حروف المضارعة الباقية تابعة للياء لئلا تختلف الباب وهي التاء من قولك تَفعلُ اذا عنيتَ مخاطبا أو مؤنثا غائبا نحو أنت تَعِدُ وهي تَعِدُ والهمزة اذا عنيت نفسك نحو أنا أعِدُ والنون اذا أخبرتَ عن نفسك ومعك غيرَك نحو نحن نَعِدُ فان قال قائل انما هذا لان الفعل المتعدي تحذف منه الواو فان كان غير متعدٍ ثبتت فقد قال أقبح قول لأن التعدي أو غير التعدي لا يُحدِثُ في أنفس الأفعال شيأ ولو كان كما يقول لاثبتَّ الواو في وَهَنَ يَهِنُ لانك لا تقول وَهَنْتُ زيدا وكذلك وَرِمَ يَرِمُ ووَكَفَ البيتُ يَكِفُ ووَغَمَ الذُّبابُ يَغِمُ وهذا أكثر من أن يُحصى فان لم تكن بعد الواو كسرة لم تحذف نحو وَحِلَ يَوْحَلُ ووَجِلَ يَوْجَلُ ووَجِعَ الرجلُ يَوْجَعُ وقد يجوز يَجِعُ ويَاجَعُ ويَيْجَعُ لما ذكرناه اذا جرى ذكرُ هذه المفتوحة ان شاء الله فأما الحذف فلا يكون فيها فان قال قائل فما بال يَطَأُ ويَسَعُ حذفت منهما الواو ومثلهما ثبتت فيه الواو فانما ذلك لانه كان فَعَلَ يَفْعَلُ مثل وَلِيَ يَلِي ووَرِمَ يَرِمُ ففَتَحَتْه الهمزة والعين والاصل الكسر فانما حذفت الواو مما يلزم في الأصل ألا ترى أنك تقول وَلَغَ السَّبُعُ يَلِغُ فهذا فَعَلَ يَفْعَلُ والأصل يَفْعِلُ ولكن فَتَحَتْه العينُ لان حروف الحلق تَفتَحُ ما كان على يَفْعِلُ ويَفْعُلُ ولولا ذلك لم تقع فَعَلَ يَفْعَلُ وحروف الحلق ستة الهمزة والهاء والعين والغين والحاء والخاء وهُنَّ يَفْتَحْنَ اذا كُنَّ في موضع العين واللام فأما العين فنحو سَأَلَ يَسْأَلُ وذَهَبَ يَذْهَبُ وأما اللام فمثل قَرَأَ يَقْرَأُ وصَنَعَ يَصْنَعُ وسار هذا الباب على ما وصفتُ لك وقوله

* وهادٍ اذا ما أظلمَ الليلُ مِصدَعُ * فتأويل مِصدَعٍ أي ماضٍ في الأمر قال الله عز وجل فاصْدَعْ بما تُؤمَرُ ويقال أحزمُ الناس مَنْ اذا وضَحَ له الأمرُ صَدَعَ به وقال أعرابي يمدح سَوّارَ بن عبد الله القاضي وسَوّارٌ أحد بني العَنبر بن عَمرو بن تميم

في طولك لقد اختلفوا في عرضك وان كانوا قد سلموا لك بالزعم شطرا فقد حصلت ما سلموا وأنت على دعواك فيما لم يسلموا ولعمري ان العيون لتخطئ وان الحواس لتكذب وما الحكم القاطع الا اللذهن وما الاستبانة الصحيحة الا للعقل اذ كان زماما على الاعضاء وعيارا على الحواس ومما يثبت أيضا ان ظاهر عرضك مانع من ادراك حقيقة طولك قول أبي رواد الايادي في أبله

سمنت فاستحش أكرعها لا الذي في ولا السنام سنام

ولم يدر فيك من العجب الا انك أول من عوده الله تعالى بالصد على خطاء الحس وبالشكر على صواب الذهن لقد كنت في طولك غاية للعالمين وفي عرضك منارا للضالين وقد تكلم المربوع مثلي من الطويل مثل عمرو ومن القصير مثل عمرو واذا زعم انه أفرط في الرشاقة ونسب الى القضافة فلان افراط عرضه عمر الاعتدال من طوله وكلاهما يحتاج الى

وأوقف عند الأمر مالم يضح له • وأمضى اذا ما شد من كان ماضيا

فاستجمع فى هذا المدح ركانة الحزم وامضاء العزم ومثله قول النابغة الجعدى

أبى لى البلاء وانى امرؤ • اذا ما تبينت لم أرتب

ومن أمثال العرب السائرة الجيدة رو تحزم فاذا استوضحت فاعزم ومن أمثالهم قد أحزم لو أعزم واغا يكون هذا بعد التوقف والتبين فقد قال الشعبى أصاب متأمل أو كاد وأخطأ مستعجل أو كاد ومثل قوله • ويشفى منى الدمع ما أتوجع • قول الفرزدق

ألم تر انى يوم جو سويقة • بكيت فنادتنى هنيدة مالياً

فقلت لها ان البكاء راحة • به يشتفى من ظن أن لا تلاقيا

(قال أبو الحسن ويتلو هذين البيتين مما يستحسن

فعيدكما الله الذى أنتما له • ألم تسمعا البيضتين المناديا

حبيب دعا والرمل بينى وبينه • فأسمعنى سقيا لذلك داعيا

يقال فعيدك الله وقعدك الله ونشدك الله أى سألتك بالله كما قال متمم بن نويرة وهو من بنى يربوع

فعيدك ألا تسمعينى ملامة • ولا تنكئى قرح الفؤاد فيبرعا

ويروى فقعدك ألا تسمعينى والبيضتان موضع معروف) قال أبو العباس وقال أبو بكر بن عياش زلت بى مصيبة أوجعتنى فذكرت قول ذى الرمة

لعل انحدار الدمع يعقب راحة • من الوجد أو يشفى نجى البلابل

فخلوت فبكيت فسلوت وقال نضلة السلمى فى يوم غول وكان حقيرا دميما وكان ذا نجدة وبأس

ألم تسل الفوارس يوم غول • بنضلة وهو موتور مشيح

رأوه فازدروه وهو حر • وينفع أهله الرجل القبيح

فشد عليهم بالسيف صلتا • كما عض الشباة الفرس الجموح

فأطلق غل صاحبه وأردى • قتيلا منهم ونجا جريح

ولم يخشوا مصالتة عليهم • وتحت الرغوة اللبن الصريح

قوله وهو موتور مشيح فالمشيح الحامل الجاد يقال أشاح يشيح اذا حمل وأنشدنى التوزى قال

الاعتذار ويفتقر الى الاعتدال والمربوع بحمد الله تعالى قد اعتدلت أجزاؤه فى الحقيقة كما اعتدلت فى المنظر فقد استغنى بعدل الحقيقة عن الاعتذار وبحكم الظاهر عن الاعتدال وقد سمعنا من يذم الطوال كما سمعنا من يزرى على القصار ولم يسمع أحد ذم مربوعا ولا أزرى عليه ولا وقف عنده ولا شد فيه ومن يذمه الا من ذم الاعتدال ومن يزرى عليه الا من أزرى على الاقتصاد ومن يعيب الصواب الظاهر الا المعاند ومن يمارى فى العيان الا الجاهل بل من يزرى على أحد بتفاقم التركيب وبسوء التنضيد مع قول الله عز وجل ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت وبعد فاى قد أردى وأى نظام أفسد من عرض مجاوز للقد أو طول مجاوز للقصد ومتى يضرب العرض بسهمه على قدر حقه ويأخذ الطول من نصيبه على مثل وزنه خرج الجسم من التقدير وجاوز التعديل فاذا خرج

أنشدنى أبو زيد (وهو لابى العيال الهذلى) مُشِيحٌ فوقَ شيحانٍ • يَشُدُّ كأنَّهُ كَلِبُ

قال شيحان اسم فرسه (قال أبو الحسن ويروى شَيْحان بفتح الشين وحقه على رواية أبى زيد أن لا ينصرف لانه فعلان فالالف والنون زائدتان وهو معرفة فضارع عطشان وما جرى مجراه وانما اضطُرَّ فصرفه) وقال ابن الاطنابة واسمه عمرو

واجشامى على المكروه نفسى • وضربى هامة البطل المشيح

ويقال فى هذا المعنى رجل شيحٌ كما يقال ناقة نقضٌ اذا كانت هَزيلا قال أبو ذؤيب

• وشايحت قبل اليوم انّى شيحُ • وقوله بالسيف صَلْتًا يقول مُنْتَضًى ورجل صَلْتُ الجبين اذا كان نَقِيَّهُ وقوله كأعضّ الشَّبابُر يدحدّ اللجام وشبا كلّ شئ حدّهُ • وقوله وأردى أى أهلك يقال ردِىَ يَرْدَى اذا هلك والرَّدَى الهلاكُ قال الله عز وجل ومايُغْنى عنه مالُهُ اذا تَرَدَّى قيل فيه قولان احدهما اذا تردّى فى النار والآخر اذا مات وهو تفعّل من الرَّدَى وقوله

• ولم يخشوا مصالتهُ عليهم • فهى مفعلة من صال يصول ويقال صال البعيرُ اذا عضّ وقيل للمغيرة بن شُعبة انّ ابن الزبير يأذن لاصحابه قبل أصحابك فقال ان المعرفة لتنفع عند الكلب العقور والجمل الصَّؤُل فكيف بالرجل الكريم وقوله • وتحت الرَّغوة اللبنُ الصَّريح • يقول اذا رأيت الرَّغوة وهو مايرغو كالجلدة فى أعلى اللبن لم تدر ما تحتها فربما صادفت اللبن الصَّريح اذا كشفتها أى انهم رأونى فازدروا نى لدمامتى فلما كشفوا عنى وجدوا غير ما رأوا والصَّريح المحض الخالص من ذلك قولهم عربىٌ صَريحٌ أى خالص ومولًى صَريحٌ ومن أمثال العرب انه ليُسِرُّ حَسْوًا فى ارتغاء ومعنى ذلك انه يوهمك أنه يأخذ بفيه تلك الجلدة عن اللبن ليُضلّه لك وانما يحسو من تحتها يُضرب هذا المثل لمن يريد أنه يعينك وانما يجتر النفع الى نفسه وقال أعرابى خُبِّرتُ أنه من بنى سَعْد وقد تمثّل بهذا الشعر الخَنُوث وهو توبة بن مُضَرِّس احد بنى مالك بن سَعْد بن زيد مَنَاة بن تميم فى خلاف الدمامة ولمّا التقى الصفّان واختلف القنا • حمالا وأسباب المنايا انهالها

تبيّن لى أنّ القماءة ذلّةٌ • وأن أشدّاء الرجال طوالها

دعوا يا أسعد وانتمينا لطيّئ • أسُودُ الشَّرى اقدامها ونزالها

قوله نهالا يريد أنها قد وردت الدم مرة ولم تُثَنّ وذلك أن الناهل الذى يشرب أول شربة فاذا شرب

من التقدير تفاسدوا اذا تفاسدوا جاز التعديل تباين ولو جاز هذا الوصف من حسن النعت هذا كان لابراهيم بن السندى ماليس لأحد ابن عبد الوهاب وهذا كله بعد ان صدقوك على ماادعيت اطولت فى الحقيقة واحتجت اعرضت فى الحكومة كما انك يا عمالك لما تيقنه العيان واستشهادك لما تذكره الاذهان معترض للصدق من المتكرم ومتمسكك بالحلم من المتغافل وأى صامت لاينطقه هذا المذهب وأى ناطق لايغويه هذا القول واذا كان هذا قضاء العزم المتسلم فاظنك بعادة المتكلف فأنشدك الله ان تغرى بك السفهاء وتنقص عزائم الحكماء وما أدرى حفظك الله بأى الامرين أنت أعظم انما وفى أيهما أنت أفحش ظلما أبتعرضك للعوام أو بافسادك حكم الخواص وبعد فاينما وجدت الى هذا ومايدعوك اليه واشباهه من القصار كثير ومن ينصرك منهم غير ذليل

ثانية فهو عال يقال سقاء علا بعد نهل وعلا بعد نهل وفى المثل سمنه سوم علة اذا عرضت عليه عرضا يستحيى من أن يقبل معه والعلة لا حاجة بها الى الشرب وانما يعرض عليها تعزيرا قال

• وأسباب المنايا انهالها • أى أول ما يقع منها يكون سببا لما بعده وأنشد فى غير واحد

• وان أشد الرجال طيالها • وليس هذا بجيد وانما قلب الواو ياء لوقوعها بين كسرة وألف كقولهم ثياب وحياض وسياط والواحد ثوب وحوض وسوط وهذا جيد لسكون الواو فى الواحد فأما فى مثل طوال فانما يجوز على التشبيه بهذا وليس بجيد لتحرك الواو فى الواحد وأنشد فى مسعود بن بشر المازنى

لهم أوجه بيض حسان وأذرع • طيال ومن سيما الملوك نجار

ومجاز هذا فى النعوت ما وصفت لك والعرب تمدح بالطول وتضع من القصر فلا يذكره منهم الا محتج عن نفسه ولا يمدح به غيره قال عنترة

بطل كأن ثيابه فى سرحة • يحذى نعال السبت ليس بتوأم

يقول لم يشارك فى الرحم وقال جرير

تعالوا فقاتونا فنى الحكم مقنع • الى الغر من أهل البطاح الاكارم

فانى لا رضى عبد شمس وما قضت • وأرضى الطوال البيض من آل هاشم

وقال حسان بن ثابت

وقد كنا نقول اذا رأينا • لذى جسم يعد وذى بيان

كأنك أيها المعطى بيانا • وجسما من بنى عبد المدان

ويقال ان على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب كان الى منكب عبد الله وكان عبد الله الى منكب العباس وكان العباس الى منكب عبد المطلب وحدثنى التوزى قال طاف على بن عبد الله بالبيت وهناك عجوز قديمة وعلى قد فرع الناس كأنه راكب والناس مشاة فقالت من هذا الذى فرع الناس فقيل على بن عبد الله بن العباس فقالت لا له الا الله ان الناس ليرذلون عهدى بالعباس يطوف بهذا البيت كأنه قسطاط أبيض وحدثنى على بن القاسم بن على بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس قال كان يقال صار شبه على بن عبد الله فى عظم الاجسام فى العلمين يعنى على بن أمير المؤمنين المهدى المنسوب الى أمه ريطة وعلى بن سليمان بن على ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الأسوة والقدوة كان فوق الربعة ولم يكن بالطويل المشذب وكان اذا

(فصل) وقلت ولولا فضيلة العرض على الطول لما وصف الله تعالى وعز الجنة بالعرض دون الطول حيث يقول وجنة عرضها كعرض السماء والأرض فهذا برهان الواضح ولو لم يكن فيه من الرضا والتسليم ومن القناعة والاخلاص الا انك ترى ما عند الله تعالى خيرا لك مما عند الناس وان الطول الذى أحب اليك من الطول الظاهر لكن فى ذلك ما يقضى لك بالانصاف ويحكم لك بالتوفيق وانا أبقاك الله أعشق انصافا كما تعشق المرأة الحسناء واتعلم خضوعا للحق كما اتعلم التفقه فى الدين ولربما ظننت ان جورك انصاف قوم آخرين وانك يقنعك سماع رجال منصفين وما أظنك صرت الى معارضة الحجة بالشبهة ومقابلة الاختيار بالاضطرار واليقين بالشك واليقظة بالحلم الا بالذى خصصت به من ايثار الحق والهمته من فضيلة الانصاف حتى صرت احوج ما تكون الى الانكار اذ عن ما تكون

مَنْعَى مع الطوال طالهم ولم يختلف أهل الحكمة والنظر من العرب والعجم أن الكمال في الاعتدال ولا يقال غير هذا عن حكيم وأبين مما فيه ما اختاره الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد يقال الكيس في القصر وقد قيل في خبر قصير وكيده ومكره ما قد سار به المثل واستغنى عن الاعادة وحدثني العباس بن الفرج الرياشي قال حدثني أبو عثمان المازني قال كان أعرابي يختلف الى مغنية لآل سليمان فأشرفت عليه ذات مرة فأومأت اليه بيدها إيماء عائب له بالقصر فأنشأ يقول

يا جعفرُ يا جعفرُ يا جعفرُ • ان آلكَ ربعةٌ فأنتِ أقصرُ

أو آلكِ ذا شيبٍ فأنتِ أكبرُ • غرَّكِ سربالٌ عليكِ أحمرُ

ومقنعٌ من الحريرِ أصفرُ • وتحتَ ذاكِ سوأةٌ لو تذكرُ

(قال أبو الحسن أنشدني أبو العباس محمد بن الحسن الوراق الشعر الذي فيه قوله

• ولما التقى الصفان واختلف القنا • بتمامه وهو شعر مختار لرجل من طيئ ويدل على ذلك ما تسمعه في الشعر وهو قوله

جمعناهم من حيّ غوثٍ ومالكٍ • كتائب يردي المقرفين نكالها

لهم عجزٌ بالحزن فالرمل فاللوى • وقد جاوزت حيّ جديس رعالها

وتحت نحور الخيل حرشف رجلة • تتاح لحبات القلوب نبالها

أبى لهم أن يعرفوا الضيم أنهم • بنو ناقتي كانت كثيرا عيالها

فلما أتينا السفح من بطن حائل • بحيث تناصى ظلها وسيالها

دعوا لنزار وانتمينا لطيئ • كما سد الثرى افدامها ونزالها

فلما التقينا بين السيف فيهم • لسائلة عنا حفي سؤالها

ولما عصينا بالرماح تصلعت • صدور القنا منهم وعلت نهالها

ولما تداعوا بالسيوف تقطعت • رسائل كانت قبل سلما حبالها

فولوا وأطراف الرماح عليهم • قوادم مربوداتها وطوالها

الكتائب جمع كتيبة سميت كتيبة لاجتماعها وانضمام بعضها الى بعض يقال تكتب القوم اذا تضاموا ومنه أخذ الكتاب لانضمام حروفه ولذلك قالوا بقلة مكتوبة اذا اشتد حياؤها وضم ويردي

بالافرار وأشد ما تكون الى الحيلة فقرا أشد ما تكون للحجة طلبا غير ان ذلك بطرف ساكن وصوت خاضع وقلب جامع وجاش رابط ونية جسور وارادة تامة مع غفلة كريم وفطنة عليم ان انقطع خصمك تغافلت وان خرق توقفت غير مغبوب ولا متشعب ولا مدخول ولا مشترك ولا ناقص النفس ولا واهن العزم ولا حسود ولا منافس ولا متغالب ولا متعاقب يفل الحد ويصيب المفصل ويقرب البعيد ويظهر الخفي ويميز الملتبس ويلخص المشكل ويعطي المعنى حقه من اللفظ كما يعطي اللفظ حظه من المعنى ويحب المعنى اذا كان حيا يلوح وظاهرا يصيح ويبغضه مستهلكا بالتعقيد ومستورا بالتغريب وتزعم ان شر الالفاظ ما أغرق المعاني وأخفاها واسرها وعماها وان راقت سمع الغمر واستمالت قلب المريض أعجب الالفاظ عندك مارق وعذب وخف وسهل وكان

جهلك يقال ردى الرجل اذا هلك والردى الهلاك والارداء الاهلاك والمقرفون الذين دخلوا فى الفساد والعيث وهو فى الأصل الهجنة يقال فرس مقرف اذا كان هجينا ثم يشيع فى الفساد والعجز مؤخر العسكر ههنا وهو مستعار والحزن ما خشن من الأرض وغلظ واللوى مستدق الرملة حيث ينقطع يقال ألويتم فانزلوا أى صرتم الى آخر الرملة وهو اللوى وجديس قبيلة معرفة فلذلك لم يصرفها والرمال الجماعات المتفرقة واحدها رملة والحرشف نبت يكثر فى البادية وانما شبه النبل به فى الكثرة والرجلة الرجانة وتتاح تقدر يقال أتاح الله له كذا وكذا أى قدر له والنبال جمع نبل والنابق الولود فاذا أسرفت فى ذلك وكثر ولدها جدا قيل منتاق والسفح أصل الجبل من الوادى وحائل موضع وتناصى تقابل وتقرب حتى يعلق هذا هذا وهذا هذا عند هبوب الرياح يقال تناصى الرجلان نصا وتناصيا اذا اقتتلا فأخذ كل واحد منهما بناصية صاحبه والطلح والسيال ضربان من الشجر معروفان وانتمى ونمى انتسب والشرى موضع كثير السباع وانما يريد كاقدام أسد الشرى اقدامها ثم حذف لعلم السامع وعصبنا جعلنا الرماح كالعصى والعلل الشرب الثانى والنهل الأول يريد انا أعدناها الى الطعن مرة بعد أخرى وقوادم ذات اقدام فجاء به على الاصل كما قال * يخرجن من أجواز ليل غاض * أى مغيض فجاء به على الأصل وهو كثير والمربوعات المعتدلة التى لم تبلغ أن تكون رمحا وهو رفع كأنه قيل له ما هى فقال هى مربوعاتها وطوالها ولو خفض وجعله بدل البعض من الكل لكان حسنا وكان يكون مقوى ولكن هكذا أنشدناه مرفوعا على التقدير الذى ذكرناه)

(باب)

قال أبو العباس حدثت أن صبرة بن شيمان الحدانى دخل على معاوية والوفود عنده فتكلموا فأكثروا فقام صبرة فقال يا أمير المؤمنين انا نحمد فعال ولسنا بحمى مقال ونحن بأدنى فعالنا عند أحسن مقالهم فقال صدقت وحدثت أن أبا بكر رضى الله عنه ولى يزيد بن أبى سفيان ربعا من أرباع الشام فرقى المنبر فتكلم فأرتج عليه فاستأنف فأرتج عليه فقطع الخطبة فقال سيجعل الله بعد عسر يسرا وبعدى بيانا وأنتم الى أمير فعال أحوج منكم الى أمير قوال فبلغ كلامه عمرو بن

العاصى

موقوفا على معناه ومقصورا عليه دون ماسواه لا فاضل ولا مقصر ولا مشترك ولا مغلق وقد جمع خصما ولك البلاغة واستوفى خلال المعرفة فاذا كان الكلام على هذه الصفة وألف على هذه الشريطة لم يكن اللفظ أسرع الى السمع من المعنى الى القلب وصار السامع كالقائل والمتعلم كالمعلم وخفت المؤونة واستغنى عن الفكرة وماتت الشبهة وظهرت الحجة واستبدلوا بالخلاف وفاقا وبالمجاذبة موادعة وردهبوا بالعلم وتقنعوا ببرد اليقين واطمأنوا بثلج الصدور وبان المنصف من المعاند وعز الناقص من الوافر وذل الخطل وعز المحصل وبدت عورة المبطل وظهرت براءة المحق وقلت والناس وان قالوا فى الحسن كانه طاقة ريحان أو خوط آس وكانه قضيب خيزران وكانه غصن بان وكأنه رمح رديني وكأنه صحيفة عيان وكأنه سيف هندوانى وكأنه جان وكأنه جدل عيان فقد قالوا كأنه المشترى وكأن

العاصى فقال هُنَّ مُخْرِجاتى من الشام استحسانا لكلامه وقال عثمان بن عفّان رضى الله عنه لعامر بن عبد قيس العَنْبَرِيّ ورآه ظاهرَ الأعرابيّة يا أعرابىّ أين ربك فقال بالمِرْصاد وقال قائل لعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنه أين كان ربُّنا قبل أن يخلُقَ السموات والارض فقال على أين سُؤالٌ عن مكان وكان الله ولا مكان وحُدِّثْتُ أن راهبين دخلا البَصْرَة من ناحية الشام فنظرا الى الحسن البصرى فقال أحدهما لصاحبه مِلْ بنا الى هذا الذى كأنّ سَمْتَه سَمْتُ المسيح فعدلا اليه فألفياه مُفْتَرِشا بذَقَنِه ظاهرَ كفّه وهو يقول يا عجبا لقوم قد أُمِرُوا بالزاد وأُوذِنُوا بالرحيل وأقام أوّلهم على آخرهم فليت شعرى ما الذى ينتظرون ونَظَرَ الحسنُ الى الناس فى مُصَلَّى البَصْرَة يضحكون ويلعبون فى يوم عيد فقال الحسن ان الله جعَلَ الصوم مضمارا لعباده ليَسْتَبِقُوا الى طاعته فسَبَقَ أقوامٌ ففازوا وتخلّف آخرون فخابوا ولعَمْرى لو كُشِفَ الغطاء لَشُغِلَ مُحْسِنٌ باحسانه ومُسِيءٌ باساءته عن تجديد ثوب أو ترْطيل شَعَر قوله ترطيل شعرا غاهو تليين الشَّعَر بالدُّهْن وما أشبهه ويقال للرجل اذا كان فيه لِينٌ وتوضيع رجل رَطْلٌ والذى يُوزَنُ به ويُكالُ يقال له رِطْلٌ بكسر الراء وكان الحسن يقول اجْعَلْ الدنيا كالقَنْطَرة تَجُوزُ عليها ولا تَعْمُرُها قوله القنطرة يعنى هذه المَعْقودة المعروفة عند الناس والعرب تُسَمِّى كل أزَجٍ قنطرة قال طَرَفَةُ بن العَبْد

كَقَنْطَرَةِ الرُّومِىِّ أقْسَمَ رَبُّها ٭ لَتُكْتَنِفَنْ حتى تُشَادَ بِقَرْمَدِ

قوله حتى تشاد يقول تُطْلَى وكلُّ شىءٍ طَلَيْتَ به البناء من جِصٍّ أو جِيَارٍ وهو الكِلْسُ فهو الشِّيدُ يقال دارٌ مُشَيَّدَةٌ وقَصْرٌ مَشِيدٌ قال الله عز وجل ولو كنتم فى بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وقال الشَّمَّاخُ

لا تَحْسِبَنِّى وان كُنْتُ امرأ أُغْمُرًا ٭ كَحَيَّةِ الماءِ بَيْنَ الطِّينِ والشِّيدِ

وقال عَدِىُّ بن زيد العبادى

شادَهُ مَرْمَرًا وجَلَّلَهُ كِلْـ ـسًا فللطيرِ فى ذُراهُ وُكُورُ

والمُقَرْمَدُ المَطْلِىُّ أيضا ثم قال حتى تُشادَ بقَرْمَدٍ فى معنى حتى تُطْلَى ومن ذلك قول النابغة

٭ رابى المَجَسَّةِ بالعَبِيرِ مُقَرْمَدِ ٭ وقال الحسن تَلْقَى أحدَهُم أبيضَ بضّا يَمْخَرُ فى الباطل مَلْخا يَنْفُضُ مِذْرَوَيْهِ ويَضْرِبُ أصْدَرَيْهِ يقول ها أنا ذا فاعرفونى قد عرفنا لك فمَقَتَهُ الله ومَقَتَهُ الصالحون قوله أبيض بضا فالبضُّ الرقيقُ اللون الذى يُؤْثَرُ فيه كلُّ شىءٍ وفى الحديث ان معاوية قَدِمَ على عمر بن الخَطّاب رضى الله عنه من الشام وهو أبيضُ الناس فضَرَبَ عُمَرُ بيده على عَضُدِه فأقلَعَ عن

وجهه دينارا ثم قلى وما هو الا البحر وما هو الا الغيث وكأنه الشمس وكأنه دارة القمر وكأنه الزهرة وكأنه درة وكأنه عمامة وكأنه مهاة وقد نراهم وصفوا المستدير والعريض باكثر مما وصفوا القضيب الطويل وقلت ووجدنا الافلاك وما فيها والارض وما عليها على التدوير دون التطويل وكذلك الورق والحب والثمر والشجر وقلت والريح وان طالت فان التدوير عليها أغلب لان التدوير قائم فيها موصلا ومفصلا والطول لا يوجد فيها الا موصلا وكذلك الانسان وجميع الحيوان وقلت ولا يوجد التربيع الا فى المصنوع دون المخلوق وفيما أكره على تركيبه دون ما خلى رسوم طبيعته على ان كل مرتفع فى جوفه مدور فقد بان المدور بفضله وشارك المطول فى حصته ومن العجب انك تزعم انك طويل فى الحقيقة

مثل الشراب أو مثل الشراك فقال هذا والله لتشاغلك بالحمامات وذوو الحاجات تقطع أنفسهم حسرات على بابك وقال حميد بن ثور الهلالي

منعمة بيضاء لودب محول * على جلدها بضت مدارجه دما

وقوله يملخ في الباطل ملخا يقول يمر مرا سريعا يقال بكرة ملوخ اذا كانت سهلة المر وقوله يضرب أصدريه وازدريه فانما يقال ذلك للفارغ يقال جاء فلان يضرب أصدريه وازدريه ولا يتكلم منه بواحد ويقال فلان ينقض مذروبه وهما ناحيتاه وانما يوصف بالخيلاء قال عنترة

أحولي تنفض استك مذروبها * لتقتلني فهاأنا ذا عمارا

ولا واحد لهما ولو أفردت لقلت في التثنية مذريان لان ذوات الواو اذا وقعت فيهن الواو رابعة رجعت الى الياء كما تقول في ملهى ملهيان وهو من لهوت وفي مغزى مغزيان وهو من غزوت وانما فعلت ذلك لان فعلة ترجع فيه الواو الى الياء اذا كانت رابعة فصاعدا نحو غزوت فاذا ادخلت فيه الالف قلت أغزيت وكذلك غازيت واستغزيت وانما وجب هذا الانقلاب في المضارع نحو يغزي ويستغزي ويغازي وانما انقلبت لانكسار ما قبلها فان قال قائل فما بال يترجى ويتغازى يكونان بالياء نحوهما يتغازيان ويترجيان فانما ذلك لانهما في الاصل رجى يرجى وغازى يغازي ثم لحقت التاء بعد ثبات الياء والدليل على ذلك أن التاء انما تلحقه على معناه فقولك مذروان لا واحد له لما أعلمتك وثبات الواو دليل على أن أحدهما لا يفرد من الآخر فلذلك جاء على أصله

(باب)

قال أبو العباس قال يزيد بن الصقيل العقيلي وكان يسرق الابل ثم تاب وقتل في سبيل الله

ألا قل لارباب المخائض أهملوا * فقد تاب مما تعلمون يزيد

وان امرأ يخبو من النار بعدما * تزود من أعمالها لسعيد

وفي هذا الشعر

اذا ما لمنايا أخطأتك وصادفت * جميلا فاعلم أنها ستعود

قوله ألا قل لارباب المخائض فان الناقة اذا لقحت قيل لها خلفة وللجميع المخاض وهذا جمع على غير واحده انما هو بمنزلة امرأة ونساء ثم جمع الجمع فقال مخائض كقولك في رسالة رسائل وكما

ثم تحمض للعرض والاستدارة وقد اضربت عما عند الله صفحا ولهجت بما عند الناس فاما حور العين فقد انفردت بحسنه وذهبت ببهجته ولمحه الا ما أبانك الله تعالى به من المشاكلة فانها لا تكون في اللئام ولا تفارق الكرام وأما سواد الناظر وحسن المحاجر وهدب الاشفار ورقة حواشي الأجفان فعلى أصل عنصرك وجائز اعراقك واما ادراكك الشخص البعيد وقراءتك الكتاب الدقيق ونقش الخاتم قبل الطابع وفهم المشكل قبل التأمل مع وهن الكبرة وتقادم الميلاد ومع تخون الأيام وتنقص الازمان فمن توتيا الهند ولترك الجماع ومن الحمية الشديدة وطول استقبال الحضرة فانت يا عم حين تصلح ما أفسده الدهر وتسترجع ما أخذته الايام لكما قال الشاعر

عجوز ترجى ان تكون فتية * وقد يبس الينبان واحدودب الظهر

تقول فى قوم أقوام فتجمع الاسم الذى هو للجمع وكذلك أعراب وأعاريب وأنعام وأناعيم وقوله أهملوا أى اسرحوا ابلكم والهمل ما كان غير محظور وهو الندى ويروى فى مثل قوله

• اذا ما المنايا أخطأتك وصادفت • حميدا • عن بعض الصالحين (هو محمد بن الحنفية) أنه كان يقول اذا مات له جار أو حميم أولى كدت والله أكون السواد المحترم وقال ابن حبناء التميمى

أعوذ بالله من حال تزين لى • لوم العشيرة أو تدنى من النار

لا أقرب البيت أحبو من مؤخره • ولا أكسر فى ابن العم أظفارى

ان يحجب الله أبصارا أراقبها • فقد برى الله حال المدلج الساري

قوله لا أقرب البيت أحبو من مؤخره يقول لا آتيه لريبة ومثل ذلك قول الشاعر (وهو عقيل ابن علفة)

ولست بصادر من بيت جارى • كفعل النعر غمره الورود

يقول لا أخرج خروج الخائف لانه انما يقال تغمر الشارب اذا لم يروى ويقال للقدح الصغير الغمر من هذا وقوله ولا أكسر فى ابن العم أظفارى يقول لا أغتابه وهذا مثل كما قال الحطيئة

ملؤك قرنوه وهزته كلابهم • وجروه بأنياب وأضراس

وقوله فقد برى الله حال المدلج الساري فالمدلج الذى يسير من أول الليل يقال أدلجت أى سرت من أول الليل وادلجت أى سرت فى السحر قال زهير

• بكرن بكورا وادلجن بسحرة • والسرى لا يكون الا سيرا لليل قال الله عز وجل فأسر بأهلك من قولك أسريت وهى اللغة القرشية وغيرهم من العرب يقول سريت وقد جاءت هذه اللغة فى القرآن قال الله عز وجل والليل اذا يسر فهذا من سرى ولو كان من أسرى لكان يسرى كما قال (هو لبيد بن ربيعة)

فباتا وأسرى القوم آخر ليلهم • وما كان وقافا بغير معصر

والمعصر المدلج أو الساري انما هو من قولك سرى كقولك قضى فهو قاض ومن أسرى يقال للفاعل مسر كما تقول أعطى فهو معط كما قال الأخطل

نازعتهم طيب الراح الشمول وقد • صاح الدجاج وحانت وقعة الساري

والدجاج ههنا البوق يريد وقت السحر لانه يقال للديك هذا دجاجة فان أردت الانثى قلت هذه وكذلك هذا بقرة وهذا بطة وهذا حمامة اذا أردت الذكر ولهذا باب يذكر فيه ان شاء الله قال جرير

ندس الى العطار ساعة أهلها
ولن يصلح العطار ما أفسد الدهر
وكيف يطمع فى نزوعك عن اللجاج وقد سقيته قبل المجاج وكيف أرجو اقرارك جهرا وقد أتيته سرا وكيف تجود به صحيحا مطمعا وقد بخلت به مريضا مؤيسا وكيف يرجو خيرك من رآك تطاول أبا جعفر وتخاشنه وتنافره وتراهنه لا تفعل ذلك الا فى المحافل العظام وبحضرة كبار الحكام ثم تستغرب ضحكا من طمعه فيك وتعجب الناس من محاولته لك واشهد لك بعد هذا انك ستخاشن عمرا الجاحظ وتغافله ثم تطارقه وتطاوله وتتغنى مع مخارق وتتكرفص زرب وتستجهل النظام وتستغبى قيس بن زهير وتستخف الاحنف بن قيس وتبارز زعلى بن أبى طالب ثم تخرج من حد الغلبة الى حد المرة ومن حد القتل الى حدود الموتى

لما تذكرت بالديرين أرقني ٭ صوت الدجاج وقرع بالنواقيس

(قال أبو الحسن أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى الابيات الرائية المتقدمة بتمامها على ما أذكره لك عن أبي عبد الله بن الاعرابي وهي لاحد ابني حبناء أحسبه صخرا وهما من بني تميم وكانا من الازارقة قال

انى هزئت من ام العمر اذ هزئت ٭ بشيب رأسي وما بالشيب من عار
ما شقوة المرء بالاقتار يقتره ٭ ولا سعادته يوما باكثار

يقتره الهاء تعود على الاقتار

ان الشقي الذي في النار منزله ٭ والفوز فوز الذي ينجو من النار
أعوذ بالله من أمر يزين لي ٭ لوم العشيرة أو يدني من العار
وخير دنيا ينسي شر آخرة ٭ وسوف ينبئني الجبار أخباري

ثم يتفقان بعد في الرواية وكان ربما أنشدنا ٭ انى هزأت من ام العمر) ٭ قال أبو العباس وقال اعرابي من بني الحرث بن كعب

رغمت لسلمى بوضيم وانني ٭ قديما لابي الضيم وابن اباة
فقد وقفتني بين شك وشبهة ٭ وما كنت وقافا على الشبهات
فيا بعل سلمى كم وكم باذاتها ٭ عددت من بعلي طويل أذاتي
بنفسي حبيب حال بالبذ دونه ٭ تقطع نفسي دونه حسرات
ووالله لولا أن يسار لرعتها ٭ بما ليس بالمأمون من فتكاتي

قوله رغمت لسلمى بوضيم فانما هذا مثل وأصله أن الناقة اذا ألقت سقبها فخيف انقطاع لبنها أخذوا جلد حوار فحشوه تبنا وأطعموه بشيء من سلاها ثم حشوا أنفها بخرقة فتجد لذلك ريا ويقال للخرقة التي تجعل في أنفها الغمامة ثم تسل تلك الخرقة من أنفها فتجد ريحا وترى ذلك البو تحتها وهو جلد الحوار المحشو فتر أمه فان درت عليه قيل ناقة در وروتر أمه تشمه ويقال في هذا المعنى ناقة ظؤور فينتفع بلبنها يقال ناقة رائم ورؤوم اذا كانت ترأم ولدها أو بوها فان رغمت ولم تدر عليه فتلك العلوق لا خير عندها وأنشدونا عن أبي عمرو وكان يقرأ ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى على فعلى (الشعر لا فنون التغني)

هذا وليس لك مساعد ولا معد شاهد واحد ولا رأيت أحدا اتفق في الحكم عليك أو ينتظر تحقيق دعواك ولا رأيت منكرا يخليك من التأنيب ولا مؤنبا يخليك من الوعيد ولا موعدا يخليك من الايقاع ولا موقعا يرثى لك ولا شافعا يشفع فيك ياعم لم تحملنا على الصدق ولم تجرعنا مرارة الحق ولم تعرضنا لاداء الواجب ولم تستكثر من الشهود عليك ولم تحمل الاخوان على خلاف محبتهم فيك اجعل بدل ما تجني على نفسك ان تجني على عدوك وبدل ما يضطر الناس ان يصدقوا فيك ان تضطرهم الى ان يمسكوا عنك ولا بد يرحمك الله تعالى لمن فاته الطول من ان يلقى بيده انما يقول خلاف ما يجده في نفسه فوالله انك لجيد الهمامة وفي ذلك خلاف لحسن القامة وانك لحسن الخط وذلك عوض من حسن اللفظ وانا لنجد مقالا وانك لتعد

أنى جزوا عامرا سوأى بفعلهم ٭ أم كيف يجزونني السوأى من الحسن

أم كيف ينفع ما تعطى العلوق به ٭ رغمان أنف اذا ما ضن باللبن

فقوله رغمت لسلمى بوضيم أى ألقت لها على الضيم ويقال فلان رؤوم للضيم اذا كان ذليلا راضيا بالخسف وقال اعرابى أحسبه تميميا

وداهية دهى بها القوم مفلق ٭ شديد بعوران الكلام أزومها

أصخت لها حتى اذا ما وعيتها ٭ رميت بأخرى يستدر أميمها

ترى القوم منها مطرقين كأنما ٭ تناقوا عقارا لا يبل سليمها

فلم تلقنى فيها ولم تلق حجتى ٭ ملجلجة أبنى لها من يقيمها

قوله وداهية يعنى حجة داهى بها القوم مفلق يريد عجيبة والفلق اسم من أسماء الدواهى ويقال فلق فى هذا المعنى ويقال داهية فليق وجاء القوم بالفليق وهذا مشهور كثير فى الكلام ومنه قول خلف الاحمر ٭ موت الامام فلقة من الفلق ٭ وأنشدنى منشد

(اذا عرضت داهية مدلهمة) ٭ وغرد حاديها عملن بنا فلقا

بفتح الغاء وقوله شديد بعوران الكلام العوراء هى القبيحة قال حاتم بن عبد الله الطائى

وعوراء قد أعرضت عنها فلم تضر ٭ وذى أود قومته فتقوما

وأزومها امساكها يقال أزم به اذا عض به فأمسكه بين ثنيتيه وفى الحديث ان أبا بكر رضى الله عنه قال فى يوم أحد فنظرت الى حلقة من درع قد نشبت فى جبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكببت لانزعها فاقسم على أبو عبيدة فازم بها أبو عبيدة بثنيتيه فجذبها جذبا رفيقا فانتزعها وسقطت ثنيته ثم نظرت الى أخرى فأردتها فاقسم على أبو عبيدة ففعل فيها ما فعل فى الاولى وكان مشفقا من تحريكها الثلا يؤذى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أبو عبيدة أهتم وقوله فأزم بها يقال أزم يأزم وأزم يأزم وقوله أصخت لها يقول استمعت لها قال العبدى (وهو المثقب)

يصيخ للنبأة أسماعه ٭ اصاخة الناشد للمنشد

والاصاخة الاستماع والناشد الطالب والمنشد المعرف يقال نشدت الضالة أنشدها نشدانا اذا طلبتها وأنشدتها اذا عرفتها والنبأة الصوت قال ذو الرمة

خصالا فقل معروفا فانا من اعوانك واقتصدفانا من انصارك وهات فانك لو أسرفت لقلنا قد اقتصدت ولو حرت لقلنا قد اهتديت ولكنك تجئ بشئ تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا لو غششناك لساعدناك ولو نافقناك لاغرينا (فصل) وقد كنت أطال الله بقاءك فى الطول زاهدا وعن القصر راغبا وكنت أمدح المربوع وأحمد الاعتدال ولا والله ما ليقوم خير الاعتدال بشر قصر العمر ولا جمال المربوع بما يفوت من منفعة العلم فاما اليوم فيا ليتنى كنت أقصر منك واضوى وأقل منك واقى وليس دعائى لك بطول البقاء للزيادة لكن على جهة التعبد والاستكانة فاذا سمعتنى أقول أطال الله بقاءك فهذا المعنى أريد واذا رأيتنى أقول لا أخلى الله مكانك فالى هذا المعنى اذهب وقد زعموا جعلت

وقد توجس ركزا مقفر ندس ● بنباءة الصوت ما في سمعه كذب

وقوله حتى اذا ماوعيتها يقول جمعتها في سمعي يقال وعيت العلم وأوعيت المتاع في الوعاء قال الله عز وجل وجمع فأوعى وقال الشاعر (عبيد بن الأبرص)

الخير يبقى وان طال الزمان به ● والشر أخبث ما أوعيت من زاد

وقوله رميت باخرى يستدبر أميمها يريد يستدبر من الدوار ويقال في هذا المعنى يستديم ومنه سميت الدوامة وفي الحديث كره البول في الماء الدائم لانه كالمستدبر في موضعه قال جرير

عوى الشعراء بعضهم لبعض ● على فقد أصابهم انتقام

اذا أرسلت صاعقة عليهم ● رأوا أخرى تحرق واستداموا

وقوله أميمها يريد المأمومة ها يقال أميم ومأموم كقولك قتيل ومقتول وجريح ومجروح ويقال للشجة التي قد وصلت الى أم الدماغ وأم الدماغ جليدة رقيقة تحيط بالدماغ فاذا وصل الى تلك فالشجة آمة ومأمومة قال الشاعر

يحج مأمومة في قعرها لجف ● فاست الطبيب تذاها كالمغاريد

المغاريد صغار من الكمأة وقوله في قعرها لجف أي تقلع يقال تلجفت البئر اذا انقلع طيها من أسفلها ولجف القوم مكيالهم اذا وسعوه من أسفله وقوله تساقوا عقارا يريد كانهم سكارى لما نالهم من تلك الجحة والعقار اسم من أسماء الخمر وانما سميت عقارا لمعاقرتها الدن وقوله ما يبل يقال بل وابل من مرضه وكذلك استبل والسليم الملسوع وقيل له سليم على جهة التفؤل كما يقال للهلكة مفازة وللغراب الأعور على الطيرة منه لصحة بصره وقوله فلم تلقني فهأ يقول ضعيفا يقال فه فلان عن حجته اذا ضعف عنها ويقال رجل مفوه اذا كان عاجزا وقوله ملجلجة وهوان يردد ها في فيه وقد مضى تفسيره وقال رجل يكنى أبا مخزوم من بني نهشل بن دارم (هو بشامة بن حزن النهشلي عن أبي رياش)

انا بني نهشل لا ندعى لاب ● عنه ولا هو بالابناء يشرينا

ان تبتدر غاية يوما لمكرمة ● تلق السوابق منا والمصاينا

وليس حي منا سيدا أبدا ● الا افتلينا غلاما سيدا فينا

فداءك ان كلما طال عمره من الحيوان زاد في شدة الاركان وفي طول العمر وصحة الابدان كالورشان والضباب وحمار الوحش وكلحم النسر لمن أكله ولحم الحية لمن استحله فان كان هذا حقا وكان نافعا وكنت له مستعملا وفيه متقدما وتراه رأيا أخذنا منه بنصيب وتعلقنا منه بسبب وفيك أمران غريبان وشاهدان بديعان جواز الكون والفساد عليك وتعاور النقصان والزيادة اياك وجوهرك فلكي وتركيبك أرضي فمنك طول البقاء ومعك دليل الفناء وأنت علة للتضاد وسبب للتنافي وما طبعك بخلق لا تضره الاحالة ولا يفسده التناقض

(فصل) جعلت فداءك قد شاهدت الأنس منذ خلقوا ورأيت الجن قبل ان يحجبوا ورجدت الاشياء بنفسك خالصة وبمزوجة واغفالا موسومة وسالمة ومدخولة فما تخفى

انّى لمَنْ معشرٌ افنى أوائلهم • قيلُ الكماةِ الا أينَ المحاموناَ

لو كانَ فى الالفِ منّا واحدٌ فدعوا • من فارسٍ خالهم اياهُ يعنونا

ولا تراهم وان جلّت رزيّتهم • مع البكاءِ على من مات يبكونا

انّا لنرخصُ يومَ الروعِ أنفسنا • ولو نسامُ بها فى الامنِ اغلينا

اذا الكماةُ تنحّوا ان ينالهم • حدُّ الظُبات وصلناها بأيدينا

فرضٌ على مُكثرينا نيلُ بذلهم • والجودُ والبذلُ فى طبعِ المُقلّينا

انّى ومن كابى يحيى وعترته • لانفرُ الّا لنا امّن يوازينا

قوله انا بنى نهشل يعنى نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ومن قال انّا بنو نهشل فقد خبّرك وجعل بنو خبران ومن قال بنى فانما جعل الخبران تبتدرغاية يوما لمكرمة تلقى السوابق منا والمصلينا ونصب بنى على فعل مضمر للاختصاص وهذا أمدح ومثله

• نحنُ بنى ضبّةَ أصحابُ الجملْ • أراد نحن أصحاب الجمل ثم أبان من يختصّ بهذا فقال أعنى بنى ضبة وقرأ عيسى بن عمر وامرأته حمالةَ الحطبِ أراد وامرأته فى جيدها حبلٌ من مسد ثم عرّفها بحمّالة الحطب وقوله عز وجل والمُقيمين الصلاة بعد قوله لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون انما هو على هذا وهو أبلغ فى التعريف وسنشرحه على حقيقة الشرح فى موضعه ان شاء الله وأكثر العرب ينشدُ (هو لعمرو بن الاهتم المنقرى)

انّا بنى منقرٍ قومٌ ذوو حسبٍ • فينا سراةُ بنى سعدٍ ونادبها

وقرأ بعض القراء فتبارك اللهُ أحسنَ الخالقين وقوله يشرينا يريد يبيعنا يقال شراه يشريه اذا باعه فهذه المعروفة قال الله عز وجل وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وقال ابن مفرّغ الحميرى

شريتُ بُردا ولو لا ما تكنّفنى • من الحوادث ما فارقتُه أبدا

(يا بُرْدُ ما مسّ نادهرٌ أضرّ بنا • من قبلِ هذا ولا بعنا له ولدا)

ويكون شريتُ فى معنى اشتريتُ وهو من الاضداد وأنشدنى التوّزى

اشرُ والهاءاتنا وابغُ وخُنّتها • مواسيا أربعا فيهنّ تذكيرُ

(كان ابن جابر يروى لخُنّتها ويقول الخُنّثُ العَسَلُ) وقوله تلقى السوابق منا والمصلينا فالمُصلّى

عليك الجهة من الشبهة ولا السقم من الصحة ولا الممكن من الممتنع ولا المستغلق من المستبهم ولا النادر من البديع ولا شبه الدليل من الدليل وعرفت علامة الثقة من علامة الريبة حتى صارت الاقسام عندك محصورة والحدود محفوظة والطبقات معلومة والدنيا بحذافيرها مصورة ووجدت السبب كما وجدت المسبب وعرفت الاعتلال كما عرفت الاحتجاج وشاهدت العلل وهى تولد والاسباب وهى تصنع فعرفت المصنوع من المخلوق والحقيقة من التمويه (فصل) انا جعلت فداك كما انك لم تكن فكذا لا تكون بعد أن كنت وكما زدت فى الدهر الطويل فكذا تنقص فى الدهر الطويل وكل طويل فهو قصير وكل متناه فهو قليل فاياك ان تظن انك قديم فتكفر واياك ان تنكر انك

الذى فى اثر السابق وانما سمى مصليا لانه مع صلوى السابق وهما عرقان فى الردف قال الشاعر

تركت الرمح يعمل فى صلاه ٭ كان سنانه خرطوم نسر

وقوله الا فتلينا غلاما سيدا فينا مأخوذ من قولهم فلوت الفلو يا فتى اذا أخذته عن أمه قال الاعشى

ملمع لاعة الفؤاد الى جحش فلاه عنها فيبس الفالى

وأخذ هذا المعنى من قول أبى الطمحان القينى ٭ اذا مات منهم سيد قام صاحبه ٭ وقوله

لو كان فى الالف منا واحد فدعوا ٭ من فارس خالهم اياه يعنونا

مأخوذ من قول طرفة بن العبد

اذا القوم قالوا من فتى خلت اننى ٭ عنيت فلم أكسل ولم أتبلد

ومن قول مقيم بن نويرة اذا القوم قالوا من فتى لعظيمة ٭ فاكلهم يدعى ولكنه الفتى

وقوله حد الظبات فالظبة الحد بعينه يقال أصابته ظبة السيف وظبة النصل وجمعه ظبات

وأراد بالظبة ههنا موضع المضرب من السيف، وأخذ هذا المعنى من قول كعب بن مالك بن أبى

كعب الانصارى نصل السيوف اذا قصرن بخطونا ٭ قدما ونلحقها اذا لم تلحق

وقوله انا لنرخص يوم الروع أنفسنا أخذه من قول الهمدانى وهو الاجدع أبو مسروق ابن الاجدع

الفقيه لقد علمت نسوان همدان اننى ٭ لهن غداة الروع غير خذول

وأبذل فى الهيجا وجهى وانني ٭ له فى سوى الهيجا غير بذول

ومن القتال الكلابى حيث يقول

أنا ابن الاكرمين بنى قشير ٭ وأخوالى الكرام بنو كلاب

نعرض للطعان اذا التقينا ٭ وجوها لا تعرض للسباب

﴿باب﴾

قال أبو العباس قال عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه ثلاث من كن فيه فقد كمل من لم يخرجه غضبه عن طاعة الله ولم يستنزله رضاه الى معصية الله واذا قدر عفا وكف وقال الحسن نعم الله أكثر من أن تشكر الا ما أعان عليه وذنوب ابن آدم أكثر من أن يسلم منها الا ما عفا الله عنه

محدث فتشمرك فان الشيطان فى مثلث اطماما لا يصيبها فى سواك ويجد فيك غليلا لا يجدها فى غيرك

(فصل) وقد علمت ان الخبر اذا صح أصله وكان للناس علة فى نشره كان فى الدلالة على الحق كالعيان وفى الشفاء كالسماع على ان الخبر لا يعرف به تكييف الامور ولكن تعرف به جمل الاشياء الا خبرك فانك لا تحتاج الى اشارة ولا الى علة ولا الى نفس حتى يقوم خبرك فى الشفاء وفى كيفية الشئ مقام العيان وقد كنت أتعجب من عبد الملك وأقول ما يقولون فى رجل لم يقل قط بعد انقضاء خصومته وذهاب خصمه لو قلت كذا كان أفضل أو كنت لم أقل كذا كان أمثل فما بال عفوه أكثر من جهدكم وبديهته أبعد من أقصى فكركم فلما رأيته علمت انه عذاب صبه الله تعالى على كل رفيع ورحمة أنشأها الله

وقال عمر بن ذر ودخل على ابنه وهو يجود بنفسه فقال يا بني انه ما علينا من موتك غضاضة ولا بنا الى أحد سوى الله حاجة فلما قضى وصلى عليه وواراه وقف على قبره فقال يا ذر انه قد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك لا ما ندري ما قلت ولا ما قيل لك اللهم اني قد وهبت له ما قصر فيه مما افترضت عليه من حقي فهب له ما قصر فيه من حقك واجعل ثوابي عليه له وزدني من فضلك اني اليك من الراغبين وسئل ما بلغ من بره بك فقال ما مشى معي بنهار قط الا قدمني ولا بليل الا تقدمني ولا رقى سطحا وأنا تحته وماتت بنت عم للمنصور فحضر جنازتها وجلس لدفنها وأقبل أبو دلامة الشاعر فقال له المنصور ويحك ما اعددت لهذا اليوم فقال يا أمير المؤمنين ابنة عمك هذه التي رأيتها قبيل قال فضحك المنصور حتى استغرب ودخل لبطة بن الفرزدق على أبيه وهو محبوس في سجن مالك بن المنذر بن الجارود ومالك عامل على البصرة لخالد بن عبد الله القسري فقال يا أبت هذا عمر بن يزيد الأسيدي ضرب آنفا ألف سوط فمات فشد على حمار فقال الفرزدق كذبت والله يا بني بمثل هذا الحديث قد تحدث به عن أبيك والحسن اذ ذاك عند محبوس له فقال يا أبا فراس ما عندك ان كان ذلك فقال والله يا أبا سعيد لله أحب الي من سمعي وبصري ومن مالي وولدي ومن أهلي وعشيرتي أفتراه يكذبني فقال الحسن لا وكان عمر بن يزيد الأسيدي شريفا حدثني التوزي عن أبي عبيدة قال كان رجل أهل البصرة عمر بن يزيد الأسيدي ورجل أهل الشام عمر بن هبيرة الفزاري ورجل أهل الكوفة بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الاشعري فقيل ذلك لعمر بن عبد العزيز فقال أجل لولا حب في بلال فقال بلال لما بلغه ذلك رمتني بدائها وانسلت وقتله مالك بن المنذر تعصبا فيما تذكره المضرية فلما دخل عمر على هشام أقبل على أصحابه فقال أسار أيتم عمر بن يزيد أما اني ما تمنيت ان تكون أمي ولدت رجلا من العرب غيره ثم قال لمالك ثكلت والله خيرا منك حسبا ونسبا ودينا وعقبا فقال وكيف يا أمير المؤمنين ألست ابن المنذر بن الجارود وابن مالك بن مسمع وكان جده أبا أمه وجعل عمر والسياط تأخذه ينادي يا هشاماه فبلغ ذلك الفرزدق فقال

ألم يأن مقتل العبدي ظلما ٭ أبا حفص من الكبر العظام

قتيل جماعة في غير حق ٭ يقطع وهو يدعو يا هشام

والتقى الحسن والفرزدق في جنازة فقال الفرزدق للحسن أتدري ما يقول الناس يا أبا سعيد قال

لكل وضيع فخر بي ما جرى بينك وبين هرمس في طبيعة الفلك وعن سماعك من افلاطون ومادار بينك وبين ارسطاطاليس وأي نوع اعتقدت وأي شيء اخترت فقد أبت نفسي غيرك وأبت ان تنشني الا بخبرك ولولا اني كلف برواية الأقاويل ومغرم بمعرفة الاختلاف واني أستجيز مسألتك عن كل شيء وابتذالك في كل امر لما سمعت من أحد سواك وما انقطعت الى أحد غيرك اعلم جعلت فداك اني لم أرد بزاحدث الا ان أضحك سنك ولا كانت غايتي فيه الا الأنفق عندك وقد كنت خفت ان لا أكون وقعت على حدة وأشفقت من المجاوزة لقدره والمزاح باب ليس المخوف فيه التقصير ولا يكون الخطأ فيه من جهة النقصان وهو باب متى فتحه فاتح طرق له مطرق ولم يملك من سده الذي

وما يقولون قال يقولون اجتمع فى هذه الجنازة خير الناس وشر الناس فقال الحسن كلا لست بخيرهم ولست بشرهم ولكن ما أعددت لهذا اليوم فقال شهادة أن لا اله الا الله منذ ستين سنة وخمس نجائب لا يدركن يعنى الصلوات الخمس فيزعم بعض التميمية انه رئى فى النوم فقيل له ما صنع بك ربك فقال غفر لى فقيل له بأى شئ فقال بالكلمة التى نازعنى فيها الحسن وحدثنى العباس بن الفرج الرياشى فى اسناد له ذكره قال كان الفرزدق يخرج من منزله فيرى بنى تميم والمصاحف فى حجورهم فيسر بذلك ويجذل به ويقول ابه فداكم أبى وأمى كذا والله كان آباؤكم (قال أبو الحسن انما هو فداء لكم فمن فتح قصر لا غير ومن كسر مد لكنه قصر الممدود على هذه الرواية) قال أبو العباس ونظر اليه أبو هريرة الدوسى فقال له مهما فعلت فتنطد الناس فلا تقنط من رحمة الله ثم نظر الى قدميه فقال انى أرى لك قدمين لطيفتين فابتغ لهما موقعا صالحا يوم القيامة يقال قنط يقنط وقنط يقنط وكلاهما فصيح فاقرأ بأيهما شئت وكذلك نقم ينقم ونقم ينقم والفرزدق يقول فى آخر عمره حين تعلق باستار الكعبة وعاهد الله أن لا يكذب ولا يشتم مسلما

ألم ترنى عاهدت ربى وانى ... لبين رتاج قائما ومقام

على حلفة لا أشتم الدهر مسلما ... ولا خارجا من فى زور كلام

وفى هذا الشعر

أطعت دنيا بليس تسعين حجة ... فلما انقضى عمرى وتم تمامى

رجعت الى ربى وأيقنت أننى ... ملاق لايام المنون حمامى

قوله لبين رتاج فالرتاج غلق الباب ويقال باب مرتج أى مغلق ويقال ارتج على فلان أى أغلق عليه الكلام وقول العامة ارتج عليه ليس بشئ الا ان التوزى حدثنى عن أبى عبيدة قال يقال ارتج عليه ومعناه وقع فى رجة أى فى اختلاط وهذا معنى بعيد جدا وقوله ولا خارجا انما وضع اسم الفاعل فى موضع المصدر أراد لا أشتم الدهر مسلما ولا يخرج خروجا من فى زور كلام لانه على ذا اقسم والمصدر يقع فى موضع اسم الفاعل يقال ماء غور أى غائر كما قال الله عز وجل ان أصبح ماؤكم غورا ويقال رجل عدل أى عادل ويوم غم أى غائم وهذا كثير جدا فعلى هذا جاء المصدر على فاعل كما جاء اسم الفاعل على المصدر يقال قم قائما فيوضع فى موضع قولك قم قياما فما رجاء من المصدر على لفظ فاعل حروف منها فلج فالجا وعوفى عافية وأحرف سوى ذلك يسيرة وجاء على

علك من فقهه ولم يخرج بقدر ما كان قدم من نفسه لانه باب أصل بناته على الخطأ ولا يخالطه من الاخلاق الا ما خف ومن شأنه التزيد وان يكون صاحبه قليل التحفظ ولم نر شيأ أبعد من شر ولا أبعد له صحبة ولا أشد خلافا ولا أكثر له خلطة من الجد والمزاح والمناظرة فان كنت لم أقصر عن الغاية ولم أتجاوز حد النهاية فبما أعرف من عين مكالمتك وبركة مكاتبتك ومن حسن تقويتك وجودة تثقيفك وان كنت أخطأت الطريق وجاوزت المقدار فما كان ذلك عن جهل بفضلك ولا انكارا لحقك ولكن حدود الاشياء اذا خفيت ومقاديرها اذا أشكلت ولم يكن مع الناظر فيها مثل عمادك ولا مع المتكلف بها مثل كمالك دخل عليه من الخلل بقدر عجزه وسلم منه بقدر نفاذه نعم ولو كان من

مفعول نحو رجل ليس له معقول وخذ ميسوره ودع معسوره لدخول المفعول على المصدر يقال رجل رضا أى مرضى وهذا درهم ضرب الامير أى مضروب وهذه دراهم وزن سبعة أى موزونة وكان عيسى بن عمر يقول انما قوله لا أشتم حال فاراد ما هدت ربى فى هذه الحال وانا غير شاتم ولا خارج من فى زور كلام ولم يذكر الذى عاهد عليه وقال الفرزدق فى أيام نسكه

أخاف وراء القبران لم يعافنى ٭ أشد من القبر التهابا وأضيقا

اذا قادنى يوم القيامة قائد ٭ عنيف وسواق يسوق الفرزدقا

لقد خاب من أولاد آدم من مشى ٭ الى النار مغلول القلادة موثقا

اذا شربوا فيها الحميم رأيتهم ٭ يذوبون من حر الحميم تمزقا

وحدثنى بعض أصحابنا عن الاصمعى عن المعتمر بن سليمان عن أبى مخزوم عن أبى شقفل راوية الفرزدق قال قال لى الفرزدق يوما امض بنا الى حلقة الحسن فانى أريد أن أطلق النوار فقلت انى أخاف عليك أن تتبعها نفسك وتشهد عليك الحسن وأصحابه فقال امض بنا فجئنا حتى وقفنا على الحسن فقال كيف أصبحت يا أبا سعيد فقال بخير كيف أصبحت يا أبا فراس قال تعلمن أن النوار منى طالق ثلاثا فقال الحسن وأصحابه قد سمعنا قال فانا لمقتنا قال فقال لى الفرزدق يا هذا ان فى قلبى من النوار شيأ فقلت قد حذرتك فقال

ندمت ندامة الكسعى لما ٭ غدت منى مطلقة نوار

(وكنت كفاقئ عينيه عمدا ٭ فاصبح لا يضىء له النهار

وما فارقتها شبعا ولكن ٭ رأيت الزهد يأخذنا أعار

وكانت جنتى فخرجت منها ٭ كآدم حين أخرجه الضرار

ولو أنى ملكت يدى ونفسى ٭ لكان على للقدر الخيار

قال الاصمعى ما روى المعتمر هذا الشعر الا من أجل هذا البيت

العلماء الموصوفين ومن الادباء المذكورين والمزاح جعلت فداك باب نكد وجنس خدع يتكل المرء فى اساءته الى جليسه واستماعه لصديقه على ان يقول مزحت وعلى ان يقول عند المحاكة عبثت وعلى ان يقول من يغضب من المزاح الا كز الخلق ومن يرغب عن المفاكهة الاضيق العطن وبعد فتى أعدت النفس عذرا كانت الى القبيح أسرع ومتى لم تجده كانت عنه أبطأ ومن أسباب الغلط فيه ومن دواعى الخطأ اليه ان كثيرا ممن تمازحه يضحك وان كنت قد أغضبته ولا يقطع مزاحك وان كنت قد أوجعته فان حقد ففى الحقد الداء وان عجل فذلك البلاء فان قلت فما أدخلك فى شىء هذه سبيله وهكذا جوهره وطريقه قلت لانى حين أمنت عقاب

﴿باب﴾

قال لقيط بن زرارة ٭ شربت الخمر حتى خلت أنى ٭ أبو قابوس أو عبد المدان

أمشي في بني عدس بن زيد ... رخي البال منطلق اللسان

وحدثني أبو عثمان المازني قال أسر رجل يوم الحسين بن علي رضي الله عنه فأتي به يزيد بن معاوية فقال له أليس أبوك القائل

أرجل جثتي وأجر ذيلي ... وتحمل شكتي أفق كميت

أمشي في سراة بني غطيف ... اذا ما سامني ضيم أبيت

قال بلى فأمر به فقتل قال أبو العباس ونمي الى أن معاوية ولى كثير بن شهاب المذحجي خراسان فاختان مالا كثيرا ثم هرب فاستتر عند هانئ بن عروة المرادي فبلغ ذلك معاوية فتهدده فخرج هانئ فكان في جوار معاوية ثم حضر مجلسه ومعاوية لا يعرفه فلما تفرض الناس ثبت مكانه فسأله معاوية عن أمره فقال أنا هانئ بن عروة فقال ان هذا اليوم ليس بيوم يقول فيه أبوك أرجل جثتي الشعر فقال له هانئ أنا اليوم أعز مني ذلك اليوم فقال له بم ذاك فقال بالاسلام يا أمير المؤمنين فقال له أين كثير بن شهاب قال عندي في عسكرك يا أمير المؤمنين فقال له معاوية انظر الى ما اختانه فخذ منه بعضا وسوغه بعضا وقال أعرابي

ولقد شربت الراح حتى خلتني ... لما خرجت أجر فضل المئزر

قابوس أو عمرو بن هند ماثلا ... يجبى له مادون دارة قيصر

وقال آخر شربنا من الذادي حتى كأننا ... ملوك لهم بر العراقين والبحر

فلما انجلت شمس النهار رأيتنا ... تولى الغنى عنا وعاودنا الفقر

وقال آخر وهو عبد الرحمن بن الحكم

وكأس ترى بين الاناء وبينها ... قذى العين قد نازعت أم أبان

ترى شاربيها حين يعتورانها ... عميلان أحيانا ويعتدلان

فما ظن ذا الواشي بأروع ماجد ... وبداء خود حين يلتقيان

وقال آخر دعتني أخاها أم عمرو ولم أكن ... أخاها فلم أرضع لها بلبان

دعتني أخاها بعد ما كان بيننا ... من الامر ما لا يفعل الاخوان

وقال آخر (أنشده أبو علي لام ضيغم البلوية

فبتنا فويق الحي لا نحن منهم ... ولا نحن بالاعداء مختلطان

الاساءة ووثقت بثواب الاحسان وعلمت انك لا تنقص الاعلى العهد ولا تقرب الاعلى القصد ترى الامن سائقا والامل قائدا وأي عمل أرد وأي متجر أربح مما جمع السلامة والغنيمة والامن والمثوبة ولو كان هذا ذنبا كنت شريكي فيه ولو كان تقصيرا لكنت سببي اليه لان دوام التغافل شبيه بالاهمال وترك التعريف يورث الاغفال والعفو الشائع والبشر الدائم يؤمنان من المكافأة ويذهبان بالتحفظ ولذلك قال عيينة بن حصن لعثمان ابن عفان عمر كان خيرا لي منك رهبني فارتقاني وأعطاني فاغناني فان كنت اجترأت عليك فلم أجترئ عليك الا به وان كنت أخطأت فلم أخطأ عليك الا لك لان حسن الظن بك والثقة بعفوك سبب في قلة التحفظ وداعية الى ترك التحوز

وبات يقينا ساقط الطل والندى • من الليل برداه غنة عطران

نعدي بذكر الله في ذات بيننا • اذا كان قلبانا بنا بردان

(قال أبو الحسن وزادني فيه غير أبي العباس

ونصدر عن زي العفاف وربما • نقعنا غليل النفس بالرشفان)

قال أبو العباس نعدي أي نصرف الشر بذكر الله يقال فعدهما ترى أي فانصرف عنه الى غيره ويقال لا يعدو ندهذا الحديث أي لا يتجاوز ندالى غيره قال أبو العباس وقال رجل من قريش

من تقرع الكأس اللئيمة سنه • فلابد يوما ان يسيء ويجهلا

ولم أر مطلوبا أخس غنيمة • وأوضع للاشراف منها وأخملا

واجدر ان تلقى كريما يذمها • ويشربها حتى يخر مجدلا

فوالله ما أدري أخبل أصابهم • أم العيش فيها لم يلاقوه أشكلا

وقال آخر اذا صدمتني الكأس أبدت محاسني • ولم يخش ندماني اذاتي ولا بخلي

ولست بفحاش عليه وان أسا • ومايشكل من أذى ندماه من شكلي

وقال آخر كل هنيأ وما شربت مريأ • ثم قم صاغرا فغير كريم

لا أحب النديم يومض بالعين اذا ما انتشى لعرس النديم

الايماض تفتح البرق ولمحه يقال أومضت المرأة اذا ابتسمت وانما ذلك تشبيه للمع ثناياها بتبسم البرق فاراد انه فتح عينه ثم غمضها بغمز وقال حسان بن ثابت

كأن سبيئة من بيت رأس • يكون مزاجها عسل وماء

اذا ما الاشربات ذكرن يوما • فهن لطيب الراح الفداء

نولي الملاسة ان ألمنا • اذا ما كان مغث أو لحاء

ونشربها فتترك كنا ملوكا • واسدا ما ينهنهنا اللقاء

المغث المماغثة باليد واللحاء الملاحاة باللسان يقول يعتذر المسيء بأن يقول كنت سكران فيعذر وقوله كأن سبيئة يقال سبأتها اذا اشتريتها سبيا يعني الخمر والسابئ الخمار وقوله من بيت رأس يعني موضعا كما يقال حارث الجولان

وبعد فمن وهب الكبير فكيف يعف عند الصغير ومن لم يزل يعفو عن العمد كيف يعاقب على السهو ولو كان عظم قدري هو الذي عظم ذنبي لكان عظم قدري هو الذي شفع لي ولو استحقت عقابك باقدامي عليك مع خوفي لك لاستوجبت عفوك عن اقدامي عليك بحسن ظني بك على اني متى أوجبت لك العفو أوجبت لك الفضل ومتى أضفت اليك العقاب فقد وصفتك بالانصاف ولا أعلم حال الفضل الا أشرف من حال العدل والحال التي توجب لك الشكر الا رفع من الحال التي توجب لك الصبر وان كنت لا تهب عقابي لحرمتي فهبه لأياديك عندي فان النعمة تشفع في النعمة فان لم تفعل ذلك للحرمة فافعله لحب الاحدونة وعدالى حسن

(باب)

قال أبو العباس قال الأحنف بن قيس ألا أدلكم على المحمدة بلا مرزئة الخلق السجيح والكف عن القبيح ألا أخبركم بأدوإ الداء الخلق الدنيء واللسان البذيء وقال الاحنف ثلاث في ما أقولهن الا ليعتبر معتبر ما دخلت بين اثنين حتى يدخلاني بينهما ولا أتيت باب أحد من هؤلاء ما لم أدع اليه يعني السلطان ولا حملت حبوتي الى ما يقوم اليه الناس تكسر الحاء ونضمها اذا أردت الاسم وتفتحها اذا أردت المصدر أنشدني عمارة بن عقيل لجرير

قتل الزبير وأنت عاقد حبوة ٭ فبها الحبوتة التي لم تحلل

ويقال في جمع حبوة حبا وحبا مقصوران وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ما أحسن الحسنات في آثار السيآت وأقبح السيآت في آثار الحسنات وأقبح من ذا وأحسن من ذاك السيآت في آثار السيآت والحسنات في آثار الحسنات والعرب تلف الخبرين المختلفين ثم ترمي بتفسيرهما جملة ثقة بان السامع يرد الى كل خبره وقال الله عز وجل ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله وقال رجل لسلم بن نوفل ما أرخص السودد فيكم فقال سلم أما نحن فلا نسود الا من بذل لنا ماله وأوطأنا عرضه وامتهن في جاجتنا نفسه فقال الرجل ان السودد فيكم لغال ولسلم يقول القائل

يسود أقوام وليسوا بسادة ٭ بل السيد المعروف سلم بن نوفل

قال معاوية لعرابة بن أوس بن قيظي الانصاري بم سدت قومك فقال لست بسيدهم ولكني رجل منهم فعزم عليه فقال أعطيت في نائبتهم وحملت عن سفيههم وشددت على يدي حليمهم فمن فعل منهم مثل فعلي فهو مثلي ومن قصر عنه فانا أفضل منه ومن تجاوزه فهو أفضل مني وكان سبب ارتفاع عرابة انه قدم من سفر فجمعه الطريق والشماخ بن ضرار المري فتحادثا فقال له عرابة ما الذي أقدمك المدينة قال قدمت لأمتار منها فلا له عرابة رواحله برا وتمرا وتحفه بغير ذلك فقال الشماخ

رأيت عرابة الاوسي يسمو ٭ الى الخيرات منقطع القرين
اذا ما راية رفعت لمجد ٭ تلقاها عرابة باليمين
اذا بلغتني وحملت رحلي ٭ عرابة فاشرقي بدم الوتين
ومثل سراة قومك لم يجاروا ٭ الى ربع الزهان ولا الثمين

العادة وان لم تفعل ذلك لحسن العادة وأنت ما أنت أهله واعلم اني واياك متى تحاكمنا الى كرمك قضى لي عليك ومتى ارتفعنا الى عدلك حسن العفو عني عندك وفصل ما بيننا وبينك وفرق ما بين اقدارنا وقدرك انا نسيئ وتغفر ونذنب وتستر ونعوج وتقوم ونجهل وتعلم وان عليك الانعام وعلينا الشكر ومن صفاتك ان تفعل ومن صفاتنا ان نصف واذا فعلت ما تقدر عليه من العقاب كنت كمن فعل ما يقدر عليه من التعرض وصرت ترغب عن الشكر كما رغبنا عن السلم وصار التعرض لعفوك بالامن باطلا والتعرض لعقابك بالخوف حقا ورغبت عن النيل والبها وعن السودد والسنا وصرت كمن يشفي غيظا أو يداوي حقدا ويظهر القدرة أو يحب ان يذكر بالصولة ولم

قوله تلقاها عرابة باليمين قال أصحاب المعانى معناه بالقوة وقالوا مثل ذلك فى قول الله عز وجل والسموات مطويات بيمينه وقد أحسن كل الاحسان فى قوله

اذا بلغتنى وحملت رحلى ٭ عرابة فاشرقى بدم الوتين

يقول لست احتاج الى أن أرحل الى غيره وقد عاب بعض الرواة قوله فاشرقى بدم الوتين وقال كان ينبغى أن ينظر لها مع استغنائه عنها فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للانصارية المأسورة بمكة وقد نجت على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله انى نذرت ان نجوت عليها ان أنحرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبئس ما جزيتها وقال لا نذر فى معصية ولا نذر للانسان فى غير ملكه وعالم يعب فى هذا المعنى قول عبد الله بن رواحة الانصارى لما أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد زيد وجعفر على جيش مؤتة

اذا بلغتنى وحملت رحلى ٭ مسيرة أربع بعد الحساء

فشأنك فانعمى وخلاك ذم ٭ ولا أرجع الى أهلى ورائى

الحساء جمع حسى وهو موضع رمل تحته صلابة فاذا مطرت السماء على ذلك الرمل نزل الماء فمنعته الصلابة ان يغيض ومنع الرمل السمائم أن تنشفه فاذا بحث ذلك الرمل أصيب الماء يقال حسى وحساء ممدودة وقوله ولا أرجع الى أهلى ورائى مجزوم لانه دعاء فقوله لا هى الجازمة له ومعناه اللهم لا أرجع كما تقول زيدا لا يغفر الله له فهذا الدعاء يجزم بما يجزم به الامر والنهى كما تقول زيد ليقم وزيدا لا يبرح وقد اتبع ذو الرمة الشماخ فى قوله

اذا ابن أبى موسى بلالا بلغته ٭ فقام بفأس بين وصليه جازر

الوصل المفصل بما عليه من اللحم يقال قطع الله أوصاله ويقال وصل وكسر وجذل فى معنى واحد

(باب)

قال أبو العباس أنشدنى التوزى لرجل من رجاز بنى تميم فى وقعة الجفرة

نحن ضربنا الازد بالعراق ٭ والحى من ربيعة المراق

وابن سهيل قائد النفاق ٭ بلا معونات ولا ارزاق

نجدهم أبقاك الله يحمدون القدرة الا عند استعمالها فى الخير ويذمون العجز الا لما يفوت به من اتيان الجميل وانى لك بالعقاب وأنت خير كلك ومن أين اعتراك المنع وأنت انهجت الجود لاهله وهل عندك الا امانى طبعك وكيف لك بخلاف عادتك فلم تستكره نفسك على المكافأة وطباعها الصفح ولم تكدها بالمنافسة ومذهبها السماحة سبحان من جعل أخلاقك وفق اعراقك وفعلك وفق عملك ومن جعل ظنك أكثر من يقينا وفراستك أقوى من عيانا وعفوك أربح من جهدنا وبداهتك أجود من تفكرنا وفعلك ارفع من وصفنا وغيبتك أهيب من حضور الشاكة وعيبتك أشد من عقاب الظلمة وسبحان من جعلك تعفو عن المتعمد وتجافى عن عذاب المصر وتتغافل

عن المنادى وتصفح عن المتهاون حتى اذا صرت الى من ذنبه شيات وتوبته اخلاص وهفوته بكر وشفعته الحرمة ومن لا يعرف الشكر الا لك ولا الانعام الا منك ولا العلم الا من تأديبك ولا الاخلاق الا من تقويمك ولا يقصر فى بعض طاعتك الا لما رأى من احتمالك ولا نسى بعض ما يجب لك الا لما داخله من تعظيمك صرت تتعود بالصدوهو دليل كل بلية وتستعمل الاعراض وهو قائد كل هلكة وقد علمت ان عتابك أشد من الصريمة وان تأنيبك أغلظ من العقوبة وان منعك اذا منعت فى وزن اعطائك اذا اعطيت وان عقابك على حسب ثوابك وان جزعى من حرمانك فى وزن سرورى بفوائدك وان شين غضبك كذم رضاك وان موت ذكرى بانقطاع سببى منك كحياة ذكرى

الأبقايا كرم الأعراق • لشدة الخشية والاشفاق

• من المخازى والحديث الباقى •

الأعراق جمع عرق يقال فلان كريم العرق ولئيم العرق أى الأصل وقال آخر يصف ابنه

أعرف منه قلة النعاس • وخفة فى رأسه من راسى • كيف ترين عنده مراسى

يخاطب أم ابنه فقوله أعرف منه قلة النعاس أى الذكاء والحركة وكان عبد الملك بن مروان يقول لمؤدب ولده علمهم العوم وهذبهم بقلة النوم وكذا قال أبو كبير الهذلى

فاتت به حوش الجنان مبطنا • سهدا اذا ما نام ليل الهوجل

وقال الآخر فجاءت به حوش الفؤاد مسهدا • وأفضل أولاد الرجال المسهد

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عينى تنامان ولا ينام قلبى وقال عروة بن الورد العبسى وهو عروة الصعاليك

لحا الله صعلوكا اذا جن ليله • مصافى المشاش آلفا كل مجزر

(يعد الغنى من نفسه كل ليلة • أصاب قراها من صديق ميسر)

ينام نهارا ثم يصبح قاعدا • يحث الحصى عن جنبه المتعفر

يعين نساء الحى ما يستعنه • فيمشى طليحا كالبعير المحسر

ولكن صعلوكا صفيحة وجهه • كضوء سراج القابس المتنور

مطلا على أعدائه يزجرونه • بساحتهم زجر المنيح المشهر

وان بعدوا لا يأمنون اقترابه • تشوف أهل الغائب المتنظر

فذلك ان يلق المنية يلقها • حميدا وان يستغن يوما فاجدر

(يريح على الليل أضياف ماجد • كريم ومالى سار حامال مقتر

قال أبو الحسن كذا أنشده فذلك لانه لم ير أول الشعر والصواب كسر الكاف لانه يخاطب امرأته الا تراه قال

أقلى على اللوم يا ابنة مالك • ونامى وان لم تشتهى ذاك فاسهرى)

قوله • يحث الحصى عن جنبه المتعفر • يريد المتعفر والعفر والعفرا اسمان للتراب من ذلك قولهم عفر الله خده ويقال للظبية عفراء اذا كانت يضرب بياضها الى حمرة وكذلك الكثيب

الاعفر وقوله كالبعير المعسر هو المعي يقال جمل حسير وناقة حسير قال الله عز وجل ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير وقوله • وان بعدوا الا يأمنون اقترابه • على التقديم والتأخير أراد لا يأمنون اقترابه وان بعدوا وهذا حسن فى الاعراب اذا كان الفعل الاول فى المجازاة ماضيا كما قال زهير

وان أتاه خليل يوم مسئلة • يقول لا غائب مالى ولا حرم

فان كان الفعل الاول مجزوما لم يجز رفع الثانى الا ضرورة فسيبويه يذهب الى انه على التقديم والتأخير وهو عندى على ارادة الفاء لعلة تلزمه فى مذهبه نذكرها فى باب المجازاة اذا جرى فى هذا الكتاب ان شاء الله تعالى فمن ذلك قوله

يا أقرع بن حابس يا أقرع • انك ان يصرع أخوك تصرع

أراد سيبويه انك تصرع ان يصرع أخوك وهو عندى على قوله ان يصرع أخوك فأنت تصرع يا فتى ونستقصى هذا فى بابه ان شاء الله تعالى وقوله • كيف ترين عنده مراسى • يقول للمرأة عرزنى على شبهه ويقال أنجب الاولاد ولد الفارك وذلك لانها تبغض زوجها فيسبقها ماؤه فيخرج الشبه اليه فيخرج الولد مذكرا وكان بعض الحكماء يقول اذا أردت ان تطلب ولد المرأة فاغضبها ثم قع عليها فانك تسبقها بالماء وكذلك ولد النزعة كما قال أبو كبير الهذلى

ممن حملن به وهن عواقد • حبك النطاق فشب غير مهبل

(المهبل الكثير اللحم ومهبل غير مدعو عليه بالهبل)

حملت به فى ليلة مزءودة • كرها وعقد نطاقها لم يحلل

مزءودة ذات زؤد وهو الفزع فمن نصب مزءودة فانما أراد المرأة ومن خفض فانه أراد الليلة وجعل الليلة ذات فزع لانه يفزع فيها قال الله عز وجل بل مكر الليل والنهار والمعنى بل مكركم فى الليل والنهار وقال جرير

لقد لمتنا يا أم غيلان فى السرى • ونمت وما ليل المطى بنائم

وقال آخر • فنام ليلى وتجلى همى • وهذا الرجز أشد مما قال الآخر فى ولده فانه أقر بان امرأته غلبته على شبهه وذلك قوله

والله ما أشبهنى عصام • لا خلق منه ولا قوام • نمت وعرق الخال لا ينام

يقول عرقنى أمه على الشبه فذهبت به الى أخواله وقال آخر

مع اتصال سببى بك ومالى اليوم عمل انا اليه اسكن ولا شفيع أنا به أوثق من شدة جزعى من عتبك وافراط هلعى من خوفك ولست ممن اذا جاد بالصفح ومن بالعفو لم يكن لصاحبه منه الا السلامة والنجاة من الهلكة بل تشفع ذلك بالمراتب الرفيعة والعطايا الجزيلة والعز فى العشيرة والهيبة فى الخاصة والعامة مع طيب الذكر وشرف العقب ومحبة الناس واما ذكرى العقد والخرط والطول والعرض وما بيننا وبينك فى ذلك من التنازع والتشاجر والتنافر فان الكلام قد يكون فى لفظ الجد وهو مزاح ولو استعمل الناس الدماثة فى كل حال والجد فى كل مقال وتركوا التسمح والتسهيل وعقدوا فى كل دقيق وجليل لكان الشر صرا حاخير الهم والباطل

لقد بعثت صاحبا من العجم • بين ذوى الاحلام والبيض القمم • كان أبوه غائبا حتى فطم
يقول لم يسق غيلا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هممت أن أنهى أمتى عن الغيلة حتى علمت
ان فارس والروم تفعل ذلك باولادها فلا تضير أولادها والغيلة ان ترضع المرأة وهى حامل أو ترضع
وهى تعنى ويزعم أهل الطب من العرب والعجم ان ذلك الداء وقالت أم تأبط شرا والله
ما حملته وضعا ووضعا أيضا لا وضعته بتنا ولا سقيته غيلا ولا ابنه منقا وقال الاصمعى ولا ابنه
على مأقة قولها ما حملته وضعا يقال اذا حملت المرأة عند مقبل الحيض حملته وضعا وتضعا واذا
خرجت رجلا المولود من قبل رأسه قيل وضعته بتنا قال الشاعر

فجاءت به بتنا بجر مشيمة • تسابق رجلاه هناك الانامل

ويقال للرجل اذا قلب الشئ عن جهته جاء به بتنا قال عيسى بن عمر سألت ذا الرمة عن مسئلة
فقال لى أتعرف اليتن قلت نعم قال فسلتك هذه يتن قال وكنت قد قلبت الكلام والعيل ما فسرناه
واما قولها ولا ابنه منقا تقول لم ابنه معيطا وذلك ان الخرقاء تبيت ولدها جائعا مغموما لحاجته
الى الرضاع ثم تحركه فى مهده حتى يغلبه الدوار فينومه والكيسة تشبعه وتغنيه فى مهده فيسرى
ذلك الفرح فى بدنه من الشبع كما يسرى ذلك الغم والجوع فى بدن الآخر ومن أمثال العرب أنا بتن
وصاحبى منق فكيف نتفق التن المملوء غيظا وغضبا والمنق القليل الاحتمال فلا يقع الاتفاق

محضا أرد عليهم ولكن
لكل شئ قدر ولكل حال
شكل فالفحش فى موضعه
كالبكاء فى موضعه والتبسم
فى موضعه كالقطوب فى
موضعه وكذلك المنع
والبذل والعقاب والعفو
وجميع القبض والبسط
فان ذممنا المزاح ففيه
لعمرى ما يذم وان حمدناه
ففيه ما يحمد وفصل
ما بينه وبين الجد أن الخطأ
الى المزاح أسرع وحاله
بحال السخف أشبه فاما
أن يذم حتى يكون كالظلم
ويبقى حتى يصير كالغدر
فلا لان المزاح مما يكون
مرة حسنا ومرة قبيحا فاذا
صرنا الى الجد ورغبنا الى
الهزل وتركنا المزاح
وجلسنا للحكم فقد أغناك
الله تعالى عن الحجة كما
سلمك من الشبهة ولم
نكلفك الاحتجاج كما
نرغب بك عن الاعتلال
فاصبحت لا محتجا ولا
محجوجا ولا عقلا ولا

(باب)

قال أبو العباس قال ابن عباس رضى الله عنهما لا يرهد نذ فى المعروف كفر من كفره فانه يشكرك
عليه من لم تصطنعه اليه وأنشد عبد الله بن جعفر قول الشاعر

ان الصنيعة لا تكون صنيعة • حتى تصيب بها طريق المصنع

فقال هذا رجل يريد أن يبخل الناس أمطر المعروف مطرا فان صادف موضعا فهو الذى قصدت
له والا كنت أحق به (قال أبو الحسن الاخفش حدثنا المبرد فى غير الكامل قال قال الحسن والحسين
رضوان الله عليهما لعبد الله بن جعفر انك قد أسرفت فى بذل المال قال بأبى أنتما وأمى ان الله
عودنى أن يفضل على وعودته أن أفضل على عباده فأخاف أن أقطع المادة فيقطع عنى) ومر

يزيد بن المهلب باعرابية في خروجه من سجن عمر بن عبد العزيز يريد البصرة فقرنته عنزا فقبلها وقال لابنه معاوية ما معك من النفقة فقال ثمانى مائة دينار قال فادفعها اليها قال له ابنه اتريد الرجال ولا يكون الرجال الا بالمال وهذه يرضيها اليسير وهي بعد لا تعرفك فقال له ان كانت ترضى باليسير فانا لا أرضى الا بالكثير وان كانت لا تعرفني فانا أعرف نفسي ادفعها اليها وزعم الاصمعي ان حربا كانت بالبادية ثم اتصلت بالبصرة فتفاقم الامر فيها ثم مشى بين الناس بالصلح فاجتمعوا في المسجد الجامع قال فبعثت وأنا غلام الى ضرار بن القعقاع من بني دارم فاستأذنت عليه فأذن لي فدخلت فاذا به في شملة يخالط بزرا لعنزه حلوب فخبرته بمجتمع القوم فأمهل حتى أكلت العنز ثم غسل الصحفة وصاح يا جارية غديتنا قال فأتته بزيت وتمر قال فدعاني فقدرته أن آكل معه حتى اذا قضى من أكله حاجة وثب الى طين مُلتّ في الدار فغسل به يده ثم صاح يا جارية اسقيني ماء فأتته بماء فشربه ومسح فضله على وجهه ثم قال الحمد لله ماء الفرات بتمر البصرة بزيت الشام متى نؤدي شكر هذه النعم ثم قال يا جارية علي بردائي فأتته برداء عدني فارتدى به على تلك الشملة قال الاصمعي فتحافيت عنه استقبالا لزيه فلما دخل المسجد صلى ركعتين ثم مشى الى القوم فلم تبق جبوة الا حلت اعظاما له ثم جلس فتحمل جميع ما كان بين الاحياء في ماله وانصرف وحدثني أبو عثمان بكر بن محمد المازني عن أبي عبيدة قال لما أتى زياد بن عمرو المربد في عقب قتل مسعود بن عمرو العتكي جعل في الميمنة بكر بن وائل وفي الميسرة عبد القيس وهم لكيز بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة وكان زياد بن عمرو العتكي في القلب فبلغ ذلك الاحنف فقال هذا غلام حدث شأنه الشهرة وليس يبالي أين قذف بنفسه فندب أصحابه فجاءه حارثة بن بدر الغداني وقد اجتمعت بنو تميم فلما طلع قال قوموا الى سيدكم ثم أجلسه فناظره فجعلوا سعدا والرباب في القلب ورئيسهم عبس بن طلق الطعان المعروف بابن كهمس وهو أحد بني صريم بن يربوع فجعل في القلب بحذاء الازد وجعل حارثة بن بدر في بني حنظلة بحذاء بكر بن وائل وجعلت عمرو بن تميم بحذاء القيس فذلك حيث يقول حارثة بن بدر للاحنف

سيكفيك عبس أخو كهمس ... مقارعة الازد بالمربد

وتكفيك عمرو وعلى رسلها ... لكيز بن أفصى وما عددوا

موسوما ولا ملوما ولا معذورا ولا فيك اختلاف ولا بك حاجة الى الائتلاف وليس مع العيان وحشة ولا مع الضرورة وحشة ولا دون اليقين وقفة وهل فيك ريب حتى تعالج بالحجة وهل يرد فضلك حاد حتى تثبت بالصبغة وهل لك خصم في العلم أو يد في الفهم أو مجاز في الحلم أو ضد في العزم وهل يبلغك الحسد أو تضرك العين أو تسمو اليك المنى أو يطمع فيك طاغ أو يتعاطى شأوك باغ وهل غاية الجميل الا وصفك وهل زين البليغ الا مدحك وهل يامل الشريف الا اصطناعك وهل يفيد الملهوف الا غياثك وهل للطلاب غاية سواك وهل للغواني مثل غرك وهل للمادح رجز الا فيك وهل يحدو الحادي الا بك ولولا أن يأخذ الواصف لك بنصيبه منك وبحصته

ونكفيك بكرا اذا أقبلت ● بضرب يشيب له الأمرد

فلما توافقوا بعث اليهم الاحنف يا معشر الازد ربيعة من أهل البصرة أنتم والله أحب الينا من تميم الكوفة وأنتم جيراننا في الدار ويدنا على العدو وأنتم بدأتمونا بالامس وطئتم حريمنا وحرقتم علينا فدفعنا عن أنفسنا ولا حاجة لنا في الشر ما أصبنا في الخير مسلكا فتيمموا بنا طريقة قاصدة فوجه اليه زياد بن عمرو تخيرخلة من ثلاث ان شئت فانزل أنت وقومك على حكمنا وان شئت نحمل لنا عن البصرة وارحل أنت وقومك الى حيث شئتم والا فدوا قتلانا واهدروا دماءكم وليود مسعود دية المشعرة قال أبو العباس وتأويل قوله دية المشعرة يريد أن الملوك في الجاهلية وكان الرجل اذا قتل وهو من أهل بيت المملكة ودي عشر ديات فبعث اليه الاحنف سختيار فانصرفوا في يومكم فهز القوم راياتهم وانصرفوا فلما كان الغد بعث اليهم انكم خيرتمونا خلالا ليس فيها خيار أما النزول على حكمكم فكيف يكون والحكم يقطر دما وأما ترك ديارنا فهو أخو القتل قال الله عز وجل ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل ولكن الثالثة انما هي حمل على المال فنحن نبطل دماءنا ونودي قتلاكم وانما مسعود رجل من المسلمين وقد أذهب الله أمر الجاهلية فاجتمع القوم على أن يقفوا أمر مسعود ويغمد السيف ويودي سائر القتلى من الازد ربيعة فتضمن ذلك الاحنف ودفع اياس بن قتادة الجاشعي رهينة حتى يؤدي هذا المال فرضي به القوم ففخر بذلك الفرزدق فقال

ومنا الذي أعطى بدية رهينة ● لغازي معد يوم ضرب الجماجم

عشية سال المربدان كلاهما ● عجاجة موت بالسيوف الصوارم

هنالك لو تبغي كليبا وجدتها ● أذل من القردان تحت المناسم

(قال أبو العباس وكان أبو العباس ربما رواه لغازي معد) ويقال ان تميما في ذلك الوقت مع باديتها وحلفائها من الاساورة والزط والسيابجة وغيرهم كانوا زهاء سبعين ألفا في ذلك يقول جرير

سائل ذوي يمن ورهط محرق ● والازد اذ ندبوا النا مسعودا

فاتاهم سبعون ألف مدجج ● مستلئمين يلامقا وحديدا

قال الاحنف بن قيس فكثرت على الديات فلم أجدها في حاضرة تميم فخرجت نحو يبرين فسألت عن

من الصدق وشيمته من الشكر لكان الاطناب عندهم في وصفه لغوا ولكان تكلفه فضلا ومن هذا الذي نصفه ان يكون دونه أو يرجى بالتسليم أو نعد اقراره احسانا وخضوعه انصافا وهل تقع الابصار الا عليه وهل تصرف الاشارة الا اليه وأي أمرك ليس بغاية وأي شئ منك ليس في النهاية وهل فيك شئ يفوق شيأ أو يفوقه شئ أو يقال لو لم يكن كذا لكان أو لو كان كذا لكان أنى وأين الحسن الخالص والجمال الفائق والملح المحض والحلاوة التي لا تستحيل والتمام الذي لا يحمل الافك أو عندك أولك أو معك لا بل أين الحسن المصمت والجمال المفرد والعقد العجيب والملح المنثور والفضل المشهور الا لك وفيك وهل على ظهرها جميل حسيب

المقصود هناك فأرشدت الى قبة فاذا شيخ جالس بفنائها مؤتزر بشملة مرتد ببرد محبر فسلمت عليه وانتسبت له فقال ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت توفي صلوات الله عليه قال فما فعل عمر بن الخطاب الذي كان يحفظ العرب ويحوطها فقلت له مات رحمه الله تعالى قال فاي خير في حاضرتكم بعدهما قال فذكرت له الديات التي لزمتنا للازديين بيعة قال فقال لي أقم فاذا راع قد أراح ألف بعير فقال خذها ثم أراح عليه آخر مثلها فقال خذها فقلت لا أحتاج اليها قال فانصرفت بالالف عنه ووالله ما أدري من هو الى الساعة قوله المناسم واحدها منسم وهو ظفر البعير في مقدم الخف وهو من البعير كالسنبك من الفرس وقوله عشية سال المربدان كلاهما يريد المربد وما يليه مما جرى مجراه والعرب تفعل هذا في الشيئين اذا جريا في باب مجرى واحدا قال الفرزدق

أخذنا بآفاق السماء عليكم ٭ لنا قمراها والنجوم الطوالع

يريد الشمس والقمر لانهما قد اجتمعا في قولك القمران وغلب الاسم المذكر وانما يؤنث في مثل هذا الخفة وقالوا العمران لابي بكر وعمر فان قال قائل انما هو عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز فلم يصب لان أهل الجمل نادوا بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أعطنا سنة العمرين فان قال قائل فلم لم يقولوا أبوي بكر وأبو بكر أفضلهما فلان عمر اسم مفرد وانما طلبوا الخفة وأنشدني التوزي عن أبي عبيدة لجرير

وما التغلب ابن عد وا مساعيهم ٭ نجم يضيء ولا شمس ولا قمر

ما كان يرضى رسول الله فعلهم ٭ والعمران أبو بكر ولا عمر

هكذا أنشدنيه (انما قال هكذا أنشدنيه لان غير التوزي يرويه والطيبان أبو بكر ولا عمر) وقال آخر (هو حميد الارقط) ٭ قدني من نصر الخبيبين قدي ٭ يريد عبد الله ومصعبا ابني الزبير وانما أبو خبيب عبد الله وقرأ بعض القراء سلام على الياسين فجمعهم على لفظ الياس ومن ذا قول العرب المسامعة والمهالبة والمنادرة فجمعهم على اسم الاب والمشعرة اسم لقتلى الملوك خاصة كانوا يكبرون أن يقولوا قتل فلان فيقولون أشعر فلان من اشعار البدن ويروى أن رجلا قال حضرت الموقف مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه فصاح به صائح يا خليفة رسول الله ثم قال يا أمير المؤمنين فقال رجل من خلفي دعاه باسم ميت مات والله أمير المؤمنين فالتفت فاذا رجل من بني لهب وهم من بني نصر بن الازد وهم أزجر قوم قال كثير

وعالم أديب الا وظلت
أكبر من فضله وظنك
أكثر من علمه واسمك
أفضل من معناه وحلمك
أثبت من نجواه ولربما
رأيت الرجل حسنا جميلا
وحلوا مليحا وعتيقا
رشيقا وفيما نبيلا ثم لا
يكون موزون الاعضاء
ولا معتدل الأجزاء وقد
تكون أيضا الاقدار
متساوية غير متقاربة
ويكون قصدا ومقدارا
عدلا وان كانت هناك
دقائق خفية لا يراها الغبي
ولطائف غامضة لا يعرفها
الا الذكي فاما الوزن المتحقق
والتعديل الصحيح
والتركيب الذي لا يفضحه
التفرس ولا يحصره
التغيب ولا يتعلل جاذبه
ولا تطمعه في التمويه غايته
فهو الذي خصصت به
دون الأنام ودام لك على
الأيام وكذا الحسن اذا
كان حرا مرسلا وعتيقا
مطلقا لا يتحكم عليه

سألت أخا لهب ليزجر زجرة • وقد صار زجر العالمين الى لهب

قال فلما وقفنا رمى الجمار اذا حصاة قد صكت صلعة عمر فادمته فقال قائل أشعر والله أمير المؤمنين لا يقف هذا الموقف أبدا فالتفت فاذا بذلك اللهبي بعينه فقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل الحول

(باب)

قال أبو العباس أنشدني رجل من أصحابنا من بني سعد قال أنشدني اعرابي في قصيدة ذي الرمة

ألا يا اسلمي يا دار مي على البلى • ولا زال منهلا بجرعائك القطر

بيتين لم تأت بهما الرواة وهما

رأيت غرابا ساقطا فوق قضبة • من القضب لم ينبت لها ورق نضر

فقلت غراب لاغتراب وقضبه • لقضب النوى هذي العيافة والزجر

وقال آخر (قال أبو الحسن هو بحذر العكلي وكان لصا)

وقد ماء هاجني فازددت شوقا • بكاء حمامتين تجاوبان

(وقد ماعن أبي الحسن) تجاوبتا بلحن أعجمي • على عودين من غرب وبان

فكان البان أن بانت سليمى • وفي الغرب اغتراب غربتان

وأنشدني أبو محلم لرجل من ولد طلبة بن قيس بن عاصم

وكنت اذا خاصمت خصما كببته • على الوجه حتى خاصمتني الدراهم

فلما تنازعنا الخصومة غلبت • علي وقالوا قم فانك ظالم

وقرأت على أبي الفضل العباس بن الفرج الرياشي عن أبي زيد الانصاري

ولقد بغيت المال من مبغاته • والمال وجه للفتى معروض

طلب الغنى عن صاحبي ليصيبني • ان الفقير الى الغنى بغيض

وقال آخر أنشدنيه التوزي عن أبي زيد

وصاحب نهته لينهضا • اذا الكرى في عينه تمضمضا

فقام عجلان وما تأرضا • يمسح بالكفين وجها أبيضا

الذهن ولا يديله الزمان ولا يحتاج الى تعليق التمائم ولا الى الصون والكن ولا الى المنقاش والكحل ولو لم يكن لحسن وجهك الا انه قد سهل في العيون تسهيلا وحبب الى القلوب تحبيبا وقرب الى النفوس تقريبا حتى امتزج بالارواح وخالط الدماء وجرى في العروق وتمشى في العظم بحيث لا يبلغه السمر ولا الوهم ولا السرور الشديد ولا الشراب الرقيق لكان له في ذلك المزية الظاهرة والفضيلة البينة ولو لم يكن لك الا اننا لا نستطيع ان نقول في الجملة وعند الوصف والمدحة هو أحسن من القمر وأضوأ من الشمس وأبهى من الغيث وأحسن من يوم الحليمة واننا لا نستطيع ان نقول في التفاريق كان عنقه ابريق فضة وكان قدمه لسان حية وكان وجهه ماوية

قوله وما تأرضا أى لم يلزم الارض وأنشدنى التوزى عن أبى زيد الانصارى (قال أبو الحسن هو شبيب ابن البرصاء)

لقد علمت أم الصبيين أننى ٭ الى الضيف قوام السنات خروج

اذا المرغث العوجاء بات يعزها ٭ على ضرعها ذو تومتين لهوج

وانى لأغلى اللحم نيا وانني ٭ لمن هين اللحم وهو نضيج

قوله قوام السنات يريد سريع الانتباه والسنة شدة النعاس وليس بالنوم بعينه قال الله عز وجل لا تأخذه سنة ولا نوم وقال ابن الرقاع العاملى

لولا الحياء وان رأسى قد عسا ٭ فيه المشيب لزرت أم القاسم

وكانها بين النساء أعارها ٭ عينيه أحور من جآذر عاسم

وسنان أقصده النعاس فرنقت ٭ فى عينه سنة وليس بنائم

معنى رنقت تهيأت يقال رنق النسر اذا مد جناحيه ليطير قال ذو الرمة

(اذا ضربته الريح رنق فوقنا) ٭ على حد قوسينا كما رنق النسر

وقوله المرغث يعنى التى ترضع ترغث ولدها ويقال لها رغوث قال طرفة

ليت لنا مكان الملك عمرو ٭ رغوثا حول قبتنا تخور

وقوله يعزها أى يغلبها وقال الله عز وجل وعزنى فى الخطاب يقول غلبنى فى المخاطبة وأصله من قوله كان أعز منى فيها ومن أمثال العرب من عز بز وتأويله من غلب استلب وقال زهير

٭ وعز نيداه وكاهله ٭ يقول كان ذلك أعز ما فيه ويقال لهج الفصيل فهو لهوج اذا لزم الضرع ويقال رجل ملهج اذا لهجت فصاله فيتخذ خلالا فيشده على الضرع أو على أنف الفصيل فاذا جاء ليرضع أوجعها بالخلال فضرحته عنها برجلها قال الشماخ يصف الحمار

رعى بارض الوشمى حتى كأنما ٭ يرى بسفا البهمى أخلة ملهج

البارض أول ما ينبت والبهمى يشبه السنبل يقول فهو لما اعتاده هذا المرعى الدثن استنشن البهمى وسفاها شوكها فيقول كأنه مخلول عن البهمى أى يراها كالأخلة وقوله ذو تومتين فالتومة فى الأصل الحبة ولكنها فى هذا الموضع التى تعلق فى الاذن (وقوله الحبة انما معناه من حبات النظم) وكالبيت الاخير قوله

وكان بطنه قنطية وكان ساقه بردية وكان لسانه ورقة وكان أنفه حد سيف وكان حاجبه خط قلم وكان لونه الذهب وكان عوارضه البرد وكان فاه خاتم وكان جبينه هلال ولهو أطهر من الماء وأرق طباعا من الهواء ولهو أمضى من السيل وأهدى من النجم لكان فى ذلك البرهان النير والدليل البين وكيف لا تكون كذلك وأنت الغاية فى كل فضل والمثل فى كل شكل

واما قول الشاعر

يزيدك وجهه حسنا
اذا ما زدته نظرا

وقول الدمشقيين ما تأملنا قط تأليف مسجدنا وتركيب محرابنا وقبة مصلانا الا أثار لنا التأمل واستخرج لنا التغرس بين غرائب حسن لم نعرفها وعجائب صنعة لم نقف عليها وما ندرى أجواهر مقطعاته أكرم فى الجواهر أم قنضيد

وانى لأغلى لحمها وهى حيّة • ويرخص عندى لحمها حين تذبح

بذا فاندبينى وامدحينى فانّنى • فتى تعترية هزّة حين يمدح

أجزائه فى تنضيد الأجزاء فان ذلك معنى مسروق منى فى وصفه وما أخوذ من كتبى فى مدحه والجملة التى تنفى الجدال وتقطع القيل والقال انى لم أرك قط الا ذكرت الجنة ولا رأيت أجمل الناس فى عقب رؤيتك الا ذكرت النار ولا تعجب أيها السامع واعلم انى مقصر واذا رأيته علمت انى فيما يجب له مفرط هو رجل طينته حرة وعرقه كريم ومغرسه طيب ومنشؤه محمود نشأ فى النعمة وعاش فى الغبطة وأرهفه التأديب ولطفه طول التفكير وخامره الأدب وجرى فيه ماء الحياء فافعاله كأخلاقه وأخلاقه كأعراقه وعادته كطبيعته وآخره كأوله فحكى اختيارا نه التوفيق ومذاهبه التسديد لا يعرف التكلف ويرغب عن التعمد وينبل عن

(باب)

قيل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى أىّ الجهاد أفضل فقال جهادك هواك وقال رجل من الحكماء اعص النساء وهواك واصنع ماشئت وقال محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم مالك من عيشك الا لذة تزدلف بك الى حمامك وتقربك من يومك فأية أكلة ليس معها غصص أو شربة ليس معها شرق فتأمل أمرك فكأنك قد ضربت الحبيب المفقود والخيال المختزم أهل الدنيا أهل سفر لا يحلون عقد رحالهم الا فى غيرها قوله تزدلف بك الى حمامك يقول تقربك ولذلك سميت المزدلفة وقوله عز وجل وزلفا من الليل انما هى ساعات يقرب بعضها من بعض قال العجاج

ناج طواه الأين مما وجفا • طىّ الليالى زلفا فزلفا • سماوة الهلال حتى احقوقفا

ناج سريع والأين الاعياء والوجيف ضرب من السير ونصب طىّ الليالى لانه مصدر من قوله طواه الأين وليس بهذا الفعل ولكن تقديره طواه الأين طيّا مثل طىّ الليالى كما تقول زيد يشرب شرب الابل انما التقدير يشرب شربا مثل شرب الابل فمثل نعت ولكن اذا حذفت المضاف استغنى بان الظاهر يبينه وقام ما أضيف اليه مقامه فى الاعراب من ذلك قول الله تبارك وتعالى واسئل القرية نصب لانه كان واسئل أهل القرية وتقول بنو فلان يطؤهم الطريق تريد أهل الطريق فحذفت أهل فرفعت الطريق لانه فى موضع مرفوع فعلى هذا فقس ان شاء الله وقوله سماوة الهلال انما هو أعلاه ونصب سماوة بطى يريد طواه الأين كما طوت الليالى سماوة الهلال والشاهد على انه يريد أعلاه قول طفيل

سماوته اسمال برد محبّر • وسائره من أتحمى مشرعب

ويروى معصّب وانما سماوته عن قولك سماء فاعلم فاذا وقع الاعراب على الهاء أظهرت ما تبنيه على التأنيث على أصله فان كان من الياء أظهرت الياء وان كان من الواو أظهرت فيه الواو تقول

شقاوة لانها من الشقوة وتقول هذه امرأة سقاية اذا أردت البناء على غير تذكير فان بنيته على التذكير قلبت الياء والواو همزتين لان الاعراب عليهما يقع فقلت سقاء وغزاء يا فتى فان أنثت قلت سقاءة وغزاءة والاجود فيما كان له تذكير الهمز وفيما لم يكن له تذكير الاظهار وانما السماء من الواو لان الاصل سماية يسمو اذا ارتفع وسماء كل شئ سقفه وقوله حتى احقوقفا يريد اعوجاجا وانما هو افعوعل من الحقف والحقف التقاء من الرمل يعوج ويدق قال الله عز وجل اذ أنذر قومه بالاحقاف أي بموضع هو هكذا وقال رجل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو في خطبة يا أمير المؤمنين صف لنا الدنيا فقال ما أصف من دار أولها عناء وآخرها فناء في حلالها حساب وفي حرامها عقاب من صح فيها أمن ومن مرض فيها ندم ومن استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن وقال الربيع بن زياد الحارثي كنت عاملا لابي موسى الاشعري على البحرين فكتب اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمره بالقدوم عليه هو وعماله وأن يستخلفوا جميعا قال فلما قدمنا أتيت يرفأ فقلت يا يرفأ مسترشد وابن سبيل أي الهيآت أحب الى أمير المؤمنين أن يرى فيها عماله فأومأ الي بالخشونة فاتخذت خفين مطارقين ولبست جبة صوف ولثت عمامتي على رأسي فدخلنا على عمر فصففنا بين يديه فصعد فينا وصوب فلم تأخذ عينه أحدا غيري فدعاني فقال من أنت قلت الربيع بن زياد الحارثي قال وما تتولى من أعمالنا قلت البحرين قال كم ترتزق قلت ألفا قال كثير فما تصنع به قلت أتقوت منه شيأ وأعود به على أقارب لي فما فضل عنهم فعلى فقراء المسلمين قال فلا بأس ارجع الى موضعك فرجعت الى موضعي من الصف فصعد فينا وصوب فلم تقع عينه الا علي فدعاني فقال كم سنك قلت خمس وأربعون سنة قال الآن حين استحكمت ثم دعا بالطعام وأصحابي حديث عهدهم بلين العيش وقد تجوعت له فأتي بخبز وأكسار بعير فجعل أصحابي يعافون ذلك وجعلت آكل فأجيد فجعلت أنظر اليه يلحظني من بينهم ثم سبقت مني كلمة تمنيت اني مت في الارض فقلت يا أمير المؤمنين ان الناس يحتاجون الى صلاحك فلو عمدت الى ألين من هذا فزجرني ثم قال كيف قلت فقلت أقول يا أمير المؤمنين أن تنظر الى قوتك من الطحين فيخبز لك قبل اراد تك اياه بيوم ويطبخ لك اللحم كذلك فتؤتى بالخبز ليناً واللحم غريضا فسكن من غربه وقال أهو ما غرت قلت نعم فقال يا ربيع انا لونشاء ملأنا هذه الرحاب من صلائق

الانصاف لا تمتنع عليه معرفة المبهم ولا ينجح باستبانته المشكل ولا يعرف الشد الا في غيره ولا الى الاسماء فمن يطمع في عيندك بل من يطمع في قدرك وكيف وقد أصبحت وما على ظهرها جواد الا تعثر باسمك ولا قينة الا وهي تبغي تمدحك ولا فتاة الا تشكو تباريح حبك ولا محجوبة الا وهي تثقب الخروق لمرك ولا عجوز الا وهي تدعوك ولا غيور الا وقد شفي بك فكم من كبد حرى منفحة ومصدوعة ومعذبة وكم حشا خافق وقلب هائم وكم عين ساهرة وأخرى جامدة وأخرى باكية وكم عبرى مولهة وفتاة معذبة قد أفرح قلبها الحزن وأجمد عينها الكمد واستبدلت بالحلى العطلة وبالانس الوحشة وبالتكحيل المرة فاصبحت

وسبائك وصناب ولكني رأيت الله عز وجل نعى على قوم شهواتهم فقال أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا ثم أمر أبا موسى باقراري وان يستبدل بأصحابي قوله فلثنها على رأسي يقول أدرت بعضها على بعض على غير استواء يقال رجل ألوث اذا كان شديدا وذلك من اللوث ورجل ألوث اذا كان أهوج وهو مأخوذ من اللونة وحدثني عبد الصمد بن المعذل قال سئل الأصمعي عن المجنون المسمى قيس بن معاذ فشبهته وقال لم يكن مجنونا ولكن كانت به لونة كلونة أبي حية الشاعر وقيل للأشعث بن قيس بن معديكرب الكندي يم كنتم تعرفون السودد في الصبي منكم قال اذا كان ملوت الأزرة طويل الغرلة سائل الغرة كان به لونة فلستا نشك في سودده وقوله تؤتى باللحم غريضا يقول طريا يقال لحم غريض وشواء غريض يراد به الطراء قال الغساني (هو السموءل)

اذا ما أتانى لحم غريض ضربت ذراع بكرى فاشتويت

وقوله صلائق فعناه ما عمل بالنار طبخا وشيا يقال صلقت الجنب اذا شويته وصلقت اللحم اذا طبخته على وجهه وقوله سبائك يريد ما يسبك من الدقيق فيؤخذ خالصه يريد الحواري وكانت العرب تسمي الرقاق السبائك وأصله ما ذكرنا والصناب صباغ يتخذ من الخردل والزبيب ومن ذلك قيل للفرس صنابي اذا كان في ذلك اللون وكان جرير اشترى جارية من رجل يقال له زيد من أهل اليمامة فغيرت جريرا وجعلت تحن الى زيد فقال جرير

تكلفني معيشة آل زيد ومن لي بالمرقق والصناب
وقالت لا تضم كضم زيد وماضمي وليس معي شبابي

فقال الفرزدق يجيبه

فان تفرك علجة آل زيد ويعوزك المرقق والصناب
فقدما كان عيش أبيك مرا يعيش بما تعيش به الكلاب

وأما قوله أكسار بعير فان الكسر والجذل والوصل العظم ينفصل بما عليه من اللحم وأما قوله نعى على قوم فعناه انه عابهم بها ووبخهم قال أبو عبيدة اجتمع العكاظيون على ان فرسان العرب ثلاثة ففارس تميم عتيبة بن الحرث بن شهاب أحد بني ثعلبة بن يربوع بن حنظلة صياد الفوارس وسم الفرسان وفارس قيس عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب وفارس ربيعة بسطام ابن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد أحد بني شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن

والهة مبثوثة وهائمة مجهودة بعد طرف ناصع وسن ضاحك وبعد أن كانت نارا تتوقد وشعلة تتوهج وليس حسنك أبقاك الله الحسن الذي تبقى معه توبة أو تصح معه عقيدة أو يدوم معه عهد أو يثبت معه عزم أو يهمل صاحبه للتثبت أو يتسع للخير أو ينهيه زجر أو يقيده خوف هو أبقاك الله شئ ينقص العادة ويفسخ المنة ويجعل عن الروية ويطوح بالعرا وتنسى معه العواقب ولو أدرك عمر ابن الخطاب لصنع بك أحسن مما صنع بنصر بن حجاج ولركبك باعظم مما ركب جعدة السلمي بل لدعاه الشغل بك الى ترك التشاغل بهما والغيظ عليك الى الرحمة لهما فمن كان عيب حسنه الافراط عليه من جهة الزيادة كيف برومه عاقل

وائل قال ثم اختلفوا فيهم حتى نعوا عليهم سقطاتهم وأما قوله أهنا غرت يقول ذهبت يقال غار الرجل اذا أتى الغور وناحيته مما انخفض من الارض وأنجد اذا أتى نجدا وناحيته مما ارتفع فى الارض ولا يقال أغار انما يقال غار وأنجد وبيت الاعشى ينشد على هذا

نبئ يرى مالا ترون وذكره ٭ لعمرى غار فى البلاد وأنجدا

وقوله سكن من غربه يقول من حدته وكذلك يقول فى كل شئ فى السيف والسهم والرجل وغير ذلك وقوله حفين مطارقين تأويله مطبقين يقال طارقت نعلى اذا أطبقتها ومن قال طرقت أو أطرقت فقد أخطأ ويقال لكل ماضوعف قد طورق قال ذو الرمة (يصف سقرا)

طراق الخوافى واقع فوق ريعة ٭ ندى ليله فى ريشه يترقرق

قوله ريعة موضع ارتفاع قال الله عز وجل أتبنون بكل ريع آية تعبثون وهو جمع ريعة وقال الشماخ

تعن له بمذنب كل واد ٭ اذا ما الغيث أخضل كل ريع

قال أبو العباس وحدثنى العباس بن الفرج الرياشى عن الأصمعى قال قال عدى بن الفضيل خرجت الى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز استحفزه بدرابا العذبة فقال لى وأين العذبة فقلت على ليلتين من البصرة فتأسف ألا يكون بمثل هذا الموضع ماء فأحفرنى واشترط على أن أول شارب ابن السبيل قال فحضرته فى جمعة وهو يخطب فسمعته وهو يقول يا أيها الناس انكم ميتون ثم انكم مبعوثون ثم انكم محاسبون فلعمرى لئن كنتم صادقين لقد قصرتم ولئن كنتم كاذبين لقد هلكتم أيها الناس انه من يقدر له رزق برأس جبل أو بحضيض أرض يأته فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب قال فأقمت عنده شهرا ما بى الا استماع كلامه قوله بحضيض يعنى المستقر من الارض اذا انحدر عن الجبل ولا يقال حضيض الا بحضرة جبل يقال حضيض الجبل ويطرح الجبل فيستغنى عنه لان هذا لا يكون الا له ومن ذلك قول امرئ القيس ٭ نظرت اليه قائما بالحضيض ٭ وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه يا ابن آدم لا تحمل هم يومك الذى لم يأت على يومك الذى أنت فيه فانه ان يعلم من أجلك يأت فيه رزقك واعلم انك لا تكسب من المال شيأ فوق قوتك الا كنت خازنا لغيرك فيه ويروى للنابغة (هذا من شعر أوس بن حجر مثبت فيه فى كلمة لم يعرفها الأصمعى)

ولست بخابئ أبدا طعاما ٭ حذار غد لكل غد طعام

أو ينتقصه عالم وماندرى فى أى الحالين أنت أجمل وفى أى المنزلتين أنت أكمل اذا فرقناك واذا جمعناك واذا ذكرناك كلك ام اذا تأملنا بعضك فاما كفك فهى التى لم تخلق الا للتقبيل والتوقيع وهى التى يحسن بحسنها كلما اتصل بها ويختال بها كل ماصار فيها كما أصبحنا وماندرى الكأس الذى فى يدك اجمل ام القلم ام الرمح الذى تحمله ام المخصرة ام العنان الذى تمسكه ام السوط الذى تعلقه وكما أصبحنا وما ندرى اى الأمور المتصلة برأسك احسن ام ايها اجمل واشكل الملة ام محط اللحية ام الاكليل ام العصابة ام العمامة ام القناع ام القلنسوة واما قدمك فهى التى يعلم الجاهل كما يعلم العالم ويعلم البعيد الاقصى كما يعلم القريب الادنى انها لم تخلق الا لمنبر

ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان آمنا فى سربه معافى فى بدنه عنده قوت يومه كان كمن حيزت له الدنيا بحذافيرها (كذا وقعت الرواية بفتح السين عن أبى العباس والصواب كسرها وانما السَّرْبُ بفتح السين المال الراعى) قوله صلى الله عليه وسلم فى سربه يقول فى مسلكه يقال فلان واسع السَّرْبِ وخلى السَّرْبِ يريد المسالك والمذاهب وانما هو مثل مضروب للصدر والقلب يقال خل سربه أى طريقه حتى يذهب حيث شاء ويقال ذلك للابل لانها تنسرب فى الطرقات ويقال سَرَبَ على الابل أى أرسلها شيأ بعد شئ فاذا قلت سِرْبٌ بكسر السين فانما هو قطيع من ظباء أو بقر أو شاء أو نساء أو قطا قال امرؤ القيس

فعن لنا سِرْبٌ كأن نعاجه ٭ عذارى دوار فى الملاء المذيل

دوار نسك ينسكون عندى فى الجاهلية ودوارا ما استدار من الرمل ودوار موضع باليمامة قال بعض اللصوص (واسمه جعدر)

كانت منازلنا التى كنا بها ٭ شتى فألف بيننا دوار

وقال عمر بن أبى ربيعة

فلم ترعينى مثل سرب رأيته ٭ خرجن علينا من زقاق ابن واقف

وكان الحسن يقول ليس العجب ممن عطب كيف عطب انما العجب ممن نجا كيف نجا وكان الحجاج ابن يوسف يقول على المنبر أيها الناس ادّعوا هذه الانفس فانها أسأل شئ اذا أعطيت وامنع شئ اذا سئلت فرحم الله امرأ جعل لنفسه خطاما وزماما فقادها بخطامها الى طاعة الله وعطفها بزمامها عن معصية الله فانى رأيت الصبر عن محارم الله أيسر من الصبر على عذابه قوله ادّعوا يقول امنعوا يقال قدعته عن كذا أى منعته عنه ومنه قول الشماخ

اذا ما استافهن ضربن منه ٭ مكان الرمح من أنف القدوع

قوله استافهن يعنى حمارا يستاف أتنا يقول يرمحنه اذا اشتممن والسوف الشم وقوله مكان الرمح من أنف القدوع يريد بالقدوع المقدوع وهذا من الاضداد يقال طريق ركوب اذا كان يركب ورجل ركوب للدواب اذا كان يركبها ويقال ناقة رغوث اذا كانت ترضع وحوار رغوث اذا كان يرضع ومثل هذا كثير يقال شاة حلوب اذا كانت تحلب ورجل حلوب اذا كان يحلب الشاة والقدوع ههنا البعير الذى يقدع وهو أن يريد الناقة الكريمة ولا يكون كريما فيضرب أنفه بالرمح حتى يرجع يقال قدعته وقدعت أنفه ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما

عظيم اوركاب طرف كريم
واما قولك فهو الذى
لاندرى اى الذى تنفوه
به احسن واى الذى تبدأ
به اجمل الحديث ام الشعر
ام الاحتجاج ام الامر
والنهى ام التعليم والوصف
وعلى اننا لاندرى اى
السنتك ابلغ واى بيانك
اشفى اقلمك ابلغ ام لفظك
ام اشارتك ام عقدك
وانت فى ذلك فوقهم والحمد
لله وواحدهم واعيذك
بالله تعالى وقد علمتنا ان
القمر وهو الذى تضرب
به الامثال ويشبه به
اهل الجمال يبدو مع ذلك
ضئيلا ويظهر معوجا
شعبا وانت أبدا قمر بدر
ونجم زهر ثم مع ذلك يحترق
فى السرار ويقشاهم به فى
المحاق ويكون نحسا كما
يكون سعدا ويكون ضرا
كما يكون نفعا ويقرض
الكتان ويشعب الالوان
ويخترفيه اللحم وانت
دائم اليمن ظاهر السعادة

خطب خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ذكر ذلك لورقة بن نوفل فقال محمد بن عبد الله يخطب خديجة بنت خويلد الفضل لا يقدع أنفه وكان الحجاج يقول ان امرأ أتت عليه ساعة من عمره لم يذكر فيها ربه أو يستغفر من ذنبه أو يفكر في معاده لجدير أن تطول حسرته يوم

القيامة

(باب)

قال أبو العباس أنشدني عمارة بن عقيل لنفسه يحض بني كعب وبني كلاب ابني ربيعة بن عامر ابن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن على بني نمير بن عامر بن صعصعة وبينهم مطالبات وترات وكانت بنو نمير أعداء عمارة فكان يحض عليهم السلطان ويغري بهم اخوتهم ويحاربهم في عشيرته فقال

رأيناكما يا ابني ربيعة خرتما ... لعض الحروب والعديد كثير

وصدقتما قول الفرزدق فيكما ... وكذبتما ما كان قال جرير

أصابت نمير منكم فوق قدرها ... فكل نمير بذاك أمير

فان تفخروا بما مضى من قديمكم ... فقد هدمت مدائن وقصور

ومنها مجانيق العدو فقوضت ... مدائن منها كالجبال وسور

وشيدها الأملاك كسرى وهرمز ... وآل هرقل حقبة ونصير

فان تعمروا المجد القديم فلم يزل ... لكم في مضرات الحروب ضرير

خبطتم ليوث الشام حتى تناذرت ... حماكم وحتى لا يرى عقور

فكيف بأكناف الشريف تصيبكم ... ثعالب يحشن الحصى وأبور

قوله فقد هدمت مدائن وقصور مثل يريد أن مجدكم الذي بناه آباؤكم متى لم تعمروه بافعالكم خرب وذهب وهذا كما قال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب

لسنا وان كرمت أوائلنا ... يوما على الاحساب نتكل

نبني كما كانت أوائلنا ... ونفعل مثل ما فعلوا

وكما قال الآخر

ألهى بني جشم عن كل مكرمة ... قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

نفاخرون بها منذ كان أولهم ... يا للرجال لفخر غير مسؤوم

ثابت الكمال شائع النفع تكسو من أعراه وتكن من شعبه وعلى انه محق حسنه المحاق وشانه الكلف وليس بذي توقد واشتعال ولا خالص ولا متلالئ ويعلوه برد ويكسفه ظل ثم لا يعتبر ذلك الا عند كماله وليلة فخره واحتفاله وكثيرا ما يعتريه الصغار من بخار البصار وأنت ظاهر التمام دائم الكمال سليم الجوهر كريم العنصر نارى التوقد هوائى الدهر برى اللون روحانى البدن وان احتجوا عليك له بالجزر والمد احتججت عليهم بالحلم والعلم وبان طاعتك اختيار وطاعته طبع واضطرار وبان له سيرة قد قصر عليها ومنازل لا يجاوزها ولا يمكنه البدار وليس في قوله فضل للتعرف على ان ضياءه مستعار من الشمس وضياؤك عارية عند جميع الخلق وكم بين

انَّ القَـديم اذا ما ضاعَ آخرُ • كساعِـدَيْهِ الايامُ مَحْطومِ

وكما قال عامر بن الطُّفَيل العامِرِيّ

انّي وانْ كنتُ ابنَ فارِسِ عامِرٍ • وفي السِّرِ منها والصَّريحِ المُهَذَّبِ
فما سَوَّدَتْني عامِرٌ عن وِراثَةٍ • أبى اللهُ أنْ أسْمو بأمٍّ ولا أبِ
ولكنَّني أحمي حِماها وأتَّقي • أذاها وأرمي مَنْ رماها بمِقْنَبِ

(قال أبو الحسن أنشدني هذه الابيات محمد بن الحسن المعروف بابن الحَرُون ويكنى أبا عبد الله لعامر بن الطفيل العامِرِيّ قال أبو الحسن قال الاصمعي وكان عامر بن الطفيل يُلَقَّبُ مُخَبِّرَ الحُسْنِ

شعره وأولها

تقولُ ابنةُ العَمْرِيِّ مالَكَ بعدَما • أراكَ صحيحاً كالسَّليمِ المُعَذَّبِ
فقلتُ لها هَمّي الذي تعلَمينَهُ • من الثأرِ في حَيَّيْ زُبَيْدٍ وأرْحَبِ
انِ اغزُ زُبَيْداً أغزُ قوماً أعزَّةً • مَراكِبُهُمْ في الحَيِّ خيرُ مَراكِبِ
وانْ أغزُ حَيَّيْ خَثْعَمٍ فدِماؤُهُمْ • شِفاءٌ وخيرُ الثأرِ للمُتأوِّبِ
فما أدرَكَ الأوتارَ مِثْلُ مُحَقِّقٍ • بأجْرَدَ طاوٍ كالعَسيبِ المُشَذَّبِ
وأسْمَرَ خَطِّيٍّ وأبْيَضَ باتِرٍ • وزَغْفٍ دِلاصٍ كالغَديرِ المُثَوَّبِ
سلاحُ امْرِئٍ قد يَعْلَمُ الناسُ أنَّهُ • طَلوبٌ لِثأراتِ الرِّجالِ مُطَلَّبِ

ثم نأتي بانشاد أبي العباس على وجهه الا انه رَوَى مَنْ رماها بمَنْكِبِ السليم الملدوغ وقيل له سليم تَفَؤُّلاً له بالسلامة وزُبَيْدٌ وأرْحَبُ حَيَّانِ من اليمن والثأر ما يكون لك عند من أصاب حميمك من الترة ومن قال ثار فقد أخطأ والمتأوب الذي يأتيك لطلب ثأره عندك يقال آب يَؤُوبُ اذا رَجَعَ والتأويبُ في غير هذا السير في النهار بلا توقُّف والاوتار الاحقاد واحدها وِتْرٌ وحِقْدٌ والأجْرَدُ الفرس المُقْصِرُ الشَّعرِ والاجرد الضامر أيضا والعسيب السَّعَفَةُ والمُشَذَّبُ الطويل الذي قد أُخِذَ ما عليه من الخُوصِ والسَّلاءِ والخُوص ومنه قيل للطويل المُعَرَّقِ مُشَذَّبٌ وخَطِّيٌّ رمح منسوب الى الخَطِّ وهي جزيرة بالبَحْرَيْنِ يقال انها تُنْبِتُ عَصَى الرماح قال الأصمعي ليست برماح ولكن سفينة كانت وقعت اليها فيها رماحٌ وأُرِفَتْ بها في بعض السنين المتقدمة فقيل لتلك الرماح الخَطِّيَّةُ ثم عَمَّ كلَّ رمحٍ هذا النَّسَبُ الى اليوم والزغف الدرع الرقيقة النسج والمثوب الذي تُضَعِّفُهُ

المعبر والمستعبر والمتبين والمتصبر وبين العالم ومالا خير فيه بعيره نسيم الهوى طيبا وتراب الارض عبقا ان هبت فللرشاقة والملح وان تمكنت فالرهبانية والاخلاص وان ترزنت فتهللان ذو الهضبان ما يتخلخل وطباعك جعلت فداك طباع الخمر الا انك حلال كلك وجوهرك جوهر الذهب الا انك روح كأنت وقد حويت خصال الياقوت الا ما زادك الله وأخذت خصال المشترى الا ما فضلك الله به وجمعت خلال الدر الا ما خصصت به دونه فلك من كل شئ صفوته وشرفه ولبابه وبهاؤه وهل يغير الفهد نباح الكلب وهل يزعزع النخلة سقوط البعوضة فاما القول في المزاح فقد بقي أكثره ومضى أقله وقد ذهب الناس في المزاح في مذاهب متضادة وسلكوا

الرياح فيذهب ويجيء وهو من ثاب يثوب اذا رجع وانما سمّي الغدير غديراً لان السيل غادره أي تركه) قال أبو العباس وقوله لكم في مُضرّات الحروب ضرير يقال رجل ذو ضرير اذا كان ذا مشقة على العدو وقال مُهلهل بن ربيعة التغلبي

قتيلٌ ما قتيلُ المرءِ عمرٍو ... وهمّامُ بنُ مُرّةَ ذو ضريرِ

(ما زائدة وفيه معنى التعظيم) وقوله خبطهم ليوث الشام يريد ما كان من نصر بن شبث العُقيلي وهو عُقيل بن كعب بن ربيعة وقوله وأبور جمع وبَر واذا انضمت الواو من غير علة فهمزها جائز وقد ذكرنا ذلك قبل وقال عمارة أيضا لهم أنشدنيه

ألا لله درُّ الحيِّ كعبٍ ... ذوي العددِ المُضاعفِ والخُيول

أما فيهم كريمٌ مثلُ نصرٍ ... يُورِّعُ عنهمُ سننَ الفُحول

تَنوّخهم غُبيرَ كلِّ يومٍ ... كفعلِ أخي العَزازةِ بالذَّليل

وأيسوا مثلَ عُشيرِهمُ ولكن ... يَضيعُ القومُ من قِبَلِ العُقول

فأين فوارسُ السَّلَماتِ عنهم ... وجَعْدةُ والحَريشُ ذوو الفُضول

وأين عُبادةُ الخَشْناءُ عنهم ... اذا ما ضاقَ مُطّلَعُ السبيل

قوله الا لله درّ الحي كعب يريد كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفة بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر وقوله أما فيهم كريم مثل نَصْر يعني نصر ابن شَبَث أحد بني عُقَيل بن كَعْب بن رَبيعة وقوله يورع عنهم سنن الفحول هو مَثَلٌ ضَرَبَه لفعلهم لامساكهم عن الحرب بمنزلة النُّوق التي يَقْرَعُها الفَحْل ويُورِّع يَكُفّ ويَمْنَع ويَدْفَع والوَرَع في الدين انما هو الكَفّ عن أخذ الحرام وجاء في الحديث لا تَنْظروا الى صومه ولا الى صلاته ولكن انظروا الى وَرَعه اذا أشتَهى ومعناه اذا أشرف على الدينار والدرهم والسَّنَن القَصْدُ ثم أبان ذلك بقوله تَنوّخهم غُبيرَ كلِّ يوم يقال سانَّ الفَحْلُ الناقةَ فتَنوّخها وذلك اذا ركبها من غير أن تُوطّأ له ولكن يَعْتَرِضُها اعتراضا وتقول العرب ان ذلك أكرم النِّتاج وذلك لان الولد يخرج صَلِيباً مُذَكّرا ويقال لذلك الحَمْل الذي يقع من التَّنوُّخ والاعتراض بَعارَةٌ وعِراضٌ يقال حَمَلَتْه عراضا وحملته بَعارَةً يا فتى قال الراعي

قَلائصَ لا يُلْقَحْنَ الا بَعارَةً ... عِراضاً ولا يُشْرِبْنَ الا عَوالِيا

فيه في طرق مختلفة فزعم بعضهم ان جميع المزاح خير من جميع الجد وزعم آخرون ان الخير والشر عليهما مقسومان وان الحمد والذم بينهما نصفان وسنأتي على جمل هذه الاقاويل ثم نذكر جملة ما نقول ان شاء تعالى فاما الجاحظ عن الهزل والمفضل للمزح فانه قال أول ما أذكر من خصال الهزل ومن فضائل المزح انه دليل على حسن الحال وفراغ البال وان الجد لا يكون الا من فضل الحاجة والمزح لا يكون الا من فضل الغنى وان النصب جد والمزاح جام والجد مبغضة والمزح محبة وصاحب الجد في بلاء ما كان فيه وصاحب المزح في رخاء الى أن يخرج منه والجد مؤلم وربما عرض لأشد منه والمزح مله وربما عرض لا لذ منه فقد شاركه في

وقال الطرماح

سوف تُدْنيكَ من لَمِيسٍ سَبَنْدا ... ةٌ أمارَتْ بالبول ماءَ الكراض

نَفَّحَتْهُ عشرين يوماً ونيلَتْ ... حين نيلت بعارةً في عراض

قوله سَبَنْداةٌ فهي الجَرِيئةُ الصَدْر يقال للجَرِي الصدر سَبَنْتَاةٌ وسَبَنْداةٌ وأصل ذلك في النمر وزعم الأصمعيُّ ان الكراضَ خَلْقُ الرَحِم قال ولم أسمعه الا في هذا الشعر وقوله نَفَّحَتْهُ عشرين يوما انما هو ان تزيد بعد الحول من حيث حَمَلَتْ أياما نحو الذي عَدَّ فلا يخرج الولد الا مُحْكَماً قال الحُطَيْئةُ

لآدماءَ منها كالسَّفينة نَفَّحَتْ ... به الحَوْلَ حتى زاد شهراً عديدُها

والعَزازةُ العِزُّ والمصادر تقع على فَعالة للمبالغة يقال عَزَّ عِزّاً وعزازةً كما يقال الشَراسة والصَرامة قال الله تعالى قال يا قوم ليس بي سَفاهةٌ وفي موضع آخر ليس بي ضَلالةٌ وقوله فأين فوارس السَلَمات يريد بني سَلَمَةَ الخير وبني سَلَمَةَ الشر ابني قُشَيْر بن كعب وجمع لانه يريد الحيَّ أجمع كما تقول المَهالبةُ والمَسامعةُ فتجمعهم على اسم الأب على المُهَلَّب ومِسْمَع وكذلك المَنازرةُ وقد مرت الحجة في هذا وجَعْدةُ بنُ كَعْب والحَرِيشُ بن كعب وبنو عُبادة بن بني عُقَيْل بن كَعْب وقال الخَشْناء يريد القبيلة وذكرها بالخشونة على الأعداء ويروى ان معاوية بن أبي سُفيان رحمه الله تعالى قال لعُقَيل بن حَنْظَلَةَ النَسّابة ما تقول في بني عامر بن صَعْصَعة فقال أعناق ظِباء وأعجاز نساء قال فما تقول في بني تميم قال جَمْرٌ أخشَنُ ان صادمتَه آذاكَ وان تركتَه تركاكَ قال فما تقول في اليَمَن قال سَيِّدٌ وأنوكُ قال أبو العباس وأنشد في عُمارةَ لنفسه وسبب هذا الشعر الذي نذكره ان رجلا من بني تميم يُكْنَى أبا سَعْد كان منقطعا الى أبي نصر بن حُمَيْد الطائي ثم أحد بني نَبْهان وكان أبو نصر والياً على العرب وكتب أبو سعد الى عُمارة يأمره أن يَضَع يده في يد أبي نصر فقال عُمارة

دعاني أبو سَعْد وأهدى نَصيحةً ... الى ومِمَّا أن تُغَرَّ النَصائحُ

(عما بمعنى رُبَّما) لأُجْزِرَ لَحْمَى كلبَ نَبْهانَ كالذي ... دعا القاسطيَّ حَتْفُهُ وهو نازحُ

أوالبُرْجُمِيَّ حين أهداه حَيْنُهُ ... لنارٍ عليها مُوقِدانِ وذابحُ

ورأْيُ أبي سَعْدٍ وان كان حازماً ... بصيراً وان ضاقت عليه المَسارحُ

أعارَ به مأمونَ نَبْهانَ سَيْفَهُ ... على قومِه والقولُ عافٍ وجارحُ

ونَصْرُ الفتى في الحرب أعداءَ قومه ... على قومِه للمرءِ ذي الطَعْم فاضحُ

التعريض للخير والشر وبابنه يتجيل الخير دون الشر وانما تشاغل الناس ليغزعوا وجدوا ليهزلوا كانذلوا ليعزوا وكدوا ليستريحوا وان كان المزاح انما صار معيبا والهزل مذموما لأن صاحبه لا يكون الا معرضا لمجاوزة الحد ومخاطرا بعودة الصديق فالجد داعية الى الافراط كما ان المزاح داعية الى مجاوزة القدر والتجاوز للجد قالع بين الفريقين في جميع النوعين فقد ساواه المزح فيما هو له وبابنه فيما ليس له وان كان المزح انما صار قبيحا لان الذي يكون بعده جد ولم يصر الجد قبيحا الان الذي يكون بعده مزح فكان الجد في هذا الوزن أقبح وكان الوزن على هذا التقدير أحسن لان ما جعل الشئ قبيحا أقبح من الشئ كما ان ما جعل الشئ حسنا أحسن

قوله

قوله لا جزر لحى كلب نبهان أى لا كون جزرة له والجزرة البدنة تنحر يقال أجزرت فلانا وتركت فلانا جزرا قال عنترة العبسى ان تغشما عرضى فان أباكما * جزر السباع وكل نسر قشعم

وقوله كالذى دعا القاسطى حتفه وهو نازح فهذا رجل من المر بن قاسط خرج يبتغى قرظا من بعد فنهشته حية فمات فهو أحد القارظين والقارظ الأول من عنزة كان خرج مع ابن عم له فى طلب القرظ فقتله ابن عمه لانه كان يريد ابنته فمنعه منها قال أبو خراش الهذلى (الصحيح أن الشعر لابى ذؤيب)

وحتى يؤب القارظان كلاهما * وينشر فى القتلى كليب لوائل

وقوله كالذى دعا القاسطى منفعه الهاء فى حتفه ترجع على الذى وتقديره كالسبب الذى دعا القاسطى حتفه وقوله أو البرجمى فهذا رجل من البراجم وهم بنو مالك بن حنظلة كان عمرو بن هند لما قتل بنى دارم بأوارة وكان سبب ذلك ان أخاه أسعد بن المنذر وكان مسترضعا فى بنى دارم فى حجر حاجب بن زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم انصرف ذات يوم من صيده وبه نبيذ فحبث كما تعبث الملوك فرماه رجل من بنى دارم بسهم فقتله (رمى ناقة بسهم فقتلها والرجل الذى قتله سويد بن ربيعة بن زيد بن عبد الله بن دارم) فى ذلك يقول القائل وهو عمرو بن ملقط الطائى لعمرو بن هند

فاقتل زرارة لا أرى * فى القوم أوفى من زرارة

فغزاهم عمرو بن هند فقتلهم يوم القصيبة ويوم أوارة فى ذلك يقول الاعشى

وتكون فى الشرف المؤا * ى منقرا وبنى زرارة
أبناء قوم قتلوا * يوم القصيبة والاوارة

ثم أقسم عمرو بن هند ليحرقن منهم مائة فبذلك سمى محرقا فاخذ تسعة وتسعين رجلا فقذفهم فى النار ثم أراد أن يحرق سعيه بجوزمهم لتكمل بها العدة فلما أمر بها قالت العجوز (على ما ذكر أصحاب الاخبار اسمها الحراء بنت نضلة) ألا فتى يفدى هذه العجوز بنفسه ثم قالت هيهات صارت الفتيان جمعا ومر وافد البراجم وهو الذى ذكرنا فاشتم رائحة اللحم فظن أن الملك يتخذ طعاما فعرج اليه فاتى به اليه فقال له من أنت فقال أبيت اللعن أنا وافد البراجم فقال عمرو ان الشقى وافد البراجم ثم أمر به فقذف فى النار فى ذلك يقول جرير يعير الفرزدق

أين الذين بنار عمرو حرقوا * أم أين أسعد فيكم المسترضع

من الشئ فاما الذى عدل بينهما فانه زعم ان المزاح فى موضعه كالجد فى موضعه كما ان المنع فى حقه كالبذل فى حقه قال واكل شئ موضع وليس شئ يصلح فى كل موضع وقد قسم الله تعالى الخيرة على المعدلة وأجرى جميع الأمور الى غاية المصلحة وقسط جزاء المثوبة على العزيمة وعلى الرخصة وعلى الاعلان والتقية وأمر بالمداراة كما أمر بالمباداة وجوز المعاريض كما أمر بالافصاح وسوغ المباح كما شدد أمر المفروض وجعل الحمام جماما للقلوب وراحة للابدان وعونا على معاودة الأعمال فصار الاطلاق كالحظر والصبر كالشكر فليس للانسان من الخيرة فى الذكر شئ الا وله فى النسيان مثله ولا فى الفطنة شئ الا وله فى الغفلة مثله

وقال أيضا

وأخزاكم عمرو وكاقد خزيتم • وأدرك عمارا شقى البراجم

وقال الطرماح

ودارم قد قذفنا منهم مائة • فى حاجم النار ذين النزون بالجدد

ينزون بالمشتوى منها ويوقدها • عمرو ولولا نهوم القوم لم تقد

ولذلك عيرت بنو تميم بحب الطعام يعنى لطمع البرجمى فى الاكل قال يزيد بن عمرو بن الصعق أحد بنى عمرو بن كلاب

ألا أبلغ لديد بنى تميم • بآية ما يحبون الطعاما

وقال آخر (ذكر ابن حبيب أن هذا الشعر لابى مهوش الفقعسى وذكر عبل أنه لابى الهوس الاسدى)

اذا مامات ميت من تميم • فسرك أن يعيش فجئ بزاد

بخبز أو بتمر أو بلحم • أو الشئ الملفف فى البجاد

تراه ينقب البطحاء حولا • ليأكل رأس لقمان بن عاد

وقوله للمرء ذى الطعم يعنى الراجح الى عقل يقال فلان ليس بذى طعم وفلان ليس بذى نزل أى ليس بذى عقل ولا معرفة وانما يقال هذا طعام ليس له نزل اذا لم يكن ذا ربع ومن قال نزل فى هذا المعنى فقد أخطأ وقال اعرابى يهجو قوما من طيئ

ولما أن رأيت بنى جوين • جلوسا ليس بينهم جليس

بئست من التى أقبلت أبغى • لديهم انتى رجل يؤوس

اذا ماقلت أيهم لاى • تشابهت المناكب والرؤس

قوله جلوسا ليس بينهم جليس يقول هؤلاء قوم لا يتجمع الناس معروفهم فليس فيهم غيرهم وهذا من أقبح الهجاء ومن أمثال العرب سمنهم فى أديمهم ومعناه فى مأدومهم وقيل أديم ومأدوم مثل قتيل ومقتول وتقول الحكماء من كثر خيره كثر زائره وقال المهلب بن أبى صفرة لبنيه يا بنى اذا غدا عليكم الرجل وراح مسلما فكفى بذلك تقاضيا وقال الآخر

أروح لتسليم عليك وأغتدى • وحسبك بالتسليم منى تقاضيا

كفى بطلاب المرء مالا ينالهُ • عناء وبالياس المصرح ناهيا

(وربما قال أبو العباس هو مصرح بكسر الراء قال أبو الحسن والكسر أجود) ومن أحسن المدح قول زهير

قد جعل الطالبون الخير فى هرم • والسائلون الى أبوابه طرقا

ولا فى السراء شئ الا وله فى الضراء مثله ولو لم يرزق الله تعالى العباد الا بالصواب محضا وبالصدق بحتا وبمر الحق صفحا لهلكت العوام ولم ينقض أمر الخاص ولو ذكر الانسان كلما أتيته لشقى ولوجد فى كل شئ مما لا تشك وقد يكون الذكر الى الهلكة سلما كما يكون النسيان للسلامة سببا وسبيل المزاح والجد كسبيل المنع والبذل وعلى ذلك يجرى جميع القبض والبسط فهذا وماقبله جل أقاويل القوم ونحن نعوذ بالله تعالى ان نجعل المزاح فى الجملة كالجد فى الجملة بل نزعم ان بعض المزح خير من بعض الجد وعامة الجد خير من عامة الهزل والحق ان ينصح بعض المزح ويجتنب جمهور الجد وكيف يتم لنا

وقال رُؤْبَةُ (ليس لرؤبة وهو لابن أبي نُخَيْلَةَ) • انَّ النَّدَى حَيْثُ تَرَى الضَّغاطا • وقال آخر

يَزْدَحِمُ النَّاسُ على بابِهِ • والمَشْرَبُ العَذْبُ كَثِيرُ الزِّحامِ

وقال أَشْجَعُ فى محمد بن منصور

على بابِ ابنِ مَنْصُورٍ • عَلامَاتٌ من البَذْلِ

جَماعاتٌ وحَسْبُ البا • بِ نُبْلاً كَثْرَةُ الأَهْلِ

وقوله تشابهت المناكب والرؤس اغا ضربه مَثَلاً للأخلاق والافعال أى ليس فيهم مُفَضَّلٌ ويقال ان الأَضْبَطَ بن قُرَيْعِ بن عَوْفِ بن كَعْبِ بن سَعْدِ بن زَيْدِ مَناةَ بن تميم آذَتْهُ عشيرتُهُ من بنى سَعْدٍ فخرج عنهم فجعل لا يجاورُ قوماً الا آذَوْهُ فقال أينَما أذهبُ ألْقَ سَعْداً أى أفرُّ من الأذى الى مثله

(باب)

قال أبو العباس قال أبو ادريس الخَوْلانىُّ المَساجدُ مَجالِسُ الكِرام وقيل للأحنف بن قَيْسٍ أحد بنى مُرَّةَ بن عُبَيْدِ بن الحَرِثِ بن كَعْبِ بن سَعْدٍ أىُّ المجالس أطْيَبُ فقال ما سافر فيه البصر واتَّدَعَ فيه البَدَنُ اتَّدَعَ افتعل من التَّوْديعِ والاصل اوتدع فتقلبُ الواو ياء لانكسار ما قبلها وهذا القول مذهب أهل الحجاز يقولون ايتزر يأتزر وهو رجل مُوتَزِرٌ والأجود أن تقلب ما كان أصله الواو والياء فى باب افتعل تاء وتدغمها فى التاء من افتعل فتقول اتَّدَعَ يتَّدِعُ وهو مُتَّدِعٌ ومُتَّزِرٌ ومُتَّعِدٌ من الوَعْدِ ومُتَّئِسٌ من اليأس تكون الياء كالواو لانها ان أُظْهِرَتْ انقلبت على حركة ما قبلها فصارت كالواو وتكونان واوين عند الضمة نحو مُوعِدٍ ومُوتَعِدٍ ومُوتَئِسٍ ومُوتَئِسٍ وياءين للكسرة والواو قد تُقْلَبُ الى التاء ولا تاء بعدها نحو تُراثٍ من وَرِثْتُ وتُجاهٍ من الوَجْهِ وتُكَأَةٍ واغا ذلك كراهيةَ الضمة فى الواو وأقربُ حروف الزوائد والبَدَلِ منها التاءُ فقُلِبَتْ اليها وقد تُقْلَبُ البدل فى غير هذا نحو هذا اتْقَى من هذا وضربته حتى اتَّكَأَ ثُمَّ فلما كانت بعدها تاء افتعل كان الوجهُ القلبَ ليقع الادغام وقد فسرنا هذا على غاية الاستقصاء فى الكتاب المُقْتَضَبِ وقيل للمُهَلَّبِ بن أبى صُفْرَةَ ما خيرُ المجالس فقال ما بعُدَ فيه مدَى الطَّرْفِ وكَثُرَتْ فيه فائدةُ الجليس ويروى عن لُقْمانَ الحكيم أنه قال لابنه يا بُنَىَّ اذا أتيتَ مجلسَ قومٍ فارْمِهِم بسَهْمِ الاسلام ثم اجلس فان أفاضوا فى ذكر الله فأجِلْ سَهْمَكَ مع سِهامِهم وان أفاضوا فى غيره فخَلِّهِم وانهَضْ قوله فارمهم بسهم الاسلام يعنى

جميع المزح مع ما نحن ذاكرون وقد مزح رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اله ولا يقال كان فيه مزاح ولا يقال مزح وكذلك الائمة ومن تبذل فى بعض الحالات من أهل الحلم والوقار وقال عمر رضوان الله تعالى عليه انا اذا خلونا كنا كاحدكم وقد كان عمر عبوسا قطوبا وكان معه زيادة كاوحة وقطوبة يمازح أهله فى الخلا كما يجد فى الملا وكان الحجاج مع عتوه وطغيانه وتمرده وشدة سلطانه يمازح أزواجه ويرقص صبيانه وقال له قائد أيمازح الأمير أهله قال والله ان ترونى الا شيطانا والله لربما أبتنى وانى لاقبل رجل احداهن فقد ذكرنا خير العالمين وجملة من خيار المسلمين وجبارا عنيدا وكافرا

السلام وقوله فاجعل سهمك مع سهامهم يعني ادخل معهم في أمرهم فضرب به مثلا من دخول الرجل في قداح الميسر وقال وهب بن عبد مناف بن زهرة جد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمه

واذا أتيت جماعة في مجلس * فاختر مجالسهم ولما تقعد

ودع الغواة الجاهلين وجهلهم * والى الذين يذكرون فاقصد

وقال ابن عباس رحمه الله الجليسي على ثلاث أن أرميه بطرفي اذا أقبل وأوسع له اذا جلس وأصغي اليه اذا حدث وكان القعقاع بن شور أحد بني عمرو بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل اذا جالسه جليس فعرفه بالقصد اليه جعل له نصيبا في ماله وأعانه على عدوه وشفع له في حاجته وغدا اليه بعد المجالسة شاكرا له حتى شهر بذلك وفيه يقول القائل

وكنت جليس قعقاع بن شور * ولا يشقى بقعقاع جليس

فحول السن ان أمروا بخير * وعند السوء مطراق عبوس

وحدثني التوزي أن رجلا جالس قوما من بني مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة فأساؤا عشرته وسعوا به الى معاوية فقال

شقيت بكم وكنت لكم جليسا * فلست جليس قعقاع بن شور

ومن جهل أبو جهل أخوكم * غزا بدرا بعجمرة ونور

نسبه الى التوضيع كقول عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف لحكيم بن حزام لما بلغه قول أبي جهل بن هشام انتفخ والله سحره ونحره سيعلم مصفر استه من انتفخ سحره اليوم قال رجل من بني مخزوم للاخوص بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الانصاري ليؤذيه أتعرف الذي يقول

ذهبت قريش بالمكارم كلها * واللؤم تحت عمائم الانصار

فقال الاخوص لا أدري ولكني أعرف الذي يقول

الناس كنوه أبا حكم * والله كناه أبا جهل

أبقت له ياسته لأسرته * لؤم الفروع ودقة الاصل

وهذا الشعر لحسان بن ثابت والبيت الذي أنشده المخزومي للاخطل وكان يزيد بن معاوية عتب على قوم من الانصار فأمر كعب بن جعيل التغلبي بهجائهم فقال له كعب أأهجو الانصار أرادي

لعينا وبعد فن حرم المزاح وهو شعبة من شعب السهولة وفرع من فروع الطلاقة وقد أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحنيفية السمحة ولم يأتنا بالانقباض والقسوة وأمرنا بافشاء السلام والبشر عند الملاقاة وأمرنا بالتوادد والتصافح والتهادي

﴿فصل﴾ قد اعتدنا في معصيتك والخلاف على محبتك مرة بالمزاح ومرة بالنسيان ومرة بالاتكال على عفوك وعلى ما هو أولى بذلك والجملة انا لو تعمدنا ثم أصررنا ثم أنكرنا لكان في فضلك ما يتغمده وفي كرمك ما يوجب التغافل عنه فكيف وانما سهونا ثم تذكرنا واعتذرنا ثم أطعنا فان تقبل فحظك أصبت ولنفسك نظرت وان لم تقبل فاجهد جهدك

أنت الى الكفر بعد الاسلام ولكني أدلك على غلام من الحي نصراني كان لسانه لسان ثور يعني الاخطل قال فلما قال هذا البيت دحل النعمان بن بشير بن سعد الانصاري على معاوية فحسر عمامته عن رأسه ثم قال يا معاوية أترى لؤما فقال ما أرى الا كرما فقال النعمان

معاوي ان لا تعطنا الحق تعترف ٭ لحى الازد منا ولا عليها العمائم

أيشتمنا عبد الاراقم ضلة ٭ فماذا الذي تجدي عليك الاراقم

فما لي ثأر دون قطع لسانه ٭ فدونك من ترضيه عنه الدراهم

وكان الاحنف بن قيس يقول لا تزال العرب عربا ما لبست العمائم وتقلدت السيوف ولم تعدد الحلم ذلا ولا التواهب فيما بينها ضعة وقالوا في تأويل قوله ما لبست العمائم يقول ما حافظت على زيها وقوله وتقلدت السيوف يريد الامتناع من الضيم وقوله ولم تعدد الحلم ذلا يقول ما عرفت موضع الحلم وتأويل ذلك أن الرجل اذا أغضى للسلطان أو أغضى عن الجواب وهو مأسور لم يقل حلم وانما يقال حلم اذا ترك أن يقول الشيء لصاحبه منتصرا ولا يخاف عاقبة يكرهها فهذا الحلم المحض فاذا لم يفعل ذلك ورأى أن تركه الحلم ذل فهو خطأ وسفه وقوله ولم تر التواهب بينها ضعة نحو من هذا وهو أن يهب الرجل من حقه ما لا يستكثره عليه وكان يقال أحيوا المعروف بامانته وتأويل ذلك أن الرجل اذا امتن بمعروفه كدره وقيل المنة تهدم الصنيعة وكان يقال كتمان المعروف من المنعم عليه كفر وذكره من المنعم تكدير له وقال قيس بن عاصم يا بني تميم اصحبوا من يذكر احسانكم اليه وينسى أياديه اليكم

(باب)

قال أبو العباس قال عبد الملك بن مروان لأسيد بن الاحنف الاسدي ما أحسن ما مدحت به فاستعفاه فأبى أن يعفيه وهو معه على سريره فلما أبى الا أن يخبره قال قول القائل

ألا أيها الركب المخبون هل لكم ٭ بسيد أهل الشام تعبوا وترجعوا

من النفر البيض الذين اذا اعتزوا ٭ وهاب الرجال حلقة الباب قعقعوا

اذا النفر السود اليمانون ثمموا ٭ له حولك بردية أجادوا وأوسعوا

ولا أبقى الله عليك ان أبقيت ولا عفى عنك ان عفوت وأقول كما قال أخو بني منقر

فما بقيا على تركا كمافي ولكن خفقما صدر النبال

والله لئن رميتني بجملة لأرمينك بكنانة ولئن نهضت بصالح بن علي لأنهضن باسماعيل بن علي ولئن صلت على بسليمان بن وهب لأدمغنك بالحسن بن وهب ولئن تهت على بنادمة جعفر الخياط لأجهدن عليك بحسبة وهب الدلال وانا أرى لك ان تقبل العافية وترغب الى الله تعالى في السلامة واحذر البغي فان مصرعه وخيم واتق الظلم فان مرعاه وبيل واياك ان تتعرض لجرير اذا هجا وللفرزدق اذا فخر ولهرثمة اذا دبر ولقيس بن زهير اذا مكر وللاغلب اذا كر

حَلا المِسْكُ والحَمّامُ والبيضُ كالدُّمَى • وفَرْقُ المَدارِي رأسَهُ فهو أنزَعُ

فقال له عبد الملك ما قال أخو الأوس أحسن مما قيل لك (قال أبو الحسن هو أبو قيس بن الأسلت)

قد حَصَّتِ البَيْضَةُ رأسي فما • أَطْعَمُ نَوْماً غيرَ تَهْجاعِ

وحُدِّثْتُ ان كُثَيِّراً كان يقول لَوَدِدْتُ أني كنتُ سبقتُ الأسودَ أو العبدَ الاسودَ الى هذين البيتين يعني نُصَيْباً في قوله · من النفر البيض الذين اذا انتَجَوْا • أقَرَّتْ لِنَجْواهُمْ لُؤَيُّ بن غالبِ

يُحَيُّونَ بَسّامينَ طَوْراً وتارةً • يُحَيُّونَ عَبّاسينَ شُوسَ الحواجبِ

والمختار من الشعر الاول قوله

من النفر البيض الذين اذا اعتَزَوْا • وهاب الرجالُ حَلْقةَ الباب قَعْقَعوا

يخبر بجلالتهم ومعرفتهم بأقدارهم وثقتهم بان مثلهم لا يُرَدُّ وقد قال جرير للتيم خلاف هذا وهو قوله

قَوْمٌ اذا احتَضَرَ المَلوكَ وفُودُهُمْ • نُتِفَتْ شَوارِبُهُمْ على الأبوابِ

وحُدِّثْتُ أن جريرا كان يقول وَدِدْتُ ان هذا البيت من شعر هذا العبد كان لي بكذا وكذا بيتا من شعري يعني قوله نُصَيْب

بَزَيْنَبَ أَلْمِمْ قبل ان يَرْحَلَ الرَّكْبُ • وقُلْ انْ تَمَلَّيْنا فَمالَكِ القَلْبُ

وأما قول نُصَيْب أَهِيمُ بِدَعْدٍ ما حَيِيتُ وان أَمُتْ • أُوَكَّلُ بِدَعْدٍ مَنْ يَهِيمُ بها بَعْدي

فلم تَجِدِ الرُّواةُ ولا مَنْ يفهم جواهر الكلام له مَذْهَباً حَسَناً وقد ذكر عبد الملك ذلك لجُلَسائه فكلٌّ عابَهُ فقال عبد الملك فلو كان اليكم كيف كنتم قائلين فقال رجل منهم كنت أقول

أهيم بدعد ما حييت وان أمت • فَوا حَزَناً مَنْ ذا يَهِيمُ بها بَعْدي

فقال عبد الملك ما قلت والله أسوأ مما قاله فقيل له فكيف كنتَ قائلا في ذلك يا أمير المؤمنين فقال كنتُ أقول أهيم بدعد ما حييت فان أمت • فَلا صَلَحَتْ دَعْدٌ لِذي خُلَّةٍ بَعْدي

فقالوا أنت والله أشعرُ الثلاثة يا أمير المؤمنين وقد فُضِّلَ نُصَيْبٌ على الفرزدق في مَوْقِفه عند سليمان بن عبد الملك وذلك أنهما حَضَرا فقال سليمانُ للفرزدق أنشدني وانما أراد أن يُنْشِدَهُ مَدْحاً له فانشده

وركْبٍ كأنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ عندهم • لها تِرَةً من جَذْبِها بالعَصائبِ

سَرَوْا يَخْبِطونَ الرِّيحَ وهي تَلُفُّهُمْ • الى شُعَبِ الأكوارِ ذاتِ الحَقائبِ

ولظاهر اذا صال ومن عرف قدره عرف قدر خصمه ومن جهل نفسه لم يعرف قدر غيره وعليك بالجادة ودع البنيات فان ذلك أمثل لك وأنت والله يا أخي تعلم علم الاضطرار وعلم الاختيار وعلم الأخبار أني أظهر منك حربا وألطف كيدا وأكثر علما وأوزن حلما وأخف روحا وأكرم عينا وأقل غشا وأحسن قدا وأبعد غورا وأجمل وجها وانصع طرفا وأكثر لفظا وأنطق لسانا وأحسن بيانا وأجهر جهارة وأحسن اشارة وأنت رجل تشذ من العلم وتنتف من الأخبار ونموه نفسك وتعزم من قدرك وتتهيأ بالثياب وتتنبل بالمراكب وتتعب لحسن اللقالبس عندك الا ذاك فلم تزاحم البحر بالجداول والاجسام بالاعراض

اذا آنسوا نارًا يقولون لَيْتَها • وقد خَصِرَتْ أيديهمُ ناررُغالبِ

فاعرض سليمان كالمُغضَبِ فقال نصيب يا أمير المؤمنين ألا أُنشدك في رويّتها ما لعلّه لا يتّضع عنها فقال هات فأنشده أقول لِرَكْبٍ صادرين لقيتُهم • قَفَاذاتِ أوشالٍ ومولاكَ قاربُ

قِفُوا خبّروني عن سليمان انني • لَمعروفه من أهل وُدّانَ طالبُ

فعاجوا فأثنَوا بالذي أنتَ أهلُه • ولو سكتوا أثنَتْ عليكَ الحقائبُ

وهذا في باب المدح حسن ومتجاوز ومُبتدَع لم يُسبَق اليه على ان الشاعر وهو أخو همدان قد قال في عصره في غير المدح

يَمُرّون بالدّهنا خفافًا عيابُهم • ويَخرُجن من دارين بُجرَ الحقائبِ

على حين ألهى الناسَ جُلُّ أمورهم • فَندلًا زُريقُ المالِ ندلَ الثعالبِ

وليس شعرُ نُصَيبٍ هذا الذي ذكرناه في المدح بأجود من قول الفرزدق في الفخر وانما يُفاضَل بين الشيئين اذا تناسبا وقد قال سليمان للفرزدق حين أنشده نصيب كيف تُراه قال هو أشعر أهل جِلدته فقام الفرزدق وهو يقول وخيرُ الشعرِ أشرفُه رجالًا • وشرُّ الشعرِ ما قال العَبيدُ

ثم نرجع الى تفسير الشعر قوله يمرون بالدهنا خفافا عيابهم يعني قوما تجارا وقد قالوا انما ذكر الصوص والاول أثبتُ وذلك أن دارين سوقٌ من أسواق العرب وقوله بُجرَ الحقائب يقول عظام ويقال للرجل اذا اندلقت سُرّته فنتأت متقدمة رجل أبجَرُ ويقال لها البُجرة والبَجرة وفُعلة وفَعلة تفعلان في الشيء يقال قُلفة وقَلفة وصُلعة وصَلعة ومثل هذا كثير وقوله على حين ألهى الناس ان شئتَ خفضتَ حين وان شئت نصبته أما الخفض فلانه مخفوض وهو اسم منصرف وأما الفتح فلاضافتك اياه الى شيء غير مُعرَب فبنيته على الفتح لان المضاف والمضاف اليه اسم واحد فبنيته من أجل ذلك ولو كان الذي أضفته اليه معربا لم يكن الا مخفوضا وما كان سوى ذلك فهو لحن تقول جئتك على حين زيد وجئتك في حين امرة عبد الملك وكذا قولُ النابغة

على حين عاتبتُ المشيبَ على الصِّبا • وقلتُ ألمّا أصحُ والشيبُ وازعُ

ان شئت فتحت حين وان شئت خفضت لانه مضاف الى فعل غير متمكن وكذلك قولهم يومئذ تقول عجبت من يوم عبد الله لا يكون غيره فاذا أضفته الى اذ فان شئت فتحت على ما ذكرتُ لك

وما لا يتناهى بالجزء الذي لا يتجزأ فامدُّ البادية والعامة فمن يعدل بين القناة والكرة ومن يمثل بين الفضة والدكلى وبين رحى الطحان وبين سيف عمان وانما يكون التمثيل بين أتم الخيرين وأنقص الشرين وبين المتقاربين دون المتفاوتين فاما الخل والعسل والحصاة والجبل والسم والغذاء والفقر والغنى فهذا مما لا يخطئ فيه الذهن ولا يكذب فيه الحس والخطأ ثلاث خطأ الحس وخطأ الوهم وخطأ الرأي كل ذلك سبيله التنبيه والتذكير والتقويم والتأنيب والعهد نوع واحد وسبيله القمع والحظر والضرب والقتل وأول ذلك ان يهجره صاحب الحكمة ولا يطمعه في وعظ ولا مجالسة وقد رأيت من

في حين وان شئت خفضت لما كان يستحقه اليوم من التمكن قبل الاضافة تقرأ ان شئت من عذاب يومئذ وان شئت من عذاب يومئذ على ما وصفت لك ومن خفض بالاضافة قال سيبويه يومئذ فأعربته في موضع الرفع كما فعلت به في الخفض ومن قال من خزي يومئذ فبناه قال سيبويه يومئذ يكون على حالة واحدة لانه مبني كما تقول دفع الى زيد خمسة عشر درهما وكما قال الله عز وجل عليها تسعة عشر وأما قوله فندلا زريق المال ندل الثعالب فزريق قبيلة وقوله ندلا مصدر يقول اندلي ندلا يا زريق المال والندل أن تجذبه جذبا يقال ندل الرجل الدلو ندلا اذا كان يجذبها مملوءة من البئر فنصب ندلا بفعل مضمر وهو اندل وهذا في الامر تقول ضربا زيدا وشتما عبد الله لان الامر لا يكون الا بفعل فكان الفعل فيه أقوى فلذلك أضمرته ودل المصدر على الفعل المضمر ولو كان خبرا لم يجز فيه الاضمار لان الخبر يكون بالفعل وغيره والامر لا يكون الا بالفعل قال الله عز وجل فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب فكان في موضع اضربوا حتى كأن القائل قال فاضربوا ألا ترى أنه ذكر بعده الفعل مخصا في قوله حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق ولونون منونٌ في غير القرآن لنصب الرقاب وكذلك كل موضع هو بالفعل أولى وقوله ندل الثعالب يريد سرعة الثعالب يقال في المثل أكسب من ثعلب وأما قول نصيب ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب فانما يريد انهم يرجعون مملوءة حقائبهم من رفده فقد أثنت عليه الحقائب قبل أن يقولوا فاما قول الاعشى

وان عناق العيس سوف يزوركم ... ثناء على أعجازهن معلق

فانما أراد الذي يحدين به والحادي من ورائها كما أن الهادي أمامها وأما قول أبي وجزة

راحت بستين وسقا في حقيبتها ... ما حملت حملها الادنى ولا السددا

فانما أراد ما يوجب ستين وسقا لان الناقة حملت ستين وسقا وكان من حديث ذلك أن أبا وجزة السلمي المعروف بالسعدي نزل له فيهم ومحالفته اياهم كان تمخض الى المدينة يريد آل الزبير وتمخض أبو زيد الاسلمي يريد ابراهيم بن هشام بن اسمعيل بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهو والي المدينة فاضطحبا فقال أبو وجزة هل لك فلنشترك فيما نصيبه فقال أبو زيد الاسلمي كلا أنا أمدح الملوك وأنت تمدح السوق فلما دخلا المدينة صار أبو زيد الى ابراهيم بن هشام فأنشده

يا ابن هشام يا أخا الكرام ... فقال ابراهيم وانما أنا أخوهم وكأني لست منهم ثم أمر به فضرب

بالسياط

يعاند الحق اذا كانت المعرفة عيانا وأنت لا ترضى بحجة العيان حتى تدعو اليه ولا ترضى بالدعاء اليه حتى تعادي فيه ولا ترضى بالعداوة حتى يكون لك الرئاسة ولا ترضى بالرياسة السابقة ولا بالطارف دون التالد ولا بالتالد دون الاعراق التي تسري والمواليد التي تنمي ولا ترضى بان تكون أولا حتى تكون آخرا ولا بالمداراة دون المباداة ولا بالجدال دون القتال وحتى ترى ان التقية حرام وان التقصير كفر وحتى لو كنت امام الرافضة وكنت في طرف لهلكت الأمة لا ندر جل لا عقب لك والامامة لا تصلح في الاخوة وكانت تصلح في ابن العم ثم دنت من الارحام شيأ فشيأ فصارت لا تصلح الا في الولد وفي هذا

بالسياط وامتدح أبو وجزة آل الزبير فكتبوا اليه بستين وسقا من تمر وقالوا هى لك عندنا فى كل سنة فانصرفا فقال أبو زيد

مدحت عمرو القنا مصت الثرى • حديثا فلم تهمم بان تتزعزعا

نقائذ بؤس ذاقت الفقر والغنى • وحلبت الايام والدهر أضرعا

سقاها ذوو الارحام سجلا على الظما • وقد كربت أعناقها أن تقطعا

بفضل سجال لو سقوا من مشى بها • على الأرض أرواهم جميعا وأشبعا

فضمت بايديها على فضل مائها • من الرى لما أرشكت أن تضلعا

وزهدها أن تفعل الخير فى الغنى • مقاساتها من قبله الفقر جوعا

وقال أبو وجزة راحت رواحا قلوصى وهى حامدة • آل الزبير ولم تعدل بهم أحدا

راحت بستين وسقا فى حقيبتها • ما حملت حملها الادنى ولا السددا

ما ان رأيت قلوصا قبلها حملت • ستين وسقا ولا جابت به بلدا

ذاك القرى لا قرى قوم رأيتهم • يقرون ضيفهم الملوية الجددا

أما قول أبى زيد لابراهيم مدحت عمرو القنا مصت الثرى حديثا فانما عنى أن ابراهيم وأخاه محمدا انما تطعما بالعيش ودخلا فى النعمة وخرجا من حد السوقة الى حد الملوك حديثا وذلك بهشام بن عبد الملك لانهما كانا حالبيه فانما ولاهما عن خمول وقوله فلم تهمم بان تتزعزعا فانما هذا مثل يقال فلان يهتز للندى ويرتاح لفعل الخير كما قال متمم بن نويرة

تراه كنصل السيف يهتز للندى • اذا لم تجد عند امرئ السوء مطمعا

وتأويل ذلك أنه يتحرك سرورا لفعل الخير قال أبو العباس وأنشدنى التوزى لأبى رياط يقول لابنه

رأيت رياطا حين تم شبابه • وولى شبابى ليس فى ثوبه عتب

اذا كان أولاد الرجال مرارة • فأنت الحلال الحلو والبارد العذب

لنا جانب منه أنيق وجانب • شديد على الأعداء مركبه صعب

وتأخذه عند المكارم هزة • كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب

قال وحدثنى على بن عبد الله قال حدثنى العتبى قال أشرف عمر بن هبيرة الفزارى من قصره يوما

القياس انها بعد أعوام لا تصلح الا ببقاء الامام نفسه الى آخر الأبد وهذا هو علة أصحاب التناسخ وانت رافضى ولم يكن هذا عندك فاهد الآن من ابن التوتيا كما أهديت الى باب التناسخ وأنت ترى القتل فى حق المعاندة شهادة وترى ان مباينة المنصفين فى تعظيم العمود سعادة وان الرياسة فى دفع الحقائق مرتبة وان الاقرار بما يظهر للعيون ضعة وان الشهوة بالمغالبة رفعة أظهر القوم عندك حجة أرفعهم صوتا للتوبة أصلهم وجها وأحسنهم بغية أقلهم خرجا وأحسنهم انصافا أشدهم شغبا تعشق المتهور وتكلف بالجموح وتصافى الوقاح والأديب عندك من عاب أحاديث الجلساء واعترض على نوادر

فاذا هو باعرابى يرقص جمله الاعرابى فقال لحاجبه ان أرادنى هذا فأوصله الىّ فلما دنا الاعرابى سأله فقال قصدت الامير فأدخله اليه فلما مثل بين يديه قال له عمر ما خطبك فقال الاعرابى

أصلحك الله قل ما بيدى ... فما أطيق العيال اذ كثروا

ألح دهر أنحى بكلكله ... فأرسلونى اليك وانتظروا

(رجوك للدهر أن تكون لهم ... غيث سحاب ان خانهم مطر)

قال فأخذت عمر الارتعاشة فجعل يهتز فى مجلسه ثم قال أرسلوك الىّ وانتظروا اذا والله لا تجلس حتى ترجع اليهم غانما فأمر له بألف دينار وردّه على بعيره قال أبو العباس وحدثنى أبو اسحق اسمعيل بن اسحق القاضى أن الخبر لمعن بن زائدة وصح ذلك عندى وقوله نقائذ بؤس واحدتها نقيذة وتأويله أنهم أنقذوا من بؤس يقال للرجل والمرأة ذلك على لفظ واحد تقول هذا نقيذة بؤس تقع الهاء للمبالغة لان أصله كالمصدر كقولك زيد مكرمة لأهله وزيد كريمة قومه أى يحل محل العقدة الكريمة والخصلة الكريمة وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرم جرير بن عبد الله البجلى لما ورد عليه فبسط له رداءه وعممه بيده وقال اذا أتاكم كريمة قوم فاكرموه هكذا روى فصحاء أصحاب الحديث وقد قال صلى الله عليه وسلم قبل وروده عليه يطلع عليكم من هذا الفج خير ذى يمن عليه منسحة ملك وقال صخر بن عمرو بن الشريد يعنى معاوية أخاه وكان قتله هاشم ودريد ابنا حرملة المريان من غطفان فقيل لصخر اهجهم فقال ما بينى وبينهم أقذع من الهجاء ولو لم أمسك عن هجائهم الا صونا لنفسى عن الخنى لفعلت ثم قال

وعاذلة هبت بليل تلومنى ... ألا لا تلومينى كفى اللوم ما بيا

تقول الا تهجو فوارس هاشم ... ومالى اذ أهجوهم ثم ماليا

أبى الشتم أنى قد أصابوا كريمتى ... وأن ليس اهداء الخنى من شماليا

(اذا ذكر الاخوان رقرقت عبرة ... وحيّيت رسما عند لثة ثاويا

اذا ما امرؤ أهدى لميت تحية ... فحيّا الذى بالعرش عنى معاويا

وهوّن وجدى أننى لم أقل له ... كذبت ولم أبخل عليه بماليا

قال الاخفش وأنشدنى الاحول ... ومالى ان أهجوهم ثم ماليا) وتقول العرب للرجل

الاخوان وغمز فى قفا النديم ونصب للعالم وأبغض العاقل واستثقل الظريف وحسد على كل نعمة وأنكر كل حقيقة جعلت فداك انما أخرجك موسى الى شئ وأورد عليك الباب بعد الباب لان من شأن الناس ملالة الكثير واستثقال الطويل وان كثرت محاسنه وجمت فوائده وانما أردت أن يكون استطرافك للشئ قبل ان ينقضى استطرافك للماضى ولانك متى كنت للشئ متوقعا وله منتظرا كان أحظى لما يرد عليك وأشهى لما يهدى اليك وكل منتظر معظم وكل مأمول مكرم وذلك رغبة فى الفائدة وصيانة بالعلم وكلفا بالاقتباس وشحا على نصيبى منك وضنانا أؤمله عندك ومداراة لطباعك واستزادة من

راوية ونسابة فتزيد الهاء للمبالغة وكذلك علامة وقد تلزم الهاء في الاسم فتقع للمذكر والمؤنث على لفظ واحد نحو ربعة ويفعة وضرورة وهذا كثير لا تنزع الهاء منه فاما راوية وعلامة ونسابة فحذف الهاء جائز فيه ولا يبلغ في المبالغة ما تبلغه الهاء وقوله

• وحلبت الايام والدهر أضرعا • فانه مثل يقال للرجل المجرب للامور فلان قد حلب الدهر أشطره أي قد قاسى الشدة والرخاء وتصرف في الفقر والغنى كما قال القائل

• قد عشت في الناس أطوارا على طرق • شتى وقاسيت فيها البؤس والفظعا
كلا يلوث فلا النعماء تبطرني • ولا تخشعت من لأوائها جزعا
لا يملأ الهول صدري قبل موقعه • ولا أضيق به ذرعا اذا وقعا •

ومعنى قوله أشطره فانما يريد خلوفه يقال حلبتها شطرا بعد شطر وأصل هذا من التنصف لان كل خلف عديل لصاحبه وللشطر وجهان في كلام العرب فاحدهما النصف كما ذكرنا من ذلك قولهم شاطرتك مالي والوجه الآخر القصد يقال خذ شطر زيد أي قصده قال الله عز وجل فول وجهك شطر المسجد الحرام أي قصده وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره قال أبو العباس وأنشدني التوزي عن أبي عبيدة قول الشاعر

ان العسير بها داء مخامرها • فشطرها نظر العينين محسور

يريد ناحيتها وقصدها والعسيرة التي تعسر بذنبها اذا حملت أي تشيله وترفعه ومنه سمي الذنب عوسرا أي تضرب بذنبها ومعنى ذلك انه ظهر من جهدها وسوء حالها ما أطيل معه النظر اليها حتى تحسر العينان والحسير المعيي وفي القرآن ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير وقوله

• سقاها ذو الارحام سجلا على الطما • فالسجل في الأصل الدلو وانما ضربه مثلا لما فاض عليها من ندى أقاربها فقال للدلو وهي مؤنثة سجل وذنوب وهما مذكران والغرب مذكر وهو الدلو العظيمة ويقال فلان يساجل فلانا أي يخرج من الشرف مثل ما يخرج الآخر وأصل المساجلة أن يستقي ساقيان فيخرج كل واحد منهما في سجله مثل ما يخرج الآخر فانهما تكلا فقد غلب فضربته العرب مثلا للمفاخرة والمساماة وبين ذلك الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب في قوله

من يساجلني يساجل ماجدا • يملأ الدلو الى عقد الكرب

نشاط ولا أنث على كل حال بشر ولا أنث متناهي القوة مدبر

(فصل) والعقل حفظك الله أطول رقدة من العين وأحوج الى الشحذ من الشيب وأفقر الى التعاهد وأسرع الى التغير وأدواؤه أقتل وأطباؤه أقل فمن تداركه قبل التفاقم أدرك أكثر حاجته ومن رامه بعد التفاقم لم يدرك شيأ من حاجته ومن أكبر أسباب العلم كثرة الخواطر ثم معرفة وجوه المطالب في الخواطر وللمطالب طرق ولدرك الحقائق أبواب فمن أخطاها ونظر كان أسوأ حالا ممن لم يخطئها ولم ينظر وعلى قدر صحة العقل يصح الخاطر وعلى قدر التفرغ يكون التنبه هذا جماع هذا الكتاب وجهرته وأقسامه وجملته

ويقال ان الفرزدق مرّ بالفضل وهو يستقي وينشد هذا الشعر فسرّا الفرزدق ثيابه عنده ثم قال أنا أساجلك ثقة منه بنسبه فقيل له هذا الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب فرد الفرزدق ثيابه عليه ثم قال ما يساجلك الا من عضّ بأير أبيه يقال سرا ثوبه ونضا ثوبه في معنى واحد اذا نزعه ويقال سرى عليه الهمّ اذا أتى ليلا وأنشد

سرى همّي وهمّ المرء يسري ... (وغار النجم الا قيد فتر

البيت لعروة بن أذينة اللّيثي شيخ مالك بن أنس) وسرى همّه اذا ذهب عنه والمواضفة مثل المساجلة قال العجّاج * تواضخ التقريب قلوا مخلجا * أي تخرج من العدو مثل ما يخرج قال الله عز وجل على مخرج كلام العرب وأمثالهم فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم وأصل الذنوب الدلو كما ذكرت لك وقال علقمة بن عبدة للحرث بن أبي شمر الغساني (قال أبو الحسن غير أبي العباس يقول شمر وبعضهم يقول شمر) وكان أحوه أسيرا عنده وهو شأس بن عبدة أسره في وقعة عين أباغ (قال أبو الحسن غيره يقول اباغ) في الوقعة التي كانت بينه وبين المنذر بن ماء السماء في كلمة له مدحه فيها

وفي كلّ حيّ قد خبطت بنعمة ... فحقّ لشأس من نداك ذنوب

فقال الملك نعم وأذنبة وقوله وقد كربت أعناقها أن تقطّعا يقول سقيت هذا السجل وقد دنت أعناقها من أن تقطّع عطشا وكرب في معنى المقاربة يقال كاد يفعل ذلك وجعل يفعل ذلك وكرب يفعل ذلك أي دنا من ذلك ويقال جاء زيد والخيل كاربته أي قد دنت منه وقربت فاما أخذ يفعل وجعل يفعل فانهما انه قد صار يفعل ولا تقع بعد واحدة منهما أن فاما كاد وكرب فأن لا تستعمل بعد واحدة منهما الا ان يضطرّ شاعر قال الله عز وجل اذا أخرج يده لم يكد يراها أي لم يقرب من رؤيتها وايضاحه لم يرها ولم يكد وكذلك يكاد سنا برقه يذهب بالابصار وكذلك كاد تزيغ قلوب فريق منهم بغير أن ومن أمثال العرب كاد النعام يطير وكاد العروس يكون أميرا وكاد المنتعل يكون راكبا وقد اضطرّ الشاعر فأدخل أن بعد كاد كما أدخلها هذا بعد كرب فقال

* وقد كربت أعناقها ان تقطّعا * وقال رؤبة * قد كاد من طول البلى ان يمصحا *

فكاد بمنزلة كرب في الاعمال والمعنى قال الشاعر

أغثني غيثا يا سليمان انّني ... سبقت اليدا الموت، والموت كاربي

ثم من أنفع أسبابه الحفظ لما قد حصل والتقييد لما وردوا الانتظار لما لم يرد وان لا تخلي نفسك من الفكرة الا بقدر جمام الطبيعة وان تعلم ان مكان الدرس من الحفظ كمكان الحفظ من العلم وان تعرف فضل ما بين طلب العلم للمناسبة والشهوة وبين طلبه للرغبة والرهبة وتعلم ان العلم لا يجود بمكنونه ولا يسمح بسره ومخزونه الا لمن رغب فيه لكرم عنصره وفضل لحقيقة جوهره ورفعه عن التكسب وصانه عن التبذل وانه لا يعطيك خالص الحكمة حتى تعطيه خالص المحبة كان يقال من شاب شيب له وخصلة ينبغي ان تعرفها وتقف عندها وهو أن تبدأ من العلم بالمهم وتختار من صنوفه ما أنت أبسط له والطبيعة به أعنى فان

خشية جور من أمير مسلط * ورهطي وما عادا مثل الأقارب

وقوله لما أوشكت أن تضلعا يقول لما قاربت ذلك والوشيك القريب من الشئ والسريع اليه يقال يوشك فلان أن يفعل كذا وكذا والماضي منه أوشك ووقعت بأن وهو أجود وبغير أن كما كان ذلك في لعل تقول لعل زيدا يقوم فهذه الجيدة قال الله عز وجل لعل الساعة تكون قريبا ولعله يتذكر أو يخشى ولعل الله يحدث بعد ذلك أمرا وقال مقدم بن نويرة

لعلك يوما أن تلم ملمة * عليك من اللائي يدعن أجدعا

وعسى الاجود فيها أن تستعمل بأن كقولك عسى زيد أن يقوم كما قال الله عز وجل فعسى الله أن يأتي بالفتح وقال جل ثناؤه عسى الله أن يتوب عليهم ويجوز طرح أن وليس بالوجه الجيد قال هدبة

عسى الكرب الذي أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب

وقال آخر

عسى الله يغني عن بلادين قادر * بمنهمر جون الرباب سكوب

وحروف المقاربة لها باب قد ذكرناها فيه على مقاييسها في الكتاب المقتضب بغاية الاستقصاء وقوله أن تضلعا معناه ان تمتلئ وأصله ان الطعام والشراب يبلغان الاضلاع فيكظانها كذلك قال الاصمعي في قولهم أكل حتى تضلع وأما قول أبي وجزرا حت بستين وسقا فالوسق خمسة أقفزة بلجم البصرة وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة فما كان أقل من خمسة وعشرين قفيزا بالقفيز الذي وصفنا وهو نصف القفيز البغدادي في أرض الصدقة فلا صدقة فيه وانما أراد أنه أخذ الكتاب بهذه الاوسق فلذلك قال

ما ان رأيت قلوصا قبلها حملت * ستين وسقا ولا جابت به بلدا

واما قوله يقرون ضيفهم الملوية الجدد فانما اراد السياط وجمع جديد جدد وكذلك باب فعيل الذي هو اسم أو مضارع للاسم نحو قضيب وقضب ورغيف ورغف وكذلك سرير وسرر وجديد وجدد لانه يجري مجرى الاسماء وجرير وجرر فما كان من المضاعف جاز فيه خاصة أن تبدل من ضمته فتحة لان التضعيف مستثقل والفتحة أخف من الضمة فيجوز أن يمال اليها استخفافا فيقال جدد وسرر ولا يجوز هذا في مثل قضيب لانه ليس بمضاعف وقد قرأ بعض القراء على سرر موضونة ويقال للسوط الاضحي وينسب الى ذي أصبح الحميري وكان أول من اتخذ هذه السياط التي يعاقب

القول على قدر النشاط والباعث فيه على قدر العناية ثم من أفضل أسبابه تلخيص أخلاقه وتمييز أجناسه والمعرفة باقداره حتى يعطى كل معنى حقه من التقرب والرفعة وقسطه من الابعاد والضعة حتى لا يتشاغل الاباليمين الثمين وبالخطير النفيس ولا يلقى الا الغث الخسيس والحقير السخيف فانك متى كنت كذلك لم تعتبر فضل ما بين النظرين ولا فرق ما بين النعتين الكيس كل الكيس والحذق كل الحذق ان لا تعجل ولا تبطئ وان تعلم ان السرعة غير العجلة وان الاناة خلاف الابطاء وان تكون على يقين من درك الحق اذا وفيته شرطه وعلى ثقة من ثواب النظر اذا اعطيته حقه هذا جملة ما للعذري

بها السلطان ويقال له العرفاص والقطيع وقال الشماخ • تكاد تطير من رأى القطيع •

وقال الصلتان العبدي • أرى أمة شهرت سيفها • وقد زيد في سوطها الأصبحي

وقال الراعي • أخذوا العريف فقطعوا حيزومه • بالأصبحية قائما مغلولا

وقال الراجز • حتى تردى طرف العرفاص • وقوله ولا جابت به بلدا يقول ولا قطعت به يقال جبت البلاد قال الله عز وجل وثمود الذين جابوا الصخر بالواد ويقال رجل جواب جوال وأنشدني علي بن عبد الله قال أنشدني القحذمي

ما من أتت من دون مولده • خمسون بالمعذور بالجهل

فاذا مضت خمسون عن رجل • ترك الصبا ومشى على رسل

وأمر مصعب بن الزبير رجلا من بني أسد بن خزيمة بقتل مرة بن محكان السعدي فقال مرة في ذلك

بني أسد ان تقتلوني تحاربوا • فما اذا الحرب العوان اشمعلت

ولست وان كانت الى حبيبة • ببالك عندي الدنيا اذا ما تولت

قوله اذا الحرب العوان فهي التي تكون بعد حرب قد كانت قبلها وكذلك أصل العوان في المرأة انما هي التي قد تزوجت ثم عادت فخرجت عن حد البكر وقول الله عز وجل في كتابه العزيز لا فارض ولا بكر هو تمام الكلام ثم استأنف فقال عوان بين ذلك والفارض ههنا المسنة والبكر الصغيرة ويقال لماة فارض أي واسعة وفرض القوس موضع معقد الوتر وكل سن فرض والفرضة متطرق الى النهر قال الراجز • لها زجاج ولها فارض • وقوله اشمعلت انما هو ثارت فاسرعت قال الشماخ

رب ابن عم لسليمى مشمعل • أروع في السفر وفي الحي غزل

• طباخ ساعات الكرى زاد الكسل •

وقوله ولست وان كانت الى حبيبة ببالك على الدنيا انما هو على التقديم والتأخير اراد ولست ببالك على الدنيا وان كانت الى حبيبة ولولا هذا التقدير لم يجز أن يضمر قبل الذكر ومثله

ان تلق يوما على علاته هرما • تلق السماحة منه والندى خلقا

وكذلك قول حسان بن ثابت

قد كملت أمه من كنت واحده • أو كان منتشبا في برثن الأسد

هذه المسألة وجملة الحجة فيما قدمنا من الافتنان والاطالة فان كنا أصبنا فالصواب أردنا وان كنا أخطأنا فاذالك عن فساد من الضمير ولا قلة احتفال بالتقصير ولعل طبيعة خانت أو لعل عادة جذبت أو لعل سهوا اعترض أو لعل شغلا منع خفض عليك أيها السامع فان الخطأ كبير عام وغالب مستول والصواب قليل خاص ومقموع مستخف فوجه اللائمة الى أهلها وألزمها من هو أحق بها فانهم كثير ومكانه مشهور اعجب من الصواب لا تعجب من الخطأ أعجب من ان العجب قد ذهب أعجب ممن تعجب وفيه العجب أعجب وكيف التعجب والأمور كلها عجب كيف أتعجب من كل فعل خرج من العادة

يقول من كنت واحده قد ثكلت أمه وكذلك قوله

شر يوميها وأخزاه لها • ركبت هند بحذيج جملا

يقول ركبت هند بحذيج جملا في شر يوميها وقال رجل من مزينة

خليلي بالبوباة عوجا فلا أرى • بها منزلا الا جديب المقيد

بذي برد نجد بعد ما لعبت بنا • بها مة في حامها المتوقد

قوله بالبوباة فهي المتسع من الارض وبعضهم يقول هي البوماة بعينها قلبت الميم باء لانهما من الشفة ومثل ذلك كثير يقولون ما اسمك وبا اسمك ويقولون ضربة لازم ولازب ويقولون هذا ظامي وظابي يعنون السلف (قال أبو الحسن الجيد سلف وما قال ليس بممتنع) ويقولون زكبة سوء وزكمة سوء أي ولد سوء ويقولون عجم الذنب وعجب الذنب ويقولون رجل أخرم وأخرب وهذا كثير وقال عمر بن أبي ربيعة

عوجا نحيي الطلل المحولا • والربع من أسماء والمنزلا

بجانب البوباة لم يعفه • تقادم العهد بأن يؤهلا

وقوله الاجديب المقيد يقال بلد جدب وجديب وخصب وخصيب والاصل في النعت خصيب ومخصب وجديب ومجدب والخصب والجدب انما هما ما حل فيه وقيل خصيب وأنت تريد مخصب وجديب وأنت تريد مجدب كقولك عذاب أليم وأنت تريد مؤلم قال ذو الرمة

ورفع من صدور شمردلات • يصددن وجوهها وهجا أليم

ويقال رجل سميع أي مسمع قال عمرو بن معديكرب

أمن ريحانة الداعي السميع • يؤرقني وأصحابي هجوع

وأما قوله المقيد فهو موضع التقييد وكل مصدر زيدت الميم في أوله اذا جاوزت الفعل من ذوات الثلاثة فهو على وزن المفعول وكذلك اذا أردت اسم الزمان واسم المكان تقول أدخلت زيدا مدخلا كريما وسرحته مسرحا حسنا واستخرجت الشيء مستخرجا قال بعير

ألم تعلم مسرحي القوافي • فلا عيا بهن ولا اجتلابا

أي تسريحي وقال عز وجل وقل رب أنزلني منزلا مباركا ويقال فت مقاما وأقمت مقاما وقال عز

كما خرجت الافعال باسرها من العادة وصارت باسرها عجبا فيدخول كلها في باب العجب خرجت باجمعها من باب العجب وقد ذكرنا الله تعالى ذكره التعجب في كتابه جل جلاله وقد تعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله في زمانه وفي الناس يومئذ الناقص والوافر والمشوب والخالص والمستقيم والمعوج وقال الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وان تعجب فعجب قولهم وقال له بل عجبت ويسخرون واعلم انه لم يبق من المتعجب القائل الا نصيب اللسان ولا من المستمع القائل الا حصة المسمع فاما القلوب فخاوية قاسية وراكدة هامدة لا تسمع داعيا ولا تجيب سائلا قد أغفلها سوء العادة واستولى عليها

وجل انها ساءت مُستَقَرًّا ومُقامًا أى موضع اقامة وقال الشاعر (حُمَيْدُ بن ثَوْر الهلالىُّ

تَطولُ القِصارَ والطِوالُ يَطُلْنَها ٭ فَمَنْ رَآهَا لا يَنْسَها ما تَكَلَّما)

وما هِىَ الا فى ازار وعِلْقَةٍ ٭ مُغارَ ابن هَمَّام على حَيِّ خَثْعَما

يريد زمن اغارة ابن هَمَّام وأما قوله نَذُقْ بَرْدَ نَجْدٍ فذاك لان نَجْدًا مرتفعةٌ وتهامةُ غَوْرٌ منخفض فَنَجْدٌ باردة ويروى عن الأصمعى أنه قال هَجَمَ علىَّ شهرُ رمضان وأنا بمكة فخرجتُ الى الطائف لأصُومَ بها هَرَبًا من حَرِّ مكة فلقينى اعرابى فقلت له أين تريد فقال أريد هذا البلدَ المباركَ لأصوم هذا الشهر المباركَ فيه فقلت له أما تخاف الحرَّ فقال من الحرِّ أفِرُّ وهذا الكلام نظير كلام الربيع بن خُثَيْم فان رجلا قال له وقد صلَّى ليلةً حتى أصبح أتعبتَ نفسك فقال راحتَها أطلبُ انَّ أَمْرَه العبيدَ أَكْيَسُهم وتفسير هذا الكلام قولُ رَوْح بن حاتم بن قَبيصةَ بن المُهَلَّب ونظر اليه رجل واقفا بباب المنصور فى الشمس فقال قد طال وُقوفك فى الشمس فقال رَوْحٌ ليطول وقوفى فى الظل ومثله من الشعر قوله (قال أبو الحسن هو عُرْوَةُ بن الوَرْد العَبْسىُّ)

تقول سُلَيْمَى لو أقمتَ بأرضنا ٭ ولم تَدْرِ أنى للمُقام أُطَوِّفُ

(لعلَّ الذى خَوَّفْتَنا من وُرائنا ٭ سَيُدْرِكُهُ من بَعْدِنا المُتَخَلِّفُ)

ويروى لعَمْرٍو وقال آخر ٭ سَأَطْلُبُ بُعْدَ الدارِ منكم لتَقْرُبوا ٭ وتَسْكُبُ عَيْنَاىَ الدُموعَ لتَجْمُدا

وهذا معنى كثير حسن جميل وقال حَبيبُ بن أَوْس الطائىُّ

أَلِفَ النَّجيبُ كَمِ افتراق ٭ أَجِدٌّ فكان داعيةَ اجتماع

وليستْ فَرْحَةُ الأوْبات الا ٭ لمَوْقوف على تَرَحِ الوَداعِ

وقال رجل واغتَلَّ فى غُرْبة فتذكَّر أهله

لو أنَّ سَلْمَى أبصرتْ تَخَدُّدى ٭ ودِقَّةً فى عَظْمِ ساقى ويدى

وبُعْدَ أهلى وجَفاءَ عُوَّدى ٭ عَضَّتْ من الوَجْدِ بأطراف اليد

قوله أبصرت تخدُّدى يريد ما حَدَثَ فى جسمه من النُحول وأصل الخَدِّ ما شَقَقْتَه فى الارض قال الشَّمَّاخُ

فقلتُ لهم خُذُوا له برِماحِكُم ٭ بطامسةِ الأعلام خَفَّاقةِ الآلِ

ويقال للشيخ قد تخدَّد يراد قد نَشَجَ جِلْدُه وقال الله عز وجل قُتِلَ أصحابُ الأُخدود وقيل

سلطان السكر فدع عنك ما لست مثله وعليك شغلا شاغلا وهما داخلا اعلم ان الله تعالى قد مسخ الدنيا بحذافيرها وسلخها من جميع معانيها ولو مسخها كما مسخ بعض المشركين قردة أو كما مسخ بعض الأمم خنازير لكان قد بقى بعض امورها وحبس عليها بعض اعراضها كبقية ما مع القرد فى ظاهره من شبه الآدمى وبقية ما مع الخنزير فى باطنه من شبه البشر لكنه جل ذكره مسخ الدنيا مسخا متتبعا ومستقصى مستفرغا فبين حالها جميع التضاد وبين معنييها غاية الخلاف فالصواب اليوم غريب وصاحبه مجهول والعجب ممن يصيب وهو مغمور ويقول وهو ممنوع فان صرت عليه عونا مع

فى التفسير هؤلاء قوم خدّوا أخاديد فى الارض وأشعلوا فيها نيرانا فحرّقوا بها المؤمنين وقوله عضّت من الوجد باطراف اليدفان الحزين والمغيظ والنادم والمتأسف يعضّ أطراف أصابعه جزعا قال الله عز وجل عضّوا عليكم الانامل من الغيظ وفى مثل ماذكرنا من تخدّد لحم الشيخ يقول القائل

(ذهب الشباب فلا شباب جمانا ٭ وكأنّ ما قد كان لم يكُ كانا
وطويت كشحى يا جمان على العصا ٭ وكفى جمان بطيها حدثانا)
يا من لشيخ قد تخدّد لحمه ٭ أفنى ثلاث عمائم ألوانا

(ألوانا صفة لثلاث على المعنى كأنه قال مختلفات)

سوداء حالكة وسحق مفوّف ٭ وأجدّ لونا بعد ذاك هجانا
(صحب الزمان على اختلاف فنونه ٭ فأراه منه كراهة وهوانا)
قصر الليالى خطوه فتمدانى ٭ وحنون قائم صلبه فحناني
والموت يأتى بعد ذلك كله ٭ وكأنما يعنى بذاك سوانا

قوله أفنى ثلاث عمائم ألوانا يعنى ان شعره كان أسود ثم حدث فيه شيب مع السواد فذلك قوله مفوّف والتفويف التنقيش وانما أخذ من الفوف وهى النكتة البيضاء التى تحدث فى أظفار الاحداث وسميت بذلك لشبهها بشجرة يقال لها الفوفة وجمعها فوف والسحق الخلق يقال عنده سحق ثوب وجرد ثوب وسمل ثوب وقوله أجدّ أى استجدّ لونا والهجان الابيض وهى العمامة الثالثة يعنى حيث شمله الشيب

(باب)

قال أبو العباس من أمثال العرب لم يذهب من مالك ما وعظك يقول اذا ذهب من مالك شئ فحذرك أن يحلّ بك مثله فتأديبه اياك عوض من ذهابه ومن أمثالهم ربّ عجلة تهب ريثا وتأويله ان الرجل يعمل العمل فلا يحكمه للاستعجال به فيحتاج الى أن يعود فينقضه ثم يستأنف والريث الابطاء ورأت عليه أمره اذا تأخر ومن أمثال العرب عش ولا تغترّ وأصل ذلك ان عمرو صاحب الابل بالارض المكلئة فيقول ادع أن أعشى ابلى منها حتى أرد على أخرى ولا يدرى ما الذى يرد

الزمان قتلته وان أمسكت عنه فقد وفرته ولسنا نريد منك النصرة ولا المعونة ولا التأنيس ولا التعزية وكيف اطلب منك ما قد انقطع سببه واجتث أصله وقد كان يقال من طلب عيبا وجده هذا فى الدهر الصالح دون الفاسد فان انصفت فقد أغربت وان جرت فلم تعد ما عليه الزمان وهب الله لنا ولك الانصاف وأعاذنا واياك من الظلم والحمد لله كما هو أهله ولا حول ولا قوة الا بالله وصلى الله على محمد خاصة وعلى أنبيائه عامة وسلم

(فصل من صدر رسالته الى الحسن بن وهب فى مدح النبيذ وصفة أصحابه)

أنا أبقاك الله الطالب المشغول والقائل المعذور فان رأيت خطأ فلا تنكر

عليه وقريب منه قولهم أن ترد الماء بماء أكيس وتأويله أن عسر الرجل بالماء فلا يحمل منه اتكالا على ماء آخر يصير اليه فيقال له أن تحمل معبدا ماء احزم لك فان اصبت ماء آخر لم يضرك فان لم تحمل فخفقت من الماء عطبت ومن أمثالهم قد أحزم لو أعزم يقول أعرف وجه الحزم فان عزمت فامضيت الرأى فانا حازم وان تركت الصواب وأنا أراه وضيعت العزم لم ينفعنى حزمى ومثله قول النابغة الجعدى

أبى لى البلاء وانى امرؤ * اذا ما تبينت لم ارتب

وقال اعرابى يمدح سوار بن عبد الله

وأوقف عند الامر مالم يضح له * وأمضى اذا ما شك من كان ماضيا

فالذى يحمد امضاء ما تبين رشده فاما الاقدام على الغرر وركوب الامر على الخطر فليس بمحمود عند ذوى الالباب وقد يتمثل بمثله الفتاك كما قال (هو سعد بن ناشب المازنى عن الرياشى وغيره)

عليكم بدارى فاهدموها فانها * تراث كريم لا يخاف العواقبا
اذا هم ألقى بين عينيه عزمه * وأعرض عن ذكر العواقب جانبا
ولم يستشر فى رأيه غير نفسه * ولم يرض الا قائم السيف صاحبا

فهذا شأن الفتاك وقال الآخر

غلام اذا ما هم بالفتك لم يبل * الا مت قليلا أم كثيرا عوادله

وقال آخر

وما العجز الا أن تشاور عاجزا * وما الحزم الا أن تهم فتفعلا

فاما قول على بن أبى طالب رضى الله عنه من اكثر الفكرة فى العواقب لم يشجع فتأويله انه من فكر فى ظفر قرنه به وعلوه عليه لم يقدم وانما كان الحزم عند على رضى الله عنه أن يحظر أمر الدين ثم لا يفكر فى الموت وقد قيل له أتقتل أهل الشام بالغداة وتظهر بالعشى فى ازار ورداء فقال أبالموت أخوف والله ما أبالى أسقطت على الموت أم سقط الموت على وقال للحسن ابنه لا تبدأ بدعاء الى مبارزة فان دعيت اليها فاجب فان طالبها باغ والباغى مصروع وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يلتفت فى كسائه وينام ناحية المسجد فلما ورد المرزبان عليه (كذا وقعت الرواية المرزبان والصواب الهرمزان وكان صاحب تستر) جعلوا يسألون عنه فيقال مر ههنا آنفا فيصغر فى قلب المرزبان اذ رآه كبعض السوق حتى انتهى اليه وهو نائم فى ناحية المسجد فقال

فانى بصدده وبعرض منه بل فى الحال التى توجبه والسبب الذى يؤدى اليه وان سمعت تسديدا فهو الغريب الذى لا تجده اللهم الا ان يكون من بركة مكانه ابتدئ ومن مطالبته ولان ذكرك يشحذ الذهن ويصورك فى الوهم ويجلو العقل وتأميلك ينفى الشغل ولا يعجبنى ما رأيت من قلة اطنابك فى هذا النبيذ وقلة تلهيك بهذا الشراب وأنت تجد من فضل القول وحسن الوصف ما لا يصاب عند خطيب ولا يوجد عند بليغ وأنت ولو مشيت الخيلاء وحقرت العظماء وارغبت الشعراء وأعطيت الخطباء ليكون القول منهم موصولا غير مقطوع وممبوطا غير مقصور لكنت بعد مقصرا فى

المرزبان هذا والله الملك الهني يقول لا يحتاج الى احراس ولا عدد فلما جلس عمر امتلأ قلب العلج منه هيبة لما رأى عنده من الجد والاجتهاد وأنس من هيبة التقوى وقال الكلبي قال لي خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز القسري ما تعدون السؤدد فقلت أما في الجاهلية فالرياسة وأما في الاسلام فالولاية وخير من ذا وذاك التقوى فقال لي صدقت كان أبي يقول لم يدرك الأول الشرف الا بالفعل ولا يدركه الآخر الا بما أدرك به الأول قال فقلت صدق أبوك ساد الأحنف بحلمه وساد مالك بن مسمع بحبة العشيرة له وساد قتيبة بدهائه وساد المهلب بجميع هذه الخلال فقال لي صدقت كان أبي يقول خير الناس للناس خيرهم لنفسه وذلك أنه اذا كان كذلك اتقى على نفسه من السرق لئلا يقطع ومن القتل لئلا يقاد ومن الزنا لئلا يحد فسلم الناس منه باتقائه على نفسه قال أبو العباس وكان عبد الله بن يزيد أبو خالد من عقلاء الرجال قال له عبد الملك يوما ما مالك فقال شيآن لا عيلة علي معهما الرضا عن الله والغنى عن الناس فلما انهض من بين يديه قيل له هلا أخبرته بمقدار مالك فقال لم يعد أن يكون قليلا فيحقرني أو كثيرا فيحسدني وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن يكون أعز الناس فليتق الله ومن سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده ومن سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه من سره الغنى بلا مال والعز بلا سلطان والكثرة بلا عشيرة فليخرج من ذل معصية الله الى عز طاعته فانه واجد ذلك كله وخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فحمد الله بما هو أهله ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم وان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم فان العبد بين مخافتين أجل قد مضى لا يدري ما الله فاعل فيه وأجل باق لا يدري ما الله قاض فيه فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الممات فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة أو النار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني ربي بتسع الاخلاص في السر والعلانية والعدل في الغضب والرضا والقصد في الفقر والغنى وأن أعفو عمن ظلمني وأصل من قطعني وأعطي من حرمني وأن يكون نطقي ذكرا وصمتي فكرا ونظري عبرة وحدثت أنه التقى حكيمان فقال أحدهما للآخر اني لأحبك في الله فقال له الآخر لو علمت

أمره مفرطا في واجب حقه فلا تأديب الله قبلت ولا قول الناصح سمعت سمعت قول الله تبارك وتعالى وأما بنعمة ربك فحدث وقال الأول استدم النعمة باظهارها واستزد المواهب بادامة شكرها بل كيف أنست بالجلساء وأرسلت الى الاطباء ولم يكن في قربك ما يغنيك وفي النظر اليه ما يشفيك ولم ملكت نفسك دون أن تهدى ولم رأيت الوقار مروءة قبل أن تستخف ولم كان الهذيان به هو الهذيان والسخف هو المروءة والتناقض هو الصحة والابأى شئ خصصت وبأى معنى أتيت ولم تخلع فيه العذار ولم تخرج فيه عن كل مقدار وأى شئ أجرب جلدك وأمات حالك وأضعف مسرتك وأوحش منك

منى ما أعلمه من نفسى لأبغضتنى فى الله فقال له صاحبه لو علمت منك ما تعلمه من نفسك لكان لى فيما أعلمه من نفسى شغل وكان مالك بن دينار يقول جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم وكان يقول ما أشد فطام الكبير وقيل لعمر بن عبد العزيز أى الجهاد أفضل فقال جهادك هواك وكان الحسن يقول حادثوا هذه القلوب فانها سريعة الدثور واقدعوا هذه الأنفس فانها طلعة وانكم ان لا تقدعوها تنزع بكم الى شر غاية قوله حادثوا مثل ومعناه اجلوا واشحذوا تقول العرب حادث فلان سيفه اذا جلاه وشحذه وقال زيد الخيل

وقد علمت سلامة أن سيفى ... كريه كلما دعيت نزال

أحادثه بصقل كل يوم ... وأعجمه بهامات الرجال

قوله أعجمه بهامات الرجال أى أعضه يقال عجمه اذا عضه والدثور الدروس يقال درّ الربع اذا انمحى ومعناه تعهدوها بالفكر والذكر وقوله فانها طلعة يقول كثيرة التشوف والتنزى الى ما ليس لها وأنشد الأصمعى

ولا تملين من مال ولا عمر ... الا بما ساء نفس الحاسد الطلعه

(الرواية الصحيحة بكسر التاء لا غير لانه يخاطب امرأة تقدم ذكرها فى الشعر يدعو عليها) قال ويقال للجارية اذا كانت تبرز وجهها لترى حسنها ثم تخفيه لتوهم الحياء خبأة طلعة وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول أيها الناس انما خلقتم للأبد ولكنكم تنقلون من دار الى دار وروى عن المسيح صلوات الله عليه وسلامه انه كان يقول ان احتجتم الى الناس فكلوا قصداً وامشوا جانباً ولما احتضر قيس بن عاصم قال لبنيه يا بنى احفظوا عنى ثلاثا فلا أحد أنصح لكم منى اذا أنا مت فسودوا كباركم ولا تسودوا صغاركم فيصغر الناس كباركم وتهونوا عليهم وعليكم بحفظ المال فانه منبهة للكريم ويستغنى به عن اللئيم واياكم والمسئلة فانها آخر كسب الرجل (آخر بقصر الهمزة لا غير ومن رواه بالمد أخطأ ومعنى آخر أدنى وأرذل)

(باب)

قال أبو العباس أنشدت لرجل من الأعراب يرثى رجلا منهم

فلو كان شيخا قد لبست شبابه ... ولكنه لم يعد أن طر شاربه

وقال

رفيقه الا العقوبة المحضة والا الغضب والعقاب ومن الثواب الا التهاون فى أمره وقلة الرعاية لحقه وكيف صارت أمراضى أمراض الاغنياء وأمراضك أمراض الفقراء الا لمعرفتى بفضله واستخفافك بقدره ألا ترى انى منقرس مفلوج وانت اجرب مستور فان تبت فأقرب الفرج وأسرع الاجابة وسنفرغ لك ان شاء الله قريبا وتفلح سريعا وان أصررت وتتابعت وتماديت أتاك والله من سفلة الادواء وزوى عنك من علته الامراض ما يضعك موضعا لا ارتفاع معه ويلزق بعقبك عارا لا زوال له ثم تتبع أشياخك السبة وتتبعهم المذمة علم الله انه استظرفك واستملحك واستحسن

وقالَ الرَّدَى مَنْ وَدَّ أَنَّ ابنَ عَمِّهِ ● يُرَى مُقْتِرًا أَوَانَّهُ ذَلَّ جانِبُهْ

وقال الآخر (حَسَّانُ بن ثابت) لامرأته

فاما هَلَكْتُ فلا تَنْكِحِي ● ظَلُومَ العَشِيرَةِ حَسَّادَها

يَرَى مَجْدَهُ ثَلْبَ أَعْراضِها ● لَدَيْهِ وَيُبْغِضُ مَنْ سادَها

وقال آخر (قال أبو الحسن هو ابن يزيد بن حَبْناء أو الأخضر بن حَبْناء يقوله لأخيه)

لُحِّيَ اللهُ أَكْبانا زِنادًا وشَرَّنا ● وأَيْسَرَنا عن عِرْضِ والِدِهِ ذَبَّا

رأَيْتُكَ لَمَّا نِلْتَ مالًا ومَسَّنا ● زَمانٌ تَرَى فِي حَدِّ أَنيابِهِ شَغْبا

جَعَلْتَ لنا ذَنْبًا التَّمَنُّعَ نائِلًا ● فَامْسِكْ ولا تَجْعَلْ غِناكَ لنا ذَنْبا

قوله أكبانا زنادا الزناد التي تُقْدَحُ بها النار ويقال أَوْرَى القادحُ اذا خرجت له النارُ وأَكْبَى اذا أَخْفَقَ منها هذا أصله يُضْرَبُ للرجل الذي يَنْبَعِثُ الخيرُ على يديه ويُضْرَبُ الاكبا للذي يمتنع الخيرُ على يديه قال الأعشى

وزَنْدُكَ خَيْرُ زِنادِ المُلُو ● كِ لَيْ صادَفَ مِنْهُنَّ مَرْخٌ عَفارا

ولو بِتَّ تَقْدَحُ فِي ظُلْمَةٍ ● صَفاةً بِنَبْعٍ لَأَوْرَيْتَ نارا

والمَرْخُ والعَفارُ شجرٌ تُسْرِعُ فيه النارُ ومن أمثالهم في كُلِّ شَجَرٍ نارٌ واسْتَمْجَدَ المَرْخُ والعَفارُ واسْتَمْجَدَا اسْتَكْثَرَ يقال أَمْجَدْتُهُ سَبًّا وأَمْجَدْتُهُ ذَمًّا اذا أكثرتَ من ذلك ومن أمثالهم أَرِخْ يديكَ واسْتَرْخِ انَّ الزِّنادَ من مَرْخٍ ويقال رجل ذو شَغْبٍ اذا كان يَشْغَبُ على خصمه ضربه مَثَلًا للزمان الذي يَهُرُّ على أربابه أي يَعُضُّهُمْ بالفقر والجَدْبِ وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب

رأَيْتُ فُضَيْلًا كان شيئًا مُلَفَّفًا ● فَكَشَّفَهُ التَّمْحِيصُ حَتَّى بَدا لِيا

أَأَنْتَ أَخِي مالم تَكُنْ لِي حاجَةٌ ● فَإِنْ عَرَضَتْ أَيْقَنْتُ أَنْ لا أُخالِيا

فَلَا زادَ ما بَيْنِي وبَيْنَكَ بَعْدَما ● بَلَوْتُكَ فِي الحاجاتِ إِلَّا تَمادِيا

فَلَسْتُ بِراءٍ عَيْبَ ذِي الوُدِّ كُلَّهُ ● ولا بُغْضَ ما فِيهِ إِذا كُنْتُ راضِيا

فَعَيْنُ الرِّضا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ ● ولَكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي المَساوِيا

كِلانا غَنِيٌّ عَنْ أَخِيهِ حَياتَهُ ● ونَحْنُ إِذا مُتْنا أَشَدُّ تَغانِيا

قد لك واسترح عقلك وأحسن بك ظنا ورآك لنفسه أهلا ولاتخاذه موضعا وللانس به مكانا وأنت لاه عنه زار عليه متهاون به قد أقبلت على دنيا ك تشغل بملازمته وتدع ما يجب عليك من صفاته والدعاء الى تعظيمه بل هل كنت من شيعته والذابين عن دولته والمعروفين بالانقطاع اليه والانبتات في حبله الا ان يكون عندك التقصير لحقه والتهاون بامره اللازم ونهى الناس عنه ولو خرجت الى هذا لخرجت من جميع الاخلاق المحمودة والافعال المرضية واحسب انك لا تعظمه ولا ترق له ولو لم تتعصب الاجماله وحسنه ولو لم تحافظ على نقائه وعتقه لكان ذلك واجبا وأمر معروفا فكيف

قوله كان شيأ ملفقا يقول كان أمرا مغطى والتمحيص الاختبار يقال أدخلتُ الذهبَ فى النار فمحّصتُه أى خرج عنه مالم يكن منه وخلص الذهبُ قال الله عز وجل وليُمحّص اللهُ الذين آمنوا ويمحق الكافرين ويقال مُحّص فلانٌ من ذنوبه وقوله أأنت أخى مالم تكن لى حاجة تقرير وليس باستفهام ولكنّ معناه انى قد بلوتُك تُظهرُ الاخاء فاذا بدت الحاجة لم أرَ من اخائك شيأ قال الله عز وجل أأنتَ قُلتَ للناس اتخذونى وأمّى الهين من دون الله انما هو توبيخ وليس باستفهام وهو جل وعز العالمُ بأنّ عيسى لم يقُلْه وقد ذكرنا التقرير الواقع بلفظ الاستفهام فى موضعه من الكتاب المُقتضَب سنستقصى ونذكر منه جملة فى هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه ثلاثةٌ لا يُعرفون الا فى ثلاث لا يُعرَفُ الشجاعُ الا فى الحرب ولا الحليمُ الا عند الغضب ولا الصديقُ الا عند الحاجة وقال عبد الله بن معاوية أيضا (ذكر دِعبِلٌ فى أخبار الشعراء له أن هذا الشعر لعبد الله بن الزبير الأسدى)

أأنى يكونُ أخا أودّ محافظةٍ ... من كنتُ فى غيبيه مستشعرا وجلا

اذا تغيّب لم تبرح تظنّ به ... سوأ وتسأل عما قال أو فعلا

وقال آخر سأشكرُ عمرا ما تراخت منيّتى ... أيادىَ لم تُمننّ وان هى جلّت

فتى غيرُ محجوبِ الغنى عن صديقه ... ولا مظهرُ الشكوى اذا النعل زلّت

رأى خلّتى من حيثُ يخفى مكانها ... فكانت قذى عينيه حتى تجلّت

ومثل على بن أبى طالب رضى الله عنه فى طلحة بن عُبيد الله رضى الله عنه

فتى كان يُدنيه الغنى من صديقه ... اذا ماهو استغنى ويُبعدُه الفقرُ

فتى لا يعُدُّ المالَ ربّا ولا ترَى ... به جفوةً ان نال مالا ولا كِبرُ

فتى كان يُعطى السيفَ فى الروع حقَّه ... اذا ثوّب الداعى وتُشقى به الجُزُرُ

وهوّن وجدى أننى سوف أغتدى ... على اثره يوما وان نفّس العُمرُ

(قال أبو الحسن بعضهم يقوله هو للأبيرد الرياحى وبعد البيت الثالث

فلا يُبعدنْك الله ما تركتنا ... حميدا وأودى بعدك المجدُ والفخرُ)

قال أبو العباس حدثنى التوّزى قال حدثنى محمد بن عبّاد بن حبيب بن المُهلّب أحسبُه عن أبيه

مع المناسبة التى بينكما والشكل الذى يجمعكما فان كان بعضنا لا يصون بعضا وأنت لا تعظم شقيقا فانت والله من حفظ العشيرة أبعد ولمعرفة الصديق أنكر ولقد نعيت الى لبدٍ وانكلتنى حفاظا وأفسدت عندى كل صحيح وقد كان يقال لا يزال الناس بخير ما تعجبوا من العجب قال الشاعر

وهلك الفتى ان لا يراح الى الندى ... وان لا يرى شيأ عجيبا فيعجبا

قال بكر بن عبد الله المزنى كنا نتعجب من دهرٍ لا يتعجب أهله من العجب فقد صرنا فى دهرٍ لا يستحسن أهله الحسن ومن لم يستحسن الحسن لم يستقبح القبيح وقال بعضهم العجب ترك التعجب

قال لما انقضى يوم الجمل خرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه في ليلة ذلك اليوم ومعه قنبر وفي يده مشعلة من نار يتصفح القتلى حتى وقف على رجل قال التوزي فقلت أهو طلحة قال نعم فلما وقف عليه قال اعزز علي أبا محمد أن أراك معفرا تحت نجوم السماء وفي بطون الأودية شفيت نفسي وقتلت معشري الى الله أشكو وعجري وبجري قوله معفرا أي ملصق الوجه بالتراب ويقال للتراب العفر والعفر يقال ما مشى على عفر التراب مثل فلان وقوله الى الله أشكو عجري وبجري يقول ما أسر من أمري قال الأصمعي وهو قول سائر في أمثال العرب أتى فلان فلانا فابث عجره وبجره وقال النمر بن تولب (كل نمر في العرب كالنمر بن قاسط وغيره مكسور النون مجزوم الميم الا النمر بن تولب عن ابن دريد قال أبو حاتم يقال النمر بفتح النون وتسكين الميم ولا يقال النمر)

تدارك ما قبل الشباب وبعده ٭ حوادث أيام نمرن وأغفل

يسر الفتى طول السلامة والبقا ٭ فكيف يرى طول السلامة يفعل

يرد الفتى بعد اعتدال وصحة ٭ يتوه اذا رام القيام ويحمل

قصر البقاء ضرورة وللشاعر اذا اضطر أن يقصر الممدود وليس له أن يمد المقصور وذلك ان الممدود قبل آخره ألف زائدة فاذا احتاج حذفها لانها ألف زائدة فاذا حذفها رد الشيء الى أصله فلو مد المقصور لكان زائدا في الشيء ما ليس منه قال الشاعر وهو يزيد بن عمرو بن الصعق

فرغتم لنمر بن السياط وأنتم ٭ يشن عليكم بالفنا كل مربع

نقصر الفناء وهو ممدود وقال الطرماح

وأخرج أمه لسواس سلمى ٭ لمعفور الضرا ضرم الجنين

قوله وأخرج يعني زمادا والأخرج الذي في لونه سواد وبياض يقال نعامة خرجاء وقوله لسواس سلمى فان أجأ وسلمى جبلا طيئ وسواس سلمى الموضع الذي بحضرة سلمى يقال هذا من سوس فلان ومن توس فلان أي من طبعه وأمه يعني الشجرة التي هي أصله وقوله لمعفور الضرا فالضراء ما وارى الشجر خاصة والخمر ما وارى من شيء والمعفور ما سقط من النار من الزند وقوله ضرم الجنين يقول مشتعل والجنين ما لم يظهر بعد يقال للقبر جنن والجنين الذي في بطن أمه والجن الترس لانه يستر والمجنون المغطى العقل ويسمى الجن جنا لاختفائهم وتسمى الدروع الجنن لانها تستر

من العجب ولم أقل ذلك الا لان تكون به ضنينا وبما يجب له عارفا ولكنك لم توفر حقه ولم تعرف نصيبه فان قلت ومن يقضي واجب حقه وينتهض بجميع شكره قلنا فهل أعذرت في الاجتهاد حتى لا يذم الا تجهد وهل استفرغت الاعتذار حتى لا تعاب الا بما زاد على قوتك ولولا انك عين الجود لم نطلبه منك ولولا ظنك لم نحمدك عليه ولولا معرفتك بفضله لم نعجب من تقصيرك في حقه ولولا أن الخطأ فيك أقبح والقبيح منك أسمج وهو فيك أبين والناس فيه أكلف والعيون اليه أسرع لكان كتابنا كتاب مطالبة ولم يكن كتاب معاتبة ولشغلنا الحلم لك عن الحلم عليك والقول لك

من كان فيها وقصر الصراء وهو ممدود ومثل هذا كثير في الشعر جدًّا وقوله ينوء اذا رام القيام يقول ينهض في تثاقل قال الله عز وجل ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة والمعنى أن العصبة تنوء بالمفاتيح ولشرح هذا موضع آخر وقال آخر (لعمرو بن قميئة)

على الراحتين مرة وعلى العصا ... أنوء ثلاثا بعدهن قيامي

ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كفى بالسلامة داء وقال حميد بن ثور الهلالي

أرى بصري قد رابني بعد صحة ... وحسبك داء أن تصح وتسلما

ولا يلبث العصران يوم وليلة ... اذا طلبا أن يدركا ما تيمما

وقال أبو حية النميري

ألا حي من أجل الحبيب المغانيا ... لبسن البلى مما لبسن اللياليا

اذا ما تقاضى المرء يوم وليلة ... تقاضاه شيء لا يمل التقاضيا

وقال بعض شعراء الجاهلية

كانت قناتي لا تلين لغامز ... فألانها الإصباح والإمساء

ودعوت ربي في السلامة جاهدًا ... ليمحني فاذا السلامة داء

وقال عنترة بن شداد

فاليوم هي مر أس الحرب ركني ... ولكن ما تقادم من زماني

ومن أمثال العرب اذا طال عمر الرجل أن يقولوا لقد أكل عليه الدهر وشرب انما يريدون انه أكل هو وشرب دهرا طويلا قال الجعدي

(كم رأينا من أناس هلكوا) ... أكل الدهر عليهم وشرب

والعرب تقول نهارك صائم وليلك قائم أي أنت قائم في هذا وصائم في ذاك كما قال الله عز وجل بل مكر الليل والنهار والمعنى والله أعلم بل مكركم في الليل والنهار وقال جرير

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى ... ونمت وما ليل المطي بنائم

وقال الفرزدق

تبكي على المنتوف بكر بن وائل ... وتنهى عن ابني مسمع من بكاهما

غلامان شبا في الحروب وأدركا ... كرام المساعي قبل وصل لحاهما

وابنا مسمع كان قتلهما معاوية بن يزيد بن المهلب مع عدي بن أرطاة لما أتاه خبر قتل أبيه وكان ابنا مسمع ممن خالف على يزيد بن المهلب والمنتوف كان مولى لبني قيس بن ثعلبة بن عكابة وابنا

عن القول فيك وقد كنت أهابك بفضل هيبتي لك واجترئ عليك بفضل بسطك لي فمنعني حرص الممنوع وخوف المشفق وأمن الواثق وقناعة الراضي وبعد فمن طلب مالا يجاد به وسأل مالا يوهب سئله ممن يجود بكل ثمين ويهب بكل خطير فواجب ان يكون من الرد مشفقا وبالنجح موقنا وان كان أبقاه الله أهلا لان يمنع وكنت حفظك الله أهلا ان تبذل وجب ان يكون باذلا مانعا وساكنا مطمئنا الا ان يكون الحرب سلما محالا والحالات دولا ولهذه الخصال ما وقع الطلب وشاع الطمع فان منعت فعذرك مبسوط عند من عرف قدرك وان بذلت فلم تعد الذي أنت أهله عند من عرف قدرك

مسمع من بنى قيس بن ثعلبة وكان المنتوف كالخليفة ليزيد بن المهلب وفى ذلك يقول جرير

والأزد قد جعلوا المنتوف قائدهم • فقتلتهم جنود الله وانتتفوا

وتمام شعر الفرزدق ولو قتلا من جذم بكر بن وائل • لكان على النأى شديدا بكاهما

ولو كان حيا مالك وابن مالك • اذا أوقدا نارين يعلو سناهما

السنا ضوء النار وهو مقصور قال الله عز وجل يكاد سنا برقه يذهب بالابصار والسناء من الشرف ممدود قال حسان بن ثابت وان خير عثمان بن عمرو • وأسناها اذا ذكر السناء

والبكاء يمد ويقصر فمن مد فانما جعله كسائر الاصوات ولا يكون المصدر فى معنى الصوت مضموم الاول الا ممدودا لانه يكون على فعال وقلما يكون المصدر على فعل وقد جاء فى حروف نحو الهدى والسرى وما أشبهه وهو يسير فاما الممدود فنحو العواء والدعاء والرغاء والثغاء فكذلك البكاء ونظيره من الصحيح الصراخ والنباح ومن قصر فانما جعل البكاء كالحزن وقد قال حسان

فقصر ومد بكت عيني وحق لها بكاها • وما يغني البكاء ولا العويل

وقال جرير قالوا نصيبك من أجر فقلت لهم • كيف العزاء وقد فارقت أشبالى

هذا سوادة يجلو مقلتى لحم • باز يصرصر فوق المرقب العالى

فارقته حين غض الدهر من بصرى • وحين صرت كعظم الرمة البالى

(نصيبك بالنصب لا غير لانه مفعول باضمار فعل تقديره احفظ نصيبك او احرز نصيبك) قوله يجلو مقلتى لحم شبه مقلتيه بمقلتى البازى ويقال طائر لحم من هذا وقوله يصرصر يعنى يصوت يقال صرصر البازى والصقر وما كان من سباع الطير ويقال صرصر العصفور وأحسبه مستعارا لان الاصل فيه ان يستعمل فى الجوارح من الطير قال جرير

• باز يصرصر بالسهى قطاجونا • وقال آخر • كما صرصر العصفور فى الرطب الندى •

وأنشدنى عمارة باز يصعصع وهو أصح (قال أبو الحسن يصعصع وهو الصواب ولكن هكذا وقع فى كتابه ويصرصر لا يتعدى) وقوله كعظم الرمة فهى البالية الذاهبة والرميم مشتق من الرمة وانما هو فعيل وفعلة وليس بجمع له واحد ومما كفرت به الفقهاء الحجاج بن يوسف قوله والناس يطوفون بقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنبره وان شئت قلت يطيفون قال أبو زيد تقول

الا انه لا يجود بمثله الا غنى عند جميع الناس أو عاقل فوق جميع الناس وكيف لا أطلب طلب الجرئ المتهور وامسك امساك الهائب الموقر وليس فى الأرض خلق يغتفر فى وصفه المحال غيره ولا يستحسن الهذيان سواه على ان من الهذيان ما يكون مفهوما ومن المحال ما يكون مسموعا فمن جهل ذلك ولم يعرفه وقصر ولم يبلغه فليسمع كلام اللهفان والثكلان والغضبان والغيران ومرقصة الصبيان والمتعط اذا دنا منه والحلق حتى اذا استوهبك لم تهب له منه حتى تقف وقفة وتطرقه ساعة ثم تستحسن وتستشير ثم

العرب طفقت وأطفقت به ودرت وأدرت به ويقال حدق وأحدق قال الأخطل

المنعمون بنو حرب وقد حدقت ... بي المنية واستبطأت أنصاري

انما يطوفون باعواد ورمة ومن أمثال العرب لولا أن تضيع الفتيان الذمة لخبرتها بما تجد الابل في الرمة يقول لولا أن تدع الاحداث التمسك بالوفاء والرعاية للحرمة لأعلمتها أن الابل تتناول العظم البالي وهو أقل الاشياء فتجد له لذة ومثل بيت جرير الاخير قول أبي الشغب يرثي ابنه شغبا

قد كان شغب لوان الله عمره ... عزا تزاد به في عزها مضر

لبت الجبال تداعت قبل مصرعه ... دكا فلم يبق من أحجارها حجر

فارقت شغبا وقد قوست من كبر ... بئس الخليفان طول الحزن والكبر

قوله قوست يقول انحنيت كالقوس قال امرؤ القيس

أراهن لا يحببن من قل ماله ... ولا من رأين الشيب فيه وقوسا

وقال سليمان بن قتة يرثي الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما

مررت على أبيات آل محمد ... فلم أرها كعهدها يوم حلت

فلا يبعد الله الديار وأهلها ... وان أصبحت من أهلها قد تخلت

وان قتيل الطف من آل هاشم ... أذل رقاب المسلمين فذلت

وكانوا رجاء ثم صاروا رزية ... فقد عظمت تلك الرزايا وجلت

وعند غني قطرة من دمائنا ... سنجزيهم يوما بها حيث حلت

اذا افتقرت قيس جبرنا فقيرها ... وتقتلنا قيس اذا الفعل زلت

وسليمان بن قتة رجل من بني تميم بن مرة بن كعب بن لؤي وكان منقطعا الى بني هاشم وقال الفرزدق يرثي ابنيه

بقي الشامتين الترب ان كان مسني ... رزية شبلي مخدر في الضراغم

وما أحد ذاك المنايا وراءه ... ولو عاش أياما طوال الابسالم

أرى كل حي ما تزال طليعة ... عليه المنايا من ثنايا المحارم

يذكرني ابني السما كان موهنا ... اذا ارتفعا فوق النجوم العواتم

تشفع على مسنوهبه وتعجب من شاربه ثم تطيل الكتاب بالامتنان وتسطر فيه بتعظيم الانعام مع ذكر مناقبه ونشر محاسنه بقدر الطاقة وان لم تبلغ الغاية فاعرف وزنه واشهد بطيبه وارح ساعته واشهد في الناس يومه وما ظنك بشيء لا تقدران تسرد في ذكره وتفرط في مدحه وتقصيرك واضح في كونه مكتوبا في طعمه موجودا في رائحته اذ كان كل ممدوح يقصر عن مدحه وقدره ويصغر في جنبه ولو لم يستدل على سعادة جدك واقبال أمرك وان لك زي صدق في المعلوم وحظا في الرزق المقسوم وانك ممن تبقى

وقد رزئ الأقوام قبلي بنيهم * واخوانهم فاقني حياء الكرائم

ومات أبي والمنذران كلاهما * وعمرو بن كلثوم شهاب الأراقم

وقد كان مات الأقرمان وحاجب * وعمرو وأبو عمرو وقيس بن عاصم

وقد مات بسطام بن قيس بن خالد * ومات أبو غسان شيخ اللهازم

وقد مات خيراهم فلم يهن لكاهم * عشية بانا رهط كعب وحاتم

فما ابتنالا الأمن بني الناس فاصبري * فلن يرجع الموتى حنين المآتم

وأنشدني التوزي عن أبي زيد حنين المآتم بالحاء مهملة (الحنين بالحاء مصوت من الحيشوم) قوله ماترال طليعة يريد طالعة والثنايا جمع ثنية وهي الطريق في الجبل من ذلك (الشعر لسهيم بن وثيل الرياحي)

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفوني

والمخارم جمع مخرم وهو منقطع أنف الجبل وقوله فوق النجوم العوائم يعني المتأخرة يقال فلان يأتينا ولا يعتم أي لا يتأخر وعتمة اسم للوقت فلذلك سميت الصلاة بذلك الوقت وكل صلاة مضافة الى وقتها تقول صلاة الغداة وصلاة الظهر وصلاة العصر وأما قولك الصلاة الأولى فالأولى نعت لها اذ كانت أول ما صلي وقيل أول ما أظهر وقوله فاقني حياء الكرائم يقول فارزقني أصل القنية المال اللازم تقول اقتنى فلان مالا اذا اتخذ أصل مال وقيل في قول الله عز وجل وأنه هو أغنى وأقنى أي جعل لهم أصل مال وأنشد أبو عبيدة (الشعر لأبي المثلم الهذلي يرثي صخرا)

لو كان للدهر عز يطمئن به * لكان للدهر صخر مال قنيان

والكرائم جمع كريمة والاسم من فعيلة والنعت يجمعان على فعائل فالاسم نحو صحيفة وصحائف وسفينة وسفائن والنعت نحو عقيلة وعقائل وكريمة وكرائم وقوله ومات أبي يريد التأسي بالاشراف وأبو غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع وكان أبو شريفا وأجداده الى حيث انتهوا ولكل واحد منهم قصة يطول الكتاب بذكرها والمنذران المنذر بن المنذر بن ماء السماء اللخمي يريد الابن والاب وعمرو بن كلثوم التغلبي قاتل عمرو بن هند وكان أحد أشراف العرب وفتاكهم وشعرائهم والاراقم قبيلة من بني تغلب بنت وائل من بني جشم بن بكر وزعم أهل العلم انهم انما سموا الاراقم لان عيونهم شبهت بعيون الحيات والاراقم واحدها

نعمه ويدوم شكره ويفهم النعمة ويربيها ويدر أعنها ويستديمها الا انه ان وقع في قسم وكان في نصيبك لكان ذلك أعظم البرهان وأوضح الدلالة بل لا نقول انه وقع اتفاقا وغرسا نادرا حتى يكون التوفيق هو الذي قصد به والصنع هو الذي دل عليه ولو لم تملك غيره لكنت غنيا ولو ملكت كل شيء سواه لكنت فقيرا وكيف لا يكون كذلك وهو مستراح قلبك ومجال عقلك ومربع عينك وموضع أنسك ومستنبط لذتك وينبوع سرورك ومصباحك في الظلام وشعارك من جميع الاقسام وكيف وقد جمع ابهة الجلال

أرقم فكانوا معروفين بهذا قال الفرزدق يرد على جرير فى هجائه له والاخطل

ان الاراقم لن ينال ندبها * كلب عوى منهم الاسنان

وجعله شهابا لهم لنوره وبهائه وضيائه تقول العرب انما فلان نجم أهله وكذلك قالت الخنساء

* كأنه علم فى رأسه نار *

والاقرعان الاقرع بن حابس وابنه الاقرع من بنى مجاشع بن دارم وكان الاقرع فى صدر الاسلام سيد خندف وكان محله فيها محل عيينة بن حصن فى قيس وحاجب ابن زرارة بن عدس سيد بنى تميم فى الجاهلية غير مدافع وعمرو أبو عمرو ويريد عمرو بن عدس وكان شريفا وكان ابنه عمرو شريفا قتل يوم جبلة قتلته بنو عامر بن صعصعة وقتلوا لقيط بن زرارة وكان الذى ولى قتله عمارة الوهاب العبسى وينسب الى بنى عامر لان بنى عبس كانوا فيهم مع قيس بن زهير وعمارة هذا هو الذى كان يقال له دالق وقتله شرحاف الضبى ولذلك يقول الفرزدق

وهن بشرحاف تدارك ذا القا * عمارة عبس بعدما جنح العصر

وزعم أبو عبيدة أن فاطمة بنت الخرشب الانمارية أريت فى منامها قائلا يقول أعشرة هدرة أحب اليك أم ثلاثة كعشرة (هدرة بالدال غير معجمة قال أبو الحسن هم السقاط من الناس) فلم تقل شيأ فعاد لها الليلة الثانية فلم تقل شيأ ثم قصت ذلك على زوجها فقال ان عاد لك الثالثة فقولى ثلاثة كعشرة وزوجها زياد بن عبد الله بن ناشب العبسى فلما عاد لها قالت ثلاثة كعشرة فولدتهم كلهم غاية ولدت ربيع الحفاظ وعمارة الوهاب وأنس الفوارس وهى احدى المنجبات من العرب وأسروا حاجبا فذلك حيث يقول جرير يعير الفرزدق ويعلمه فخر قيس عليه

تحضض يا ابن القين قيسا لتجعلوا * لقومك يوما مثل يوم الاراقم

كأنك لم تشهد لقيطا وحاجبا * وعمرو بن عمرو اذ دعوا يال دارم

ولم تشهدا الجونين والشعب ذا الصفا * وشدات قيس يوم دير الجماجم

الجونان معاوية وحسان ابنا الجون الكندى بان أسرا فى ذلك اليوم فقتل حسان وفودى معاوية بسبب يطول ذكره والشعب شعب جبلة وقوله وشدات قيس يوم دير الجماجم هذا فى الاسلام يعنى وقعة الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبى عقيل الثقفى بعبد الرحمن بن محمد الاشعث بن قيس بن معديكرب الكندى بدير الجماجم وقوله وقدمات بسطام بن قيس بن خالد يعنى الشيبانى وهو

ورشاقة الخلال ووقار البها وشرف الخير وعز المجاهدة ولذة الاختلاس وحلاوة الزبيب وسأصف لك شرف النبيذ فى نفسه وفضيلته على غيره ثم أصف فضل شرابك على سائر الأشربة كما أصف فضل النبيذ على سائر الأنبذة لأن النبيذ اذا تمشى فى عظامك والتبس باجزائك ودب فى جنانك منحك صدق الحس وفراغ النفس وجعلك رخى البال خلى الذرع قليل الشواغل قرير العين واسع الصدر فسيح الهم حسن الظن ثم سد عليك أبواب التهم وحسن دونك الظن وخواطر النهم وكفاك مؤونة الحراسة وألم

فارس بكر بن وائل وابن سيدها وقتل بالحسن وهو جبل (كذا وقعت الرواية بالحسن وهو جبل بالجيم والصحيح حبل بالحاء قال ابن سراج رحمه الله تعالى الحسن والحسين حبلا رمل) فقتله عاصم بن خليفة الضبي وكان عاصم أسلم في أيام عثمان رحمه الله فكان يقف ببابه فيستأذن عليه فيقول عاصم بن خليفة الضبي قاتل بسطام بن قيس بالباب (قال أبو الحسن الوجه عندي في بسطام أن لا ينصرف لانه أعجمي) وكان سبب قتله اياه أن بسطاما أغار على بني ضبة وكان معه حاز (قال أبو الحسن حاز بالزاي زاجر) يحزو له فقال له بسطام إني سمعت قائلا يقول

• الدلو تأتي العرب المزلة • فقال الحازي فهلا قلت • ثم تعود بادنا مبتلة • قال ما قلت فاكتسح إبلهم فتنادوا واتبعوه فنظرت أم عاصم اليه وهو يقع حديدة له أي يحدها والميقعة المطرقة فقالت له ما تصنع بهذه وكان عاصم منقوصا فقال لها أقتل بها بسطام بن قيس فنهرته وقالت اسكت أمدك أضيق من ذاك فنظر الى فرس لعمه موثقة الى شجرة فاعروراها أي ركبها عريا ثم أقبل بها الريح فنظر بسطام الى الخيل قد لحقته فجعل يطعن الابل في اعجازها فصاحت به بنو ضبة يا بسطام ما هذا السفه دعها اما لنا واما لك وانحط عليه عاصم فطعنه فرمى به على الاكمة وهي شجرة ليست بعظيمة وكان بسطام نصرانيا وكان مقتله بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فأراد أخوه الرجوع الى القوم فصاح به بسطام أنا حنيف ان رجعت في ذلك يقول ابن عمة الضبي

وكان في بني شيبان نخر على الاكمة لم يوسد • كان جبينه سيف صقيل

ولما قتل بسطام لم يبق في بكر بن وائل بيت الا هجم أي هدم وقوله ومات أبو غسان شيخ اللهازم يعني مالك بن مسمع بن شيبان بن شهاب أحد بني قيس بن ثعلبة واليه تنسب المسامعة وكان سيد بكر بن وائل في الاسلام وهو الذي قال لعبيد الله بن زياد بن ظبيان أحد بني تيم اللات بن ثعلبة وكان حين حدث أمر مسعود بن عمرو المعنى من الازد فلم يعلمه به فقال له عبيد الله وهو أحد فتاك العرب وهو قاتل مصعب بن الزبير أيكون مثل هذا الحدث ولا تعلمني به لهممت أن أصطلك عليك نارا فقال له مالك اسكت أبا مطر فوالله ان في كناني سهما أبا أوثق به مني بك فقال له عبيد الله أو أنا في كنانتك فوالله لو قعدت فيها لطلتها ولو قمت فيها لخرقتها فقال له مالك عجبه ما سمع منه أكثر الله في العشيرة مثلك قال لقد سألت ربك سخطا وفي مالك بن مسمع يقول

الشفقة وخوف الحدثان
وذل الطمع وكد الطلب
وكلما اعترض على السرور
وأفسد اللذة وقاسم
الشهوة وأخل بالنعمة
وهو الذي يرد الشيوخ
في طبائع الشبان ويرد
الشبان في نشاط الصبيان
وليس يخاف شاربه الا
مجاوزة السرور الى الاشر
ومجاوزة الاشر الى البطر
ولو لم يكن من اياديه ومنته
ومن جميل آلائه ونعمه
الا انه مادمت تمزجه
بروحه وتزاوج بينه
وبين دمه فقد أنفك
من الجدونصه وحبب
اليك المزح والفكاهة
وبغض اليك الاستقصاء
بمعاولة وازال عنك
تعقد الحشمة وكد المروءة
وصار يومه جمالا لايام

اذا ما خشينا من أمير ظلامة * دعونا أبا غسان يوما فعسكرا

قوله وقدمات خيراهم تثنية كقولك مات أخيراهم ولم يخرج مخرج النعت ألا ترى أنك تقول هذا أخير القوم اذا أردت هذا الأخير الذى للقوم فاذا أردت الذى يفضلهم فى باب الخيرة قلت هذا أشدهم خيرة ولم تقل هذا أخيرهم وكذلك خيراهم وانما أردت هذا خيرهم ثم ثنيت أى هذا الخير الذى هو فيهم وقوله عشية بانا مردود على قوله خيراهم وقوله رهط كعب وحاتم انما خفضت رهطا لانه بدل من هم التى أضفت اليها الخيرين والتقدير وقدمات خيرا رهط كعب وحاتم فلم يهلكاهم عشية بانا فاما كعب فهو كعب بن مامة الايادى وكان أحد أجواد العرب الذى آثر على نفسه وكان مسافرا ورفيقه رجل من النمر بن قاسط فقل عليهما الماء فتصافناه والتصافن أن يطرح فى الاناء حجر (هذا الحجر الذى يقسم به الماء يقال له المقلة بفتح الميم) ثم يصب فيه من الماء ما يغمره لئلا يتغابنوا وكذلك كل شئ وقف على كيله أو وزنه والأصل ماذكرنا لجعل النمرى يشرب نصيبه فاذا أخذ كعب نصيبه قال اسق أخاك النمرى فيؤثره حتى جهد كعب ورفعت له أعلام الماء فقيل له رد كعب ولا ورود به فمات عطشا فى ذلك يقول أبو دواد الايادى

أوفى على الماء كعب ثم قيل له * رد كعب انك وراد فما وردا

فضرب به المثل فقال جرير فى كلمته التى مدح فيها عمر بن عبد العزيز

يعود الفضل منك على قريش * وتفرج عنهم الكرب الشدادا

وقد أمنت وحشهم برفق * ويعيى الناس وحشك أن تصادا

وتبنى المجد يا عمر بن ليلى * وتكفى المحل السنة الجمادا

وتدعو الله مجتهدا ليرضى * وتذكر فى عشيتك المعادا

وما كعب بن مامة وابن سعدى * بأجود منك يا عمر الجوادا

تعود صالح الاخلاق انى * رأيت المرء يلزم ما استعادا

هذا كعب بن مامة الذى ذكرناه وأما ابن سعدى فهو أوس بن حارثة بن لأم الطائى وكان سيدا مقدما فوفد على حاتم بن عبد الله الطائى على عمرو بن هند وأبوه المنذر بن ماء السماء فدعا أوسا فقال له أنت أفضل أم حاتم فقال أبيت اللعن لو ملكنى حاتم وولدى ولحمتى لوهبنا فى

الفكرة وتسهيلا لمعاودة الروية لكان فى ذلك مايوجب الشكر ويطنب الذكر مع ان جميع ماوصفناه واخبرنا به عنه يقوم بايسر الجرم وأقل الثمن ثم يعطيك فى السفر مايعطيك فى الحضر وسواء عليك البساتين والجنان ويصلح بالليل كما يصلح بالنهار ويطيب فى الصحو كما يطيب فى الدجن ويلذ فى الصيف كما يلذ فى الشتاء ويجرى مع كل حال وكل شئ سواه فانما يصلح فى بعض الاحوال ويدفع مضرة الحر كما يجلب منفعة السرور اسكنت جذلا كان بارا بذى كنت ذاهم نقاء عندك وما الغيث فى الحرث بانفع منه

غداة واحدة ثم دعا حاتما فقال له أنت أفضل أم أوس فقال أبيت اللعن اغا ذكرت بأوس ولأحد ولده أفضل منى وكان النعمان بن المنذر دعا بحلة وعنده وفود العرب من كل حى فقال احضروا فى غد فانى ملبس هذه الحلة أكرمكم فحضر القوم جميعا الا أوسا فقيل له لم تخلفت فقال ان كان المراد غيرى فأجل الاشياء أن لا أكون حاضرا وان كنت أنا المراد فسأطلب ويعرف مكانى فلما جلس النعمان لم ير أوسا فقال اذهبوا الى أوس فقولوا له احضر آمنا مما خفت فحضر فألبس الحلة فحسده قوم من أهله فقالوا للحطيئة اهجه ولك ثلثمائة ناقة فقال الحطيئة كيف أهجو رجلا لا أرى فى بيتى أثاثا ولا مالا الا من عنده ثم قال

كيف الهجاء وما تنفك صالحة ٭ من آل لأم بظهر الغيب تأتينى

فقال لهم بشر بن أبى خازم أحد بنى أسد بن خزيمة أنا أهجوه لكم فأخذ الابل وفعل فأغار أوس على الابل فاكتسحها فجعل لا يستجير حيا الا قال قد أجرتك الا من أوس وكان فى هجائه اياه قد ذكر أمه فأتى به فدخل أوس على أمه فقال قد أتينا ببشر الهاجى لك ولى فما ترين فيه فقالت له أو تطيعنى فيه قال نعم قالت أرى أن ترد عليه ماله وتعفو عنه وتحبوه وأفعل مثل ذلك فانه لا يعمل هجاءه الا مدحه فخرج اليه فقال ان أمى سعدى التى كنت تهجوها قد أمرت فى بكذا وكذا فقال لا جرم والله لا مدحت أحدا حتى أموت غيرك ففيه يقول

الى أوس بن حارثة بن لأم ٭ ليقضى حاجتى فيمن قضاها

وما وطئ الثرى مثل ابن سعدى ٭ ولا لبس النعال ولا احتذاها

وأما حاتم الذى ذكره الفرزدق فهو حاتم بن عبد الله الطائى جواد العرب وقد كان الفرزدق صادف رجلا من بنى العنبر بن عمرو بن تميم أداوة فى وقت فرامه العنبرى وسامه ان يؤثره وكان الفرزدق جوادا فلم تطب نفسه عن نفسه فقال الفرزدق

فلما تصافقنا الاداوة أجهشت ٭ الى غضون العنبرى الجراضم

فجاء بحلموديه مثل رأسه ٭ ليشرب ماء القوم بين الصرائم

على ساعة لو أن فى القوم حاتما ٭ على جوده ضنت به نفس حاتم

قوله أجهشت فهو التسرع وما تراه فى محواه من مقاربة الشئ يقال أجهش بالبكاء والغضون

فى البدن وما الريش السهام بأدفأ منه للقرور ويستمرأ به الغداء ويدفع به ثقل الماء ويعالج به الأدواء ويحمر به الوجنتان ويعدل به قضاء الدين ان انفردت به الهالك وان نادمت به سوالف هو أصنع للسرور من زلزل وأشد اطرابا من مخارق وقد راحتياجهما اليه كقد راستغنائه عنهما لانه أصل اللذات وهى فرعه وأول السرور ونتاجه ولله در أول من عمله وصنعه وسقيا لمن استنبطه وأظهره ماذا در وعلى أى شئ دل وبأى معنى أنعم وأى دفين اثار وأى كنز استخرج ومن استغناء النبيذ بنفسه وقلة احتياجه الى غيره

التكسر في الجلد والجراضم الاحمر الممتلئ وقوله ليشرب ماء القوم بين الصرائم فهي جمع صريمة وهي الرملة التي تنقطع من معظم الرمل وقوله صريمة يريد مصرومة والصرم القطع وأنشد الاصمعي

فبات يقول أصبح ليل حتى ٭ تجلى عن صريمته الظلام

يعني نورا وصريمته رملته التي هو فيها وقال المفسرون في قول الله عز وجل فأصبحت كالصريم قولين قال قوم كالليل المظلم وقال قوم كالنهار المضيء أي بيضاء لا شيء فيها فهو من الاضداد ويقال لك سواد الارض وبياضها أي عامرها وغامرها فهذا ما يحتج به لاصحاب القول الاخير ويحتج لاصحاب القول الأول في السواد بقول الله عز وجل فجعله غثاء أحوى وانما سمي السواد سوادا لعمارته وكل خضرة عند العرب سواد ويروى

على ساعة لو أن في القوم حاتما ٭ على جوده ما جاد بالماء حاتم

جعل حاتم تبيينا للهاء في جوده وهو الذي يسميه البصريون البدل أراد على جود حاتم

(باب)

قال أبو العباس كان يقال اذا رغبت في المكارم فاجتنب المحارم وكان يقال أنعم الناس عيشا من عاش غيره في عيشه وقيل في المثل السائر من كان في وطن فليوطن غيره وطنه ايرتع في وطن غيره في غربته قال وانتبه معاوية من رقدة له فأنبه عمرو بن العاصي فقال له عمرو وما بقي من لذتك يا أمير المؤمنين قال عين خوارة في أرض خوارة وعين ساهرة لعين نائمة فما بقي من لذتك يا أبا عبد الله قال أن أبيت معرسا بعقيلة من عقائل العرب ثم نبهاورد ان فقال له معاوية ما بقي من لذتك فقال الافضال على الاخوان فقال له معاوية اسكت فأنا أحق بها منك فقال له قد أمكنتك فافعل ويروى ان عمر الماسئل قال أن أستتم بناء مدينتي بمصر وأن وردان لما سئل قال أن ألقى كرعا قادرا في عقب احسان كان مني اليه وأن معاوية سئل عن الباقي من لذته فقال محادثة الرجال ويروى عن عبد الملك أنه قال وقد سئل عن الباقي من لذته فقال محادثة الاخوان في الليالي القمر على الكثبان العفر وقال سليمان بن عبد الملك قد أكلنا الطيب ولبسنا اللين وركبنا الغاره وامتطينا العذراء فلم يبق من لذتي الا صديق أطرح بيني وبينه مؤونة التحفظ وقال رجل لرجل من قريش اني والله

ان جميع ماسواه من الشراب يصلحه الثلج ولا يطيب الا به وأول ما نثنى عليه به ونذكر منه انه كريم الجوهر شريف النفس رفيع القدر بعيد الهم وكذلك طبيعته المعروفة وسجيته الموصوفة وانه يسر النفوس ويحبب اليها الجود ويزين لها الاحسان ويرغبها في التوسع ويورثها الغنى وينفي عنها الفقر ويعلاها عزا ويعدها خيرا ويحسن المسارة ويصير به النبت خصبا والجناب مريعا ومأهولا معشبا وليس شيء من المأكول والمشروب أجمع للظرفاء ولا أشد تالفا للادباء ولا أجلب للمؤنسين ولا أدعى الى خلاف الممتنعين ولا

ما أَمَلُ الحديثَ قال اغماءٌ يَعِلُّ العَتيقُ وقال المُهَلَّبُ بن أبي صُفرةَ العيشُ كلُّه في الجليس المُمتِعِ وقال معاوية الدنيا بحذافيرها الحَفْضُ والدَّعَةُ وقال يزيد بن المهلب ما يَسُرُّني اني كُفيتُ أمرَ الدنيا كلَّه قيل له ولِمَ أيها الامير قال أكرهُ عادةَ العَجزِ ويروى عن بعض الصالحين أنه قال لو أنزل الله كتابا انه مُعَذِّبُ رجلا واحدا لخِفْتُ أن أكونَه أو أنه راحمٌ رجلا واحدا لرَجَوْتُ أن أكونه ولو علمت أنه مُعَذِّبي لا محالةَ ما ازْدَدْتُ الا اجتهادا لئلا أَرْجِعَ على نفسي بلائمة ويروى أن عمر بن العزيز كان يدخل اليه سالم مَوْلَى بني مَخْزوم وقالوا بل زيادٌ وكان عمر أراد شراءه وعتقه فأعتقه مَوالِيه وكان عمر يسميه أخي في الله فكان اذا دخل وعُمَرُ في صدر مجلسه تَنَحَّى عن الصَّدر فيقال له في ذلك فيقول اذا دَخَلَ عليكُمْ مَنْ لا تَرَى لك عليه فَضْلًا فلا تأخُذْ عليه شَرَفَ المجلس وهَمَّ السراجُ ليلةً بأن يَخْمُدَ فوَثَبَ اليه رَجاءُ بن حَيْوَةَ ليُصْلِحَه فأقسم عليه عمر فجلس ثم قام عمر فأصلحه فقال له رَجاءُ أتقوم يا أمير المؤمنين قال قمتُ وأنا عمر بن عبد العزيز ورجعتُ وأنا عمر بن عبد العزيز ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لا تَرْفَعوني فَوْقَ قَدْري فتقولوا فيَّ ما قالت النصارى في المَسيح فان الله اتَّخَذَني عبدا قبل أن يَتَّخِذَني رسولا ودخل مَسْلَمةُ بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز في مَرَضِه التي مات فيها فقال ألا توصي يا أمير المؤمنين قال فيمَ أُوصي فوالله ان لي من مالٍ فقال هذه مائة ألف فَرِّقْ فيها بما أحببتَ فقال أوَتَقْبَلُ قال نعم قال تَرُدُّ على من أُخِذَتْ منه ظلما فبكى مَسْلَمةُ ثم قال يرحمك الله لقد أَلَنْتَ مناقلوبا قاسية وأبقيتَ لنا في الصالحين ذِكْرا وقيل لعلي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم انك من أَبَرِّ الناس بأمك ولستانراك تأكل مع أُمِّكَ في صَحْفَة فقال أخاف أن تَسْبِقَ يدي الى ما قد سَبَقَتْ عينُها اليه فأكون قد عَقَقْتُها وقيل لعمر بن ذَرٍّ حيث نُظِرَ الى تَعْزِيَتِه عن ابنه كيف كان بِرُّه بك فقال ما مشيت بنهار معه قَطُّ الا مَشَى خَلْفي ولا بليل الا مشى أمامي ولا رَقِيَ سَطْحا وأنا تحته وقال أبو المُخَشِّ كانت لي ابنةٌ تَجْلِسُ معي على المائدة فتُبْرِزُ كَفًّا كأنها طَلْعَةٌ في ذِراعٍ كأنها جُمَّارَةٌ فلا تقع عينُها على أُكْلَةٍ نفيسةٍ الا خَصَّتْني بها فَزَوَّجْتُها وصار يجلس معي على المائدة ابنٌ لي فيُبْرِزُ كفا كأنها كُرْنافَةٌ في ذراعٍ كأنها كَرَبَةٌ فوالله ان تَسْبِقُ عيني الى لُقْمةٍ طَيِّبةٍ الا سَبَقَتْ يدُه اليها وقال الاصمعي قيل لابي المُخَشِّ أما كان لك ابن فقال المُخَشُّ وما كان المُخَشُّ كان والله أَشَدَّ خُرْطُما نِيًّا اذا تكلم سأل أعابه كأنما ينظر من قُلَّتَيْن

أجدر أن يستدام به حديثهم ويخرج مكنونهم ويطول به مجلسهم منه وان كل شراب وان كان حلا ورق وصفا ودق وطاب وعذب وبرد ونفع فان استطابته لأول جرعة منها كثير ويكون من طبائعه أن وقع ثم لا يزال في نقصان الى ان يعود مكروها وبليغا الا النبيذ فان القدح الثاني اسهل من الأول والثالث أيسر والرابع الذ والخامس أسلس والسادس اطرب الى ان يسلسه الى النوم الذي هو حياته او احد أقواته ولا خير فيه اذا كان اسكاره تغلبا وأخذه بالرأس تعسفا حتى يميت الحس بحدته ويصرع الشارب بسورته

وكان تحت قوته بوان أو خالفة وكأن مشاش منكبيه كركرة جمل فقأ الله عينى هاتين ان كنت رأيت بهما أحسن منه قبله ولا بعده قوله بوان أو خالفة فهما عمودان من عمد البيت البوان فى مقدمه والخالفة فى مؤخره والكركرة نافة طرف الكربة العريض الذى يتصل بالنخلة كأنه كتف حدثنى بهذا الحديث العباس بن الفرج الرياشى عن الاصمعى وحدثنى عمن حدثه قال مر بنا أعرابى ينشد ابنا له فقلنا صفه فقال دنينير قلنا لم نره فلم نلبث ان جاء يجعل على عنقه فقلنا لو سألت عن هذا لأرشدنا مازال منذ اليوم بين أيدينا وأنشدنى منشد وأنشدنى الرياشى أحد البيتين

نعم ضجيع الفتى اذا برد الـ ـليل سحيرا وقرقف الصرد
زينها الله فى الفؤاد كما ... زين فى عين والد ولد

وقالت أم ثواب المزانية من عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار تعنى ابنها

ربيته وهو مثل الفرخ أعظمه ... أم الطعام ترى فى ريشه زغبا
حتى اذا آض كالفحال شذبه ... أباره ونفى عن متنه الكربا
أنسا يخرق أثوابى ويضربنى ... أبعد سبتين عندى تبتغى الأدبا
انى لأبصر فى ترجيل لمته ... وخط لحيته فى وجهه عجبا
قالت له عرسه يوما لتسمعنى ... رفقا فان لنا فى أمنا أربا
ولو رأتنى فى نار مسعرة ... من الجحيم لزادت فوقها حطبا

قوله أباره فهو الذى يصلحه يقال أبرت النخل وأبرته خفيفة اذا لقحته ويروى أن مالك بن العجلان أو غيره من الأنصار كان يضف أبا جبيلة الملك حيث نزل بهم بتمر من نخلة لهم شريفة فغاب يوما فقال أبو جبيلة ان مالكا كان يقوت علينا جنى هذه النخلة فجذوها فجاء مالك وقد جذت فقال من سعى على عذق الملك فجذه فأعلموه أن الملك أمر بذلك فجاء حتى وقف عليه فقال

جددت جنى نخلتى ظالما ... وكان الثمار لمن قد أبر

فلما دخل النبى صلى الله عليه وسلم المدينة أطروه بهذا الحديث فقال صلى الله عليه وسلم الثمر لمن أبر الا أن يشترطه المشترى والفحال فحل النخل ولا يقال لشئ من الفحول فحال غيره وأنشدنى المازنى

يطفن بفحال كأن ضبابه ... بطون الموالى يوم عيد تغدت

وضبابه

ويورث البهر بكظته ولا يسرى فى العروق لغلظته ولا يجرى فى البدن لركوده ولا يدخل فى العمق ولا يدخل الصميم ولا والله حتى يغازل العقل ويعارضه ويدعه ويخادعه فيسره ثم يهزه فاذا امتلأ سرورا وعاد ملكا محبورا حاك له السكر وراوغه وداراه وماكره وهازله وفاتحه وليس كما يغتصب السكر ويعتسف الذاذى ويفترس الزبيب ولكن بالتقتير والغمز والحيلة والحيل وتحبيب النوم وتزيين الصمت وهذه صفة شرابك الا ما لا نحيط به ونعوته بتبدل الا ما يقبح منها الجهل به وخير الاشربة ما جمع المحمود من خصالها

وضبابه طلعه وآض عاد ورجع وقولها شذبه تقول قطع عنه الكرب والعناكيل وكل مشذب مقطوع ويقال للرجل الطويل النحيف مشذب يشبه بالجذع المحذوف عنه الكرب وأصل التشذيب القطع وقال الفرزدق

عضت سيوف تميم حين أغضبها ... رأس ابن عجلى فأضحى رأسه شذبا

أراد عضت سيوف تميم رأس ابن عجلى حين أغضبها وابن عجلى عبد الله بن خازم السلمي وأمه عجلى وكانت سوداء وهو أحد غربان العرب في الاسلام وسئل المهلب من أنجع الناس فقال عباد بن حصين وعمرو بن عبيد الله بن معمر والمغيرة بن المهلب فقيل له فأين ابن الزبير وابن خازم وعمير بن الحباب فقال انما سئلت عن الانس ولم أسئل عن الجن

(باب)

روى شعبة عن واقد بن محمد عن ابن أبي مليكة عن القاسم بن محمد قال قالت عائشة رضي الله عنها من أرضى الله باسخاط الناس كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن أرضى الناس باسخاط الله وكله الله الى الناس ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته ويروى أن الحسن بن زيد لما ولي المدينة قال لابن هرمة اني لست كمن باع لك دينه رجاء مدحتك أو خوف ذمتك فقد أفادني الله بولادة نبيه المدائح وجنبني المقابح وان من حقه علي ألا أغضي على تقصير في حقه وأنا أقسم بالله لئن أتيت بك سكران لأضربنك حدين حد الخمر وحد السكر ولأزيدنك لموضع حرمتك فليكن تركك لها لله تعين عليه ولا تدعها للناس فتوكل اليهم فنهض ابن هرمة وهو يقول

نهاني ابن الرسول عن المدام ... وأدبني بآداب الكرام

وقال لي اصطبر عنها ودعها ... لخوف الله لا خوف الانام

وكيف تصبري عنها وحبي ... لها حب تمكن في عظامي

أرى طيب الحلال على خبيثا ... وطيب النفس في خبث الحرام

وقال الحسن لمطرف بن عبد الله بن الشخير الحرشي يا مطرف عظ أصحابك فقال مطرف اني أخاف أن أقول مالا أفعل فقال الحسن يرحمك الله وأينا يفعل ما يقول ولكن الشيطان انما ظفر بهذه منكم

وخصال غيرها وشرابك هذا قد أخذ من الخمر زينتها في المفاصل وغشيها في العظام ولونها الغريب وأخذ برد الماء ورقة الهواء وحركة النار وحمرة خدك اذا خجلت وصفرة لونك اذا فزعت وبياض عارضك اذا ضحكت وحسبي بصفاتك عوضا من كل حسن وخلفا من كل صالح ولا تعجب ان كانت نهاية الهمة وغاية المنية فان حسن الوجوه اذا وافق حسن القوام وشدة العقل وجودة الرأي وكثرة الفضل وسعة الخلق والمغرس الطيب والنصاب الكريم والطرف الناصع واللسان المفهم والمخرج السهل والحديث المونق

فلم يأمر أحد بمعروف ولم ينه عن منكر وقال مطرف بن عبد الله لابنه يا عبد الله العلم أفضل من العمل والحسنة بين السيئتين وشر السير الحقحقة قوله الحسنة بين السيئتين يقول الحق بين فعل المقصر والغالي ومن كلامهم خير الامور أوساطها وقوله وشر السير الحقحقة وهو ان يستفرغ المسافر جهد ظهره فيقطعه فيهلك ظهره ولا يبلغ حاجته يقال حقحق السير اذا فعل ذلك وقال الراجز • وأنيت فعل السائر المحقحق • (فعل بالنصب الرواية الصحيحة لانه مصدر معنى) وحدثت أن الحسن التي سابق الحاج وقد أسرع فجعل يومئ اليه باصبعه فعل العازلة وهو يقول خرقاء وجدت صوفا وهذا مثل من أمثال العرب يضربونه للرجل الاحمق الذي يجد مالا كثيرا فيعيث فيه وشبيه بهذا المثل قولهم عبد وخلاف في يديه ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة ربك فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى قوله متين المتين الشديد قال الله عز وجل وأملي لهم ان كيدي متين وقوله فأوغل فيه برفق يقول ادخل فيه هذا أصل الوغول ويقال مشتقا من هذا للرجل الذي يأتي شراب القوم من غير أن يدعى اليه واغل ومعناه انه وغل في القوم وليس منهم قال امرؤ القيس

حلأت لي الخمر وكنت امرأ • عن شربها في شغل شاغل

فاليوم أسقى غير مستحقب • اثما من الله ولا واغل

والمنبت مثل المحقحق واشتقاقه من الانقطاع يقال انبت فلان من فلان اى انقطع منه وبت الله ما بينهم اى قطع قال محمد بن عمير

تواعد للبين الخليط ليبتوا • وقالوا الرعي الذود موعدك السبت

وفي النفس حاجات اليهم كثيرة • وموعدها في السبت لو قدرنا الوقت

(روى الانفش البيت الاخير ويروى • الا قرب الحي الجمال ليبتوا •) وحدثت ان ابن السماك كان يقول اذا فعلت الحسنة ففرح بها واستقلها فانك اذا استقللتها زدت عليها واذا فرحت بها عدت اليها ويروى عن أويس القرني انه قال ان حقوق الله لم تترك عندي مسلم درهما ودخل يزيد بن عمر بن هبيرة على امير المؤمنين المنصور فقال يا امير المؤمنين توسع توسعا قرشيا ولا تضق ضيقا حجازيا ويروى انه دخل عليه يوما فقال له المنصور حدثنا فقال يا امير المؤمنين ان

مع الاشارة الحسنة والنبل في الجلسة والحركة الرشيقة واللهجة الفصيحة والتمهل في المجاوزة والهز عند المناقلة والبديه البديع والفكر الصحيح والمعنى الشريف واللفظ المحذوف والايجاز يوم الايجاز والاطناب يوم الاطناب يفل الحز ويصيب المفصل ويبلغ العفو ما يقصر عنه الجهد كان أكثر لتضاعف الحسن واحق بالكمال وان التاج بهى وهو في رأس الملوك أبهى والياقوت الكريم حسن وهو في جيد المرأة الحسناء احسن والشعر الفاخر حسن وهو من الاعرابي احسن فان كان من قول المنشد وقريضه ومن

سُلْطانَكُمْ حديثٌ وامارَتُكُمْ جديدةٌ فأذيقوا الناسَ حلاوةَ عَدْلِها وجَنِّبوهُمْ مرارةَ جَوْرِها فوالله يا أميرَ المؤمنين لقد مَحَضْتُ لك النصيحةَ ثم نهَضَ فنهَضَ معه سبعمائة من قيسٍ فأتاره المنصور بصَرَه ثم قال لا يعِزُّ مُلْكٌ يكون فيه مثلُ هذا قوله مَحَضْتُ لك النصيحةَ يقول اخلصتُ لك واصل هذا من اللبن والمَحْضُ منه الخالص الذي لا يَشوبُه شيءٌ وأنشد الاصمعيُّ

امْتَحَضا وبَقِّيانى ضَيْحا • وقد كَفَيْتُ صاحِبَيَّ المَيْحا

(المَيح طلب الشيء ههنا وههنا) ويقال حَسَبٌ مَحْضٌ وقوله أتأره بصره يقول أتبعه بصره وحَدَّدَ اليه النظرَ وأنشد الاصمعي (وهو للكُمَيت بن زيد)

مازِلْتُ أَرْمُقُهُمْ والآلُ يَرْفَعُهُمْ • حتى اسْمَدَرَّ بطَرْفِ العينِ اتآرى

ويروى عن أسماء بن خارجةَ أنه قال لا أُشاتِمُ رجلا ولا أُرَدُّ سائلا فانما هو كريمٌ أُسُدُّ خَلَّتَه أو لئيمٌ أشترى عِرْضي منه ويروى عن الأحنف بن قيسٍ أنه قال ما شاتَمْتُ رجلا مُذْ كنتُ رجلا ولا زَحَمْتُ رُكْبَتايَ رُكْبَتَيْه واذا لم أَصِلْ مُجْتَدِيَّ حتى يَنْضَحَ جَبينُه عَرَقا كما يَنْضَحُ الحَمِيتُ فوالله ما وصَلْتُه قوله مُجْتَدِيَّ يريد الذي يأتيه يطلب فضله يقال اجتداه يَجْتَدِيه واعتفاه يَعْتَفيه واعتراه يَعْتَريه واعتَرّه يَعْتَرُّه وعراه يَعْروه اذا قصده يتعرَّضُ لنائله وأصل ذلك مأخوذ من الجَدَى مقصور وهو المطر العامُّ النافع يقال أصابتنا مَطَرَةٌ كانت جَدًى على الارض فهذا الاسم فاذا أردتَ المصدر قلتَ فلان كثيرُ الجَداء ممدود كما تقول كثيرُ الغَناء عند ممدود هذا المصدر فاذا أردتَ الاسم الذي هو خلاف الفقر قلتَ الغِنى بكسر أوله وقَصَرتَ قال خُفافُ بن نَدْبَةَ يمدح أبا بكر الصديق رضي الله عنه

لَيْسَ شيءٌ غيرَ تَقْوى جَداهُ • وكُلُّ شيءٍ عُمْرُه للفَناءُ

ان أبا بكرٍ هو الغَيْثُ اذا • تَشْمَلُ الارضَ سَحابٌ بِماءُ

تالله لا يُدْرِكُ أيامَهُ • ذو طِرَّةٍ خافٍ ولا ذو وِحاءُ

مَنْ يَسْعَ كَيْ يُدْرِكَ أيامَهُ • يَجْتَهِدِ الشَّدَّ بأرضٍ فَضاءُ

وهذا من طَرِيفِ الشعر لانه ممدودٌ فهو بالمدِّ الذي فيه من عَرُوضِ السَّريع الاولى وبيته في العَروض

أزمانَ سَلْمَى لا يُرَى مِثْلُها الـ • ـحُسْنُ في شامٍ ولا في عِراقِ

ثم نرجع الى تأويل قول الأحنف قوله حتى يَنْضَحَ جَبينُه عَرَقا فهو مثل الرَّشْحِ وحدثني أبو عثمان

نحته وتحبيره فقد بلغ الغاية واقام النهاية وهذا الشراب حسن وهو عندك احسن والهدية منه شريفة وهي منك اشرف وان كنت قدرت اني انما طلبته منك لأشربه او لأسقيه اولأهبه او لأتحساه في الخلا أو ادّره في الملا أولأنافس فيه الاكفاء واختبر زيادة الخطأ اولأبتذله لعيون الندماء او أعرضه لنوائب الأصدقاء فقد أسأت بي الظن وذهبت من الاساءة بي في كل فن وقصرت به فهو أشد عليك ووضعت منه فهو أضر بك وان ظننت أني انما اريده لاطرف به معشوقة اولاستميل به هوى ملك

المازنى فى اسناده ذكره قال قال رؤبة بن العجاج خرجت مع أبى زيد سليمان بن عبد الملك فلما صرنا فى الطريق أهدى لنا جنب من لحم عليه كوافئ الشحم وخريطة من كمأة ووطب من لبن فطبخناها بهذا فما زالت ذفريا تنضان منه الى أن رجعت وقوله الحميت فالحميت والزق اسمان له واذا زفت أو كان مربوبا فهو الوطب واذا لم يكن مربوبا ولا مزفتا فهو سقاء ونحى والوطب يكون للبن والسمن والسقاء يكون للبن والماء قالت هند بنت عتبة لأبى سفيان بن حرب لما رجع مسلما من عند النبى صلى الله عليه وسلم الى مكة فى ليلة الفتح فصاح يا معشر قريش ألا انى قد أسلمت فأسلموا فان محمدا قد أتاكم بما لا قبل لكم به فاخذت هند برأسه وقالت بئس طليعة القوم أنت والله ما أخذشت خذشا يا أهل مكة عليكم الحميت الدسم فاقتلوه وأما قول رؤبة كوافئ الشحم يريد طبقات الشحم وأصل ذلك فى السحاب اذا ركب بعضه بعضا يقال له كوفئ والجميع كوافئ (قال أبو الحسن الاخفش واحد الكوافئ كوفئة وهاء التأنيث اذا جمعت جمع التكسير حذفت لانها زائدة بمنزلة اسم ضم الى اسم وأحسب ان أبا العباس لم يسمع الواحد من هذا فقاسه والعرب تجترئ على حذف هاء التأنيث اذا احتاجت الى ذلك وليس هذا موضع حاجة اذا كانت قد استعملت الواحدة بالهاء ونظير هذا قولهم ما فى السماء كوفئة وما فى السماء قذعملة وقذعملة وما فى السماء طخربة وطخربة وما فى السماء قرطعبة وما فى السماء كهورة وهى القطعة من السحاب العظيمة كالجبل وما أشبهه)

(باب)

قال أبو العباس قال حسان بن ثابت يهجو مسافع بن عياض القينى من تيم بن مرة بن كعب بن لؤى رهط أبى بكر الصديق رضى الله عنه

لو كنت من هاشم أو من بنى أسد ... أو عبد شمس أو اصحاب اللوا الصيد

أو من بنى نوفل أو رهط مطلب ... لله درك لم تهمم بتهديدى

أو فى الذؤابة من قوم ذوى حسب ... لم تصبح اليوم زمكسا ثانى الجيد

أو من بنى زهرة الاخيار قد علموا ... أو من بنى جمح البيض المناجيد

او لأغسل به وضر الأفئدة او أودى به خطايا الأشرية او لأجلو به الأبصار العليلة او اصلح به الأبدان الفاسدة او لانطوع به على شاعر مفلق أو خطيب مصقع او اديب مدقع ليفيق لهم المعانى ويخرج المذاهب ولما فى جانبهم من الأجر وفى اعنانهم من الشكر ولينقضوا ما قالت الشعراء فى الحمد ولا ترتجفوا مما شاع لهم من الذكر فانى اريد ان اضع من قدرها وان أكسر من بالها فقد تاهت وتيه بها او لأن اتفاءل برؤيته واتبرك بمكانه وآنس بقربه او لأشفى به الظمآن أو اجعله اكسيرا صحاب الكيمياء او لأن اذكرك كما رأيته

أوفى السرارة من تيم رضيت بهم • أومن بنى خلف الخضر الجلاعيد

يا آل تيم ألا تنهوا سفيهكم • قبل القذاف بقول كالجلاميد

لولا الرسول فانى لست عاصيه • حتى يغيبنى فى الرمس ملحودى

وصاحب الغار انى سوف أحفظه • وطلحة بن عبيد الله ذى الجود

لقد رميت بها شنعاء فاضحة • يظل منها صحيح القوم كالعودى

قوله لو كنت من هاشم يريد هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة والنضر أبو قريش ومن كان من بنى كنانة لم يلده النضر فليس بقرشى وبنو أسد بن عبد العزى بن قصى وعبد شمس بن عبد مناف بن قصى وأصحاب اللواء بنو عبد الدار بن قصى واللواء محمود اذا أردت به لواء الامير ولكنه احتاج اليه فقصره وقد بينا جواز ذلك فاما اللوى من الرمل فمقصور قال امرؤ القيس

• بسقط اللوى بين الدخول فحومل • كذا رويته الأصمعى وهذه أصح الروايات وقوله أومن بنى نوفل فهو نوفل بن عبد مناف بن قصى والمطلب الذى ذكره هو ابن عبد مناف بن قصى وقوله لم تصبح اليوم نكسا فالنكس الدنى المقصر ويقول بعضهم ان أصل ذلك فى السهام وذلك ان السهم اذا ارتدع أو نالته آفة نكس فى الكنانة ليعرف من غيره قال الحطيئة

قد ناضلوك فأبدوا من كنائنهم • مجدا تليدا وبذلا غير أنكاس

قوله مجدا تليدا قالوا نواصى الفرسان الذين كان يمن عليهم وقوله ثانى الجيد قد مر تفسيره فى قول الله عز وجل ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله وقوله أومن بنى زهرة فهو زهرة بن كلاب ابن مرة ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خلقت من خير حيين من هاشم وزهرة وبنو جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى وقوله المناجيد مفاعيل من النجدة والواحد منجاد وانما يقال ذلك فى تكثير الفعل كما تقول رجل مطعان بالرمح ومطعام للطعام وقوله أوفى السرارة من تيم رضيت بهم يقول فى الصميم منهم والموضع المرضى وأصل ذلك فى التربة تقول العرب اذا غرست فاغرس فى سرارة الوادى ويقال فلان فى سرة قومه والسرة مثل ذلك قال القرشى

هلا سألت عن الذين تبطحوا • كرم البطاح وخير سرة واد

واداعبد كلما قابلته او لاجتلب به اليسر وانفى العسر أولانه والفقر لا يجتمعان فى دار ولا يقيمان فى ربع ولا تعرف به حسن اختيارك وأتذكر به جودة احتيائك اولان استدل به على خالص حبك وعلى معرفتك بفضلى وقيامك بواجب حقى فقد احسنت بى الظن وذكرت من الاحسان فى كل فن بل هو الذى اصونه صيانة الاعراض واغار عليه غيرة الازواج واعلم انك ان اكثرت لى منه خرجت الى الفساد وان اقللت اقمت على الاقتصاد وانا رجل من بنى كنانة وللخلافة قرابة ولى فيها شفعة وهم بعد جنس وعصبة فاقل ما اصنع ان

وعن الذين أبوا فلم يستكرهوا • أن ينزلوا الولجات من أجباد

يخبرك أهل العلم أن بيوتنا • منها بخير مضارب الأوتاد

وقوله أو من بنى خلف الخضر فانه حذف التنوين لالتقاء الساكنين وليس بالوجه وانما يحذف من الحرف لالتقاء الساكنين حروف المد واللين وهى الالف المفتوح ما قبلها والياء المكسور ما قبلها والواو المضموم ما قبلها نحو قولك هذا قفا الرجل وقاضى الرجل ويغزو القوم فاما التنوين فجاز هذا فيه لانه نون فى اللفظ والنون تدغم فى الياء والواو وتزاد كما تزاد حروف المد واللين ويبدل بعضها من بعض فتقول رأيت زيدا فتبدل الالف من التنوين وتقول فى النسب الى صنعاء وبهراء صنعانى وبهرانى فتبدل النون من ألف التأنيث وهذه جملة وتفسيرها كثير فلذلك حذف ومثل هذا من الشعر

عمرو الذى هشم الثريد لقومه • ورجال مكة مسنتون عجاف

(صوابه عمرو العلى) وقال آخر

حميد الذى باسمه يقرع القنا • وأخوا الخمر ذوا الشيبة الاصلع

وقرأ بعض القراء قل هو الله أحد الله الصمد وسمعت عمارة بن عقيل يقرأ ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون فقلت ما يريد فقال سابق النهار وقوله أو اصحاب اللوا خفف الهمزة وتحذف اذا كان قبلها ساكن فتطرح حركتها على الساكن وتحذف كقولك من ابوك وقوله عز وجل الذى يخرج الخبء فى السموات والارض وخلف الذى ذكره من بنى جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى وقوله الخضر الجلاعيد يقال فيه قولان أحدهما أنه يريد سوادا جلودهم كما قال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب

وأنا الاخضر من يعرفنى • أخضر الجلدة فى بيت العرب

فهذا هو القول الاول وقال آخرون شبههم فى جودهم بالبحور وقوله الجلاعيد يريد الشداد الصلاب واحدهم جلعد وزاد الياء للحاجة وهذا جمع يجىء كثيرا وذلك أنه موضع تلزمه الكسرة فتشبع فتصير ياء يقال فى خاتم خواتيم وفى دانق دوانيق وفى طابق طوابيق قال الفرزدق

تنفى يداها الحصى فى كل هاجرة • نفى الدراهيم تنقاد الصياريف

وقوله قبل القذاف يريد المقاذفة وهذه تكون من اثنين فاعفوقهما نحو المقاتلة والمشاتمة

أكثرت لى منه ان اطلب الملك وأقل ما يصنعون بى ان انفى من الأرض فان اقللت فانك الولد الناصح وان اكثرت فانك الفاش الكاشح والسلام

(فصل من صدر كتابه فى طبقات المعنيين)

ثم انا وجدنا الفلاسفة المتقدمين فى الحكمة المحيطين بالامور معرفة ذكروا ان اصول الاداب التى منها يتفرع العلم لذوى الالباب اربعة فمنها النجوم وبروجها وحسابها الذى يعرف به الاوقات والازمنة وعليها مزاج الطبائع وايام السنة ومنها الهندسة وما اتصل بها من المساحة والوزن والتقدير وما اشبه ذلك

ومنها الكيمياء والطب اللذان بهما صلاح المعاش وقوام الأبدان وعلاج الأسقام وما يتشعب من ذلك ومنها اللحون ومعرفة أجزائها وقسمها ومقاطعها ومخارجها وأوزانها حتى يستوى على الايقاع ويدخل فى الوتر وغير ذلك مما اقتصرنا من ذكره على أسمائه وجمله اجتنابا للتطويل وتوخيا للاختصار وقصدنا للامر الذى اليه انتهينا واياه أردنا والله الموفق وهو المستعان ولم يزل أهل كل علم فيما خلا من الأزمنة يركبون منهاجه ويسلكون طريقه ويعرفون غامضه ويسهلون سبيل المعرفة بدلائله خلا الغناء فانهم

نبأب فاعلْتُ اغما هو للاثنين فصاعدا نحو قاتلْتُ وضاربْتُ وقد تكون الألف زائدة فى فاعلْتُ فتبنى للواحد كما زيدت الهمزة أولا فى أفعلْتُ فتكون للواحد نحو عاقبْتُ اللصّ وعافاه الله وطارقْتُ النعل وقوله وصاحب الغار يعنى أبا بكر رضى الله عنه لمصاحبته النبىّ صلى الله عليه وسلم فى الغار وهذا مشهور لا يحتاج الى تفسير وطلحة بن عبيد الله ذو الجود نسبه الى الجود لانه كان من أجود قريش وحدّثنى التوّزىّ قال كان يقال لطلحة بن عبيد الله طلحة الطلحات وطلحة الخير وطلحة الجود وذكر التوّزىّ عن الأصمعىّ أنه باع ضيعة له بخمسة عشر ألف درهم فقسمها فى الأطباق وفى بعض الحديث انه منعه أن يخرج الى المسجد أن لُفّق له بين ثوبين وحدثنى العُتبىّ فى اسناد ذكره قال دعا طلحة بن عبيد الله أبا بكر وعمر وعثمان رحمة الله عليهم فأبطأ عنه الغلام بشىء أراده فقال طلحة يا غلام فقال الغلام لبّيْك فقال طلحة لا لبّيْك فقال أبو بكر ما يسرّنى أنى قلتها وأن لى الدنيا وما فيها وقال عمر ما يسرّنى أنى قلتها وأن لى نصف الدنيا وقال عثمان ما يسرّنى أنى قلتها وأن لى حُمْر النعم قال وصمت عليها أبو محمد فلما خرجوا من عنده باع ضيعة بخمسة عشر ألف درهم فتصدق بثمنها وقوله يَظَلّ منها صحيح القوم كالمودى فالمودى فى هذا الموضع الهالك وللمودى موضع آخر يكون فيه القوىّ الجادّ حدّثنى بذلك التوّزىّ فى كتاب الاضداد وأنشدنى

• مُودون يحملون السبيل السابلا • (المُؤدى بالهمز التامّ الأداة والسلاح وبغير الهمز الهالك) وقال رجل من العرب

• خليلىّ عوجا بارك الله فيكما • على قبر أهبان سقته الروائد

فذاك الفتى كلّ الفتى كان بينه • وبين المزجّى نفنف متباعد

اذا نازع القوم الاحاديث لم يكن • عييّا ولا عيّا على من يقاعد

قوله على قبر أهبان فهذا اسم علم كزيد وعمرو واشتقاقه من وهب يهب وهمزوا الواو لانضمامها كقوله تعالى واذا الرسل أقتت فهو فعلت من الوقت وقد مضى تفسير همز الواو اذا انضمت وهو لا ينصرف فى المعرفة وينصرف فى النكرة وكل شىء لا ينصرف فصرفه فى الشعر جائز لان أصله كان الصرف فلما احتيج اليه رُدّ الى أصله فهذا قول البصريين وزعم قوم ان كل شىء لا ينصرف فصرفه فى الشعر جائز الا أفعل الذى معه منْ نحو أفضل منْك وأكرم منْك وزعم

الخليل وعليه أصحابه أن هذا اذا كانت معه منذ بمنزلة آخر لانه انما كمل أن يكون نعتا بمنذ وآخر لا يحتاج اليها فهو مع منذ بمنزلة آخر وحده قال والدليل على أن منذ ليست بما نعته من الصرف أنه اذا زال عن بناء أفعل انصرف نحو قولك مررت بخير منك وشر منك فلو كانت منذ هي المانعة لمنعت ههنا فهذا قول بين جدا وقوله المزجى فهو الضعيف يقال زجى فلان حاجتي أي خف عليه تعجيلها والمزجاة من البضائع اليسيرة الخفيفة التحمل والتفنف وجمعه التفانف كل ما كان بين شيئين عال ومنخفض قال ذو الرمة

(ترى قرطها في واضح الليت مشرفا ... على هلك) في تفنف يتطوح

وقوله ولا عبئا على من يقاعد فالعبء الثقل يقال حمل عبئا ثقيلا ووكده بقوله ثقيلا ولو لم يقله لم يحتج اليه وقال آخر يذكر ابنه

ألا يا سمية شيبي الوقودا ... لعل الليالي تؤدي يزيدا

فنفسي فداؤك من غائب ... اذا ما المسارح كانت جليدا

كفاني الذي كنت أسعى له ... فصار أبالي وصرت الوليدا

قوله شيبي يقال شببت النار ولهب اذا أوقدتهما يقال شب يشب شبا قال الاعشى

تشب لمقرورين يصطليانها ... وبات على النار الندى والمحلق

وقوله اذا ما المسارح كانت جليدا فالمسارح الطرق التي يسرحون فيها واحدها مسرح والجليد يقع من السماء وهو ندى فيه جمود فتبيض له الارض وهو دون الثلج يقال له الجليد والضريب والسقيط والصقيع وقالوا في قوله ... رجلا عقاب يوم دجن تضرب ... أي يصيبها الضريب وقوله وكنت الوليدا فالوليد الصغير وجمعه ولدان وهو في القرآن (قوله عز وجل يطوف عليهم ولدان مخلدون) ونظير وليد وولدان ظليم وظلمان وقضيب وقضبان ورباب فعال فعلان نحو عقبان وذبان وغربان وقولهم أمر لا يندى وليده يقال فيه قولان متقاربان فأحدهما انه لا يدعى له الصغار والوجه الآخر لاصحاب المعاني يقولون ليس فيه وليد فيدعى ونظير ذلك قول النابغة الجعدي

سبقت صياح فوارسها ... وصوت تواقبس لم تضرب

أي ليست ثم ولكن هذا من أوقاتها وقالت أخت طرفة بن العبد

لم يكونوا عرفوا علله وأسبابه ووزنه وتصاريفه وكان علمهم به على الهاجس وعلى ما يسمعون من الفارسية والهندية الى أن نظر الخليل البصري في الشعر ووزنه ومخارج ألفاظه وميز ما قالت العرب منه وجمعه وألفه ووضع فيه الكتاب الذي سماه العروض وذلك انه عرض جميع ما روي من الشعر وما كان به عالما على الأصول التي رسمها والعلل التي بينها فلم يجد أحدا من العرب خرج منها ولا قصر دونها فلما أحكم وبلغ منه ما بلغ أخذ في تفسير النغم واللحون فاستدرك منه شيأ ورسم له رسما احتذى عليه من خلفه واستمد من عنى به

عَدَدْنَاله سِنًّا وعشرين حِجَّةً • فلما تَوَفَّاها استوى سَيِّدًا ضَخْما

فُعْنَا به لما رَجَوْنَا إيابَهُ • على خيرِ حالٍ لا وليدًا ولا قَحْما

الوليد ما ذَكَرْنا والقَحْمُ الرجل المتناهي سِنًّا ويقال ذلك في البعير قَحْمٌ وقَحِرٌ ومُقْلِمٌ ويقال للبعير خاصَّةً قُحارِيَةٌ بوزن قُراسِيَة وأنشد الأصمعي

رَأَيْنَ قَحْمًا شابَ وافْلَهَمَّا • طالَ عليه الدَّهْرُ فاسْلَهَمَّا

المُسْلَهِمُّ الضامر وقال آخر لابنه يَرْثيه

ومن عَجَبٍ أنْ بِتُّ مُسْتَشْعِرَ الثَّرَى • وبِتُّ بما زَوَّدْتَنِي مُتَمَتِّعا

ولو أنَّني أنْصَفْتُ لم أَبِتْ • خِلافَكَ حتى تَنْطَوِي في الثَّرَى مَعا

وقال ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن يرثي أخاه محمدًا

أبا المَنازِلِ يا عُبْرَ الفَوارِسِ مَنْ • يُفْجَعْ بِمِثْلِكَ في الدنيا فقد فُجِعا

اللهُ يَعْلَمُ أنِّي لو خَشِيتُهُمُ • أو آنَسَ القلبُ من خَوْفٍ لهم فَزِعا

لم يَقْتُلوكَ ولم أُسْلِمْ أخي لَهُمُ • حتى نَعيشَ جميعًا أو نموتَ معا

قوله يا عُبْرَ الفوارس يصفه بالقوة منهم وعليهم كما يقال ناقة عُبْرُ الهواجر وعُبْرُ السُّرَى وقوله أو آنس القلب من خوف لهم فزعا يقول أحَسَّ وأصل الإيناس في العين يقال آنَسْتُ شَخْصًا أي أبصرته من بُعْدٍ وفي كتاب الله عز وجل آنَسَ من جانب الطُّورِ نارًا وقال مُتَمِّم بن نُوَيْرَة (يرثي أخاه)

وقالوا أتَبْكي كُلَّ قَبْرٍ رأيتَهُ • لَمِيتٍ نَوَى بين اللِّوَى فالدَّكادِكِ

فقلتُ لهم إن الأسَى يَبْعَثُ البُكَى • ذَرُونِي فهذا كُلُّهُ قَبْرُ مالِكِ

الأسَى الحُزْنُ وقد مر تفسيره وقال علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المُطَّلِب رحمه الله

أبى العَبَّاسُ قَوْمَ بني قُصَيٍّ • وأَخْوالي المُلُوكُ بنو وَلِيعَهْ

هُمُ مَنَعوا ذِمارِي يَوْمَ جاءَتْ • كَتائِبُ مُشْرِفٍ وبنو اللَّكِيعَهْ

أرادَتِي التي لا عِزَّ فيها • فحالَتْ دونه أُبْدٌ مَنِيعَهْ

قوله بنو وليعة فهم أخواله من كِنْدَة وأُمُّه زُرْعَةُ بنت مِشْرَح الكِنْدِيَّة ثم أحد بني وَلِيعَة وقوله كتائب مُشْرِف يعني مسلم بن عُقْبَةَ المُرِّيَّ صاحب الحَرَّة وأهل الحجاز يسمونه مسرفا وكان

وكان اسحق بن ابراهيم الموصلي أول من حذا حذوه وامتثل هديه واجتمعت له في ذلك آلات لم تجتمع للخليل بن أحمد قبله منها معرفته بالغناء وكثرة استماعه اياه وعلمه بحسنه من قبيحه وصحيحه من سقيمه ومنها حذقه بالضرب والايقاع وعلمه بوزنها وألف في ذلك كتابا عجيبة وسهل له فيها ما كان مستصعبا على غيره فصنع الغناء بعلم فاضل وحذق راجح ووزن صحيح وعلى أصل محكم له دلائل واضحة وشواهد عادلة ولم نر أحدا وجد سبيلا الى الطعن عليه والعيب له وصنع كثير من أهل زمانه أغانى كثيرة بهاجس

أراد أهل المدينة جميعا على أن يبايعوا يزيد بن معاوية على أن كل واحد منهم عبد قن له الا على بن الحسين فقال حصين بن نمير السكوني من كندة ولا يبايع ابن أختنا على بن عبد الله الا على ما يبايع عليه على بن الحسين على أنه ابن عم أمير المؤمنين والا فالحرب بيننا فأغفى على بن عبد الله وقبل منه ما أراد فقال هذا الشعر لذلك وقوله بنوا للكيعه فهي اللئيمة ويقال في النداء للئيم يا لكع وللانثى يا لكاع لانه موضع معرفة كما يقال يا فسق ويا خبث فان لم ترد أن تعدله عن جهته قلت للرجل يا ألكع وللانثى يا لكعاء وهذا موضع لا تقع فيه النكرة وقد جاء في الحديث والاصل ما ذكرت لك لا تقوم الساعة حتى يلي أمور الناس لكع بن لكع فهذا كناية عن اللئيم بن اللئيم وهذا بمنزلة عمر ينصرف في النكرة ولا ينصرف في المعرفة ولكاع يبنى على الكسر وسنشرح باب فعال للمؤنث على وجوهه الخمسة عند أول ما يجري من ذكره ان شاء الله وقد اضطر الحطيئة فذكر لكاع في غير النداء فقال يهجو امرأته

أطوف ما أطوف ثم آوي ٭ الى بيت قعيدته لكاع

قعيدة البيت ربته البيت وانما قيل قعيدة لقعودها وملازمتها ويقال للفرس قعدة من هذا وهو الذي يرتبطه صاحبه فلا يفارقه قال الجعفي

لكن قعيدة بيتنا محفوة ٭ بادجناجن صدرها ولها غنا

الجناجن ما يظهر عند الهزال من أطراف ضلوع الصدر واحدها جنجن وقال هشام أخو ذي الرمة

تعزيت عن أوفى بغيلان بعده ٭ عزاء وجفن العين بالماء مترع
ولم تنسني أوفى المصيبات بعده ٭ ولكن ندى القرح بالقرح أوجع

غيلان هو ذو الرمة وكان هشام من عقلاء الرجال حدثني العباس بن الفرج في اسناد ذكره يعزوه الى رجل أراد سفرا فقال قال لي هشام بن عقبة ان لكل رفقة كلبا يشركهم في فضلة الزاد ويهرهرونهم فان قدرت ألا تكون كلب الرفقة ففعل وإياك وتأخير الصلاة عن وقتها فان مصليها لا محالة قضاها وهي تقبل منك وقال حسان بن ثابت الأنصاري

نقول شعثا لو سحوت عن الكاس لاصبحت مثرى العدد

هي امرأته وهو اسمها)

طبعهم والاتباع لمن سبقهم فبعض أصاب وجه صوابه وبعض أخطأ وبعض قصر في بعض وأحسن في بعض ووجدنا لكل دهر دولة للمغنين يحملون الغناء عنهم ويطارحون به فتيان زمانهم وجواري عصرهم وكان يوجد في كل وقت من الأوقات قوم يتنادمون ويستحسنون الغناء ويميزون رديئه من جيده وصوابه من خطئه ويجمعون الى ذلك محاسن كثيرة في آدابهم وأخلاقهم وروائهم وهيآتهم فلم نجد هذه الطبقة ذكروا ووجدنا ذكر الغناء وأهله باقيا وخصصنا في أيامنا وزماننا بفتية أشراف وخلان نظاف انتظم لهم من آلات الفتوة وأسباب

أهوى حديث الندمان في فاق الصبح وصوت المسامر المغرد

لا أخدش الخدش بالجليس ولا ٭ يخشى ندمي اذا انتشيت يدي

يأبى لي السيف واللسان وقو ٭ مي لم يضاموا كلبدة الاسد

لبدة الاسد ما يتطارق من شعره بين كتفيه ويقال أسد ذو لبدة وذو لبد وحدثني عمارة قال مرض جرير مرضة شديدة فعاده نفيس فقال

نفسي الفداء لقوم زينوا حسبي ٭ وان مرضت فهم أهلي وعوادي

لو خفت ليثا أباشبلين ذا لبد ٭ ما أسلموني لليث الغابة العادي

ان تجر طيرك بامر فيه عافية ٭ أو بالرحيل فقد أحسنتم زادي

وقال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام وهو يهاجي عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس

فأما قولك الخلفاء منا ٭ فهم منعوا وريدك من وداج

ولولاهم لكنت كحوت بحر ٭ هوى في مظلم الغمرات داجي

وكنت أذل من وتد بقاع ٭ يشج رأسه بالفهر واجي

فكتب معاوية الى مروان أن يؤدبهما وكانا قد تقاذفا فضرب عبد الرحمن بن حسان ثمانين وضرب أخاه عشرين فقيل لعبد الرحمن بن حسان قد أمكنك في مروان ما تريد فأشد بذكره وارفعه الى معاوية فقال اذا والله لا أفعل وقد حدثني كاتب الرجال الاحوار وجعل أخاه كنصف عبد فأرجعه بهذا القول ويروى أن عبد الرحمن بن حسان لسعه زنبور فجاء أباه يبكي فقال له مالك فقال لسعني طائر كأنه ملتف في بردي حبرة قال قاتله الله الشعر ويروى أن معلما عاقب الصبيان على ذنب وأراده بالعقوبة فقال

الله يعلم أني كنت منتبذا ٭ في دار حسان أصطاد اليعاسيبا

وأعرق قوم كانوا في الشعر آل حسان فانهم يعتدون ستة في نسق كلهم شاعر وهم سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام وبعده هؤلاء في الوقت آل أبي حفصة فانهم أهل بيت كلهم شاعر يتوارثونه كابرا عن كابر ويروى أن ابنة لابن الرقاع وقف ببابه أيها قوم يسألون عنه

المروءة ما كان محجوبا عن غيرهم معدوما من سواهم فحملني الكلف بهم والمودة لهم والسرور بتخليد فخرهم وتشييد ذكرهم والحرص على تقويم أود ذي الأود منهم حتى يلحق بأهل الكمال في صناعته والفضل في معرفته وعلى تمييز طبقة طبقة منهم وتسمية أهل كل طبقة بأوصافهم وآلاتهم وأدواتهم والمذاهب التي نسبوا اليها أنفسهم واحتملهم اخوانهم عليها وخلطنا جدا بهزل ومزجنا تعريضا بتعريض ولم نرد باحد ممن سمينا سوأ ولا تعمدنا نقدا ولا تجاوزنا حدا ولو استعملنا غير الصدق لفضلنا قوما وحابينا

فقالت ما تريدون اليه فقالوا جئنا لنهاجيه فقالت وهي صبية

تجمعتم من كل أوب ووجهة ● على واحد لازلتم قرن واحد

فهذه بلغت بطبعها على صغرها مبلغ الاعشى في قلب هذا المعنى حيث يقول لهوذة بن علي

يرى جمع ما دون الثلاثين قصرة ● ويعدو على جمع الثلاثين واحدا

(باب)

قال أبو العباس قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه علموا أولادكم العوم والرماية ومروهم فليثبوا على الخيل وثبا وروهم ما يجمل من الشعر وفي حديث آخر وخير الخلق للمرأة المغزل ويروى عن الشعبي أنه قال قال عبد الله بن العباس قال لي أبي يا بني اني أرى أمير المؤمنين قد اختصك دون من ترى من المهاجرين والانصار فاحفظ عني ثلاثا لا يجربن عليك كذبا ولا تغتابن عنده مسلما ولا تفشين له سرا قال فقلت له يا أبه كل واحدة منها خير من ألف فقال كل واحدة منها خير من عشرة آلاف وحدثني العباس بن الفرج في اسناد ذكره قال نظر الى عمرو بن العاصي على بغلة قد شمط وجهها هرما فقيل له أتركب هذه وأنت على أكرم ناخرة بمصر فقال لا أملل عندي لدابتي ما حملت رجلي ولا لامرأتي ما أحسنت عشرتي ولا لصديقي ما حفظ سري ان الملل من كواذب الاخلاق قوله على أكرم ناخرة يريد الخيل يقال للواحد ناخر وقيل ناخرة يراد جماعة كما تقول رجل بغال وحمار والجماعة البغالة والحمارة وكذلك تقول أتتني عصبة نبيلة وقبيلة شريفة والواحد نبيل وشريف وشاور معاوية عمرا في أمر عبد الله بن هاشم بن عتبة بن مالك بن أبي وقاص وكان هاشم بن عتبة أحد فرسان علي رضي الله عنه (وهو المرقال) فأتى بابنه معاوية فشاور عمرا فيه فقال أرى أن تقتله فقال له معاوية اني لم أر في العفو الا خيرا فمضى عمرو مغضبا وكتب اليه

أمرتك أمرا حازما فعصيتني ● وكان من التوفيق قتل ابن هاشم

ألبس أبو عمرو بأمك الذي ● أعان علينا يوم حز الغلاصم

فقتلنا حتى جرى من دمائنا ● بصفين أمثال البحور الخضارم

وهذا ابنه والمرء يشبه عيصه ● ويوشك أن تلقى به جد نادم

آخرين ولم نفعل ذلك تحببا للحيف بل قصدا للانصاف وقد نعلم ان كثيرا منهم سيبالغ في الذم ويحتمل في الشتم ويذهب في ذلك غير مذهبنا وما أيسر ذلك فيما يجب من حقوق الفتيان وتفكيههم والله حسيب من ظلم عليه نتوكل وبه نستعين وهو رب العرش العظيم ولم نقصد في وصف من وصفنا من الطبقات التي صنفنا منهم الا لمن أدركنا من أهل زماننا ممن حصل بمدينة السلام اذ من خرج عنها ونزع الى الفتوة بعد التوبة والى أخلاق الخدائة بعد الحنكة وذلك في سنة خمس عشرة ومائتين فرحم الله امرأ حسن في

فيعت

فبعث معاوية بابيانه الى عبد الله بن هاشم فكتب اليه عبد الله بن هاشم

مُعاوِيَ انَّ المَرْءَ عَمْرًا أَبَتْ له ٭ ضَغِينَتُهُ خِبٌّ غَشُّها غَيْرُ نائِمِ

يَرَى لَكَ قَتْلِي يا ابْنَ هِنْدٍ وانَّما ٭ تَرَى مايَرَى عَمْرٌو وَمالُكُ الاَعاجِمِ

على أَنَّهُمْ لا يَقْتُلُونَ أَسِيرَهُمْ ٭ اذا كان مِنْهُ بَيْعَةٌ لِلْمُسالِمِ

فان تَعْفُ عَنِّي تَعْفُ عن ذي قَرابَةٍ ٭ وانْ تَرْقُنِّي تَسْتَحِلَّ مَحارِمِي

فصفح عنه وقال عمرو لعائشة رحمها الله لوددت أنك كنت قتلت يوم الجمل فقالت ولم لا أبا لك فقال كنت عوتبن بأجلك وتدخلين الجنة ونجعلك أكبر التشنيع على علي وحدثني العباس بن الفرج الرياشي في اسناد ذكره آخره ابن عباس قال دخلت على عمرو بن العاصي وقد احتضر فدخل عليه عبد الله بن عمر وفقال له يا عبد الله خذ ذلك الصندوق فقال لا حاجة لي فيه قال انه مملوء مالا قال لا حاجة لي به فقال عمرو ليته مملوء بعرا قال فقلت يا أبا عبد الله انك كنت تقول أشتهي أن أرى عاقلا يموت حتى أسأله كيف يجدك فكيف تجدك قال أجدني السماء كانها مطبقة على الارض وأنا بينهما وأراني كانما أتنفس من خرت ابرة ثم قال اللهم خذ مني حتى ترضى ثم رفع يديه فقال اللهم أمرت فعصينا ونهيت فركبنا فلا برئ فأعتذر ولا قوي فأنتصر ولكن لا اله الا الله ثلاثا ثم فاظ وقد روينا هذا الخبر من غير ناحية الرياشي بأتم من هذا ولكن اقتصرنا على هذه الثقة اسناده قوله من خرت ابرة يعني من ثقب ابرة يقال للدليل خريت وزعم الأصمعي أنه أريد به أنه يهتدي لمثل خرت الابرة وقوله فاظ أي مات يقال فاظ وفاد وفطس وفاز وفوز كل ذلك في معنى الموت ولا يقال فاض بالضاد الا للماء قال رؤبة

٭ لا بد فنون منهم من فاظا ٭ وقال ابن جريج

٭ أما رأيت الميت حين فوظه ٭ ومن قال ذلك للنفس قال فاضت نفسه شبهها بالاناء وحدثني أبو عثمان المازني أحسبه عن أبي زيد قال كل العرب يقولون فاضت نفسه الا بني ضبة فانهم يقولون فاظت نفسه وانما الكلام الصحيح فاظ بالظاء اذا مات وفي الحديث ان امرأة سلام بن أبي الحقيق قالت فاظ واله يهود وحدثني مسعود بن بشر قال قال زياد الامر تذهب الخفيظة وقد كانت من قوم الى هنات جعلتها تحت قدمي ردير أذني فلو بلغني أن أحدكم قد أخذه السل من بغضي ما هتكت له سترا ولا كشفت له قناعا حتى يبدي لي عن صفحته فاذا فعل لم أناظره وسمع زياد رجلا

ذلك أمرنا وحذا فيه حذونا ولم يجعل الى ذمنا ودعا بالمغفرة والرحمة لنا وقد تركنا في كل باب من الأبواب التي صنفناها في كتابنا فرجا لزيادة ان زادت أو لاحقة ان لحقت أو نابتة ان نبتت ومن عسى أن ينتقل به الحذق من مرتبته الى ما هو أعلى منه أو يعجز به القصور عما هو عليه منها الى ما هو دونها الى مكانه الذي اليه نقله ارتفاع درجة أو انحطاطها ومن لعلنا نصير الى ذكره ممن عزب عنا ذكره وأنسينا اسمه ولم يحط علمنا به فنصيره في موضعه ونلحقه بأصحابه وليس لأحد أن يثبت شيأ من هذه الأصناف الا بعلتها ولا يستبد بأمر

يسب الزمان فقال لو كان يدري ما الزمان لضربت عنقه ان الزمان هو السلطان وفي عهد أزدشير وقد قال الاولون منا عدل السلطان أنفع للرعية من خصب الزمان وقال المهلب بن أبي صفرة لبنيه اذا وليتم فلينوا للمحسن واشتدوا على المريب فان الناس للسلطان أهيب منهم للقرآن وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه ان الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن قوله يزع أي يكف يقال وزع يزع اذا كف وكان أصله يزع مثل يعد فذهبت الواو لوقوعها بين ياء وكسرة واتبعت حروف المضارعة الياء لئلا يختلف الباب وهي الهمزة والنون والتاء والياء نحو أعد ونعد وتعد ويعد ولكن انفتحت في يزع من أجل العين لان حروف الحلق اذا كن في موضع عين الفعل أو لامه فتحن في الفعل الذي ماضيه فعل وان وقعت الواو مما هي فيه فاء في يفعل المفتوحة العين في الأصل صح الفعل نحو وحل يوحل ووجل يوجل ويجوز في هذه المفتوحة ياحل ويا جل ويعل ويعل وكل هذا كراهية للواو بعد الياء تقول وزعته كففته وأوزعته حملته على ركوب الشئ وهيأته وهو من الله عز وجل توفيق ويقال أوزعه الله شكره أي وفقه الله لذلك وقال الحسن مرة ما حاجة هؤلاء السلاطين الى الشرط فلما ولي القضاء كثر عليه الناس فقال لا بد للناس من وزعة وخطب الحجاج بن يوسف ذات يوم يوم جمعة فلما توسط كلامه سمع تكبيرا عاليا من ناحية السوق فقطع خطبته التي كان فيها ثم قال يا أهل العراق ويا أهل الشقاق ويا أهل النفاق وسيئي الأخلاق يا بني اللكيعة وعبيد العصا وأولاد الاماء اني لا أسمع تكبيرا ما يراد الله به انما يراد به الشيطان وان مثلي ومثلكم قول ابن براقة الهمداني

وكنت اذا قوم رموني رميتهم ٭ فهل أنا في ذا يال همدان ظالم

متى تجمع القلب الذكي وصارما ٭ وأنفا حميا تجتنبك المظالم

ثم نزل فصلى بهم قوله يا أهل الشقاق فالمشاقة المعاداة وأصله أن يركب ما يشق عليه ويركب منه مثل ذلك والنفاق أن يسر خلاف ما يبدي هذا أصله وانما أخذ من النافقاء وهو أحد أبواب جحرة اليربوع وذلك انه أخفاها فانما يظهر من غيره ويخبره أربعة أبواب النافقاء والراهطاء والدأماء والسابياء وكلها ممدودة ويقال للسابياء القاصعاء وانما قيل له السابياء لانه لا ينفذه فيبقى بينه وبين انفاذه هنة من الارض رقيقة وأخذ من سابياء الولد وهي الجلدة الرقيقة التي يخرج فيها

فيه دوننا ويورد ذلك علينا فيمتحنه ويعرفه بما عنده ويصير الى ترتيبه في المرتبة التي يستحقها والطبقة التي يحتملها فلما استتب لنا الفراغ مما أردنا من ذلك خطر ببالنا كثرة العيابين من الجهال برب العالمين فلم نأمن أن يسرعوا بسفه رأيهم وخفة أحلامهم الى نقض كتابنا وتبديله وتحريفه عن مواضعه وازالته عن أماكنه التي عليها رسمنا وان يقول كل امرئ منهم في ذلك على حاله ولقدر هواه ورأيه وموافقته ومخالفته والميل في ذلك الى بعض والذم لطبقة والحمد لأخرى فيهجنوا كتابنا

الولد من بطن أمه قال الأخطل يضرب ذلك مثلا لربوع بن حنظلة لانه سمى بالربوع

تسد القاصعاء عليك حتى ٭ تمنفق أو تموت بها هزالا

والعرب تزعم انه ليس من ضب الا وفي جحره عقرب فهو لا يأكل ولد العقرب وهي لا تضربه فهي مسالمة له وهو مسالم لها وأنشد

وأخدع من ضب اذا خاف خارشا ٭ أعد له عند الذنابة عقربا

(كلها بالمد ويقال بالقصر ويقال أيضا فيها على وزن فعلة نفقة ورهطة ودمة وقصعة وحكى ابن القوطية في المقصور والممدود له الرهطاء كالراهطاء والنفقاء كالنافقاء والقصعاء كالقاصعاء وحكى أيضا زيادة فقال العانقاء جحر الأرنب واليربوع والغابياء أيضا من جحرة اليربوع وأما قول أبي العباس في السابياء فهو مما قد رد عليه فيه وقد تبعه ابن ولاد وكلاهما غير مصيب وانما السابياء وعاء فيه ماء صاف يخرج مع الولد وهو الفرث وليس يخرج الولد فيه وقال الكميت

وفقأ فيها الغيث من سابياته ٭ دوالح وافقن النجوم البواجسا

فشبه ماء الغيث بماء السابياء وانما الجلدة التي يكون فيها الولد الغرس وقد تبع ابن القوطية أبا العباس في السابياء في أنه من أسماء جحرة اليربوع وذلك غلط) وقوله بنو اللكيعة يريد اللئيمة وقد مر تفسير هذا في موضعه قال ابن قيس الرقيات يذكر قتل مصعب بن الزبير

ان الرزية يوم مسكن والمصيبة والفجيعة ٭ بابن الحواري الذي لم يعده أهل الوقيعة
غدرت به مضر العراق وأمكنت منه ربيعة ٭ فاصبت وترك ثاريه شع وكنت سامعة مطيعة
يا لهف لو كانت له ٭ بالطف يوم الطف شيعة أو لم يخونوا عهده ٭ أهل العراق بنو اللكيعة
لوجدقوه حين يغـ ـضب لا يعرج بالمضيعة

وقوله عبيد العصا يريد انهم لا ينقادون الا بالاذلال كما قال ابن مفرغ الحميري

العبد يقرع بالعصا ٭ والحر تكفيه الملامة

وقال جرير هجوا التيم

ألا انما تيم لعمرو وما لك ٭ عبيد العصا لم يرج عتقا قطينها

وخطب الناس عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بالمربد عند ظهور أمر الحجاج عليه فقال أيها الناس انه لم يبق من عدوكم الا كما يبقى من ذنب الوزغة تضرب به يمينا وشمالا فلا تثبت أن تموت

ويلحقوا بنا ما ليس من شأننا وأحببنا أن نأخذ في ذلك بالحزم وأن نحتاط فيه لأنفسنا ومن ضمه كتابنا وتبادر الى تفريق نسخة منها وتصييرها في أيدي الثقات والمستبصرين الذين كانوا في هذا الشأن ثم ختموا ذلك بالعزلة والتوبة منه كصالح بن أبي صالح وكاحمد بن سلام وصالح مولى رشيده ففعلنا ذلك وصيرناه أمانة في أعناقهم ونسخة باقية في أيديهم ووثقنا بهم أمناء ومستودعين وحفظة غير مضيعين ولا متهمين وعلمنا انهم لا يدعون صيانة ما استودعوا وحفظ ما عليه ائتمنوا اذا شيب بشوب يخالفه وأضيف

فسمعه رجل من بنى قُشَيْر بن كَعْب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعة فقال قَبَّح الله هذا بأمر أصحابه بقلة الاحتراس من عدوهم ويَعُدُّهُم الغُرُوْر وروَت الرُّوَاة أن الحجاج لما أخذ رأس ابن الاشعث وَجَّه به الى عبد الملك بن مَرْوان مع عِرار بن عَمْرو بن شَأْس الاسَدِيّ وكان أسود دَمِيمًا فلما وَرَد به عليه جَعَل عبد الملك لا يسأل عن شئ من أمر الوَقيعة الا أنبأه به عِرارٌ فى أصح لفظ وأشبع قول وأجزأ اختصار فسقاه من الخبر وملأ أذنه صوابا وعبد الملك لا يعرفه وقد اقتحمته عينه حيث رآه فقال عبد الملك متمثلا

أرادت عِرارًا بالهَوان ومن يُرِدْ ... لَعَمْرى عِرارًا بالهَوان فقد ظَلَمْ

وان عِرارًا ان يَكُنْ غير واضح ... فانى أُحِبُّ الجَوْنَ ذا المَنْكِب العَمَمْ

فقال له عِرارٌ أتعرفنى يا أمير المؤمنين قال لا قال فانا والله عِرارٌ فزاده فى سُروره وأضعف له الجائزة وكتب صاحب اليمن الى عبد الملك بن مَرْوان فى وقت محاربته ابن الاشعث انى قد وَجَّهْتُ الى أمير المؤمنين بجارية اشتريتها بمال عظيم ولم يُرَ مثلُها قطُّ فلما دخل بها عليه رأى وجها جميلا وخَلْقا نبيلا فألقى اليها قضيبا كان فى يده فتكسّرت لتأخذه فرأى منها جسما بهرَه فلما هَمَّ بها أعلمه الآذن أن رسول الحجاج بالباب فأذن له ونحّى الجارية فأعطاه كتابا من عبد الرحمن فيه سطور أربعة يقول فيها

سائلْ مُجاورَ جَرْم هل جَنَيْتُ لها ... حَرْبًا تُزَيِّل بين الجِيرة الخُلُط

وهل سَمَوْتُ بجَرَّار له لَجَبٌ ... جَمّ الصواهل بين الجَمّ والغُرُط

وهل تَرَكْتُ نساءَ الحَيِّ ضاحيةً ... فى ساحة الدار يَسْتَوْقِدْنَ بالغُبُط

وتحتها (بيت آخر على غير الرَّوِىّ من الابيات الأول وهو)

قَتَلَ المُلوكَ وصار تحت لوائه ... شَجَرُ العُرَى وغَرائرُ الأقوام

قال فكتب اليه عبد الملك كتابا وجعل فى طيّه جوابا لابن الاشعث

مالى أُسَقَّى لأجْبُرَ عَظْمَه ... حفاظًا ويَنْوِى من سَفاهته كَسْرى

أظُنُّ خُطوبَ الدهر بينى وبينَهم ... سَتَحْمِلُهم منّى على مَرْكَب وَعْر

وانى وإيّاهم كمن نَبَّه القَطا ... ولو لم تُنَبَّه باتَ الطيرُ لا تَسْرى

أتانا وحَلَّوا وانتظارُ إيابهم غَدًا ... فما أنا بالوانى ولا الضَّرِع الغُمْر

الى هنا لا يلائمه وجعلنا هذه النسخة المنصوبة والأصول المخلدة عند ذوى الأمانة والثقة واقتصرنا عليها واستعلينا بها على المبطلين ورفعنا بها ادغال المدغلين وتحريف المحرفين وتزيد المتزيدين ان شاء الله ولا قوة الا بالله العظيم

﴿فصل من صدر كتابه فى النساء﴾

انا لما ذكرنا فى كتابنا هذا الحب الذى هو أصل الهوى والهوى الذى يتفرغ منه العشق والعشق الذى يهيم له الانسان على وجهه أو يموت كمدا على فراشه وأول ذلك ادخال الضيم على مروءته واستشعار الذلة لمن أطاف بعشيقته

ويُنشدُ بالغاني ثم بات يُقلِّبُ كفَّ الجارية ويقول ما أفدتُ فائدةً أحبَّ الىَّ منك فتقول فما بالكَ يا أميرَ المؤمنين وما عنك فقال عنّي ما قاله الأخطلُ لانى ان خرجتُ منه كنتُ ألأمَ العربِ

قومٌ اذا حاربوا شدُّوا مآزرَهم • دونَ النساءِ ولو باتتْ باطهارِ

فما اليكَ سبيلٌ أو يحكمَ اللهُ بيني وبين عدوِّ الرحمن بن الأشعثِ فلم يقدِرْ بها حتى قُتِلَ عبدُ الرحمن قوله فرأى منها جسماً بهرَهُ يقال بهرَ الليلُ اذا سدَّ الأفقَ بظلمته وبهرَ القمرُ اذا ملأ الارض بهائه ومن ثَمَّ قيل للقمر الباهرُ أنشدني المازنيُّ لرجل من بني الحارث بن كعب

والقمرِ الباهرِ السماءَ لقدْ • زُرْناهُ لا بمحفلٍ لجبِ

تسمعُ زجرَ الكماةِ بينهمُ • قدْمٌ وأخرٌ وأرجحيٌّ وهبي

من كلِّ هدّاءةٍ كعالية الـ ـرُّمحِ أمونٍ وشيظمٍ سلبِ

وقال طُفيلٌ الغنويُّ يصفُ كيفَ تزجرُ الخيلُ فجمعَه في بيتٍ واحد

وقيلَ اقدمي واقدمْ وأخٍ وأخرى • وهاوهلا واضبرْ وقادعُها هبي

(قال أبو الحسن وأجّ) ومن زجرِ الخيل أيضاً هقبْ وهقطْ وأنشدني أبو عثمان المازني

لمّا سمعتُ زجرَهم هقطْ • علمتُ أنّ فارساً منحطْ

(قال الفراء هقطْ بالكسر والفتح ويروى مُنحتْ بدل مُنحطْ) وقوله بين الجمِّ والفُرطِ هما موضعان باعيانهما وقوله في ساحة الدار يستوقدن بالغُبطِ يقال فيه قولان متقاربان أحدهما انهنَّ قد يئسن من الرحيل فجعلن مراكبهنَّ حطباً هذا قول الأصمعي وقال غيره بل قد منعهنَّ الخوفُ من الاحتطاب والغَبيطُ من مراكب النساء وكذلك الحدجُ قال امرؤُ القيس

تقولُ وقدْ مالَ الغَبيطُ بنا معاً • عقرتَ بعيري يا امرأَ القيسِ فانزلِ

فاعلمْ أنّ الغَبيطَ لها والحاملُ انما أوّلُ من اتخذها الحجّاجُ في ذلك يقول الراجز

أوّلُ عبدٍ عملَ المحاملا • أخزاهُ ربّي عاجلاً وآجلا

وقوله شجرِ العُرافالعُرانبت بعينه ان ضُمَّ العينُ والعَراءُ ممدودٌ وجهُ الأرضِ قال الله عز وجل لَتُنبذنَّ بالعَراءِ وهو مذموم وقال الهُذليُّ

رفعتُ رِجلاً ما أخافُ عثارَها • ونَبذتُ بالبلدِ العَراءِ ثيابي

ولم نطنب مع ذلك في ذكر ما يتشعب من أصل الحب من الرحمة والرقة وحب الأموال النفيسة والمراتب الرفيعة وحب الرعية للائمة وحب المصطنع لصاحب الصنيعة مع اختلاف مواقع ذلك من النفوس ومع تفاوت طبقاته في العواقب احتجنا الى الاعتذار من ذكر العشق المعروف بالصبابة والمخالفة على قوة العزيمة لجعل ذلك القدر جنة دون من حاول الطعن على هذا الكتاب وسخف الرأي الذي دعا الى تأليفه والاشادة بذكره اذ كانت الدنيا لا تنفد من حاسد باغ ومن قائل متكلف ومن سامع طاعن ومن منافس

وهذا التفسير والانشاد عن أبي عبيدة وقوله دون النساء ولو باتت باطهار معناه انه يجتنبها في طُهرها وهو الوقت الذي يستقيم له غشيانها فيه وأهل الحجاز يرون الاقراء الطُهر وأهل العراق يرونها الحيض وأهل المدينة يجعلون عدد النساء الاطهار ويحتجون بقول الاعشى

وفي كل عام أنت جاشم غزوة ... تشد لاقصاها عزيم عزائكا

مورثة مالا وفي الحي رفعة ... لما ضاع فيها من قروء نسائكا

وقوله ولو باتت باطهار فلو أصلها في الكلام أن تدل على وقوع الشيء لوقوع غيره تقول لو جئتني لاعطيتك ولو كان زيد هنالك لضربته ثم تتسع فتصير في معنى ان الواقعة للجزاء تقول أنت لا تكرمني ولو أكرمتك تريد وان أكرمتك قال الله عز وجل وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين فأما قوله عز وجل فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به فان تأويله عند أهل اللغة لا يقبل به أن يتبرأ وهو مقيم على الكفر ولا يقبل ان افتدى به فلو في معنى ان وانما منع لو أن تكون من حروف المجازاة فتجزم كما تجزم ان أن حروف المجازاة انما تقع لما لم يقع ويصير الماضي معها في معنى المستقبل تقول ان جئتني أعطيتك وان قعدت عني زرتك فهذا لم يقع وان كان لفظه لفظ الماضي لما أجدته فيه ان وكذلك متى أتيتني أتيتك ولو تقع في معنى الماضي تقول لو جئتني أمس لصادفتني ولو ركبت الى أمس لالفيتني فلذلك خرجت من حروف الجزاء فاذا أدخلت معها الا صار معناها أن الفعل يمتنع لوجود غيره فهذا خلاف ذلك المعنى ولا تقع الا على الاسماء ويقع الخبر محذوفا لانه لا يقع فيها الاسم الا وخبره مدلول عليه فاستغني عن ذكره لذلك تقول لولا عبد الله لضربتك والمعنى في هذا المكان من قرابتك أو صداقتك أو نحو ذلك فهذا معناها في هذا الموضع ولها موضع آخر تكون فيه على غير هذا المعنى وهي لولا التي تقع في معنى هلا التي للتحضيض ومن ذلك قوله لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا أي هلا وقال تعالى لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم فهذه لا يليها الا الفعل لانها للامر والتحضيض مظهرا أو مضمرا كما قال (نسب لجرير وقيل للاشهب بن رميلة)

تعدون عقر النيب أفضل مجدكم ... بني ضوطرى لولا الكمي المقنعا

أي هلا تعدون الكمي المقنعا ولولا الأولى لا يليها الا الاسم على ما ذكرت لك ولا بد في جوابها من

مقصر كما أنها لا تنفك من ذي سلامة متسلم ومن عالم متعلم ومن عظيم الحظر حسن المحضر شديد المحاماة على حقوق الاداباء قليل التسرع الى اعراض العلماء وانما العشق اسم لما فضل عن المقدار الذي اسمه حب وليس كل حب يسمى عشقا وانما العشق اسم للفاضل عن ذلك المقدار كما ان السرف اسم لما زاد على المقدار الذي يسمى جودا والبخل اسم لما ينقص عن المقدار الذي يسمى اقتصادا والجبن اسم لما قصر عن المقدار الذي يسمى شجاعة وهذا القول ظاهر على ألسنة الادباء مستعمل في بيان الحكماء وقد قال عروة بن الزبير والله اني لأعشق

اللام أو معنى اللام تقول لولا زيدٌ فعلت والمعنى لفعلتُ وزعم سيبويه أن زيدا من حديث لولا واللام والفعل حديثٌ معلّقٌ بحديث لولا وتأويله أنه الشرط الذي وجب من أجلها وامتنع لحال الاسم بعدها ولو بغير لا يليها الا الفعل مضمرا أو مظهرا لانها تشارك حروف الجزاء في ابتداء الفعل وجوابه تقول لو جئتني لاعطيتك فهذا ظهور الفعل واضماره قوله عز وجل قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي والمعنى والله أعلم لو تملكون أنتم فهذا الذي رفع أنتم ولما أُضمر ظهر بعده ما يُفسّره ومثل ذلك لو ذاتُ سوار لطمتني أراد لو لطمتني ذاتُ سوار ومثله (قول المُتلمّس)

ولو غيرُ أخوالي أرادوا نقيصتي ... جعلتُ لهم فوقَ العرانين ميسما

وكذلك قول جرير

لو غيرُكم علق الزبيرَ بحبله ... أدّى الجوارَ الى بني العوّام

فنصب بفعل مضمر يُفسّره ما بعده لانه للفعل وهو في التمثيل لو علق الزبيرَ غيرُكم وكذلك كلُّ شيء للفعل نحو الاستفهام والأمر والنهي وحروف الفعل نحو إذ وسوف (كذا وقع هنا إذ وسوف ولم يذكر سيبويه مع سوف الا قد وهو الصحيح) وهذا مشروح في الكتاب المُقتضَب على حقيقة الشرح وأما قوله وعَراعِرُ الأقوام فعناصرُ رؤس الأقوام الواحد عُرْعُرةٌ وعُرْعُرةُ كل شيء أعلاه ومن ذلك كتاب يزيد بن المُهلّب الى الحجّاج بن يوسف وان العدوّ نزل بعُرْعُرة الجبل ونزلنا بالحَضيض فقال الحجاج ليس هذا من كلام يزيد فمن هناك قيل يحيى بن يَعْمَر فكتب الى يزيد أن يُنْضِمَه اليه وزعم التوّزيّ قال قال الحجاج ليحيى بن يَعْمَر يوما أتسمعني ألحَنُ قال الامير أفصحُ من ذلك قال فاعاد عليه القول وأقسم عليه فقال يحيى نعم تجعل أنّ مكان انّ فقال له ارحل عني ولا تُجاورني قال أبو العباس هذا على أن يزيد لم تُؤخذ عليه زلّةٌ في لفظ الا واحدة فانه قال على المنبر وذكر عبدَ الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب فقال هذه الضَّبُعةُ العرجاءُ فاعتُدّت عليه لحنا لان الانثى انما يقال لها الضَّبُعُ ويقال للذكر الضِّبْعانُ فاذا جُمع قيل ضِبْعان وانما جمع على التأنيث دون التذكير والباب على خلاف ذلك لان التأنيث لا زيادة فيه وفي التذكير زيادة الالف والنون فثُنّي على الأصل وأصل التأنيث أن يكون زائدا على بناء التذكير لانه منه يَخْرُج مثل قائم وقائمة وكريم وكريمة فمن حيث قُلتَ للذكر والانثى في التثنية كريمان على حذف الزيادة قلت ضَبُعان وتقول له ابنان اذا أردتَ له ابنٌ وابنةٌ ولا تقول في الدار رجلان اذا أردتَ رجلاً وامرأةً

الشرف كما تعشق المرأة الحسناء وذكر بعض الناس رجلا كان مدقعا محروما ومنحوسا الحظ ممنوعا فقال ما رأيت أحدا عشق الرزق عشقه ولا أبغضه الرزق ببغضه فذكر الأول عشق الشرف وليس الشرف بامرأة وذكر الآخر عشق الرزق والرزق اسم جامع لجميع الحاجات وقد يستعمل الناس الكتابة وربما وضعوا الكلمة بدل الكلمة يريدون ان يظهروا المعنى بألين اللفظ اما تنوها وأما تفضلا كما سموا المعزول عن ولايته مصروفا والمهزوم عن عدوه منهزما نعم حتى سمى بعضهم البخيل مقتصدا ومصلحا وسمى عامل

الاعلى قول من قال للانثى رَجُلَةٌ فقد جاء ذلك وقال الشاعر

كُلُّ جارٍ ظَلَّ مُغْتَبِطًا • غَيْرَ جيرانى بنى جَبَلَه
خَرَّقُوا جَيْبَ فَتَاتِهِمُ • لَمْ يُبَالُوا حُرْمَةَ الرَّجُلَه

ولا يقال للناقة والجَمَل جَمَلان ولا يقال للبقرة والثور ثَوْران لاختلاف الاسمين انما يكون ذلك فيما ذكرنا الا فى قول من قال للانثى ثَوْرَةٌ قال الشاعر

جَزَى اللهُ فيها الأعْوَرَيْنِ مَلامَةً • وعَبْدَةَ نَفَّرَ الثَّوْرَةَ المُتَضَاجِمِ

(قال أبو الحسن المتضاجم المُتَّسِعُ)

﴿ باب ﴾

قال أبو العباس قال الراعى

ومُرْسِلٍ ورَسُولٍ غَيْرِ مُتَّهَمٍ • وحاجةٍ غَيْرِ مُزْجاةٍ من الحاجِ
طاوَعْتُهُ بَعْدَ ما طالَ النَّحِيُّ بنا • وظَنَّ أنى عليه غيرُ مُنْعاجِ
ما زال يَفْتَحُ أبوابًا ويُغْلِقُها • دونى وأَفْتَحُ بابًا بَعْدَ إرْتاجِ
حَتَّى أضاءَ سِراجٌ دونَهُ بَقَرٌ • حُمْرُ الأنامِلِ عِينٌ طَرْفُها ساجِى
يا نُعْمَها لَيْلَةً حتى تَخَوَّنَها • داعٍ دعانى فُرُوعُ الصُّبْحِ شَحَّاجُ
لَمَّا دَعا الدَّعْوَةَ الأُولى فَأَسْمَعَنى • أخَذْتُ بُرْدَىَّ واسْتَمَرَّتْ أدْراجِى

قوله وحاجة غير مزجاة من الحاج المُزْجاةُ اليَسيرةُ الخفيفةُ المَحْمِل قال الله عز وجل وجئنا ببضاعة مُزْجاة والحاج جمع حاجة وتقديره فَعَلَةٌ وفَعَلٌ كما تقول هامَةٌ وهامٌ وساعةٌ وساعٌ قال القُطامِىُّ

وكُنَّا كالحَرِيقِ أصابَ غابًا • فَيَخْبُو ساعةً ويَشُبُّ ساعا .

فاذا أردتَ أدنى العَدَد قلتَ ساجاتٌ فاما قولهم فى جمع حاجة حَوائجُ فليس من كلام العرب على كثرته على ألسنة المُوَلَّدِين ولا قياسَ له ويقال فى قلبى منه حَوْجاءُ أى حاجةٌ ولو جُمِعَ على هذا لكان الجمع حَواجٍ يا فتى وأصله حَواجِىٌّ يا فتى ولكن مثلُ هذا يُخَفَّفُ كما تقول فى صحراء صَحارٍ يا فتى وأصله صَحارِىٌّ وقوله طاوعته بعد ما طال النَّحِيُّ بنا يريد المناجاة فأخرجه على فَعِيل ونظيره من المصادر الصَّهِيلُ والنَّهِيقُ والنَّصِيحُ ويقال شَبَّ الفرسُ شَبِيبًا ولذلك كان النَّحِيُّ يقع على

الخراج المتعدى بحق السلطان مستعصيا ولما رأينا الحب من أكبر أسباب جماع الخير ورأينا البغض من أكبر أسباب الشر اجتفينا ان نذكر أبواب السبب الجالب للخير ليفرق بينه وبين أبواب السبب الجالب للشر حتى نذكر أصولهما وعللهما الداعية اليهما والموجبة لكونهما فتأملنا شأن الدنيا فوجدنا أكبر نعيمها وأكمل لذاتها ظفر المحب بحبيبه والعاشق بطلبته ووجدنا شقوة الطالب المكدى وغمه فى وزن سعادة الطالب المنجح وسروره ووجدنا العشق كلما كان أرسخ وصاحبه به أكلف فان

الواحد والجماعة نعتا كما تقول امرأة عدل ورجل عدل وقوم عدل لانه مصدر قال الله عز وجل وقربناه نجيا أي مناجيا وقال الجماعة فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا أي متناجين وقوله مدّعاج أي منعطف تقول عجت عليه أي عرجت عليه وعجت اليه أعيج أي عوّلت عليه وقوله بعد ارتاج أي بعد اغلاق يقال أرتجت الباب ارتاجا أي أغلقته اغلاقا ويقال اغلق الباب الرتاج ويقال للرجل اذا امتنع عليه الكلام ارتج عليه وقوله أضاء سراج دونه بقر يعني نساء والعرب تكني عن المرأة بالبقرة والنعجة قال الله عز وجل ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة وقال الأعشى

فرميت غفلة عينه عن شاته • فأصبت حبة قلبها وطحالها

وقوله عين انما هو جمع عيناء وهي الواسعة العين وتقديره فعل ولكن كسرت العين لتصح الياء ونحو ذلك بيضاء وبيض وتقديره حمراء وحمر ولو كان من ذوات الواو لكان مضموما على أصل الباب لانه لا اخلال فيه تقول سوداء وسود وعذراء وعذر وقوله طرفها ساج ولم يقل أطرافها لان تقديرها تقدير المصدر من طرفت طرفا قال الله عز وجل ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم لان السمع في الأصل مصدر قال جرير

ان العيون التي في طرفها مرض • قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

وقوله ساج أي ساكن قال الله عز وجل والضحى والليل اذا سجى وقال جرير

ولقد رمينك يوم رحن بأعين • يقتلن من خلل الستور سواجي

وقال الراجز

يا حبذا القمراء والليل الساج • وطرق مثل ملاء النساج

وقوله حتى تخونها أي تنقصها يقال تخونني السفر أي تنقصني والداعي المؤذن وقوله شحاج انما هو استعارة في شدة الصوت وأصله للبغل والعرب تستعير من بعض لبعض قال العجاج ينعت حمارا

كأن في فيه اذا ما سجا • عودا دوين اللهوات موجا

وقال جرير

ان الغراب بما كرهت لمولع • بنوى الاحبة دائم التشحاج

وقوله وانصرفت أدراجي أي فرجعت من حيث جئت تقول العرب رجع فلان أدراجه ورجع في حافرته ورجع عوده على بدئه وان شئت رفعت فقلت رجع عوده على بدئه أما الرفع فعلى قولك رجع وعوده على بدئه أي وهذه حاله والنصب على وجهين أحدهما أن يكون مفعولا

موقع لذة الظفر منه أرسخ وسروره بذلك أبهج فان زعم زاعم ان موقع لذة الظفر بالعدو المرصد أحسن من موقع لذة الظفر من العاشق الهائم بعشيقته قلنا انا قد رأينا الكرام والحلماء وأهل السودد والعظماء ربما جادوا بفضلهم من لذة شفاء الغيظ ويعدون ذلك زيادة في نبل النفس وبعد الهمة والقدر ويجودون بالنفيس من الصامت والناطق وبالثمين من العروض وربما خرج من جميع ماله وآثر طيب الذكر على الغنى واليسر ولم تر نفس العاشق تسخو بمعشوقه ويجود بشقيقة

كقولك ردّ عوده على بدئه والوجه الآخر أن يكون حالا فى قول سيبويه لان معناه رجع ناقضا مجيئه ووضع هذا فى موضعه كما تقول كلمته فاه الى فىّ أى مشافهة وبايعته يدا بيد أى نقدا وقد يجوز أن تقول فوه الى فىّ أى وهذه حاله ومن نصب فمعناه فى هذه الحال فاما بايعته يدا بيد فلا يكون فيه الا النصب لانك انما أنت تريد بايعته ويدٌ بيدٍ كما كنت تريد فى الاول وانما تريد النقد ولا تبالى أقريبا كان أم بعيدا وقال اعرابى

شكوت فقالت كل هذا تبرما ٭ بحبى أراح الله قلبك من حبى
فلما كتمت الحب قالت لشدما ٭ صبرت وما هذا بفعل شجى القلب
وأدنو فتقصينى فأبعد طالبا ٭ رضاها فتعتدّ اتباعك من ذنبى
فشكواى تؤذيها وصبرى يسوءها ٭ وتجزع من بعدى وتنفر من قربى
فيا قوم هل من حيلة تعرفونها ٭ أشيروا بها واستوجبوا الشكر من ربى

قوله كل هذا تبرما مردود على كلامه كانها تقول له أشكوتنى كل هذا تبرما ولو رفع كلٌّ لكان جيدا يكون كلُّ هذا مبتدأ وتبرمٌ خبره وشجى مخفف الياء ومن شدّدها فقد أخطأ والمثل ويلٌ للشجى من الخلى الياء فى الشجى مخففة وفى الخلى مثقلة وقياسه انك اذا قلت فعل يفعل فعلا فالاسم منه على فعل نحو فرق يفرق فرقا فهو فرق وحذر يحذر حذرا فهو حذر وبطر يبطر بطرا فهو بطر فعلى هذا شجى يشجى شجى فهو شجٍ يا فتى كما تقول هوى يهوى هوى فهو هوٍ يا فتى وقوله فيا قوم هل من حيلة تعرفونها موضع تعرفونها خفض لانه نعت للحيلة وليس بجواب ولو كان ههنا شرط يوجب جوابا لانجزم تقول ائتنى بدابة أركبها أى بدابة مركوبة فاذا أردت معنى فاندان أتيتنى بدابة ركبتها قلت أركبها لانه جواب الامر كما أن الاول بجواب الاستفهام وفى القرآن خُذْ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها أى مطهرة لهم وكذلك أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا أى كائنة لنا عيدا وفى الجواب فذرهم يخوضوا ويلعبوا أى ان تركوا خاضوا ولعبوا وأما قوله عز وجل فذرهم فى خوضهم يلعبون فانما هو فذرهم فى هذه الحال لانهم كانوا يلعبون وكذلك ولا تمنن تستكثر انما هو ولا تمنن مستكثرا فمعنى ذا هل من حيلة معروفة عندكم وقال اعرابى أنشدنيه أبو العالية

نفسه لوالد ولا لولد بار ولا الذى نعمة سابغة يخاف سلبها وصرف احسانه عنه بسببها ولم نر الرجال يهبون للرجال الا مالا بال به فى جنب ما يهبون النساء حتى كان العطر والصبغ والخضاب والكحل والنتف والقص والتحذيف والحلق وتجويد الثياب وتنظيفها والقيام عليها وتعهدها مما لم يتكلفوه الالهن ولم يتقدموا فيه الا من أجلهن وحتى كان الحيطان الرفيعة والأبواب الوثيقة والستور الكثيفة والحصيان والطوارة والحشوة والحواضن لم يتخذن الا لصون لهن والاحتفاظ بما يجب من

ألا تسألُ المكّيَّ ذا العلمِ ما الذي * يحلُّ من التقبيلِ في رمضانِ

فقال لي المكّيُّ أمّا لزوجةٍ * فتسبعُ وأما خُلَّةً فثمانِ

قوله خُلَّة يريد ذات خلة ويكون سمّاها بالمصدر كما قالت الخنساء * فانما هي اقبالٌ وادبارُ *
ويجوز أن تكون نعتها بالمصدر لكثرته منها ويجوز أن تكون أرادت ذات اقبال وادبار فحذفت
المضاف وأقامت المضاف اليه مقامه كما قال عز وجل ولكنّ البرَّ من آمنَ بالله فجائز أن يكون برُّ
من آمنَ بالله وجائز أن يكون لكنّ ذا البرّ من آمنَ بالله والمعنى يؤول الى شئ واحد وفي هذا الشعر
عيب وهو الذي يسميه النحويون العطف على عاملين وذلك أنه عطف خُلَّة على اللام الخافضة
لزوجة وعطف ثمانيا على سبع ويلزم من قال هذا أن يقول مرَّ عبدُ الله بزيد وعمرٌ وخالد ففيه
هذا القُبح وقد قرأ بعض القُرّاء وليس بجائز عندنا واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء
من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وبثَّ فيها من كل دابة وتصريف الرياح آيات فجعل آيات
في موضع نصب وخفضها التاء الجميع فحملها على انّ وعطفها بالواو وعطف اختلافا على في ولا
أرى ذا في القرآن جائزا لانه ليس بموضع ضرورة وانشد سيبويه لعديّ بن زيد العباديّ (الصحيح
انه لابنِ دُوَاد الايادي)

أكلَّ امرئٍ تحسبين امرأً * ونارٍ توقَّد بالليل نارا

فعطف على امرئٍ وعلى المنصوب الاول (قال أبو الحسن وفيه عيب آخر أنّ أمّا ليست من
العطف في شئ وقد أجرى خُلَّة بعدها مُجراها بعد حروف العطف حملا على المعنى فكأنه قال لزوجة
كذا وخُلَّة كذا) وقوله أمّا لزوجة فهذه مفتوحة وهي التي تحتاج الى جزاء ومعناها اذا قلت أمّا
زيدٌ فمنطلق مهما يكن من شئ فزيد منطلق وكذلك فأمّا اليتيم فلا تقهر انما هي مهما يكن من
شئ فلا تقهر اليتيم وتُكسَر اذا كانت في معنى أوو يلزمها التكرير تقول ضربتُ امّا زيدا وامّا
عمرا فمعناه ضربت زيدا أو عمرا وكذلك امّا شاكرا وامّا كفورا وكذلك امّا العذاب وامّا الساعة
وامّا أن تُعذِّب وامّا أن تتخذ فيهم حُسنا وانما كرَّرتها لانك اذا قلت ضربت زيدا أو عمرا أو قلت
اضرب زيدا أو عمرا فقد ابتدأت بذكر الاول وليس عند السامع انك تريد غير الاول ثم جئت
بالثاني أو بالتغيير واذا قلت ضربتُ امّا زيدا وامّا عمرا واضرب امّا زيدا وامّا عمرا فقد وضعت
كلا منهما بالابتداء على التخيير أو على الشك واذا قلت ضربتُ امّا زيدا وامّا عمرا فالاولى وقعت

حفظ النعمة فيهن

(فصل منه) وباب آخر وهو أنا لم نجد أحدا من الناس عشق والديه ولا ولده ولا من عشق مراكبه ومنزله كما رأيناهم يعوقون من عشق النساء الحرام قال الله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث فقد ذكر تبارك وتعالى جملة أصناف ما خولهم من كرامته ومن عليهم من نعمته ولم ير الناس وجدوا بشئ من هذه الأصناف وجدهم بالنساء ولقد قدم ذكرهن في هذه

لبنية الكلام عليها والثانية للعطف لانها تعدل بين الاول والثانى فانما تكسر فى هذا الموضع وزعم سيبويه انها ان ضمت اليها ما فان اضطر شاعر فحذف ما جازله ذلك لانه الاصل وأنشد فى مصداق ذلك (هو دريد بن الصمة الجشمى)

لقد كذبتك نفسك فاكذبنها • فان جزعا وان اجمال صبر

ويجوز فى غير هذا الموضع أن تقع امّا مكسورة ولكن ما لا تكون لازمة ولكن تكون زائدة فى ان التى هى للجزاء كما تزاد فى سائر الكلام نحو أين تكن أكن وأينما تكن أكن وكذلك متى تأتنى آتك ومتى ما تأتنى آتك فيقول ان تأتنى آتك وامّا تأتنى آتك تدغم النون فى الميم لاجتماعهما فى الغنة وسنذكر الادغام فى موضع نفرده به ان شاء الله كما قال امرؤ القيس

فاما تريني لا أغمض ساعة • من الليل الا أن أكب فأنعسا

فيارب مكروب كررت وراءه • وطاعنت عنه الخيل حتى تنفسا

وفى القرآن فاما ترين من البشر أحدا وقال وامّا تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فأنت فى زيادة ما بالخيار فى جميع حروف الجزاء الا فى حرفين فان ما لا بدّ منها العلّة نذكرها اذا أفردنا بابا للجزاء ان شاء الله والحرفان حيثما تكن أكن كما قال الشاعر

حيثما تستقم يقدر لك الله نجاحا فى غابر الازمان

والحرف الثانى اذما كما قال العبّاس بن مرداس

اذما أتيت على الرسول فقل له • حقّا عليك اذا اطمأنّ المجلس

لا يكون الجزاء فى حيث واذا الّا بما وأنشدنى أبو العالية

سل المفتى المكى هل فى تزاور • ونظرة مشتاق الفؤاد جناح

فقال معاذ الله أن يذهب التقى • تلاصق أكباد بهن جراح

(وأنشد لبعض العرب المحدثين

تلاصقنا وليس بنا فسوق • ولم يرد الحرام بنا الفسوق

ولكن البعاد طال حتى • توقّد فى الضلوع له حريق

فلما ان أتيح لنا التلاقى • تعانقنا كما اعتنق الصديق

الآية على قدر تقدمهن فى قلوبهم فان قال قائل فقد نجد الرجل الحليم والشيخ الركين يسمع الصوت المطرب من المغنى المصيب فينقله ذلك الى طبع الصبيان والى أفعال المجانين فيدق جيبه وينقض جيبه ويفدى غيره ويرقص كما يرقص الحدث الغرير والشاب السفيه ولم نجد أحدا فعل ذلك عند رؤية معشوقه قلنا اما واحدة فانه لم يكن ليدع التشاغل بشمها ورشفها وباحتضانها وتقبيل قدميها والمواضع التى وطئت عليه ويتشاغل بالرقص المباين لها والصراخ الشاغل

وهل حرجا تراه أو حراما ٭ مشوق ضمه كلف مشوق .

وأنشدني غيره

وما هجرتك النفس يا مي أنها ٭ قلتك لا أن قل منك نصيبها
ولكنهم يا أملح الناس أولعوا ٭ بقول اذا ما جئت هذا حبيبها

أنها في موضع نصب وكان التقدير لانها فلما حذفت اللام وصل الفعل فعمل تقول جئتك أن تحب الخير فمعناه لانك وكذلك أتيتك ان تأمر لي بشيء أي لان وتقديره في النصب أن أن الخفيفة والفعل مصدر نحو أريد أن تقوم يا فتى أي قيامك وأن الثقيلة واسمها وخبرها مصدر تقول بلغني أنك منطلق أي انطلاقك فاذا قلت جئتك أنك تريد الخير فمعناه اراد تك الخير أي مجيئي لانك تريد الخير اراد تك يا فتى كما قال الشاعر (هو حاتم الطائي)

وأغفر عوراء الكريم ادخاره ٭ وأعرض عن ذم اللئيم تكرما

قوله وأغفر عوراء الكريم ادخاره أي أدخره ادخارا وأضافه اليه كما تقول ادخار له وكذلك قوله تكرما انما أراد لتكرم فأخرجه مخرج أتكرم تكرما وأنشدني أبو العالية (قيل ان الشعر لعروة بن أذينة)

مازلت أبغي الحي أتبع ظلهم ٭ حتى دفعت الى ربيبة هودج
قالت وعيش أبي وأكبر اخوتي ٭ لأنبهن الحي ان لم تخرج
فخرجت خيفة قولها فتبسمت ٭ فعلمت أن يمينها لم تحرج
فلثمت فاها آخذا بقرونها ٭ شرب النزيف ببرد ماء الحشرج

وزاد فيها الجاحظ عمرو بن بحر

وتناولت رأسي لتعرف مسه ٭ بمخضب الاطراف غير مشيح

تقول العرب هودج وبنو سعد بن زيد مناة ومن وليهم يقولون فودج وقوله فعلمت أن يمينها لم تحرج يقول لم تضق عليها يقال حرج يحرج اذا دخل في مضيق والحرجة الشجر الملتف المتضايق ما بينه قال الله عز وجل فلا يكن في صدرك حرج منه وقال تعالى يجعل صدره ضيقا حرجا وقرئ حرجا فمن قال حرجا أراد التوكيد للضيق كأنه قال ضيق شديد الضيق ومن قال حرجا جعله مصدرا مثل قولك ضيق ضيقا وقوله ببرد ماء الحشرج فهو الماء الجاري على الحجارة وقال قيس بن معاذ أحد بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن ملهم بن صعصعة وهو المجنون وحدثني عبد الصمد بن المعذل قال سمعت

عنها فاما حل الحبوة والصراخ عند رؤية الحبيبة فان هذا مما لا يحتاج الى ذكره لوجوده وكثرة استعمالهم له فكيف وهو ان خلا بمعشوقة لا يظن ان لذة الغناء تشغله بمقدار العشر من لذته بل ربما لم يخطر له ذلك الغناء على بال على أن ذلك الطرب مجتاز غير لابث وظاعن غير مقيم ولذة المتعاشقين راكدة أبدا مقيمة غير ظاعنة وعلى ان الغناء الحسن من الوجه الحسن والبدن الحسن أحسن والغناء الشهي من الوجه الشهي والبدن الشهي أشهى وكذلك الصوت الناعم

الأصمعي يثبته ويقول لم يكن مجنونا انما كانت به لوثة كلوثة أبي حية (النميري وهو من أشعر الناس ومن شعره)

ولم أر ليلى بعد موقف ساعة ٭ ببطن منى ترمي جمار المحصب

ويبدي الحصا منها اذا قذفت به ٭ من البرد أطراف البنان المخضب

فأصبحت من ليلى الغداة كناظر ٭ مع الصبح في أعقاب نجم مغرب

ألا انما غادرت يا أم مالك ٭ صدى أينما تذهب به الريح يذهب

هذا البيت من أعجب ما قيل في النجافة ومما يستظرف في هذا الباب قول عمر بن ابي ربيعة

رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت ٭ فيضحى وأما بالعشي فيخصر

أخا سفر جواب أرض تقاذفت ٭ به فلوات فهو أشعث أغبر

قليلا على ظهر المطية ظله ٭ سوى ما نفى عنه الرداء المحبر

ومن هذا الباب قول القائل (هو قيس بن معاذ مجنون بني عامر الذي تقدم ذكره لابن الأبرش)

فأصبحت في أقصى البيوت يعدنني ٭ بقية ما أبقين نصلا يمانيا

(بقية بدل من الياء في يعدنني بدل الاشتمال

تجمعن من شتى ثلاث وأربع ٭ وواحدة حتى كملن ثمانيا)

يعدن مريضا هن هيجن ما به ٭ ألا انما بعض العوائد داثيا

وفي هذا الباب أشياء كثيرة تأتي في موضعها ان شاء الله تعالى ومن الافراط فيه قوله

فلو أن ما أبقيت مني معلق ٭ بعود تمام ما تأود عودها

(التمام نبت ضعيف واحدته تمامة) وهذا متجاوز كقول القائل

٭ ويمنعها من أن تطير زمامها ٭ وأحسن الشعر ما قارب فيه القائل اذا شبه وأحسن منه ما أصاب به الحقيقة ونبه فيه بفطنته على ما يخفى عن غيره وسافه برصف قوي واختصار قريب

قال قيس بن معاذ

وأخرج من بين الجلوس لعلني ٭ أحدث عند النفس في السر خاليا

وإني لأستغشي وما بي نعسة ٭ لعل خيالا منك يلقى خياليا

وفي هذا الشعر

أشوقا ولما تمض لي غير ليلة ٭ رويد الهوى حتى يغب لياليا

هذا من أجود الكلام وأوضحه معنى ويستحسن لذي الرمة قوله في مثل هذا المعنى

الرخيم من الجارية الناعمة الرخيمة وكم بين ان يفدى اذا شاع فيك الطرب مملوكا وبين ان يفدى أمتك وكم بين ان يسمع الغناء من فم تشتهي ان تقبله وبين فم تشتهي ان تصرف وجهك عنه وعلى ان الرجال دخلاء على النساء في الغناء كما رأينا رجالا ينوحون فصاروا دخلاء على النوائح وبعد فايما أحسن وأملح وأشهى وأغنج ان يغنيك فحل ملتف اللحية كث العارضين أو شيخ منخلع الاسنان مغضن الوجه ثم يغنيك اذا هو تغنى بشعر ورقاء بن زهير رأيت زهيرا تحت كلكل خالد

أُحِبُّ المَكانَ القَفْرَ من أجلِ أنَّني ● به أتغنَّى باسمها غيرَ مُعْجَمِ

وأنشدني ابن عائشة لبعض القُرشيِّين .

وقَفُوا ثلاثَ منًى بمَنزِلِ غِبْطَةٍ ● وهُمُ على غَرَضٍ هُنالِكَ ما هُمُ

مُتجاورِينَ بغَيْرِ دارِ إقامةٍ ● لَوْ قد أجَدَّ تفرُّقٌ لم يَندَموا

(يعني طواف الوَداع وقوله ثلاث منًى أراد أيام النَّفر وأخرجه على الليالي وقوله لم يَندموا لانهم يَرجعون الى أوطانهم)

ولَهُنَّ بالبيتِ العَتيقِ لُبانَةٌ ● والرُّكنُ يَعرِفُهُنَّ لو يَتكلَّمُ

لو كانَ حَيًّا قبلَهُنَّ طَعائنًا ● حَيَّا الحَطيمُ وُجوهَهُنَّ وزَمْزَمُ

وكأنَّهُنَّ وقد صَدَرْنَ لواغبًا ● بَيْضٌ بأفنيةِ المَقامِ مُرَكَّمُ

اللاغبُ المُعيي قال الله عزوجل وما مسَّنا من لُغوب والمُرَكَّم الذي بعضه على بعض والمرأة تُشَبَّه ببيضة النعامة كما تُشَبَّه بالدرة قال الله عزوجل كأنَّهنَّ بَيْضٌ مَكْنونٌ والمكنون المصون والمُكَنَّن المستور يقال أكْنَنْتُ السرَّ قال الله عزوجل أو أكْنَنْتُم في أنفسكم وقال أبو دُهْبِل وأكثر الناس يرويه لعبد الرحمن بن حسَّان (بن ثابت الانصاري)

وهي زَهراءُ مثلُ لُؤلُؤةِ الغَـ ـوّاصِ مِيزَتْ من جوهرٍ مَكْنونِ

وقال ابن الرُّقيَّات

واضِحُ لَوْنُها كبَيْضةِ أُدْحِيٍّ لها في الفَساءِ خَلْقٌ عَميمُ

العميم التام والأُدْحِيُّ موضع بيض النعامة خاصةً وشِعْرُ عبد الرحمن هذا شعر مأنود مشهور عنه وروى بعض الرواة أن أبا دُهْبِل الجُمَحيَّ كان تَقيًّا وكان جَميلًا فقَفَل من الغَزْو ذاتَ مرَّة فمرَّ بدِمَشْقَ فدعَتْه امرأةٌ الى أن يَقْرَأَ لها كتابًا وقالت ان صاحبتَه في هذا القصر وهي تُحِبُّ أن تَسمعَ ما فيه فلما دخلتْ به بَرَزَتْ له امرأةٌ جميلةٌ وقالت له انما احتَلْتُ لك بالكتاب حتى أدْخُلَ فقال لها أما الحَرامُ فلا سبيلَ اليه قالت فلَسْتُ تُرادُ حَرامًا تَزوَّجْتُه وأقام عندها دَهْرًا حتى نُعِيَ بالمدينة فجَعَل يقول وقد استأذنها المُسْلِمَ بأهْلِه ثم يعودَ فجاء وقد اقْتُسِمَ ميراثُه فلما هَمَّ بالعود اليها نُعِيَتْ له فهذا ما رُوِيَ من هذا الوجه والذي كأنه اجماع الناس انه لعبد الرحمن بن حسان وهو في بنت مُعاوية (بن أبي سُفْيان).

فاقبلت أسعى كالجمول أبادر
أم تغنيك جارية كانها
طافة نرجس أوكانها
ياسمينة أوكانها خرطت
من ياقوتة أومن فضة
مجلوة بشعر عكاشة بن
محصن
من كف جارية كان بنانها
من فضة قد طوقت عنابا
وكان عناها اذا نطقت به
القت على يدها الشمال
حبابا
(فصل منه) فاما الغناء
المطرب في الشعر الغزل
فانما ذلك من حقوق
النساء وانما ينبغي ان
تغنى باشعار الغزل
والتشبيب والعشق

صاح حيّا الاله أهلا ودارا • عند أصل القناة من جيرون

عن يساري اذا دخلت من الباب • وان كنت خارجا فيميني

فبتلك ارتمهنت بالشأم حتى • ظن أهلي مرجّيات الظنون

وهي زهراء مثل لؤلؤة الغوّاص ميزت من جوهر مكنون

واذا ما نسبتها لم تجدها • في سناء من المكارم دون

ثم خاصرتها الى القبّة الخضراء تمشي في مرمر مسنون

تجعل المندل الرطيب نجوحا والند صلاء لها على البكانون

قبّة من مراجل ضربتها • عند برد الشتاء في قسطون

المسنون المصبوب على استواء والمراجل ثياب من ثياب اليمن قال العجّاج

• بشية كشية المرجّل * والقسطون البيت في جوف بيت وقال آخر

وأبصرت سعدى بين نوبي مراجل • وأثواب عصب من مهلهلة اليمن

ويروى أن يزيد بن معاوية قال لمعاوية أما سمعت قول عبد الرحمن بن حسان في ابنته قال وما الذي

قال قال قال وهي زهراء مثل لؤلؤة الغواص ميزت من جوهر مكنون

قال معاوية صدق فقال يزيد وقال واذا ما نسبتها لم تجدها • في سناء من المكارم دون

قال معاوية صدق فقال يزيد انه قال

ثم خاصرتها الى القبة الخضراء تمشي في مرمر مسنون

قال معاوية كذب

والصبابة بالنساء اللواتي فيهن نطقت تلك الاشعار وبهن شبب الرجال ومن أجلهن تكلفوا القول في التشبيب وبعد فكل شيء وطبقته وشكله ولفقه حتى تخرج الأمور موزونة معدلة ومتساوية بمخالصة ولو أن رجلا من أدمث الناس وأشدهم تلخيصا لكلامه ومحاسنه لنفسه ثم جلس مع امرأة لا تزن بمنطق ولا تعرف بحسن حديث ثم كان يعشقها ما كان الناتج بينهما من الاحاديث والمتلاقح بينهما من المعاني والألفاظ الا ماكان يجري بين غفل بن حنظلة وبين بشار بن الحرن واشباهه على قدر تمكن

﴿ باب ﴾

قال أبو العباس حدثني مسعود بن بشير قال حدثني محمد بن حرب قال أتى عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكساه حلة وأقعده الى جانبه ثم قال انه ابن أمي وكان أبوه يرضعني (الزبير أخو عبد الله بن عبد المطلب شقيقه) وأنشدني مسعود قال أنشدني طاهر بن علي بن سليمان قال أنشدني منصور بن المهدي لرجل من بني ضبة بن أد يقول لبني تميم بن مر بن أد

أبني تميم انني أنا عمكم • لا نحر من نصيحة الاعمام

اني أرى سبب الفناء واغلم • سبب الفناء قطيعة الارحام

فتداركوا بأبي وأمي أنتم • أرحامكم بروابح الاحلام

(كذا أنشد أرحامكم ويروى أحسابكم) ويروى أنه لما أتى عبد الله بن الزبير خبر قتل مصعب بن الزبير خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال انه أتانا خبر قتل المصعب فسررنا به واكتأبنا له فاما السرور فلما قدر له من الشهادة وحيز له من الثواب واما الكآبة فلوعة يجدها الحميم عند فراق حميمه واناوالله ماغبوت حجا كميته آل أبي العاصي اغما غبوت والله قتلا بالرماح وقعصا تحت ظلال السيوف فان يهلك المصعب فان في آل الزبير منه خلفا قوله حجا يقال حجم بطنه اذا انتفخ وكذلك حيط بطنه والمقعص المقتول واللوعة الحرقة يقال لاع يلاع لوعة يافتى فهو لائع ويقال لاع يافتى على القلب وأنشد أبو زيد

ولا فرح بخير ان أتاه • ولا جزع من الحدثان لاعى

قال وحدثني مسعود بن بشر في اسناد ذكره قال قال زياد لحاجبه ياعجلان انى وليتك هذا الباب وعزلتك عن أربعة عزلتك عن هذا المنادى اذا دعا للصلاة فلا سبيل لك عليه وعن طارق الليل فشر ما جاء به ولو جاء بخير ما كنت من حاجته وعن رسول صاحب الثغر فان ابطاء ساعة يفسد تدبير سنة وعن هذا الطباخ اذا فرغ من طعامه قال وحدثني مسعود قال قال زياد يعجبني من الرجل اذا سيم خطة الضيم أن يقول لا يحل فيه واذا أتى نادي قوم علم أين ينبغي لمثله أن يجلس فجلس واذا ركب دابة حملها على ما تحب ولم يبعثها الى ما تكره وكتب الى جعفر بن يحيى ان صاحب الطريق قد اشتط فيما يطلب من الاموال فوقع جعفر هذا رجل منقطع عن السلطان وبين ذؤبان العرب بحيث العدد والعدة والقلوب القاسية والانوف الحمية فليمدد من المال بما يستصلح به من معه ليدفع به عدوه فان نفقات الحروب يستظهر لها ولا يستظهر عليها وأكثر الناس شكية عامل فوقع اليه في قصتهم ياهذا قد كثر شاكوك وقل حامدوك فاما عدلت واما اعتزلت وزعم الجاحظ قال قال ثمامة بن أشرس النميري ما رأيت رجلا أبلغ من جعفر بن يحيى والمأمون وقال مونس بن عمران ما رأيت رجلا أبلغ من يحيى بن خالد وأيوب بن جعفر وقال

العزل في الرجل

(فصل منه) والمرأة أيضا أرفع حالا من الرجل في أمور منها انها التي تخطب وتراد وتعشق وتطلب وهي التي تفدى وتحمى قال عتبة بن سعيد للحجاج بن يوسف أيفدى الأمير أهله قال والله ان تعدوني الا شيطانا والله لربما رأيتني أقبل رجل احداهن

(فصل منه) وانما ملك المولى من عبده بدنه فاما قلبه فليس له عليه سلطان والسلطان نفسه وان ملك رقاب الأمة فالناس يختلفون في جهة الطاعة فمنهم من يطيع بالرغبة ومنهم من يطيع بالرهبة

جعفر بن يحيى للكتاب ان قدرتم أن تكون كتبكم كلها توقيعات فافعلوا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تكاشفتم ما تدافنتم يقول لو علم بعضكم سريرة بعض لاستثقل تشييعه ودفنه وقال عليه الصلاة والسلام اجتنبوا القعود على الطرقات الا ان تضمنوا أربعا رد السلام وغض الأبصار وارشاد الضال وعون الضعيف وقالت هند بنت عتبة اغا النساء أغلال فليحتر الرجل غلا لليده وذكرت هند بنت المهلب بن أبي صفرة النساء فقالت ما زين بشئ كأدب بارع تحته أدب ظاهر وقالت هند بنت المهلب بن أبي صفرة أيضا اذا رأيتم النعم مستدرة فبادروا بالشكر قبل حلول الزوال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افصلوا بين حديثكم بالاستغفار وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله قيدوا النعم بالشكر وقيدوا العلم بالكتاب وقال علي بن أبي طالب رضوان الله عليه العجب لمن يهلك والنجاة معه فقيل ما هي يا أمير المؤمنين قال الاستغفار وقال الخليل بن أحمد كن على مدارسة ما في قلبك أحرص منك على حفظ ما في كتبك وقال ابن أحمد يعني الخليل اجعل ما في كتبك رأس مال وما في صدرك للنفقة وقيل لنصر بن سيار ان فلانا لا يكتب فقال تلك الزمانة الحقيقة وقال نصير بن سيار لولا أن عمر بن هبيرة كان بدويا ما ضبط أعمال العراق وهو لا يكتب وفادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى فداءه من أسرى بدر فمن لم يكن له فداء أمره أن يعلم عشرة من المسلمين الكتابة ففشت الكتابة بالمدينة ومن أمثال العرب خير العلم ما حوضر به يقول ما حفظ فكان للمذاكرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال أمتي صالحا أمرها ما لم ترا لتي مغنما والصدقة مغرما وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يأتي على الناس زمان لا يقرب فيه الا الماحل ولا يظرف فيه الا الفاجر ولا يضعف فيه الا المنصف يتخذون التي مغنما والصدقة مغرما وصلة الرحم منا والعبادة استطالة على الناس فعند ذلك يكون سلطان النساء ومشاورة الاماء وامارة الصبيان (الماحل الواشي يقال محل فلان بفلان اذا وشى به ومكر) ويروى عن محمد بن المنتشر بن الأجدع الهمداني قال دفع الى الحجاج أزا ذمرد بن الهرمز وأمرني ان أستخرج منه وأغلظ عليه فلما انطلقت به قال لي يا محمد ان لك شرفا ودينا واني لا أعطى على القسر شيأ فاستأدني وارفق بي قال ففعلت فأدى الي في أسبوع خمسمائة ألف قال فبلغ ذلك الحجاج فأغضبه وانتزعه من يدي ودفعه الى رجل كان يتولى له العذاب فدق

ومنهم من يطيع بالمحبة ومنهم من يطيع بالديانة وهذه الأصناف وان كان أفضلها طاعة الديانة فان تلك المحبة مالم يمازجها هوى لم يقو على صاحبها قوة العشق وفي الأثر المستفيض والمثل السائر ان الهوى يعمى ويصم فالعشق يقتل

﴿فصل منه﴾ ومما يستدل به على تعظيم شأن النساء ان الرجل يستحلف بالله الذي لا شئ أعظم منه وبالمشي الى بيت الله وبصدقة ماله وعتق رقيقه فيسهل ذلك عليه ولا يأنف منه فان استحلف بطلاق امرأته تربد وجهه وطار الغضب في دماغه

يديه ورجليه ولم يعطهم شيأ قال محمد بن المنتشر فانى لأمر يوما فى السوق اذا صاحبى يا محمد فالتفت فاذا به معرضا على حمار مدقوق اليدين والرجلين فخفت الحجاج ان أتيته وتذممت منه فلت اليه فقال لى اندو ليت منى ما ولى هؤلاء فأحسنت وانهم صنعوا بى ما ترى ولم أعطهم شيأ وههنا خمسمائة ألف عند فلان فخذها فهى لك قال فقلت له ما كنت لآخذ منك على معروف أجرا ولا لأزالك على هذه الحال شيأ قال فأما اذا أبيت فاسمع أحدثك حدثنى بعض أهل دينك عن نبيك صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا رضى الله عن قوم أمطرهم المطر فى وقته وجعل المال فى سمحائهم واستعمل عليهم خيارهم واذا سخط عليهم استعمل عليهم شرارهم وجعل المال عند بخلائهم وأمطرهم المطر فى غير حينه قال فانصرفت فما وضعت ثوبى حتى أتانى رسول الحجاج فأمرنى بالمسير اليه فألفيته جالسا على فرشه والسيف منتضى فى يده فقال لى ادن فدنوت شيأ ثم قال ادن فدنوت شيأ ثم صاح الثالثة ادن لا أبالك فقلت ما بى الى الدنو من حاجة وفى يد الامير ما أرى فأضحك الله سنه وأغمد سيفه عنى فقال لى اجلس ما كان من حديث الخبيث فقلت له أيها الامير والله ما عشيتك منذ استنصحتنى ولا كذبتك منذ استخبرتنى ولا خنتك منذ ائتمنتنى ثم حدثته الحديث فلما صبرت الى ذكر الرجل الذى المال عنده أعرض عنى بوجهه وأومأ الى بيده وقال لا تسمه ثم قال ان للخبيث نفارا وقد سمع الأحاديث ويقال كان الحجاج اذا استغرب ضحكا والى بين الاستغفار وكان اذا صعد المنبر تلفع بمطرفه ثم تكلم رويدا فلا يكاد يسمع ثم يتزيد فى الكلام حتى يخرج يده من مطرفه ويزجر الزجرة فيفزع بها أقصى من فى المسجد وكان يطعم فى كل يوم على ألف مائدة على كل مائدة ثريد وجنب من شواء وسمكة طرية ويطاف به فى محفة على تلك الموائد ليتفقد أمور الناس وعلى كل مائدة عشرة ثم يقول يا أهل الشام اكسروا الخبز لئلا يعاد عليكم وكان له ساقيان أحدهما يسقى الماء والعسل والآخر يسقى اللبن ويروى أن ليلى الاخيلية قدمت عليه فأنشدته

اذا ورد الحجاج أرضا مريضة ... تتبع أقصى دائها فشفاها

شفاها من الداء العقام الذى بها ... غلام اذا هز القناة ثناها

(العقام بالفتح والضم والضم أفصح) فقال لها الا تقولى غلام قولى هماما ثم قال لها أى نسائى أحب اليك أن أنزلك عندها الليلة قالت ومن نساؤك أيها الامير قال أم الجلاس بنت سعيد بن العاصى

وعنع ويعصى ويغضب ويأبى وان كان المحلف سلطانا مهيبا ولم يكن يحبها ولا يستكثر منها وكانت نفسها قبيحة المنظر دقيقة الحسب خفيفة الصداق قليلة النسب وليس ذلك الا لما قد عظم الله تعالى من شأن الزوجات فى صدور الأزواج

(فصل منه فى ذكر الولد)

وباب آخر وهو أنا لو خيرنا رجلا بين الفقر أيام حياته وبين أن يكون ممتعا بالباه أيام حياته لاختار الفقر الدائم مع التمتع الدائم وليس شئ مما يحدث الله لعباده من أصناف نعمه وضروب فوائده أبقى ذكرا ولا أجل خطرا من

الأُمَوِيَّةُ وهِنْدٌ بنت أسماء بن خارجة الفزارية وهند بنت المُهَلَّب بن أبي صُفْرَةَ العَتَكِيَّةُ فقالت القَيْسِيَّةُ أحبُّ الىَّ فلما كان الغَدُ دخلت عليه فقال يا غلام أعطها خمسمائة فقالت أيها الامير اجعلها أدماً فقال قائل انما أمر لك بشاء قالت الامير أكرم من ذلك فجعلها ابلا اناثا اصهباء وانما كان أمر لها بشاء أولا والأدم البيض من الابل وهى أكرمها ويروى عن بعض الفقهاء (هو الشَّعبيُّ) قال دعانى الحجاج فسألنى عن الفريضة المُخَمَّسَة وهى أمٌّ وجَدٌّ وأخت فقال لى ما قال فيها الصديق رحمه الله قلتُ أعطى الامَّ الثلث والجدَّ ما بقى لانه كان يراه أباً قال فما قال فيها أمير المؤمنين يعنى عثمان رحمه الله قلت جعل المال بينهم أثلاثا قال فما قال فيها ابن مسعود قال قلتُ أعطى الاختَ النصف والام ثلث ما بقى والجد الثلثين لانه كان لا يُفَضِّلُ أمّاً على جد قال فما قال فيها زيد ابن ثابت قال قلتُ أعطى الام الثلث وجعل ما بقى بين الاخت والجد للذكر مثل حظ الانثيين لانه كان يجعل الجدّ كاحد الاخوة الى الثلثة قال فَرَزَّم بأنفه ثم قال فما قال فيها أبو تُراب قال قلت أعطى الام الثلث والاخت النصف والجد السدس فأطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال فانه المَرءُ يُرْغَبُ عن قوله وجلس الحجاج يوما يأكل ومعه جماعة على المائدة منهم محمد بن عُمَيْر بن عُطارد ابن حاجب بن زُرارة وحجّار بن أبجر بن بُجَيْر العِجْلىُّ فاقبل فى وَسَط من الطعام على محمد بن عُمَيْر بن عُطارد فقال يا محمد أبد عولُ قُتَيْبَةَ بن مُسْلِم الى نُصرتى يوم رُسْتُقباذ فتقول هذا أمر لا ناقة لى فيه ولا جمل لا جعل الله لك فيه ناقة ولا جملا يا حَرَسِىُّ خُذ بيده وجرِّد سيفك فاضرب عُنُقَه فنظر الى حجّار ابن أبجر وهو يتبسم فدخلته العَصَبِيَّةُ وكان مكان حجّار من ربيعة كمكان محمد بن عمير من مُضَر وأتى الخبّازُ بفِرْنِيَّة فقال اجعلها امامى يا محمد فان اللبن يعجبه يا حَرَسِىُّ ثم سيفك وانصرف وكان محمدٌ شريفا وله يقول الشاعر

عَلِمَ القبائلُ من مَعَدٍّ وغيرها ● أنَّ الجوادَ محمدُ بن عُطارد

وذُكِرَتْ بنو دارم يوما بحضرة عبد الملك فقالوا قوم لهم حَظٌّ فقال عبد الملك أتقولون ذلك وقد مَضَى منهم لقيطُ بن زُرارة ولا عَقِبَ له ومضى القَعْقاعُ بن مَعْبَد بن زُرارة ولا عَقِبَ له ومضى محمد ابن عُمَيْر بن عُطارد ولا عَقِبَ له والله لا تَنْسى العربُ هؤلاء الثلاثة أبدا قوله ثم سيفك يقول اغمده ويقال نَمْتُ السيفَ اذا سَلَلْتَه وهو من الاضداد ويقال نَمْتُ البرقَ اذا نظرتَ من أىِّ ناحية

أن يكون للرجل ابن يكون ولى بنائه وساتر عورة حرمه وقاضى دينه ومحيى ذكره مخلصا فى الدعاء له بعد موته وقائما بعده فى كل ما خلفه مقام نفسه فمن أقل أسفا على ما فارق ممن خلف كافيا مجربا وحائطا من وراء المال موفرا ومن وراء الحرم حاميا ولسافه فى الناس محببا وقال رجل لعبد الملك بن مروان ذكر ولد له أراك الله فى بنيك ما أرى أبالك فيك وأرى بنيك فيك ما أراك فى أبيك ونظر شيخ وهو عند المهلب الى بنيه قد أقبلوا فقال آنس الله بكم لاحقكم فوالله ان لم تكونوا أسباط

بانى قال الاعشى فقلت الشرب فى درنى وقد ثملوا ٭ شيموا وكيف بشيم الشارب الثمل

وقال الفرزدق بأبدى رجال لم يشيموا سيوفهم ٭ ولم تكثر القتلى بها حين سلت

وهذا البيت ظريف عند أصحاب المعانى وتأويله لم يشيموا لم يغمدوا ولم تكثر القتلى أى لم يغمدوا سيوفهم الا وقد كثرت القتلى حين سلت وحدثنى الحسن بن رجا قال قدم علينا على بن جبلة الى عسكر الحسن بن سهل والمأمون هناك بانيا على خديجة بنت الحسن بن سهل المعروفة ببوران فقال الحسن ونحن اذذاك نجرى على فيف وسبعين ألف ملاح وكان الحسن بن سهل يسهر مع المأمون وكان المأمون يتضجع فيجلس الحسن للناس الى وقت انتباهه فلما ورد على قلت قد ترى شغل الامير قال اذا لا أضيع معك قلت أجل فدخلت على الحسن بن سهل فى وقت ظهوره فأعلمته مكانه فقال ألا ترى ما نحن فيه قلت لست بمشغول عن الامر له فقال يعطى عشرة آلاف درهم الى أن نتفرغ له فأعلمت ذلك على بن جبلة فقال فى كلمته

أعطيتنى ياولى الحق مبتدئا ٭ عطية كافأت مدحى ولم ترنى

ما شمت برقك حتى نلت ريقه ٭ كأنما كنت بالجدوى تبادرنى

﴿ باب ﴾

قال أبو العباس قال المفضل بن المهلب بن أبى صفرة (يصف الشجاعة والنجدة)

هل الجود الا أن تجود بأنفس ٭ على كل ماضى الشفرتين قضيب

وما خير عيش بعد قتل محمد ٭ وبعد يزيد والحرون حبيب

ومن هر أطراف القنا خشية الردى ٭ فليس لمجد صالح بكسوب

وما هى الا رقدة ثور العلى ٭ لرهطك ما حنت روائم نيب

قوله ومن هر أطراف القنا خشية الردى يقول من كره قال عنترة بن شداد

حلفت لهم والخيل تردى بنا معا ٭ نفار فهم حتى هروا العواليا

صوالى زرقا من رماح ردينة ٭ هريرا الكلاب بالقنين الأقاعيا

والردى الهلاك وأكثر ما يستعمل فى الموت يقال ردى يردى ردى قال الله عز وجل وما يغنى عنه ماله

نبوة انكم أسباط ملحمة وليست النعمة فى الولد المحبى والخلف الكافى بصغيرة

﴿ فصل منه ﴾ وباب آخر وهو أن الله تعالى خلق من المرأة ولدا من غير ذكر ولم يخلق من الرجل ولدا من غير انثى فخص بالآية العجيبة والبرهان المنير المرأة دون الرجل كما خلق المسيح فى بطن مريم من غير ذكر

﴿ فصل منه فى ذكر القرابات ﴾

وأما أنا فانى أقول ان تباغض الاقربا عارض دخيل وتحابهم واطد أصيل والسلامة من ذلك أعم والتناصر أظهر

اذا تردّى وهو تفعّل من الردى فى احد التفسيرين وقيل اذا تردى فى النار أى اذا سقط فيها وقوله الحرون فان حبيب بن المهلّب كان ربما انهزم عنه أصحابه فلا يريم مكانه فكان يلقّب الحرون وقوله وماهى الا رقدة توبت العلى فهذا مأخوذ من قول أخيه يزيد بن المهلب وذلك انه قال فى يوم العقر وهو اليوم الذى قتل فيه قاتل الله ابن الأشعث ما كان عليه لو غمّض عينيه ساعة للوت ولم يكن قتيل نفسه وذلك ان ابن الاشعث قام فى الليل وهو فى سطح للبول فزعموا انه ردّى نفسه وغير أهل هذا القول يقولون بل سقط منه بسنة النوم وقوله توبت العلى لرهطه فالمعنى توبت العلى رهطه وهذه اللام تزاد فى المفعول على معنى زيادتها فى الاضافة تقول هذا ضاربٌ زيدًا وهذا ضاربٌ لزيد لانها لا تغيّر معنى الاضافة اذا قلت هذا ضاربُ زيد وضاربٌ له وفى القرآن وأُمرتُ لأن أكون أول المسلمين وكذلك ان كنتم للرؤيا تعبرون ويقول النحويون فى قوله تعالى قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون انما هو ردفكم والنيب جمع ناب وهى المسنّة من الابل وتقديرها فعل ساكنة وابدلت من الضمة كسرة لتصح الياء كما قلت فى أبيض بيض وانما هو مثل أحمر وحمر وكذلك أشيب وشيب فتقدير ناب ونيب اذا جاء على فعل وفعل تقدير أسد وأُسد ووثن ووُثن وناب تقديرها فعل وانما انقلبت الياء ألفا فحركت وانما تنقلب اذا كانت قبلها فتحة وكانت فى موضع حركة والرواتم قد مضى تفسيرها وأنشدنى الزيادى قال أنشدنى أبو زيد قال نظر شيخ من الاعراب الى امرأة تتصنّع وهى عجوز فقال

عجوزٌ ترجّى أن تكون فتيّة ... وقد لحب الجنبان واحدودب الظهر

تدسّ الى العطّار سلعة بيتها ... وهل يصلح العطّار ما أفسد الدهر

(قال أبو الحسن وزاد فى غير أبى العباس فى شعر هذا الاعرابى

وما غرّنى الا خضاب بكفّها ... وكحل بعينيها وأثوابها الصفر

وبالوابها قبل المحاق بليلة ... فكان محاقا كله ذلك الشهر)

قال فقالت له امرأته ... ألم تر أن الناب تحلب علبة ... ويتركه ذاب لاضراب ولا ظهر

قال ثم استعانت بالنساء وطلب الرجال فاذا هم خلوق فاجتمع النساء عليه فضربنه وقوله قد لحب الجنبان يقول قل لحمهما يقال بعير ملحوب وقد لحب مثل عرق وقوله تدسّ الى العطار سلعة بيتها

والتصادق فى المودة أكثر فلذلك القبيلة تنزل معا وترحل معا وتحارب من ناوأها معا الا الشاذ النادر كخروج غنى وباهلة من غطفان وكنزول عبس فى بنى عامر وما أشبه ذلك والا فان القرابة يد واحدة على من ناوأهم وسيف واحد على من عاداهم وما صلاح شأن العشائر الا بتقارب ساداتهم فى القدر وان تفاوتوا فى الرياسة والفضل كما قال فى الأثر المستفيض لا يزال الناس بخير ما تفاوتوا فاذا تقاربوا هلكوا وحال العامة فى ذلك كحال الخاصة

﴿فصل منه﴾ وقضية واجبة ان الناس لا يصلحهم

بيتها بريد السويق والدقيق وما أشبه ذلك وكل عرض فالعرب تقول له سلعة أنشدني عمارة بن عقيل شعرا يمدح به خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني ويذم تميم خزيمة بن حازم النهشلي

أأترك ان قلت دراهم خالد ... زيارته اني اذاً للئيم

وقد يسلع المرء اللئيم اصطناعه ... ويعتل نقد المرء وهو كريم

(من رفع المرء نصب اصطناعه ومن نصب المرء رفع اصطناعه وأما على تفسير أبي العباس فينصب اصطناعه لاغير)

فتى واسط في ابني نزار محبب ... الى ابني نزار في الخطوب عميم

فلبيت ببرديه لنا كان خالد ... وكان لبكر في القراع تميم

فيصبح فينا سابق متمهل ... أغر وفي بكر أغم بهيم

قوله وقد يسلع المرء اللئيم اصطناعه أي تكثر سلعته لاصطناعه وقوله أغم بهيم فالغمم كثرة شعر الوجه والقفا قال هدبة بن خشرم العذري

فلا تنكحي ان فرق الدهر بيننا ... أغم القفا والوجه ليس بأنزعا

والعرب تكره الغمم والبهيم الذي لا يخلط لونه غيره من أي لون كان وقولها ألم تر أن الناب تحلب علبة تقول فيها منفعة على حال والعلبة اناء لهم من جلود يحلبون فيه من ذلك قوله

لم تنتفع بفضل مئزرها ... دعدٌ ولم تغذ دعد بالعلب

ومن أمثال العرب قد تحلب الصعور العلبة يضربون ذلك للرجل البخيل الذي لا يزال ينال منه الشيء القليل والصعور الناقة السيئة الخلق انما تحلب حين تطلع عليها الشمس فتطيب نفسها والثلب الذي قد انتهى في السن من الابل وقال آخر

لم أر مثل الفقر أوضع للفتى ... ولم أر مثل المال أرفع للرذل

ولم أر عز الامرئ كمشيرة ... ولم أر ذلاً مثل نأي عن الأصل

ولم أر من عدم أضر على امرئ ... اذا عاش بين الناس من عدم العقل

وقال آخر

لعمري لقوم المرء خير بقية ... عليه وان غالوا به كل مركب

من الجانب الأقصى وان كان ذا غنى ... بجزيل ولم يخبرك مثل مجرب

(وان خبرتك النفس أنك قادر ... على ما حوت أيدي الرجال فكذب)

الارئيس واحد يجمع شملهم ويكفيهم ويحميهم من عدوهم ويمنع قويهم عن ضعيفهم وقليل له نظام أقوى من كثير لا نظام لهم ولا رئيس عليهم اذ قد علم الله سبحانه وتعالى ان صلاح عامة البهائم في أن يجعل لكل جنس منها فحلا يوردها الماء ويصدرها وتتبعه الى الكلأ كالعير في الغابة والفحل في الابل والهجمة وكذلك النحل العسالة والسكراكي وما يحمي الفرس الا الحصان الجور في المروج فجعل منها رؤساء متبوعة وأذنابا تابعة ولو لم يقم الله للناس الوزعة من السلطان والخافة من الملوك وأهل

اذا كُنتَ فى قومٍ عِدًا السْتَ منهم • فكُلْ ما علَفتْ من خبيثٍ وطيّبِ

العِدا الغرباء فى هذا الموضع ويقال للاعداء عِدًا والعُداة الاعداء لاغير وقال اعرابى من بادية

سأعمل نصّ العيس حتى يكُفّنى • غِنَى المالِ يومًا أو غِنَى الحدثانِ

فلَلموتُ خيرٌ من حياةٍ يرَى لها • على المرْءِ ذى العَلْيا مَسُّ هوانِ

متى يتكلّمْ يُلْحَ حكمُ مقالِه • وان لم يقُلْ قالوا عديمُ بيانِ

كان الغنى فى أهله بورِكَ الغنى • بغير لسانٍ ناطقٍ بلسانِ

ونظير هذا الشعر ما حُدّثنا به فى أمر حارثة بن بدر الغُدانى فانا حُدّثنا عن حارثة بن بدر وكان رجلًا من بنى تميم فى وقته وكان قد غلَب على زياد وكان الشراب قد غلَب عليه فقيل لزياد ان هذا قد غلَب عليك وهو مُستهترٌ بالشراب فقال زياد كيف لى باطّراح رجلٍ هو يُسارُّنى مُنذُ دخلتُ العراق لم يصُكّ ركابى ركاباه ولا تقدّمنى فنظرتُ الى قفاه ولا تأخّر عنى فلوَيتُ عُنُقى اليه ولا أخذ على الشمس فى شتاءٍ قطّ ولا الرّوح فى صيفٍ قطّ ولا سألته عن علمٍ الا ظننتُ أنه لم يُحسِن غيره فلما مات زيادٌ جفاه عبيد الله فقال له حارثة أيها الامير ما هذا الجفاء مع معرفتك بالحال عند أبى المُغيرة فقال له عبيد الله ان أبا المغيرة كان قد برَع عَبْرًا وعَلا بالحقه معه عيبٌ وأنا حَدَثٌ وانما أُنسَبُ الى مَن يَغلِبُ على وأنت رجل تديم الشراب فى قَرَبَتُك فظهرت رائحةُ الشراب منك لم آمَن أن يُظَنّ بى فدَعِ النبيذ وكُن أوّل داخلٍ علىّ وآخر خارجٍ عنى فقال له حارثة أنا لا أدَعُه لمن يملك ضرّى ونفعى أفأدعه للحال عندك قال فاختَر من عملى ما شئتَ قال تُوَلّينى رامَهُرْمُز فانها أرض عَذاةٌ وسُرَق فانّ بها شرابا يُوصَف لى فولّاه اياها فلما خرج شيّعه الناس فقال أنَس بن أبى أُنَيْس

أحارِ بن بدرٍ قد وليتَ امارةً • فكُن جُرُدًا فيها تخُونُ وتسرِقُ

ولا تحقِرَنّ يا حارِ شيأ وجدتَه • فحُطتَ من مُلك العراقين مُعرِقُ

وبا تميمًا بالغنى ان للغنى • لسانًا به المرءُ الهيوبةُ ينطقُ

فان جميعَ الناس امّا مُكذّبٌ • بقولٍ بما يهوَى وامّا مُصدّقُ

يقولون أقوالا ولا يعلمونها • ولو قيل هاتوا حقّقوا لم يُحقّقوا

ورثَى حارثةُ بن بدر زيادا وكان زياد مات بالكوفة ودُفن بالثوّيّة فقال

الحياطة عليهم من الأئمة لعادوا نثرا لا نظام لهم ومستكلبين لا زاجر لهم ولكان من عزيز ومن قدر قهر ولما زال اليسر را كدا والهرج ظاهرا حتى يكون التغابن والبوار وحتى تنطمس منهم الآثار ولكانت الانعام طعاما للسباع وكانت عاجزة عن حماية أنفسها جاهلة بكثير من مصالح شأنها فوصل الله تعالى عجزها بقوة من أحوجه الى الاستمتاع بها ووصل جهلها بمعرفة من عرف كيف وجه الحيلة فى صونها والدفاع عنها وكذلك فرض على الأئمة أن يحوطوها بالحراسة لها والذيادة عنها

صلى الاله على قبر وطهره * عند الثوية يسفي فوقه المور

زفت اليه قريش نعش سيدها * فعم كل التقي والبر مقبور

أبا المغيرة والدنيا مفجعة * وان من عمرت الدنيا لمغرور

قد كان عندك بالمعروف معرفة * وكان عندك للنكراء تنكير

وكنت تغشى وتعطى المال من سعة * ان كان يبذل أضحى وهو مهجور

الناس بعدك قد خفت حلومهم * كأنما نفخت فيها الاعاصير

ونظير هذا قول مهلهل يرثي أخاه كليبا وكان كليب اذا جلس لم يرفع بحضرته صوت ولم يستب بفنائه اثنان

ذهب الخيار من المعاشر كلهم * واستب بعدك يا كليب المجلس

وتقاولوا في أمر كل عظيمة * لو كنت حاضر أمرهم لم يتنبسوا

قول حارثة الثوية فهي بناحية الكوفة. ومن قال الثويّة فهو تصغير الثوية وكل ياء اتصلت بها ياء أخرى فوقعت معتلة طرفا في التصغير فواليتهما ياء. التصغير فهي محذوفة وذلك قولك في عطاء عطيّ وكان الاصل عطيّي كما تقول في مضاب مضيب ولكنها تحذف لاعتلالها واجتماع ياءين معها وتقول في تصغير أحوى أحيّ في قول من قال في أسود أسيّد وهو الوجه الجيد لان الياء الساكنة اذا كانت بعدها واو متحركة قلبتها ياء. كقولك أيام والاصل أيوام وكذلك سيد والاصل سيود ومن قال في تصغير أسود أسيود فهو جائز وليس كالاول قال في تصغير أحوى أحيو يا فتى فتثبت الياء. لانه ليس فيها ما يمنعها من اجتماع الياآت ومن قال أسيود فانما أظهر الواو لانها كانت في التكبير متحركة ولا تقول في عجوز الا عجيز لانها ساكنة وانما يجوز هذا على بعد اذا كانت الواو في موضع العين من الفعل أو ملحقة بالعين نحو واو جدول وانما استجازوا اظهارها في التصغير للتشبيه بالجمع لان ما جاوز الثلاثة فتصغيره على مثال جمعه ألا تراهم يقولون في الجمع أساود وجداول فهذا على التشبيه بهذا فان كانت الواو في موضع اللام كانت منقلبة على كل حال تقول في غزوة غزيّة وفي عروة عريّة فهذا شرح صالح في هذا الموضع وهو مستقصى في الكتاب المقتضب وقوله يسفي فوقه المور فعناه ان الريح تسفيه وجعل الفعل للمور وهو التراب وتقول سفاك الله الغيث ثم يجوز أن تجعل الفعل للغيث فتقول سفاك الغيث يا فتى وقال علقمة بن عبدة

ويرد فوها عن ضعيفها وجاهلها عن عالمها وظالمها عن مظلومها وسفيهها عن حليمها فلولا السائس ضاع المسوس ولولا قوة الراعي لهلكت الرعية

﴿فصل منه﴾ وانفراد السيد بالسيادة كانفراد الامام بالامامة وبالسلامة من تنازع الرؤساء تجتمع الكلمة وتكون الالفة ويصلح شأن الجماعة واذا كانت الجماعة انتهت الأعداء وانقطعت الأهواء

﴿فصل منه﴾ ولسنا نقول ولا يقول أحد ممن يعقل ان النساء فوق الرجال أردونهم بطبقة أو طبقتين أو بأكثر

سقاك يمان ذو حيا وعارض ٭ تروح به جنح العشي جنوب

وقوله زفت اليه قريش تعش سيدها يقال زففت العريس وزففت العروس وحدثني أبو عثمان المازني قال حدثني الزيادي قال سمعت قوما من العرب يقولون أزففت العروس وهي لغة وقوله تعش سيدها يريد مرضعه من النعب لانه نسبه الى أبي سفيان وكان رئيس قريش قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وله يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كل الصيد في بطن الفرا وكان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يفرش فراشا في بيته في وقت خلافته فلا يجلس عليه الا العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن حرب ويقول هذا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا شيخ قريش وكان حرب بن أمية رئيس قريش يوم الفجار فكان آل حرب اذا ركبوا في قومهم من بني أمية قدموا في المواكب وأخليت لهم صدور المجالس الارهط عثمان رضي الله عنه فان التقديم لهم في الاسلام بعثمان وكان أبو سفيان صاحب العير يوم بدر وصاحب الجيش يوم أحد وفي يوم الخندق واليه كانت تنظر قريش في يوم فتح مكة وجعل له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه من دخل في داره فهو آمن في حديث مشهور وقوله كأنما نفخت فيها الاعاصير هذا مثل وانما يراد خفة الحلوم والاعصار فيما ذكر أبو عبيدة ريح تهب بشدة فيما بين السماء والارض ومن أمثال العرب ان كنت ريحا فقد لاقيت اعصارا يضرب للرجل يكون جلدا فيصادف من هو أجلد منه قال الله عز وجل فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كل الصيد في بطن الفرا يعني الحمار الوحشي وذلك أن أجل شيء يصيده الصائد الحمار الوحشي فاذا ظفر به فكأنه قد ظفر بجملة الصيد والعرب تختلف فيه فبعضهم يهمزه فيقول هذا فرأ كما ترى وهو الاكثر وبعضهم لا يهمزه ومن أمثالهم أنهم كحمار الفرا قسرى أبى زوجنا من لا خير فيه فسنعلم كيف العاقبة وجمعه في القولين جميعا فراء كما ترى ونظيره جمل وجمال وجبل وجبال قال الشاعر

يضرب كآذان الفراء فضوله ٭ وطعن كايزاغ المخاض تبورها

الايزاغ دفع الناقة بولها يقال أوزغت به ايزاغا وأزغلت به ازغالا وذلك حين تلقح فعند ذلك يقال لها خلفة وللجميع المخاض وقد مر هذا والتبور أن تعرض على الفحل ليعلم أهي حامل أم حائل وقال ضابئ بن الحرث البرجمي (من السجن)

ولكنا أبينا ناسا يزرون عليهن أشد الزراية ويحتقرونهن أشد الاحتقار ويبخسونهن أكثر حقوقهن وان من العجز أن يكون الرجل لا يستطيع توفير حقوق الآباء والاعمام الا بأن ينكر حقوق الأمهات والاخوال فلذلك ذكرنا جملة مالنساء من المحاسن ولولا ان ناسا يفخرون بالجلد وقوة المتة وانصراف النفس عن حب النساء حتى جعلوا شدة حب الرجل لأمته وزوجته وولده دليلا على الضعف وبابا من الخور لما تكلفنا كثيرا مما شرطناه في هذا الكتاب

وَمَنْ يَكُ أَمْسَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ • فَإِنِّي وَقَيَّارًا بِهَا لَغَرِيبُ

وَمَا عَاجِلَاتُ الطَّيْرِ تَدْنِي مِنَ الْهَوَى • نَجَاحًا وَلَا عَنْ رَيْثِهِنَّ يَخِيبُ

وَرُبَّ أُمُورٍ لَا تَضِيرُكَ ضَيْرَةً • وَلِلْقَلْبِ مِنْ مَخْشَاتِهِنَّ وَجِيبُ

وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُوَطِّنُ نَفْسَهُ • عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنُوبُ

قوله فإني وقيارا بها الغريب أراد فإني لغريب بها وقيارا ولو رفع لكان جيدا تقول ان زيدا منطلقٌ وعمرًا وعمرٌو فمن قال عمرا فانما رددته على زيد ومن قال عمرو فله وجهان من الاعراب أحدهما جيد والآخر جائز فاما الجيد فأن تحمل عمرا على الموضع لانك اذا قلت ان زيدا منطلق فمعناه زيد منطلق فرددته على الموضع ومثل هذا لستُ بقائم ولا قاعدًا والباء زائدة لان المعنى لستُ قائما ولا قاعدا ويقرأ على وجهين ان الله بَرِيءٌ من المشركين ورسولُه ورسولِه والوجه الآخر أن يكون معطوفا على المضمر في الخبر فان قلت ان زيدا منطلق هو وعمرو حَسُنَ العطف لان المضمر المرفوع انما يحسن العطف عليه اذا أكدته كما قال الله تعالى اذهب أنت وربك فقاتلا واسكن أنت وزوجك الجنة وانما قبح العطف عليه بغير تأكيد لانه لا يخلو من أن يكون مشتركا في الفعل بغير علامة أو في الاسم الذي يجري مجرى الفعل نحو ان زيدا ذاهبٌ وان زيدا ذاهبٌ فلا علامة له أو تكون له علامة يتغير لها الفعل عما كان عليه نحو ضربتُ سكنت التاء التي هي لام الفعل من أجل الضمير لان الفعل والفاعل لا ينفكُّ أحدهما من صاحبه فهما كالشيء الواحد ولكن المنصوب يجوز العطف عليه ويحسن بلا تأكيد لانه لا يغير الفعل اذ كان الفعل قد يقع ولا مفعول فيه نحو ضرب زيدٌ وزيدا فاما قول الله عز وجل لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا فانما يحسن بغير توكيد لان لا صارت عوضا والشاعر اذا احتاج أجراه بلا توكيد لاحتمال الشعر ما لا يحسن في الكلام قال عمر بن أبي ربيعة

قُلْتُ إِذْ أَقْبَلَتْ وَزُهْرٌ تَهَادَى • كَنِعَاجِ الْمَلَا تَعَسَّفْنَ رَمْلَا

وقال جرير وَرَجَا الْأَخْيَطِلُ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ • مَا لَمْ يَكُنْ وَأَبُ لَهُ لِيَنَالَا

فهذا كثير فاما النعت اذا قلت ان زيدا يقوم العاقلَ فانت مخير ان شئت قلت العاقلَ فجعلته نعتا لزيد أو نصبته على المدح وهو باضمار أعني وان شئت رفعت على أن تبدله من المضمر في

(فصل منه) كما نحب أن يخرج هذا الكتاب تاما ويكون للاشكال الداخلة فيه جامعا وهو القول فيما للذكور والاناث في عامة أصناف الحيوان وما أمكن من ذلك حتى يحصل ما لكل جنس من الخصال المحمودة والمذمومة ثم يجمع بين المحاسن منها والمساوي حتى يستبين لقارئ الكتاب نقصان المفضول من رجحان الفاضل بما جاء في ذلك من الكتاب الناطق والخبر الصادق والشاهد العدل والمثل السائر حتى يكون الكتاب عربيا اعرابيا وسنيا جاعيا وحتى يجتنب فيه

الفعل وان شئت كان على قطع وابتداء كأنك قلت انّ زيدا قام فقيل مَنْ هو فقلت العاقلُ كما قال الله عز وجل قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النارُ أي هو النارُ والآية تُقرأ على وجهين على ما فسّرنا قال انّ ربّي يَقْذِفُ بالحق عَلّامُ الغيوب وعَلّامَ الغيوب وقوله وما عاجلاتُ الطير تُدْنِي من القَنَى نجاحا يقول اذا رأى تَعجّل له طيرٌ سانحةٌ فليس ذلك بمُبْعِد خيرا عنه ولا اذا أبطأت خاب فعاجلُها لا يأتيه بخير وآجلُها لا يدفع عنه انحاله ما قُدّر له والعربُ تَرْجُو على السانح وتَتَبَرّكُ به وتَكْرَهُ البارحَ وتَتَشاءم به والسانحُ ما أراك ميامِنَه فأمكن الصائد والبارحُ ما أراك مَيامِنَه فلم يُمكن الصائد الا ان يَنْحَرِف له وقد قال الشاعر

لا يَعْلَمُ المَرْءُ لَيْلًا ما يُصْبِحُهُ ... الا كواذبَ عما يُخْبِرُ الفالُ

والفألُ والزَّجْرُ والكُهّانُ كلُّهُمُ ... مُضَلَّلُونَ ودُونَ الغَيْبِ أقفالُ

وقوله وربّ أمورٍ لا تَضِيرُكَ ضَيْرَةً ... وللقلب من مَخْشاتهنّ وَجِيبُ

فان العرب تقول ضارَهُ يَضِيرُهُ ضَيْرَةً ولا ضَيْرَ عليه وضَرَّهُ يَضُرُّهُ ولا ضَرَرَ عليه ويقال أصابه ضُرٌّ وأصابه ضَرٌّ بمعنى والضَّرُّ مصدر والضُّرُّ اسم وقد يكون الضُّرُّ من المرض والضَّرُّ عاما وهذا معنى حَسَنٌ وقد قال أحد المحدثين وهو اسمعيل بن القاسم أبو العَتاهِيَة

وقد يَهْلِكُ الانسانُ من باب أمنِهِ ... ويَنْجُو باذن الله من حيث يَحْذَرُ

وقال الله عز وجل فعسى أن تَكْرَهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وقال رجل لمعاوية والله لقد بايعتُ وأنا كارهٌ فقال معاوية قد جعل الله في الكُرْه خيرا كثيرا وقوله

ولا خيرَ فيمن لا يُوَطِّنُ نفسه ... على نائبات الدهر حين تَنُوبُ

نظيره قول كُثَيِّر أقولُ لها ياعَزّ كلُّ مُصيبةٍ ... اذا وُطِّنَتْ يوما لها النفسُ ذَلَّتِ

وكان عبد الملك بن مَرْوان يقول لو كان قال هذا البيت في صفة الحرب لكان أشعرَ الناس وحكى عن بعض الصالحين انّ ابنا له مات فلم يُرَ به جَزَعٌ فقيل له في ذلك فقال هذا أمر كنا نَتَوَقّعُه فلما وقع لم نُنْكِرْه

العويص والطرق المتوعرة والألفاظ المستنكرة وتلزيق المتكلفين وتلفيق أصحاب الأهواء من المتكلمين حتى نظر المن لا يعلم مقادير ما استخزنها الله من المنافع وغشاها من البراهين وألزمها من الدلالة عليه وأنطقها به من الحجة له فمنع من ذلك فرط الكبوة وافراط العلة وضعف المنة وانحلال القوة فلما وافق هذا الكتاب مناهذه الحال وألفى قلوبنا على هذه الاشغال اجتنبنا ان نقصد من جميع ذلك الى فرق ما بين الرجل والمرأة فلما اعتزمنا على ما ابتدأنا به وجدناه قد اشتمل على

﴿ باب ﴾

قال أبو العباس وجّه علي بن أبي طالب رضي الله عنه جَرِيرَ بن عبد الله البَجَلِيَّ الى معاوية رحمه الله

يأخذه بالبيعة له فقال له انّ حولي من ترى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار ولكني اخترتك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيك خير ذي يمن انت معاوية فخذه بالبيعة فقال جرير والله يا أمير المؤمنين ما أدخرك من نصرتي شيأ وما أطمع لك في معاوية فقال علي رضي الله عنه انما قصدي حجة أقيمها عليه فلما أتاه جرير دافعه معاوية فقال له جرير انّ المنافق لا يصلي حتى لا يجد من الصلاة بدا ولا أحسبك تبايع حتى لا تجد من البيعة بدا فقال له معاوية انها ليست بخدعة الصبي عن اللبن انه أمر له ما بعده فابلغني ربي فناظر عمرا فطالت المناظرة بينهما واتح عليه جرير فقال له معاوية ألقاك بالفصل في أول مجلس ان شاء الله تعالى ثم كتب لعمرو بمصر طعمة وكتب عليه ولا ينقض شرط طاعة فقال عمرو يا غلام اكتب ولا تنقض طاعة شرطا فلما اجتمع له أمره رفع عقيرته ينشد ليسمع جريرا

تطاول ليلي واعترتني وساوسي ... لآتي أتى بالنزهات البسابس
أتاني جرير والحوادث جمة ... بتلك التي فيها اجتداع المعاطس
أكايده والسيف بيني وبينه ... وأست لأثواب الدنيء بلابس
ان الشام أعطت طاعة يمنية ... توافقها أشياعها في المجالس
فان يفعلوا أصدم عليا بجبهة ... تفت عليه كل رطب ويابس

(الجبهة جماعة الخيل) وانى لأرجو خيرها ان نائل ... وما أنا من تلك العراق ببائس

فكتب الى علي رضي الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم من معاوية بن صخر الى علي بن أبي طالب أما بعد فلعمري لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت بريء من دم عثمان كنت كأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين ولكن أغريت بعثمان المهاجرين وخذلت عنه الانصار فأطاعك الجاهل وقوي بك الضعيف وقد أبى أهل الشام الا قتالك حتى تدفع اليهم قتلة عثمان فان فعلت كانت شورى بين المسلمين ولعمري ما حجتك على طلحة والزبير لانهما بايعاك ولم أبايعك وما حجتك على أهل الشام كحجتك على أهل البصرة لان أهل البصرة أطاعوك ولم يطعك أهل الشام وأما شركك في الاسلام وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعك من قريش فلست أدفعه ثم كتب اليه في آخر الكتاب بشعر كعب بن جعيل وهو

أبواب يكثر عددها ويبعد غايتها فرأينا والله الموفق ان نقتصر منه على مالا يبلغ بالمستمع الى السآمة وبالمألوف الى مجاوزة القدر وليس ينبغي للكتب الآداب والرياضات ان يحمل أصحابها على الجد الصرف وعلى العقل المحض وعلى الحق المر وعلى المعاني الصعبة التي تستكد النفوس وتستفرغ المجهود وللصبر غاية وللاحتمال نهاية ولا بأس بأن يكون الكتاب موشحا ببعض الهزل على ان الكتاب اذا كثر هزله سخف كما انه اذا كثر جده ثقل ولابد للكتاب من أن يكون فيه بعض ما ينشط

أرى الشام تكره ملك العراق ● وأهل العراق لهم كارهينا

وكل لصاحبه مبغضا ● يرى كل ما كان من ذاك دينا

اذا مارمونا رميناهم ● ودنا هم مثل ما يقرضونا

فقالوا على امام لنا ● فقلنا رضينا ابن هند رضينا

وقالوا نرى أن تدينوا له ● فقلنا ألا لا نرى أن ندينا

ومن دون ذلك خرط القتاد ● وضرب وطعن يقر العيونا

وأحسن الروايتين يغض الشوونا في آخر هذا الشعر ذم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه امتنعنا عن ذكره قوله ولكنك أغريت بعثمان المهاجرين فهو من الاغراء وهو التحضيض عليه يقال أغريته به وأسدته عليه وأسدت الكلب على الصيد أوسده إسادا ومن قال أشليت الكلب في معنى أغريت فقد أخطأ انما أشليته دعوته الى وأسدته أغريته وقول ابن جعيل وأهل العراق لهم كارهينا محمول على أرى ومن قال وأهل العراق لهم كارهونا فالرفع من وجهين أحدهما قطع وابتداء ثم عطف جملة على جملة بالواو ولم يحمله على أرى ولكن كقولك كان زيد منطلقا وعمرو منطلق الساعة خبرت بخبر بعد خبر والوجه الآخر أن تكون الواو وما بعدها حالا فيكون معناها اذ كما تقول رأيت زيدا قائما وعمرو منطلق تريد اذ عمرو منطلق وهذه الآية تحمل على هذا المعنى وهو قول الله عز وجل يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم والمعنى والله أعلم اذ طائفة في هذه الحال وكذلك قراءة من قرأ ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر أي والبحر هذه حاله ومن قرأ والبحر فعلى أن وقوله ودنا هم مثل ما يقرضونا يقول جزيناهم وقال المفسرون في قوله عز وجل مالك يوم الدين قالوا يوم الجزاء والحساب ومن أمثال العرب كما تدين تدان وأنشد أبو عبيدة (الشعر ليزيد بن الصعق الكلابي وله خبر)

واعلم وأيقن أن ملكك زائل ● واعلم بأن كما تدين تدان

والدين مواضع منها ما ذكرنا ومنها الطاعة ودين الاسلام من ذلك يقال فلان في دين فلان أي في طاعته ويقال كانت مكة بلدا لقاحا أي لم يكونوا في دين ملك وقال زهير

لئن حللت بجو في بني أسد ● في دين عمرو وحالت بيننا فدك

القارئ وينفي النعاس عن المسمع فمن وجد في كتابنا هذا بعض ما ذكرنا فليعلم ان قصدنا في ذلك انما كان على جهة الاستدعاء لقلبه والاسهالة لسمعه وبصره والله تعالى نسأل التوفيق

(فصل منه في ذكر العشق)

رجلان من الناس لا يعشقان عشق الاعراب أحدهما الفقير المدقع فان قلبه يشغل عن التوغل فيه وبلوغ أقصاه والملك الفخم الشان لان في الرياسة الكبرى وفي جواز الأمر ونفاذ النهي وفي ملك رقاب الأمم ما يشغل شطر قوى العقل عن التوغل في الحب

فهذا

فهذا يريد فى طاعة عمرو بن هند والدين العادة يقال ما زال هذا دينى ودأبى وعادتى ورديدنى

وإجزيّاى قال المثقب العبدى ... تقول اذا درأت لها وضينى ... أهذا دينه أبدا ودينى

أكل الدهر حل وارتحال ... أما تبقى على وما يقينى

وقال الكميت بن زيد ... على ذاك اجزياى وهى ضريبتى ... وان أجلبوا طرا على وأخلبوا

وقوله فقلنا رضينا ابن هند رضينا يعنى معاوية بن أبى سفيان وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف وقوله أن تدينوا له أى أن تطيعوه وتدخلوا فى دينه أى فى طاعته وقوله ومن دون ذلك خرط القتاد فهذا مثل من أمثال العرب والقتاد شجر مشاكة غليظة أصول الشوك فلذلك يضرب خرطه مثلا فى الأمر الشديد لانه غاية الجهد ومن قال يفض الشؤونا فيفض يفرق تقول فضضت عليه المال والشؤون واحدها شأن وهى مواصل قبائل الرأس وذلك ان للراس أربع قبائل أى قطع مشعوب بعضها الى بعض فوضع شعبها يقال الشؤون واحدها شأن وزعم الأصمعى قال يقال ان مجارى الدموع منها فلذلك يقال انسكبت شؤونه وأنشد قول أوس بن حجر

لا تحزنينى بالفراق فانى ... لا تسهل من الفراق شؤونى

ومن قال يقر العيونا ففيه قولان أحدهما للاصمعى وكان يقول لا يجوز غيره يقال قرت عينه وأقرها الله وقال انما هو بردت من القر وهو خلاف قولهم سخنت عينه وأسخنها الله وغيره يقول قرت هدأت وأقرها الله أهدأها الله وهذا قول حسن جميل والأول أغرب وأطرف فكتب اليه أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه جواب هذه الرسالة بسم الله الرحمن الرحيم من على ابن أبى طالب الى معاوية بن صخر أما بعد فانه أتانى منك كتاب امرئ ليس له بصر يهديه ولا قائد يرشده دعاه الهوى فأجابه وقاده فاتبعه زعمت أنك انما أفسد علىّ بيعتى خطيئتى فى عثمان ولعمرى ما كنت الا رجلا من المهاجرين أوردت كما أوردوا وأصدرت كما أصدروا وما كان الله ليجمعهم على ضلال ولا ليضربهم بالعمى وبعد فأنت وعثمان انما أنت رجل من بنى أمية وبنو عثمان أولى بعطلته ان زعمت ان أقوى على ذلك فادخل فيما دخل فيه المسلمون ثم حاكم القوم الىّ واما تمييزك بينى وبين طلحة والزبير وأهل الشام وأهل البصرة فلعمرى ما الأمر فيما هنالك الاسواء لانها بيعة شاملة لا يثنى فيها الخيار ولا يستأنف فيها النظر وما اشرف فى

والاحتراق فى العشق

(فصل منه) كثيرا ما يعترى العشاق والمحبين غير المحترقين كالرجل تكون له جارية وقد حلت من قلبه محلا وتمكنت منه تمكنا ولا يجتث أصل ذلك الحب الغضبة تعرض وكثرة التأذى بالخلاف يكون منها فيوجد الفترة عنها بعض هذه الحالات التى تعرض فتظن انه قد سلا أو تظن انه فى عزابة على فقدها محتملا مبيعها ان كانت أمة أو طلاقها ان كانت زوجة فلا ينشب ذلك الغضب أن يزول وذلك الأذى ان ينسى فتظهر له الدفائن

الاسلام وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعي من قريش فلعمري لو استطعت دفعه لدفعته ثم دعا النجاشي أحد بني الحرث بن كعب فقال له ان ابن جعيل شاعر أهل الشام وأنت شاعر أهل العراق فاجب الرجل فقال يا أمير المؤمنين أسمعني قوله قال اذا أسمعك شعر شاعر

فقال النجاشي يجيبه

دعا يا معاوي ما لان يكونا ... فقد حقق الله ما تحذرونا

أتاكم على باهل العراق ... وأهل الحجاز فما تصنعونا

وينمر ذلك الغرس فيتبعه قلبه فاما ان يسترجع الأمة من مبتاعها باضعاف ثمنها أو يسترجع الزوجة بعد أن نكحت فان تصبر وأمكنه الصبر لم يزل معذبا وان أطاع هواه واحتمل المكروه فهذا هو العقاقيل والنكس فليحذر الحازم الفترة يجدها في حب حبيبه والغصبة التي تنسيه عواقب أمره

(فصل منه) قال ابراهيم ابن السبيدي حدثني عبد الملك بن صالح قال ان عيسى بن موسى قد خلا بنفسه وهو قد كان استكثر من النساء حتى انقطع اذ مرت به

وبعد هذا ما نسد عنه قوله ليس له بصر يهديه فمناه يقوده والهادي هو الذي يتقدم فيدل والحادي الذي يتأخر فيسوق والعنق يسمى الهادي لتقدمه قال الاعشى

اذا كان هادي الفتى في البلا ... د صدر القناة أطاع الامرا

يصف انه قد عمي فانما تهديه عصا الازاه يقول

وهاب العثار اذا ما مشى ... وخاب السهولة وعثا وعورا

وقال القطامي

اني وان كان قومي ليس يتبعهم ... وبين قومي الا ضربة الهادي

وقال أيضا

قربن بقصرن من بزل محنية ... ومن عراب بعيدات من الحادي

وقوله ولا قذ يرشده قد أبان به الأول وقوله دعاه الهوى فالهوى من هويت مقصور وتقديره فعل فانقلبت الياء ألفا فلذلك كان مقصورا وانما كان كذلك لانك تقول هوي يهوى كما تقول فرق يفرق وهو هوى كما تقول هو فرق كاذر وكان المصدر على فعل بمنزلة الفرق والحذر والبطر لان الوزن واحد في الفعل واسم الفاعل فاما الهوا من الجو فممدود يدلك على ذلك جمعه اذا قلت أهوية لان أفعلة انما تكون جمع فعال وفعال وفعول وفعيل كما تقول قذال وأقذنة وحمار وأحمرة فهواء كذلك والمقصور جمعه أهواء فاعلم لانه على فعل وجمع فعل أفعال كما تقول جمل وأجمال وقتب وأقتاب قال الله عز وجل واتبعوا أهواءهم وقوله هذا هواء يافتى في صفة الرجل انما هو ذم يقول لا قلب له قال الله عز وجل وأفئدتهم هواء أي خالية وقال زهير

كان الرحل منها فوق صعل ... من الظلمان جؤجؤه هواء

وهذا من هواء الجو قال الهذلي

هواء مثل بعلك مستميت ... على ماق وعائذ كالخيال

وكل واو مكسورة وقعت أولا فهمزها جائز يشد على ماق عائذ ويقال وساده وإساده ووشاح

واشاحُ وأما قوله فما أنتَ وعثمانُ فالرفع فيه الوجه لانه عطفَ اسماً ظاهراً على اسم مضمر منفصل وأجراه مُجراه وليس ههنا فعلٌ فيُحمَلَ على المفعول فكأنه قال فما أنت وما عثمانُ هذا تقديره في العربية ومعناه لَسْتَ منه في شيء قد ذكر سيبويه رحمه الله النصب وجوّزه جوازاً حسناً وجعله مفعولاً معه وأضمر كان من أجل الاستفهام فتقديره عنده ما كنتَ وفلاناً وهذا الشعر كما أنشد

جارية كأنها اجان وكأنها جدل عنان وكأنها اسارة وكأنها اقضيب فضة فتحركت نفسه وخاف ان تخذله قوته ثم طمع في لقوة لطول الترك واجتماع الماء فلما صرعها وجلس منها اذا ذلك المجلس خطر على باله لو عجز كيف يكون حاله فلما فكر فترفا قبل كالمخاطب لنفسه فقال انك انجلسيني هذا المجلس وتحمليني على هذا المركب ثم تخذليني هذا الخذلان وتغشيني مثل هذا الذل ولولا حيرة الخجل لم أستعمل مالا يقتل وذلك انه حين رأى ان أبلغ الحيل في توهيمها ان العجز لم يكن من قبله ان

لَتَنْشَدُ وأنتَ امرُؤٌ من أهل نجدٍ وأهلُنا ● تهامٍ وما النجديُّ والمُتغوِّرُ

وكذلك قوله (هو زيادُ الأعجم) تُكلِّفُني سَوْقَ الكرامِ جَرُمْ ● وما جَرُمْ وما ذاكَ السَّوِيقُ

فان كان الأول مضمراً متصلاً كان النصبُ لئلاّ يُحمَلَ ظاهرٌ على مضمر تقول ما لَكَ وزيداً وذلك أنه أضمرَ الفعلَ فكأنه قال في التقدير وما يستدرُّ زيداً وفي النحو تقديره مع زيد وانما صَلَحَ الاضمار لان المعنى عليه اذا قلتَ ما لَكَ وزيداً فانما تنهاه عن ملابسته اذ لم يجز وزيدٍ واضمرتَ لان حروف الاستفهام للافعال فلو كان الفعل ظاهراً لكان على غير اضمار نحو قولك ما زالتْ وعبدَ الله حتى فعلَ لانه ليس يريد ما زالتْ وما زال عبدُ الله ولكنه أراد ما زالتْ بعبد الله فكان المفعول مخفوضاً بالباء فلما زال ما يخفضه وصَلَ الفعلُ اليه فنصبه كما قال تعالى واختار موسى قومَه سبعين رجلا قالوا وفي معنى مع وليست بحاضنة فكان ما بعدها في الموضع فعلى هذا يُنشَدُ هذا الشعرُ (هو لمسكين الدارمي)

فالَكَ والتلدُّدَ حولَ نجدٍ ● وقد غصَّتْ تهامةُ بالرجالِ

ولو قلتَ ما شأنُكَ وزيداً لاخترتَ النصب لان زيداً لا يلتبس بالشأن لان المعطوف على الشيء أبداً في مثل حاله ولو قلت ما شأنُكَ وشأنُ زيدٍ لرفعتَ لان الشأن يعطف على الشأن وهذه الآية تُفسَّرُ على وجهين من الاعراب أحدهما هذا وهو الأجود فيها وهو قوله عز وجل فأجمعوا أمرَكم وشُركاءَكم فالمعنى والله أعلم مع شركائكم لانك تقول جمعتُ قومي وأجمعتُ أمري ويجوز أن يكون لما أدخلَ الشركاءَ مع الأمر حمله على مثل لفظه لان المعنى يَرجِعُ الى شيء واحد فيكون كقوله (هو عبد الله بن الزبعرى)

يا ليتَ زوجَكِ قد غدا ● مُتقلِّداً سيفاً ورُمحا

وقال آخر ● شرابُ ألبانٍ وتمرٍ وأقِطْ ● وهذا بيّنٌ ويروى ان عبد الله بن يزيد بن معاوية أتى أخاه خالداً فقال يا أخي لقد هممتُ اليوم أن أفتكَ بالوليد بن عبد الملك فقال له خالد بئس والله ما هممتَ به في ابن أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين فقال ان خيلي مرّتْ به فعبثتْ بها وأصغرني فقال له خالد

أنا أكفيك فدخل خالد على عبد الملك والوليد عنده فقال يا أمير المؤمنين الوليد ابن أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين مرّت به خيل ابن عمه عبد الله بن يزيد فعيبت بها وأصغره وعبد الملك مطرق فرفع رأسه فقال ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون فقال خالد واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا فقال عبد الملك أفي هذا تكلمني والله لقد دخل علي فما أقام لسانه لحننا فقال له خالد أفعلى الوليد تعول فقال عبد الملك ان كان الوليد يلحن فان أخاه سليمان فقال له خالد وان كان عبد الله يلحن فان أخاه خالد فقال له الوليد اسكت يا خالد فوالله ما نعد في العير ولا في النفير فقال خالد اسمع يا أمير المؤمنين ثم أقبل عليه وقال ويحك فان العير والنفير غيري جدي أبو سفيان صاحب العير وجدي عتبة بن ربيعة صاحب النفير ولكن لو قلت غنيمات وحبيلات والطائف ورحم الله عثمان لقلنا صدقت أما قوله في العير فهي عير قريش التي أقبل بها أبو سفيان من الشام فنهد اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وندب اليها المسلمين وقال لعل الله ينفلكموها فكانت وقعة بدر وساحل أبو سفيان بالعير فكانت الغنيمة ببدر كما قال الله عز وجل واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم أي غير الحرب فلما ظفر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأهل بدر قال المسلمون انهد بنا يا رسول الله الى العير فقال العباس رحمه الله انما وعدكم الله احدى الطائفتين وأما النفير فمن نفر من قريش ليدفع عن العير فجاؤا فكانت وقعة بدر وكان شيخ القوم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وهو جد خالد من قبل جدته هند أم معاوية بنت عتبة

ومن أمثال العرب ليست في العير يوم يحدون بالعير ولا في النفير يوم النفير

ثم اتسع هذا المثل حتى صار يقال لمن لا يصلح لخير ولا لشر ولا يحمل به لا في العير ولا في النفير وقوله غنيمات وحبيلات يعني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أطرد الحكم بن أبي العاص بن أمية وهو جد عبد الملك بن مروان لجأ الى الطائف فكان يرعى غنيمات ويأوي الى حبيلة وهي الكرمة وقوله رحم الله عثمان أي لرده اياه وقولنا أطرده أي جعله طريدا وطرده نحاه كما تقول جحدته أي شكرته وأجحدته أي صادفته محمودا وكان عثمان رحمه الله استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في رده مني أقضي الأمر اليه روى ذلك الفقهاء

يقول لها تعرضين لي وأنت تفلة ثم لا ترجين بادئك ولا تستهدفين اسيدك ولا تعينين على نفسك حتى كانك عند عبد يشبهك أو سوقة لا يقدر الا على مثلك اما لو كنت من بنات ملوك العجم لألفاك سيدك على أجود صنعة وعلى أحسن طاعة اذ كل رجل ينبسط للتمتع مع النقل ﴿فصل منه﴾ ولم أسمع ولم أقرأ في الأحاديث المولدة في شأن العشاق وما صنع العشق في القلوب والاكباد والاحشاء والزفرات والحنين وفي الندامة والتولية ومتى تستعر الدمعة ومتى

(باب)

قال أبو العباس قال رجلٌ من بنى أسد بن خزيمة يمدح يحيى بن حيان أخا النضر بن عمرو بن عُلَة بن جلد بن مذحج وهو مالكٌ

ألا جعل الله اليمانين كلهم ... فدى لفتى الفتيان يحيى بن حيان

ولولا عريقٌ فى من عصبيةٌ ... لقلتُ وألفاف من معد بن عدنان

ولكن نفسى لم تطب بعشيرتى ... وطابت له نفسى بأبناء قحطان

وهذا من التعصب المفرط وحدثنى شيخ من الأزد نقةٌ عن رجل منهم أنه كان يطوف بالبيت وهو يدعو لأبيه فقيل له ألا تدعو لأمك فقال انها تميميةٌ وسمع رجلٌ يطوف بالبيت وهو يدعو لأمه ولا يذكر أباه فعوتب فقال هذه ضعيفةٌ وأبى رجل يحتال لنفسه وحدثنى المازنى عمن حدثه قال رأيت رجلا يطوف بالبيت وأمه على عنقه وهو يقول

أحمل أمى وهى الحمالة ... ترضعنى الدرة والعلالة ... ولا يجازى والد فعاله

قوله الدرة فهو اسم ما يدر من ثديها ابتداء كان ذلك أو غير ذلك والعلالة لا تكون الا بعد يقال علّه يعلّه ويعلّه علا والاسم العلالة وكل شئ كان على فعلت من المدغم فضارعه اذا كان متعديا الى مفعول يكون على يفعُل نحو ردّه يردّه وشبّه يشبّه وفرّه يفرّه فاذا قلت فرّ يفرّ فانما ذلك لانه غير متعدّ الى مفعول ولكن تقول فررت الدابة أفرّها وجاء فعل يفعُل من المتعدى فى ثلاثة أحرف يقال علّه يعلّه ويعلّه وهرّه يهرّه ويهرّه اذا كرهه ويقال أحبّه يحبّه وجاء حبّه يحبّه ولا يكون فيه يفعُل قال الشاعر

لعمرك انّنى وطلاب مصر ... لكالمزداد مما حبّ بعدا

وقال آخر

وأقسم لولا تمرة ما حبيتها ... وكان عياضٌ منه أدنى ومشرق

وقرأ أبو رجاء العطاردى فاتبعونى يحببكم الله ففعل فى هذا شيئين أحدهما أنه جاء به من حببت والآخر أنه أدغم فى موضع الجزم وهو مذهب تميم وقيس وأسد وجماعةٌ من العرب يقولون ردّ يا فتى يدغمون ويحركون الدال الثانية لالتقاء الساكنين فيتبعون الضمة الضمة ومنهم من يفتح لالتقاء الساكنين فيقول ردّيا فتى لان الفتح أخف الحركات ومنهم من يقول ردّيا فتى فيكسرلان حق التقاء الساكنين الكسر فاذا كان الفعل مكسورا ففيه وجهان تقول فرّيا فتى للاتباع وللاصل فى التقاء الساكنين وتفتح لان الفتح أخف الحركات واذا كان مفتوحا فالفتح للاتباع

يعترى العين الجمود (فصل منه) ونحن وان رأينا ان فضل الرجل على المرأة فى جملة القول فى الرجال والنساء أكثر وأظهر فليس ينبغى لنا ان نقصر فى حقوق المرأة وليس ينبغى لمن عظم حقوق الآباء ان يصغر حقوق الأمهات وكذلك الاخوة والأخوات والبنون والبنات وانا وان كنت أرى ان حق هذا أعظم فان هذا أرحم

(فصل من احتجاجه للاماء)

قال بعض من احتج للعلة التى من أجلها صار اكثر الاماء أحظى عند الرجال من أكابر المهيرات ان

ولانه أخف الحركات والكسر على أصل التقاء الساكنين نحو عَضِّ يافتى وعَضِّ يافتى فاذا لَقِيَتْهُ ألف ولام فالأجود الكسر من أجل مابعده وهى لام المعرفة نحو

فَغُضِّ الطَّرْفَ انَّكَ من نُمَيْرٍ ● (فلا كَعْبًا بلغتَ ولا كِلابا)

ومنهم مَنْ يُجْرِيه مُجْرى الأوّل فتقع لام المعرفة بعدا نقضاء الحركة فى الأول فيقول (هو جرير)

دِمَنُ المنازلِ بعد مَنْزِلَةِ اللِّوَى ● والعَيْشُ بعدَ أولئكَ الأيّامِ

ومن كان من شأنه أن يُتْبِعَ أو يَكْسِرَ فعلى ذلك وما جاء فى القرآن على لغة من يكسر قوله عز وجل ومن يُشاقِّ اللهَ فان الله شديدُ العقاب وأما أهل الحجاز فيُجْرونه على القياس الأصلى فيقولون اردُدْ واغْضُضْ ويقولون أفرُرْ من زيد واعْضُضْ لما سكن الثانى ظهر التضعيف لانه لا يلتقى ساكنان وكل ذلك من قولهم وقول التميميين قياس مُطَّرِدٌ بَيِّنٌ وقد شرحناه فى الكتاب المُقْتَضَبِ على حقيقة الشرح وقال الآخر

اذا ضَيَّقْتَ أمرًا ضاقَ جِدًّا ● وانْ هَوَّنْتَ ما قد عَزَّ هانا

فلا تَهْلِكْ لشئ فاتَ يأسًا ● فكَمْ أمرٍ تَصَعَّبَ ثم لانا

سأصْبِرُ من رَفِيقِى انْ جَفانى ● على كلِّ الأذَى الا الهَوانا

فانَّ المرءَ يَجْزَعُ فى خَلاءٍ ● وانْ حَضَرَ الجماعةُ أنْ يُهانا

وقال آخر أحْسِبُهُ من أُصوص بنى سَعْد (قال أبو الحسن هو عُبَيْدُ بن أيوبَ العَنْبَرِىُّ وأنشد هذا الشعر ثعلب)

فانِّى وتَرْكِى الأنس من بعد حُبِّهم ● وصَبْرِى عَمَّنْ كُنْتُ ما انْ أُزايِلُهْ

لكالصَّقْرِ جَلَّى بعد ما صادَ فَتْيَةً ● قَدِيرًا ومَشْوِيًّا عَبِيطًا خَرادِلُهْ

أهابُ به فازْدادَ بُعْدًا وصَدَّهُ ● عن القُرْبِ منهم ضَوْءُ بَرْقٍ ووابِلُهْ

ألَمْ تَرَنى صاحَبْتُ صَفْراءَ نَبْعَةً ● لها رَبَذِىٌّ لم تُغَلَّلْ مَعابِلُهْ

وطال احْتِضانى السيفَ حتى كأنما ● يُلاطُ بكَشْحِى جَفْنُهُ وحَمائِلُهْ

أخو فَلَواتٍ صاحِبُ الجِنِّ وانْتَهى ● عن الأنس حتى قد تَقَضَّتْ وسائِلُهْ

له نَسَبُ الانسِىِّ يُعْرَفُ نَجْرُهُ ● وللجِنِّ منه شَكْلُهُ وشَمائِلُهْ

قوله وصَبْرِى عَمَّنْ كُنْتُ ما انْ أُزايِلُهْ ان زائدة وهى تُزاد مُغَيِّرَةً للاعراب وتُزاد توكيدا وهذا موضع

الرجل قبل ان يملك الامة قد تأمل كل شئ منها وعرفه ما خلا حظوة الخلوة فاقدم على ابتياعها بعد وقوعها بالموافقة والحرة انما يستشار فى جمالها النساء والنساء لا يبصرن من جمال النساء وحاجات الرجال وموافقتهن قليلا ولا كثيرا والرجال بالنساء أبصر وانما تعرف المرأة من المرأة ظاهر الصفة وأما الخصائص التى تقع بموافقة الرجال فانها لا تعرف ذلك وقد تحسن المرأة ان تقول كأن أنفها السيف وكان عينها عين غزال وكان عنقها ابريق فضة وكان ساقها جمارة

ذلك فالموضع الذى تُغَيِّرُ فيه الاعراب هو وقوعها بعد ما الحجازية تقول ما زيدٌ أخاك وما هذا بَشَرًا فاذا أدخلت ان هذه بطل النصب بدخولها فقلت ما ان زيدٌ منطلق قال الشاعر (هو فَرْوَةُ بن مُسَيْكٍ المُرادِيُّ)

وما ان طِبُّنا جُبْنٌ ولكن ❁ مَنايانا ودَوْلَةُ آخرينا

فزعم سيبويه انها مَنَعَتْ ما العَمَلَ كما منعت ما ان الثقيلة أن تنصب تقول ان زيدا منطلق فاذا أدخلت ما صارت من حروف الابتداء ووقع بعدها المبتدا وخبره والأفعال نحو انما زيد أخوك وانما يَخْشَى اللهَ من عباده العُلَماءُ ولولا ما لم يقع الفعل بعد ان لان ان بمنزلة الفعل ولا يلى فِعْلٌ فِعْلًا لانه لا يَعْمَلُ فيه فأما كان يقوم زيدٌ وكاد تَزِيغُ قُلوبُ فَرِيقٍ منهم فى كان وكاد فاعلان مُكَنِّيان وما تُزاد على ضربين فاحدهما أن يكون دخولها فى الكلام كالغائها نحو فَبِما رَحْمَةٍ من الله لِنْتَ لهم أى فبرحمة وكذلك مما خَطِيئاتِهِمْ أُغْرِقوا وكذلك مَثَلًا ما بَعوضةً وتَدْخُلُ لتغيير اللفظ فَتُوجِبُ فى الشئ ما ولا هى لم يقع نحو ورُبَّما يَنْطَلِقُ زيد وربَّما يَوَدُّ الذين كفروا ولولا ما لم تَقَعْ رُبَّ على الافعال لانها من عوامل الأسماء وكذلك جِئْتُ بعد ما قام زيد كما قال المَرَّارُ (هو المَرَّارُ الفَقْعَسِيُّ)

أَعَلاقَةٌ أُمَّ الوُلَيِّدِ بَعْدَما ❁ أَفْنانُ رَأْسِكِ كالثَّغامِ المُخْلِسِ

فلولا ما يقع بعدها الا اسم واحد وكان مخفوضا باضافة بعدا اليه تقول جِئْتُ بَعْدَ زيدٍ وقوله كالصَّقْرِ جَلَّى تأويل التَّجَلِّى أن يكون يُحِسُّ شيأ فيَتَشَوَّفُ اليه فهذا معنى جَلَّى قال العجاج

❁ تَجَلِّيَ البازِي اذا البازِي كَسَرْ ❁ أى نَظَرَ ويقال تَجَلَّى فلانٌ فلانةَ تَجَلِّيًا واجتلاها اجتلاءً أى نَظَرَ اليها وتأملها والأصل واحد وقوله قَدِيرًا هو ما يُطْبَخُ فى القِدْرِ يقال قَدِيرٌ ومَقْدُورٌ كقولك قَتِيلٌ ومَقْتُولٌ وقوله عَبِيطًا أخرادله فالعَبِيط الطَّرِيُّ يقال لحم عَبِيطٌ اذا كان طَرِيًّا وكذلك دَمٌ عَبِيطٌ ويقال اعْتَبَطَ فلانٌ بَكْرَتَهُ اذا نَحَرَها شابَّةً من غير عِلَّةٍ وكذلك اعْتُبِطَ فلان اذا مات شابا قال أُمَيَّةُ (بن أبى الصَّلْت العجيح أنه لرجل من الخوارج عن الأصمعى)

مَنْ لم يَمُتْ عَبِيطَةً يَمُتْ هَرِمًا ❁ المَوْتُ كأسٌ فالمَرْءُ ذائِقُها

وحدثنى الزيادى ابراهيم بن سُفْيان بن سليمان بن أبى بكر بن عبد الرحمن بن زياد قال تحدث رجل من الأعراب قال نزلت برجل من طَيِّئٍ فنَحَرَ لى ناقةً فأكلتُ منها فلما كان الغد نحر أخرى فقلتُ ان عندك من اللحم ما يُغْنِى ويَكْفِى فقال انى والله لا أُطْعِمُ ضيفى الا لحما عَبِيطًا قال وفَعَلَ ذلك فى

وكان شعرها العناقيد وكان أطرافها المدارى وما أشبه ذلك وهناك أسباب أخر بها يكون الحب والبغض

﴿فصل منه﴾ وقد علم الشاعر وعرف الواصف ان الجارية الفائقة الحسن أحسن من الظبية وأحسن من البقرة وأحسن من كل شئ تشبه به ولكنهم اذا أرادوا القول شبهوها بأحسن ما يجدون ويقول بعضهم كانها الشمس وكانها القمر والشمس وان كانت بهية فانما هى شئ واحد وفى وجه الجارية الحسناء وخلقها ضروب من الحسن الغريب والتركيب

اليوم الثالث وفى كل ذلك آكل شيأ ويأكل الطائف أكل جماعة ثم نوفى باللبن فاشرب شيأ ويشرب عامة الوطب فلما كان فى اليوم الثالث ارتقبت غفلته فاضطجع فلما امتلأ نوما استقت قطيعا من ابله فأقبلته الفج فانتبه واختصر على الطريق حتى وقف لى فى مضيق منه فألقم وتره فوق سهمه ثم نادى بى لتطب نفسك عنها قلت أرنى آية فقال انظر الى ذلك الضب فانى واضع سهمى فى مغرز ذنبه فرماه فأندر ذنبه فقلت زدنى فقال انظر الى أعلى فقاره فرماه فأثبت سهمه فى الموضع ثم قال لى الثالثة والله فى كبدك قال فقلت شأنك بابلك فقال كلا حتى تسوقها الى حيث كانت قال فلما انتهيت بها قال فكرت فيك فلم أجد لى عندك ترة تطالبنى بها وما أحسب الذى حملك على أخذ ابلى الا الحاجة قال قلت هو والله ذاك قال فاعمد الى عشرين من خيارها فخذها فقلت اذا والله لا أفعل حتى تسمع مدحك والله ما رأيت رجلا أكرم ضيافة ولا أهدى لسبيل ولا أرمى كفا ولا أوسع صدرا ولا أرغب جوفا ولا أكرم عفوا منك قال فاستحيا فصرف وجهه عنى ثم قال انصرف بالقطيع مباركا لك فيه وقوله خرابه يعنى قطعه يقال ضربه ضربا خرد له رقا ويله قطعه كما قال * والضرب يمضى بيننا خرادلا * وقوله أهابوا به يقول دعوه يقال آبه به وأهاب به أى ناداه قال القرشى أهاب بأحزان الفؤاد مهيب * وماتت نفوس للهوى وقلوب

وقوله ضوء برق وابله أراد صده عنهم ضوء برق وابله فأضاف الوابل من المطر الى البرق وانما الاضافة الى الشئ على جهة التضمين ولا يضاف الشئ الى الشئ الا وهو غيره أو بعضه فالذى هو غيره غلام زيد ودار عمرو والذى هو بعضه ثوب خز وخاتم حديد وانما أضاف الوابل الى البرق وليس هو له كما قلت دار زيد على جهة المجاورة وانهما راجعان الى السحابة وقد يضاف ما كان كذا على السعة كما قال الشاعر

حتى أنخت فلا أصبى فى ديارهم * بخير من يحتذى نعلا وحافيها

فاضاف الحافى الى النعل والتقدير حاف منها وقوله ألم ترنى صاحبت صفراء نبعة فالنبع خير الشجر للقسى ويقال ان النبع والشوحط والشربان شجرة واحدة ولكنها تختلف أسماؤها وتكرم وتحسن بعنابتها فما كان فى قلة الجبل منها فهو النبع وما كان فى سفحه فهو الشوحط وما كان فى الحضيض فهو الشربان وقوله لها ربذى يريد وترا شديد الجرة عند دفع السهم يقال رجل ربذ اليدا ذا كان يكثر التحريك يديه والعبت بهما ويوصف به الفرس لكثرة حركة قوائمه وكان

العجيب ومن يشد ان عين المرأة الحسناء أحسن من عين البقرة وان جيدها أحسن من جيد الظبية والأمر فيما بينهما متفاوت ولكنهم لو لم يفعلوا هذا وشبهه لم تظهر بلاغتهم وفطنتهم (فصل منه) ورأيت أكثر الناس من البصراء بجواهر النساء الذين هم جهابذة هذا الأمر يقدمون المجدولة والمجدولة من النساء تكون فى منزلة بين السمينة والممشوقة ولابد من جودة القد وحسن الخرط واعتدال المنكبين واستواء الظهر ولابد من أن تكون كاسية العظام بين

الأصل رَبِذِيًّا لانه رَبِذٌ ولكن ما كان من فَعِلٍ فَنُسِبَ اليه فتح موضع العين منه استثقالا لاجتماع ياءى النسب وكسرة اللام لان ياءى النسب تكسران ما قبلهما فلم يدعوا مع ذلك العين مكسورة تقول فى النسب الى النمر بن قاسط نَمَرِىٌّ والى الخيطات خَيَطِىٌّ والى شَقِرة وهو الحرث بن تميم بن مُرّ شَقَرِىٌّ وفى النسب الى عم عَمَوِىٌّ يافتى وقوله لم تُعَلَّلْ معابله يريد لم ينكسر حدّها من الفلول ويروى أن عروة بن الزبير سأل عبد الملك أن يَرُدَّ عليه سيف أخيه عبد الله بن الزبير فاخرجه اليه فى سيوف مُنتضاة فاخذه عروة من بينها فقال له عبد الملك بم عرفته فقال بما قال النابغة

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

والمِعْبَلة واحدة المعابل وهى سهم خفيف قال عَنْتَرة

وآخر منهم أجررت رمحى ... وفى العجلى مِعْبَلة وقيع

باسكان الجيم لاغير (قال أبو الحسن بَجيلة قبيلة من بنى الهُجَيم من اليمن)

(باب)

قال أبو العباس تزوج خالد بن يزيد بن معاوية نساء هُنّ شَرَف من هُنّ منه منهن أُمّ كلثوم بنت عبد الله بن جعفر بن أبى طالب وآمنة بنت سعيد بن العاصى بن أُميّة ورَمْلة بنت الزبير بن العوام بن خُوَيلد بن أسد بن عبد العُزّى بن قُصَىّ فى ذلك يقول بعض الشعراء يُحَرِّض عليه عبد الملك

عَلَيْكَ أميرَ المؤمنين بخالد ... ففى خالد عما تُحِبُّ صُدودُ

اذا ما نَظَرْنا فى مَناكح خالد ... عَرَفْنا الذى يَنْوى وأين يُريدُ

فطلّق آمنة بنت سعيد فتزوجها الوليد بن عبد الملك فى ذلك يقول خالد

فَتاةُ أبوها ذو العصابة وابنُه ... وعُثمانُ ما اكفاؤها بكثير

فان تفتلنها والخلافة تنقلب ... بأكرمَ علقى منبر وسرير

قوله أبوها ذو العصابة يعنى سعيد بن العاصى بن أُميّة وذلك أن قومه يذكرون انه كان اذا اعتمّ لم يعتمّ قُرَشىٌّ اعظاما له ويُنشدون

أبو أُحَيحة من يعتمّ عمّته ... يُضرَبْ وان كان ذا مال وذا عَدَدِ

ويزعم الزبيريون ان هذا البيت باطل موضوع وقوله فان تفتلنها يقول تأخذها فجاءة ومن ذلك

الممثلة والقضيفة واغماريدون بقولهم مجدولة جودة العصب وقلة الاسترخاء وان تكون سلمة من الزوائد والفضول ولذلك قالوا خصانة وسيقانة وكانها جان وكانها جدل عنان وكانها قضيب خيزران والتثنى فى مشيها أحسن مافيها ولا يمكن ذلك الضخمة والسمينة وذات الفضول والزوائد على ان النحافة فى المجدولة أعم وهى بهذا المعنى أعرف ولم أر المجدولة أعم وهى بهذا المعنى تجيب على السمان الضخام وعلى الممشوقات والقضاف كما يجيب هذه الأصناف

قول الشاعر

مَنْ يَأْمَنِ الْأَيَّامَ بَعْدَ صُبَيْرَةَ الْقُرَشِيِّ مَاتَا

سَبَقَتْ مَنِيَّتُهُ الْمَشِيبَ وَكَانَ مِيتَتُهُ افْتِلَاتَا

(صبيرة بالصاد مهملة فى الرواية المشهورة وبالضاد معجمة رواية عاصم على الشرط وكسر النون لالتقاء الساكنين ورواية ابن سراج برفع يأمن على الاستفهام) وفى الحديث أن رجلا قال يارسول الله ان أمى افتلتت أى ماتت فجاءة ويروى ان آمنة لبثت عند الوليد فلما هلك عبد الملك سعى بها ساع الى الوليد قال أبو العباس وبلغنى أنها اسعت بها احدى ضراتها الى الوليد بانها لم تبك على عبد الملك كما بكى نظائرها فقال لها الوليد فى ذلك فقالت صدق القائل أكنت قائلة ماذا أقول ياليته كان بقى حتى يقتل أخالى آخر كعمرو بن سعيد وفى رملة بنت الزبير يقول خالد

تجول خلاخيل النساء ولا أرى ● لرملة خلخالا يجول ولا قلبا

فلا تكثروا فيها الملام فانني ● تخيرتها منهم زبيرية قلبا

أحب بنى العوام طرا لحبها ● ومن أجلها احببت اخوالها كلبا

وزيد فيها فان تسلمى أسلم وان تتنصرى ● يعلق رجال بين أعينهم صلبا

فيروى ان عبد الملك ذكر له هذا البيت فقال له ياخالد أترى هذا البيت فقال ياأمير المؤمنين على قائله لعنة الله وذكر العتبى ان الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفى لما أكره عبد الله بن جعفر على أن زوجه ابنته استأجله فى نقلها سنة ففكر عبد الله بن جعفر فى الانفكاك منه فألقى فى روعه خالد بن يزيد فكتب اليه يعلمه ذلك وكان الحجاج تزوجها باذن عبد الملك فورد على خالد كتابه ليلا فاستأذن من ساعته على عبد الملك فقيل له أفى هذا الوقت فقال انه أمر لا يؤخر فأعلم عبد الملك بذلك فأذن له فلما دخل عليه قال له عبد الملك فيم السرى ياأباهاشم قال أمر جليل لم آمن أن أؤخره فتهدد على حادثة فلا أكون قضيت حق بيعتك قال وما هو قال أتعلم انه ماكان بين حيين من العداوة والبغضاء ماكان بين آل الزبير وآل أبى سفيان قال لا قال فان تزويجى الى آل الزبير حلل ماكان لهم فى قلبى فما أهل بيت أحب الى منهم قال فان ذلك ليكون قال فكيف أذنت للحجاج أن يتزوج فى بنى هاشم وأنت تعلم مايقولون ويقال فيهم والحجاج من سلطانك بحيث علمت قال فجزاه خيرا وكتب الى الحجاج بعزمة أن يطلقها فطلقها فعدا الناس عليه يعزونه عنها فكان

على المجدولات ووصفوا المجدولة بالكلام المنثور فقالوا أعلاها قضيب وأسفلها كثيب

﴿فصل من صدر رسالته الى الفتح بن خاقان فى مناقب الترك وعامة جند الخلافة﴾

وفقك الله وأرشدك وأعانك على شكره وأصلحك وأصلح على يديك وجعلنا وإياك ممن يقول بالحق ويعمل به ويؤثره ويحتمل مافيه عما قد يصد عنه ولا يكون حظه الوصف له والمعرفة به دون الحث عليه والانقطاع اليه وكشف القناع فيه وايصاله الى

فجاء أتاه عمرو بن عتبة بن أبي سفيان فأوقع الحجاج بخالد فقال كان الأمر لابائه فعجز عنه حتى انتزع منه فقال له عمرو بن عتبة لا تقل ذا أيها الامير فان خالدا قديما سبق اليه وحديثا لم يغلب عليه ولو طلب الأمر لطلبه بمجد وجد ولكنه علم علما فسلم العلم الى أهله فقال الحجاج يا آل أبي سفيان انتم تحبون أن تحلوا ولا يكون الحلم الا عن غضب فنحن نغضبكم في العاجل ابتغاء مرضاتكم في الآجل ثم قال الحجاج والله لأتزوجن من هو أمس به رحما لا يمكنه فيه منى فتزوج أم الجلاس بنت عبد الله بن خالد بن أسيد أما قوله ألقى في روعه فان العرب تقول ألقى في روعي وفي قلبي وفي نحيفي وفي ناموري كذا وكذا ومعناه كله واحد الا أن لهذه الأشياء مواضع مختصة وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي فالروع والنحيف غير مختلفين والعرب تقول أذهب الله قلبه ولا قلب له ولا تقول لا روع له فكأن الروع هو متصل بالقلب وعنه يكون الفهم خاصة ويقال رأيت قلب الطائر ولا يقال رأيت روع الطائر والناموس عند العرب بقية النفس عند الموت وبعضهم يفصح عنه فيجعله دم القلب خاصة الذي يبقى للانسان ما بقي يقال ضعه في ناموسك وفي قلبك وفي روعك وفي نحيفك والذماء ممدود مثل الناموس سواء تقول العرب ليس في الحيوان أطول ذماء من الضب وذلك انه يذبح ثم يطرح في النار بعد ان ظن أنه قد برد فربما سعى من النار وقال رجل لابراهيم بن أدهم عظني فقال اتخذ الله صاحبا وذر الناس جانبا وقال سعيد بن المسيب كنت بين القبر والمنبر مفكرا فسمعت قائلا يقول ولم أره اللهم اني أسألك عملا بارا ورزقا دارا وعيشا قارا قال سعيد فلزمتهن فلم أر الا خيرا وقال الأصمعي كان من دعاء أبي المجيب اللهم اجعل خير عملي ما قارب أجلي قال وكان يقول في دعائه اللهم لا تكلنا الى أنفسنا فنعجز ولا الى الناس فنضيع قال وحدثني أبو عثمان المازني قال حدثني أبو زيد قال وقف علينا أعرابي في حلقة يونس النحوي فقال الحمد لله كما هو أهله وأعوذ بالله ان أذكر به وأناه خرجنا من المدينة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثين رجلا ممن أخرجته الحاجة وحمل على المكروه ولا يمرضون مريضهم ولا يدفنون ميتهم ولا ينتقلون من منزل الى منزل وان كرهوه والله يا قوم لقد جعت حتى أكلت النوى المحرق ولقد مشيت حتى انتعلت الدم وحتى خرج من قدمي بخص ولحم كثير أفلا رجل يرحم ابن سبيل وذل طريق ونصو سفر فانه لا قليل من الأجر ولا

أهله والصبر على المحافظة في ان لا يصل الى غيرهم والتثبت في تحقيقه لديهم فان الله تعالى لم يعلم الناس ليكونوا عالمين دون ان يكونوا عاملين وانما علمهم ليعملوا وبين لهم ليتقوا التورط في وسط الخوف والوقوع في المضار والتوسط في المهالك فلذلك طلب الناس التبيين وحب السلامة من الهلكة والرغبة في المنفعة احتملوا ثقل التعلم وتجلوا مكروه ثقل المعاناة ولقلة العاملين وكثرة الواصفين قال الأولون العارفون أكثر من الواصفين والواصفون أكثر من

غنى عن ثواب الله عز وجل ولا عمل بعد الموت وهو الذي يقول جل ثناؤه من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له ملي وفي ما جدوا جدوا لا يستقرض من عوز ولكنه يبلوا الاخبار قال فبلغني انه لم يبرح حتى أخذ ستين دينارا قوله يخص يريد اللحم الذي يركب القدم هذا قول الاصمعي وقال غيره هو لحم يخالطه بياض من فساد يحل فيه ويقال بخصت عينه بالصاد ولا يجوز الا ذلك ويقال بخسته حقه بالسين اذا ظلمته ونقصته كما قال الله عز وجل ولا تبخسوا الناس أشياءهم وفي المثل تحسبها حمقاء وهي باخس ويدل على انه اللحم الذي قد خالطه الفساد قول الراجز (قال أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش الراجز هو أبو شراعة)

يا قدمي لا أرى لي مخلصا ٭ مما أراه أو تعودا بخصا

وقوله فل فالفل في أكثر كلامهم المنهزم الذاهب وفي خبر كعب بن معدان الاشعري (الأشقري بالقاف لا غير) انا آثرنا الحد على الفل يعني مجاهدتهم بعبدر به الصغير لانه كان مقبلا على حربهم وتركهم فطربا لانه كان منهزما وفي حديث الحجاج بن علاط السلمي وكان قد أسلم ولم تعلم قريش باسلامه فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر في ان يصير الى مكة فيأخذ ما كان له من مال وكانت له هناك أموال متفرقة وهو غريب بينهم انما هو أحد بني سليم بن منصور ثم أحد بني بهز فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني احتاج ان أقول قال فقل قال أبو العباس وهذا كلام حسن ومعنى حسن يقول أقول على جهة الاحتيال غير الحق فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه من باب الحيلة وليس هو من باب الفساد وأكثر ما يقال في هذا المعنى تقول كما قال الله عز وجل أم يقولون تقوله فصار الى مكة فقالت قريش هذا لعمر الله عنده الخبر قال فقولوا فقالوا بلغنا ان القاطع قد خرج الى أهل خيبر فقال للحجاج نعم فقتلوا أصحابه فتلا لم يسمع بمثله وأخذوه أسيرا وقالوا ترى ان نكارم به قريشا فندفعه اليهم فلا نزال لنا هذه اليد في رقابهم وانما بادرت لجمع مالي لعلي أصيب به من قتل محمدا وأصحابه قبل أن يسبقني اليه التجار ويتصل بهم الحديث قال فاجتهد وافي أن جمعوا الى مالي أسرع جمع وسروا أكثر السرور وقالوا بلا رغم وأتاني العباس وهو كالمرأة الوالهة فقال ويحك يا حجاج ما تقول قال فقلت أكاتم أنت علي خبري فقال اي والله قال فقلت فالبث علي شيأ حتى يخف موضعي قال فسرت اليه فقلت الخبر والله على

العاملين وانما كثرت الصفات وقلت الموصوفات لان ثواب العمل مؤجل واحتمال ما فيه مجهل وقد أعجبني ما رأيت من شغف بطاعة اما مل واحتجاج لتدبير خليفتك واشفاق من كل خلل يدخله وان دق ونول سلطانه وان صغر ومن كل أمر خالف هواه وان خفي مكانه وجالب رضاه وان قل ضرره ومن تخوفك ان تجد المتأول اليه متطرقا والعدو عليه متعلقا فان السلطان لا ينفك من متأول ناقم ومن محكوم عليه ساخط ومن معزول عن الحكم زار ومن متعطل متصفح

خلاف ماقلتُ لهم خَلَّفْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وقد فتح خيبرَ وخلَّفتُه والله مُعْرِسًا بابنة ملكهم وما جئتُكَ الا مُسلمًا فاطوِ الخبرَ ثلاثا حتى أُعجِزَ القومَ ثم أشِعْه فانه والله الحق فقال العباس ويحكَ أحقٌّ ما تقول قلتُ اى والله قال فلما كان بعد ثلاثة تخلَّقَ العباسُ وأخذ عصاه وخرج يطوف بالبيت قالى فقالت قريش يا أبا الفضل هذا والله التجلُّدُ لحرِّ المصيبة فقال كلَّا ومَنْ حلفتُم به لقد فتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعرَسَ بابنة ملكهم فقالوا مَنْ أتاك بهذا الحديث فقال الذى أتاكم بخلافه ولقد جاءنا مُسلمًا ثم أتت الاخبارُ من النواحى بذلك فقالوا أفلتَنا الخبيثُ أَوْلى له وأصل الفَلِّ مأخوذ من فَلَلْتُ الحديدةَ اذا كسرتَ حَدَّها والنضرُ البالى المجهود ويقال ناقة نضوٌ اذا جَهَدَها السيرُ وجمعه أنضاءٌ وفلان نضوٌ من المرض وقوله لا يستقرض من عَوَزٍ فالعَوَزُ تعذُّرُ المطلوب يقال أعوَزَ فلان فهو مُعْوِزٌ اذا لم يجدوا لمعاوزُ فى غير هذا الموضع الثياب التى تُبْتَذَلُ ليُصانَ بها غيرها وقوله ولكن ليبلوا الاخبار يقال الله يَبْلُوهم ويبتليهم ويختبرهم فى معنى وتأويله يمتحنهم وهو العالم عز وجل بما يكون كعلمه بما كان قال الله جل ثناؤه ليَبْلُوَكُمْ أيُّكُمْ أحسنُ عملًا قال وحدثنى أبو عثمان المازنى قال رأيت أبا فرعون العَدَوِىَّ ومعه ابنتاه وهو فى سكة العطَّارين بالبصرة يقول

بُنَيَّتَىَّ صابرًا أباكما ❁ انَّكما بعينِ مَنْ يراكما
اللهُ ربِّى سيِّدى مولاكما ❁ ولو يشاءُ عنهمُ أغناكما

وكان أبو فرعون وهو من بنى عَدِىِّ الرباب بن عبد مَناة بن أُدّ وقال اليزيدى هو مولاهم وكان فصيحا وقدم قوم من الاعراب البصرة من أهله فقيل له تعرَّضْ لمعروفهم فقال

ولستُ بسائلِ الاعرابِ شيأ ❁ حَمِدْتُ اللهَ اذْ لم يأكلونى

وروى الاسدى انه افتقر رجل من الصيارفة بالْخاحِ الناس فى أخذ أموالهم التى كانت لديه وتعذَّر أمواله التى كانت له عند الناس فسأل جماعة من الجيران أن يسيروا معه الى رجل من قريش كان موسرًا من أولاد أجوادهم ليَسُدَّ من خَلَّته فساروا اليه فجلسوا فى الصحن فخرج اليهم يَخْطِرُ بقضيب فى يده حتى ثَنَى وسادة فجلس عليها فذكروا حاجتهم وخَلَّة صاحبهم مع قديم نعمته وقريب جواره فخَطَرَ بالقضيب ثم قال مُمَثِّلًا (الشعر لنُصَيب وقيل لكُثَيِّر والأول أثبت)

اذا المالُ لم يُوجِبْ عليكَ عطاءَهُ ❁ صَنيعةُ تُقْوَى أو صديقٌ تُوامِقُه

ومن عجب رأيه ذى خطل فى بيانه مولع بتهجين الصواب وبالاعتراض على التدبير حتى كانه رائد لجميع الأمة ووكيل لسكان جميع المملكة يضع نفسه فى مواضع الرقباء وفى مواضع التصفح على الخلفاء والوزراء لا يعذر وان كان مجازا العذر ظاهرا ولا يقف فيما يكون الشك محتملا ولا يصدق بأن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب وانه لا يعرف مصادر الرأى من لم يشهد موارده ومستدبره من لم يعرف مستقبله ومن

بخلت وبعض البخل حزم وقوة • فلم يفتلذلك المال الاحقائقه

ثم أقبل على القوم فقال انا والله ما نجمد عن الحق ولا نتشدق فى الباطل وان لنا لحقوقا تشغل فضول أموالنا وما كل من أفلس من العمارفة أجتلنا لجبره قوموا رحمكم الله قال فابتدر القوم الأبواب قوله فلم يفتلذلك المال يقول لم يقتطع منه يقال فلذله من العطاء أى قطع له وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين قال الغلامان فى القوم عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو الحكم بن هشام وأمية بن خلف وفلان وفلان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه مكة قد ألقت اليكم أفلاذ كبدها وقال أبو قحافة أعشى باهلة يعنى المنتشر بن وهب الباهلى

تكفيه فلذة كبد ان ألم بها • من الشواء ويكفى شربه الغمر

قال عبد الملك بن عمير استعمل عتبة بن أبى سفيان رجلا من آله على الطائف فظلم رجلا من أزد شنوءة فأتى الأزدى عتبة فمثل بين يديه فقال

أمرت من كان مظلوما ليأتيكم • فقد أتاكم غريب الدار مظلوم

ثم ذكر ظلامته فقال له عتبة انى أراك أعرابيا جافيا والله ما أحسبك تدرى كم تصلى فى كل يوم وليلة فقال أرأيت ان أنبأتك ذلك أتجعل لى عليك مسئلة قال نعم فقال الاعرابى

ان الصلاة أربع وأربع • ثم ثلاث بعدهن أربع • ثم صلاة الفجر لا تضيع

فقال صدقت فاسئل فقال كم فقار ظهرك فقال لا أدرى فقال أفتعلمكم بين الناس وأنت تجهل هذا من نفسك قال ردوا عليه غنيمته قوله فقار انما هو جمع فقارة ويقال فقرة فمن قال فى الواحد فقرة قال فى الجميع فقر كقولك كسرة وكسر ومن قال للواحدة فقارة قال للجميع فقار كقولك دجاجة ودجاج وحمامة وحمام وشهد اعرابى عند معاوية بشئ كرهه فقال له معاوية كذبت فقال الاعرابى الكاذب والله مستزمل فى ثيابك فقال معاوية وتبسم هذا جزاء من عجل قال أبو العباس قرأت على عبد الله بن محمد المعروف بالتوزى عن أبى عبيدة معمر بن المثنى التيمى قال كانت السواقط ترد اليمامة فى الأشهر الحرم لطلب التمر فان وافقت ذلك والا أقامت بالبلد الى أوانه ثم تخرج منه فى شهر حرام فكان الرجل منهم اذا قدم يأتى رجلا من بنى حنيفة وهم أهل اليمامة أعنى بنى حنيفة بن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن

محروم قد أضغنه الحرمان ومن لئيم قد أفسده الاحسان ومن مستبطئ قد أخذ أضعاف حقه وهو لجهله بقدره ولضيق ذرعه ولقلة شكره يظن ان الذى بقى له أكثر ولحقه أوجب ومن مستزيد لوارتجع السلطان سالف أياديه البيض عنده ونعمته السالفة عليه لكان لذلك أهلا وله مستحقا قد غره الأمل وأبطره دوام الكفاية وأفسده طول الفراغ ومن صاحب للفتنة خامل فى الجماعة رئيس فى الفرقة نعاق فى الهرج

دُعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار فيكتب له على سهم أو غيره فلان جار فلان والسواقط من وردا اليمامة من غير أهلها وقد كان النعمان بن المنذر أراد أن يجليهم منها فأجارهم مرارة بن سُلمى الحنفي ثم أحد بني ثعلبة بن الدول بن حنيفة فوقع ذلك الملك فقال أوس بن حجر يحض النعمان عليه

زعم ابن سُلمى مرارة انه ٭ مولى السواقط دون آل المنذر

منع اليمامة جزنها وسهولها ٭ من كل ذى تاج كريم المفخر

وذكر أبو عبيدة أن رجلا من السواقط من بنى أبى بكر بن كلاب قدم اليمامة ومعه أخ له فكتب له عُمير بن سُلمى أنه له جار وكان أخو هذا الكلابى جميلا فقال له قرين أخو عمير لتردن أبياتنا بأخيك هذا فوراه بعد بين أبياتهم فقتله قال أبو عبيدة وأما المولى فذكر أن قرينا أخا عُمير كان يتحدث الى امرأة أخى الكلابى فغر عليه زوجها فخافه قرين عليها فقتله وكان عمير غائبا فأتى الكلابى قبر سُلمى أبى عمير وقرين فاستجار به وقال (قال أبو الحسن الأخفش قال أبو العباس قرين ووجدته بخط دماذ صاحب أبى عبيدة قُرين)

واذا استجرت من اليمامة فاستجر ٭ زيد بن يربوع وآل مجمع

وأتيت سُلميا فعذت بقبره ٭ وأخو الزمانة عائذ بالأمنع

أقرين انك لو رأيت فوارسى ٭ بعمايتين الى جوانب ضلفع

حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن ٭ للغدر خائنة مغل الاصبع

فلجأ قرين الى قتادة بن مسلمة بن عُبيد بن يربوع بن ثعلبة بن الدول بن حنيفة فحمل قتادة الى الكلابى ديات مضاعفة وفعلت وجوه بنى حنيفة مثل ذلك فأبى الكلابى أن يقبل فلما قدم عمير قالت له أمه وهى أم قرين لا تقتل أخاك وسُق الى الكلابى جميع ماله فأبى الكلابى أن يقبل وقد لجأ قرين الى خاله السمين بن عبد الله فلم يمنع عميرا منه فأخذه عُمير فمضى به حتى قطع الوادى فربطه الى نخلة وقال للكلابى أما اذ أبيت الا قتله فأمهل حتى أقطع الوادى وارتحل عن جوارى فلا خير لك فيه فقتله الكلابى فى ذلك يقول عمير

قتلنا أخانا للوفاء بجارنا ٭ وكان أبونا قد تجير مقابره

وقالت أم عمير تعد معاذرا لا عذر فيها ٭ ومن يقتل أخاه فقد الاما

قد أقصاه عز السلطان وأقام صغره ثقاف الأدب وأذله الجهل بالحق فهو مغيظ لا يجد غير التشنيع ولا يتشوق بغير الأرجاف ولا يستريح الا الى الامانى ولا يأنس الا بكل مرجف كذاب ومفتون مرتاب وخارص لا خير فيه وخالف لا غناء عنده يريد ان يسوى بالكفاة ويرفع فوق الحماة لا أب سلف له ولا احسان كان من غيره وليس ممن يربه قديم مجد ولا يحفل به رؤس شرف ولا يفصل بين ثواب المحسنين وكيف يعرف فرق ما بين حق

قوله ولم تكن للغدر خائنة ولم يقل خائنا فانما وضع هذا فى موضع المصدر والتقدير ولم تكن ذا خيانة وقوله للغدر أى من أجل الغدر وقال المفسرون والنحويون فى قوله الله عز وجل وانه لحب الخير لشديد أى لشديد من أجل حب الخير والخير ههنا المال من قوله تعالى ان ترك خيرا الوصية وقوله لشديد أى لبخيل والتقدير والله أعلم انه لبخيل من أجل حبه للمال تقول العرب فلان شديد ومتشدد أى بخيل قال طرفة

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى ٭ عقيلة مال الفاحش المتشدد

وقلما يجىء المصدر على فاعل فما جاء على وزن فاعل قولهم عوفى عافية وفلج فالجا وقم قائما أى قم قياما وكما قال ٭ ولا خارجا من فى زور كلام ٭ أى ولا يخرج خروجا وقد مضى تفسير هذا والمغل الذى عنده غلول وهو ما يختان ويحتجن ويستعمل مستعارا فى غير المال يقال غل يغل كقول الله عز وجل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ويقال أغل فهو مغل اذا صودف يغل أو نسب اليه ومن قرأ وما كان لنبى أن يغل فتأويله أن يأخذ ويستأثر ومن قرأ يغل فتأويله على ضربين يكون أن يقال ذلك فيه ويكون وهو الذى نختار أن يخون فان قال قائل كيف يكون التقدير وقد قال ما كان لنبى أن يغل فيغل لغيره وأنت لا تقول ما كان لزيد أن يقوم عمرو فالجواب أنه فى التقدير على معنى ما ينبغى لنبى أن يخون كما قال وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله ولو قلت ما كان لزيد أن يقوم عمرو اليه لكان جيدا الراجع اليه وكان جيدا على تقديرك ما كان زيد ليقوم عمرو اليه كما قلنا فى الآية والاضبع أفصح ما يقال وقد يقال أصبع واصبع واصبع وموضعها ههنا موضع اليد يقال لفلان على يد ولفلان على يد اصبع وكل جيد وانما يعنى ههنا النعمة وأما قوله فتلنا أخانا للوفاء بجارنا فيكون على ضربين أحدهما أن يكون فخم نفسه وعظمها فذكرها باللفظ الذى يذكر الجميع به والعرب تفعل هذا ويعد كبرا ولا ينبغى على حكم الاسلام أن يكون هذا مستعملا الا عن الله عز وجل لانه ذو الكبرياء كما قال الله تبارك وتعالى انا أنزلناه فى ليلة القدر وانا أوحينا اليك وكل صفات الله أعلى الصفات وأجلها فما استعمل فى المخلوقين على تلك الألفاظ وان خالفت فى الحكم فحسن جميل كقولك فلان عالم وفلان قادر وفلان رحيم وفلان ودود الا ما وصفنا قبل من ذكر التكبر فانك اذا قلت فلان جبار أو متكبر كان عليه

الذمام وثواب الكفاية من لا يعرف طبقات الحق فى مراتبه ولا يفصل بين طبقات الباطل فى منازله ثم اعلم بعد ذلك انك بنفسك تبدأ فى تعظيم امامك والحفظ بمناقب أنصار خليفتك واياها حطت لحياطتك لاشياعه واحتجاجك لأوليائه ونعم العون انت ان شاء الله على ملازمة الطاعة والموازرة على الخير والكفاية لأهل الحق وقد استدللت بالذى أرى من عنايتك وفرط اكتراثك ولفقدك لأجناس الأعداء وبحثك

عيبا ونقصا وذلك لمخالفة هاتين الصفتين الحق وبُعْدهما من الصواب لانهما للمُبْدِئ المُعيد الخالق البارئ ولا يليق ذلك بمن تكسره الجَوْعَة وتُطْعِمه الشِّبْعَة وتَنْقُصُه الحَطَّة وهو في كل أموره مُدَبِّر وأمّا القول الآخر في البيت وهو قتلنا أخانا فمعناه أنه له ولمن شايعه من عشيرته وأما قولها ومن يقتلي أخاه فقد ألاما تقول أتى ما يُلام عليه يقال ألامَ الرجلُ اذا تعرّض لأن يُلام

﴿ باب ﴾

قال أبو العباس أنشدني السَّعْدِيُّ أبو مُحَلِّم

أنّا سألنا قومنا فخيارهم ٭ مَنْ كان أفضلهم أبوه الأوّل

أعطى الذي أعطى أبوه قبله ٭ وتبخّلت أبناء من يتبخّل

وأنشدني أيضا لطلحة بن حبيب حين تسأله ٭ أندى وأكرم من فندين هطّال

وبيت طلحة في عزّ ومكرمة ٭ وبيت فند الى ربق وأجمال

ألا فتى من بني ذبيان يحملني ٭ وليس يحملني الا ابن حمّال

فقلت طلحة أولى من حملت له ٭ وجئت أمشي اليه مشي مختال

مستيقنا أنّ حبلي سوف يعلقه ٭ في رأس ذيّالة أو رأس ذيّال

قوله الى ربق وأجمال انما أراد جمع جَمَل على القياس كما تقول في جميع باب فَعَل جَمَلٌ وأجمالٌ وصَنَمٌ وأصنامٌ وقوله ألا فتى من بني ذبيان يحملني يعني ذُبيان بن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفان بن سَعْد بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر وأنشد بعضهم ٭ وليس حاملني الا ابن حمّال ٭ وهذا لا يجوز في الكلام لانه اذا نوّن الاسم لم يتصل به المضمر لان المضمر لا يقوم بنفسه فانما يقع معاقبا للتنوين تقول هذا ضاربٌ زيدا غدًا وهذا ضاربٌ بكرٌ غدًا ولا يقع التنوين ههنا لانه لو وقع لانفصل المضمر وعلى هذا قول الله تعالى انّا مُنْجُوكَ وأهلَكَ وقد روى سيبويه بيتين محمولين على الضرورة وكلاهما مصنوع وليس أحد من النحويين المُفَتِّشين يُجيز مثل هذا في الضرورة لما ذكرتُ من انفصال الكناية والبيتان اللذان رواهما سيبويه

هُمُ القائلونَ الخيرَ والآمِرونَهُ ٭ اذا ما خشوا يوما من الأمر مُعْظَما

عن مناقب الأولياء على ان ما ظهر من نحلة أم في جنب ما بطن من اخلاصه فامتع الله بك خليفته ومنحنا وإياك محبته وأعاذنا وإياك من قول الزور والتقرب بالباطل انه حميد مجيد فعال لما يريد وذكرت انك جالست أخلاطا من جند الخلافة وجماعات من أبناء الدعوة وشيوخا من جملة الشيعة وكهولا من أبناء رجال الدولة المنسوبين الى الطاعة والمناصحة والمحبة الدينية دون محبة الرغبة والرهبة وان رجلا من عرض تلك

وأنشد ولم يرتفق والناس محتضرونه * جميعا وأيدي المعتفين رواهقه

وانما جاز أن تبين الحركة اذا وقفت في نون الاثنين والجميع لانه لا يلتبس بالمضمر تقول هما رجلانه وهم ضاربونه اذا وقفت لانه لا يلتبس بالمضمر اذ كان لا يقع هذا الموقع ولا يجوز أن تقول ضربته وأنت تريد ضربتُ والهاء لبيان الحركة لان المفعول يقع في هذا الموضع فيكون لبسا فاما قولهم ارمه واغزه فتلحق الهاء لبيان الحركة فانما جاز ذلك لما حذفت من أصل الفعل ولا يكون في غير المحذوف وقوله في رأس ذيالة يعني فرسا انثى أو حصانا والذيال الطويل الذنب وانما يحمد منه طول شعر الذنب وقصر العسيب وأما الطويل العسيب فمذموم ويقال ذلك للثور أيضا أعني ذيالا قال امرؤ القيس فجال الصوار واتقين بغرهب * طويل القرا والزوق أخنس ذيال

ويقال أيضا للرجل ذيال اذا كان يجر ذيله اختيالا ويقال له فضفاض في ذلك المعنى ويروى عن عمر بن عبد العزيز أنه قال لمؤدبه كيف كانت طاعتي اياك وأنت تؤدبني فقال أحسن طاعة قال فاطعني الآن كما كنت أطيعك اذ ذاك خذ من شاربك حتى تبدو شفتاك ومن ثوبك حتى تبدو عقباك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل الازار في النار وقال آخر

مالدد مالدد ماله * يبكي وقد أنعمت ماباله * مالي أراه مطرقا ساميا
ذا سنة يوعد أخواله * وذاك منه خلق عادة * أن يفعل الأمر الذي قاله
ان ابن بيضاء وترك الندى * كالعبد اذ قيد أجماله * آليت لا أدفن قتلاكم
فدخنوا المرء وسربالة * والدرع لا أبغي بها نفرة * كل امرئ مستودع ماله
والرمح لا أملأ كفي به * والليث لا أتبع نزواله

قوله مالدد يعني رجلا ودد في الأصل هو اللهو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لست من دد ولا ددٌ مني وقد يكون في غير هذا الموضع مأخوذا من العادة وهذه اللام الخافضة تكون مكسورة مع الظاهر ومفتوحة مع المضمر والفتح أصلها ولكن كسرت مع الظاهر خوف اللبس بلام الخبر تقول ان هذا لزيد فيعلم انه ثنى في ملك زيد فان قلت ان هذا لزيدٌ في الوقف علم قبل الادراج انه زيدٌ ولو فتحت المكسورة لم يعلم الملك من المعنى الآخر في الوقف وأما المضمر فبين فيه لان علامة المخفوض غير علامة المرفوع تقول ان هذا لك وان هذا لأنت وقوله وقد أنعمت ماباله

الجماعة ارتجل الكلام ارتجال مستبد وتفرد به تفرد معجب وانه تعسف المعاني وتهكم على الألفاظ فزعم ان جند الخلافة اليوم على خمسة أقسام خراساني وتركي ومولى وعربي وبنوني وانه أكثر حمد الله وشكره على احسانه ومنته وعلى جميع أياديه وسبوغ نعمه وعلى شمول عافيته وجزيل مواهبه حين ألف على الطاعة هذه القلوب المختلفة والأجناس المتباينة والأهواء المتفرقة وانك اعترضت على هذا المتكلم

فالزائدة والبالُ ههنا الحال وللبال موضع آخر وحقيقته الفكرُ تقول ما خطر هذا على بالى وقوله مطرقا سامیا فالسامی الرافع رأسه يقال سما يسمو اذا ارتفع والمُطرِقُ الساكت المُفكرُ المُنكسُ رأسَه فانما أراد سامیا بنفسه وقوله ذاسنة يقول كأنه لطول اطراقه فى نَعسة وقوله كالعبد اذ قَيَّدَ أجمله يريد أنه غير مُكترث لاكتساب المجد والفضل وذلك أن العبد الراعى اذا قَيَّدَ أجماله أَلَفَّ رأسه ونام حَجْرَةً وهذا شبيه بقوله • واقعُدْ فانَّكَ أنتَ الطاعمُ الكاسى • وقوله فدخنوا المرءُ سربالَه يروى أنه طَعَنَ فارسا منهم فأحدث فقال نَظِّفوهُ فانى لا أدفنُ القتيلَ منكم الا طاهرا وقوله والدرع لا أبغى بها نثرة فالنَثْرةُ الدرعُ السابغة يقول درعى هذه تكفينى وقوله كل امرئ مُستَوْدَعٌ مالَه أى مُستَرْهَنٌ بأجله وهو كقول الأعشى

كُنتَ المُقدَّمَ غيرَ لابِسِ جُنَّةٍ • بالسيفِ تضربُ معلَماً أبطالَها

وعلمتَ أنَّ النفسَ تلْقَى حَتْفَها • ما كان خالقُها الفضيلُ قَضَى لها

وقوله الرمح لا أملاً كنى به يتأول على وجهين أحدهما أن الرمح لا يملأ كنى وحده أنا أقاتل بالسيف وبالرمح وبالقوس وغير ذلك والقول الآخر أنى لا أملأ كنى به انما أختلس به اختلاسا كما قال الشاعر

ومُدَجَّجٍ سبقَتْ يداىَ لهُ • تحتَ الغُبارِ بطَعْنةٍ خَلِسِ

وقوله والبدل لا أتبع ثوبَ زوله يقول ان انحلَّ الحزامُ فالبدلُ امل معه أى أنا فارس ثبتٌ وقال الفرزدق ونزل به ذئبٌ فأضافه

وأطلسَ عسَّالٍ وما كان صاحبًا • دَعَوْتُ لنارى موهِنًا فأتانى

فلمَّا دنا قلتُ ادنُ دونَكَ انَّنى • وإيَّاكَ فى زادى لمُشْتَرِكان

فبِتُّ أُقِدُّ الزادَ بينى وبينه • على ضَوْءِ نارٍ مرَّةً ودُخانِ

وقلتُ له لما تَكشَّرَ ضاحكًا • وقائمُ سَيْفى من يدى بمكان

تَعَشَّ فان عاهَدْتَنى لا تَخُونُنى • نَكُنْ مثلَ مَن يا ذئبُ يَصْطَحِبان

وأنتَ امرُؤٌ يا ذئبُ والغدرُ كُنْتُما • أخَيْنِ كانا أُرضعا بلبانِ

ولو غيرُنا نبَّهتَ تلتمسُ القِرى • رمالَكَ بسهمٍ أو شباةِ سِنانِ

قوله وأطلسَ عسَّالٍ فالأطلسُ الأغبرُ وحدثنى مسعود بن بشر قال أنشدنى طاهر بن على الهاشمى

المستبد وعلى هذا القائل المتكلف الذى قسم هذه الأقسام وخالف بين هذه الأركان وفصل بين انسابهم وانك انكرت ذلك عليه أشد الانكار وقذعته أشد القذع وزعمت انهم لم يخرجوا من الاتفاق وانك نفيت التباعد فى النسب والتباين فى السبب وقلت بل ازعم ان الخراسانى والتركى اخوان وان الخبز واحد وان حكم ذلك الشرق والقضاء على ذلك الصقع متفق غير مختلف ومتقارب غير متفاوت وان الاعراق فى

قال سمعت عبد الله بن طاهر بن الحسين ينشد فى صفة الذئب

جَمْعُ بنى مُحارِبٍ مُذْدارُهُ * أطْلَسُ يُخْفى شَخْصَهُ غُبارُهُ * فى شِدْقِهِ شَفْرَتُهُ ونارُهُ

قوله يخفى شخصه غباره يقول هو فى لون الغبار فليس يُتَبَيَّنُ فيه وقوله عَسَّال فانما نسبه الى مشيته يقال مرَّ الذئب يَعْسِلُ وهو مَشْىٌ خفيف كالهَرْوَلة قال الشاعر (هو ساعدة) يصف رمحا

لَدْنٌ بِهَزِّ الكَفِّ يَعْسِلُ مَتْنُهُ * فيه كما عَسَلَ الطريقَ الثَّعْلَبُ

وقال لَبِيدٌ عَسَلانَ الذئبِ أمْسَى قارِبًا * بَرَدَ اللَّيلُ عليه فَنَسَلْ

قال أبو عبيدة نَسَلَ فى معنى عَسَلَ وقال الله عز وجل فاذا هُم من الأجداث الى ربهم يَنْسِلون وخَفَضَ بهذه الواو لانها فى معنى رُبَّ وانما جاز أن يُخْفَضَ بها لوقوعها فى معنى رب لانها حرف خفض وهى أعنى الواو تكون بدلا من الباء فى القسم لان مَخْرَجَها فى مَخْرَجِ الباء من الشَّفَة فاذا قلت والله لأفعلَنَّ فمعناه أُقْسِمُ بالله لافعلنَّ فان حذفتها قلت الله لافعلنَّ لان الفعل يقع على الاسم فينصبه والمعنى معنى الباء كما قال الله عز وجل واختار موسى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لميقاتنا وَصَلَ الفعلُ فعَمِلَ والمعنى معنى من لانها للتبعيض فقد صارت الواو تَعْمَلُ بلفظها عَمَلَ الباء وتكون فى معناها وتعمل عمل رب لاجتماعهما فى المعنى للاشتراك فى المَخْرَج وقوله رفعتُ لنارى من المقلوب انما أراد رَفَعْتُ لها نارى والكلام اذا لم يَدْخُلْه لَبْسٌ جاز القلب للاختصار قال الله عز وجل وآتيناه من الكنوز ما ان مَفاتِحَه لتَنُوءُ بالعُصْبَة أولى القُوَّة والعصبة تَنُوءُ بالمفاتيح أى تستقل بها فى ثِقَل ومن كلام العرب ان فلانة لتنوء بها عجيزتُها والمعنى لَتَنُوءُ بعجيزتها وأنشد أبو عبيدة للأخطل

أمَّا كُلَيْبُ بن يَرْبُوعٍ فليس لها * عند التفاخُرِ إرادٌ ولا صَدَرُ

مُخَلَّفون ويَقْضِى الناسُ أمْرَهُمُ * وهُمْ بغَيْبٍ وفى عَمْيَاءَ ما شَعَروا

مِثْلُ القَنافِذِ هَدَّاجون قد بَلَغَتْ * نَجْرانُ أو بَلَغَتْ سَوْآتِهِمْ هَجَرُ

فجعل الفعل للبلدتين على السَّعَة ويروى أن يونس بن حبيب قال لأبى الحسن الكسائى كيف تُنْشِدُ بيت الفَرَزْدَق فأنشده

غَداةَ أحَلَّتْ لابنِ أصْرَمَ طَعْنَةٌ * حُصَيْنٍ عَبيطاتِ السَّدائفِ والخَمْرُ

فقال الكسائى لما قال غداة أحلت لابن أصرم طعنة حصين عبيطات السدائف تمَّ الكلام فحمل

الخمر

الأصل اذا لم تكن كانت راسخة فقد كانت متشابهة وحدود البلاد المشتملة عليهم الا تكن متساوية فانها متناسبة وكلهم خراسانى فى الجملة وان تميزوا ببعض الخصائص وافترقوا ببعض الوجوه وزعمت ان اختلاف الترکى والخراسانى ليس كاختلاف ما بين الرومى والصقلى والزنجى والحبشى فضلا عما هو أبعد جوهرا وأشد خلافا بل كاختلاف ما بين المدرى والوبرى والبدوى والحضرى والسهلى والجبلى وكاختلاف ما بين

الخمر على المعنى أراد وحلّت له الخمر فقال له يونس ما أحسن ما قلت ولكن الفرزدق أنشدنيه على القلب فنصب الطعنة ورفع العبيطات والخمر على ما وصفنا من القلب والذى ذهب اليه الكسائى أحسن فى محض العربية وان كان انشاد الفرزدق جيدا وقوله فلما دنا قلت ادن دونك أمر بعد أمر وحسن ذلك لان قوله ادن للتقريب وفى قوله دونك أمره بالاكل كما قال جرير لعيّاش ابن الزبرقان

أعيّاش قد ذاق القيون مواسمى ... وأوقدت نارى فادن دونك فاصطل

(جمع ميسم وهو حديدة يصنع بها البيطار) وقوله على ضوء نار مرة ودخان يكون على وجهين أحدهما على ضوء نار وعلى دخان أى على هاتين الحالتين ارتفعت النار أو خبت وجائز أن يعطف الدخان على النار وان لم يكن للدخان ضياء ولكن للاشتراك كما قال الشاعر

يا ليت زوجك قد غدا ... متقلدا سيفا ورمحا

لان معناهما الحمل وكما قال ... شراب ألبان وتمر وأقط ... فأدخل التمر فى المشروب لاشتراك المأكول والمشروب فى الحلوق وهذه الآية تحمل على هذا يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس والشواظ اللهب لا دخان له والنحاس الدخان وهو معطوف على النار وهى مخفوضة بالشواظ لما ذكرت لك قال النابغة الجعدى

تضىء كمثل سراج الذبا ... ل لم يجعل الله فيه نحاسا

أى دخانا وقوله فكن مثل من يا ذئب يصطحبان (من يجوز أن يكون نكرة موصوفة تقديره مثل اثنين يصطحبان وأن يكون بمعنى الذى ويصطحبان صلته) فمن تقع للواحد والاثنين والجميع والمؤنث على لفظ واحد فان شئت حملت خبرها على لفظها فقلت من فى الدار يحبك وان عنيت جميعا أو اثنين أو واحدا أو مؤنثا وان شئت حملته على المعنى فقلت يحبانك ويحبك اذا عنيت امرأة ويحببنك اذا عنيت جميعا كل ذلك جائز جيد قال الله عز وجل ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى وقال فحمل على المعنى ومنهم من يستمعون اليك وقرأ أبو عمرو ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا فحمل الأول على اللفظ والثانى على المعنى وفى القرآن بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه فهذا كله على اللفظ ثم قال ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون على المعنى وقوله أو شباة سنان فالشبا والشباة واحد وهو الحد ومما يستحسن فى وصف الجود والحث على المبادرة به وتعريف حمد العاقبة فيه قول القمر بن تولب

من نزل البطون وبين من نزل البحور وبين من نزل الاغوار وزعمت ان هؤلاء وان اختلفوا فى بعض اللغة وقارب بعضهم بعضا وبعض الصورة فقد نجد أن عليا تميم وسفلى قيس وعجز هوازن وفصحاء الحجاز خلاف لغة حمير وسكان مخاليف اليمن وكذلك الصورة والصورة والشمائل والشمائل والاخلاق والاخلاق وكلهم مع ذلك عربى خالص غير مشوب ولا معلج ولا مربوع ولا ممزج ولم يختلفوا كاختلاف ما بين

العُكْلي أحد بني عُكْل بن عبد مناة بن أُدّ بن طابخة بن الياس بن مُضَر (قال ابن سراج رحمه الله من رواه الياس فقد أخطأ انما هو ابن الياس بوصل الألف وكسر السين والالف واللام للتعريف والاسم يأس مشتق من يئست)

أعاذل ان يُصبح صداي بقفرة * بعيدا نآني صاحبي وقريبي
ترى أن ما أبقيت لم آل ربّه * وأن الذي انفقت كان نصيبي
وذي ابل يسعى ويحسبها له * أخي نصب في رعيها ودؤوب
غدت وغدا ربّ سواه بقودها * وبدّل أحجارا وجال قليب

قوله ان يصبح صداي بقفرة فالصدى على ستة أوجه أحدها ماذكرنا وهو ما يبقى من الميت في قبره والصدى الذكر من البوم قال ابن مُقَرِّغ (اسمه ربيعة وسمي مقرغا لانه شرب سقاءين ففرّغهما)

وشربت بردا اليتني * من بعد بُرد كنت هامه
هتّافة تدعو صدى * بين المشقّر واليمامه

ويقال فلان هامة اليوم أو غدا أي يموت في يومه أو في غده ويقال ذلك للشيخ اذا أسنّ والمريض اذا طالت علّته والمحتقر لمدة الآجال (رواية عاصم بن أيوب رحمه الله برفع المحتقر يرفعه بالابتداء ويُضمر الخبر فيكون التقدير والمحتقر لمدة الآجال يقال ذلك له ورواية ابن سراج بالخفض على العطف) وفي الحديث أن حنظلا أبا حذيفة بن حنظل بن اليمان قال لشيخ آخر تخلّف معه في غزوة أُحد انهض بنا ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانما نحن هامة اليوم أو غد وكانا قد أسنّا (حنظل أبو حذيفة هو حنظل بن جابر وهو اليمان أبو حذيفة بن اليمان والشيخ الذي تخلف معه ثابت ابن وقش الانصاري) والصدى حشرة الرأس يقال لذلك الهامة والصدى وتأويل ذلك عند العرب في الجاهلية أن الرجل كان عندهم اذا قُتل فلم يُدرك به الثأر أنه يخرج من رأسه طائر كالبومة وهي الهامة والذكر الصدى فيصيح على قبره اسقوني اسقوني فان قُتل قاتله كفّ ذلك الطائر قال ذو الاصبع العدواني أحد بني عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مُضَر (هو حرثان بن محرّث سمي بذي الاصبع لانه كان له اصبع زائدة وقيل لان حية عضته في اصبعه)

يا عمرو الا تدع شتمي ومنقصتي * أضربك حيث تقول الهامة اسقوني

والصدى ما يرجع عليك من الصوت اذا كنت بمتّسع من الارض أو بقرب جبل كما قال

نحطان وعدنان من قبل ما طبع الله عليه تلك التربة من خصائص الغرائز وما قسم لأهل كل جزيرة من الشكل والصورة ومن الاخلاق واللغة فان قلت وكيف صار أولادهما جميعا عربا مع اختلاف الابوة قلنا ان الجزيرة لما كانت واحدة استوى في التربة وفي اللغة وفي الشمائل والهمة وفي الانفة والحمية وفي الاخلاق فسبكوا سبكا واحدا تشابهت الاجزاء وتباينت الاخلاط حتى صار ذلك أشد تشابها في باب الأعم

انى على كل ايسارى ومعسرتى • أدعو حنيفا كما تدعى ابنة الجبل

يعنى الصدى وتأويله انه يجيبنى فى سرعة اجابة الصدى وقال آخر

كأنى اذ دعوت بنى سليم • دعوت بدعوتى لهم الجبالا

والصدأ مهموز صدأ الحديد وما أشبهه قال النابغة الذبيانى

سهكين من صدأ الحديد كأنهم • تحت السنور جنة البقار

وقال الأعشى فأما اذا ركبوا فالوجو • ه فى الروع من صدأ البيض حم

والصدى مصدر الصدى وهو العطشان يقال صدى يصدى صدى وهو صد قال طرفة

ستعلم ان متنا صدى أينا الصدى (ويروى صدى أينا بخفض أينا على الاضافة فصدى على هذه الرواية يرتفع بالابتداء والصدى الخبر) وقال القطامى

فهن ينبذن من قول يصبن به • مواقع الماء من ذى الغلة الصادى

تأويل قوله ناء أنى يكون على ضربين يكون أبعدنى وأحسن ذلك أن يقول أنأنى وقد رويت هذه اللغة الأخرى وليست بالحسنة وانما جاءت فى حروف يقال غاض الماء وغضته ونزحت البئر ونزحتها وهبط الشئ وهبطته وبنو تميم يقولون أهبطته وأحرف سوى هذه يسيرة والوجه فى فعل أفعلته نحو دخل وأدخلته ومات وأماته الله فهذا الباب المطرد ويكون ناء أنى فى موضع نأى عنى كما قال الله عز وجل واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون أى كالوا لهم أو وزنوا لهم وقوله ودوب يقول والخاء عليه تقول دأبت على الشئ قال الشاعر (هو الراعى)

دأبت الى أن ينبت الظل بعدما • تقاصر حتى كاد فى الآل يصبح

وقوله جل ثناؤه كدأب آل فرعون يقول كعادتهم وسنتهم ومثله الدين والديدن وقد مر هذا وقوله وبدل أحجارا وجال قليب فالجال الناحية يقال لكل ناحية من البئر والقبر وما أشبه ذلك جال وجول وقال مهلهل

كان رماحهم أشطان بئر • بعيد بين جاليها جرور

ويقال رجل ليس له جول أى ليس له عقل وهذا الشعر نظير قول حاتم الطائى

أما وى ان يصبح صداى بقفرة • من الارض لا ماء لدى ولا خمر

ترى أن ما أبقيت لم اك ربه • وان يدى مما بخلت به صفر

والأخص وفى باب الوفاق وفى البغية من بعض الأرحام وجرى عليهم حكم الانفاق وفى الحسب وصارت هذه الأسباب ولادة أخرى حتى تناكحوا عليها وتصاهروا من أجلها وامتنعت عدنان قاطبة من مناكحة بنى اسحاق وهو أخو اسماعيل وجازوا بذلك فى جميع الدهر وكبنى قحطان فى اجماع الفريقين على التناكح والتصاهر ومنعهما ذلك جميع الأمم كالكسرى فمن دونه دليل على أن النسب عندهم متفق وان هذه المعانى

وقال الحرث بن حلزة اليشكرى فى هذا المعنى

قلتُ لعمرٍ حين أرسلتُه ٭ وقد حبا من دوننا عالجُ

لا تكسعِ الشولَ بأغبارها ٭ انّكَ لا تدرى من الناتجُ

واصبُبْ لاضيافكَ ألبانها ٭ فانّ شرَّ اللبنِ الواليجُ

قوله لا تكسع الشول باغبارها فان العرب كانت تنضح على ضروعها الماء البارد ليكون أسمن لاولادها التى فى بطونها والغبر بقية اللبن فى الضرع فيقول لا تبق ذلك اللبن لسمن الاولاد فانك لا تدرى من ينتجها فلعلك تموت فتكون للوارث أو يغار عليها وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يقول ابن آدم مالى مالى ومالك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو أعطيت فأمضيت وروى عن بعضهم انه قال انى أحبّ البقاء وكالبقاء عندى حسن الثناء وأنشد أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

فاذا بلغتم أرضكم فتحدثوا ٭ ومن الحديث متالفٌ وخلودُ

وأنشد فأثنوا علينا الا بأيدكم ٭ بأفعالنا ان الثناء هو الخلدُ

وقال معاوية لابن الاشعث بن قيس ما كان جدك قيس بن معدى كرب أعطى الاعشى فقال أعطاه مالا وظهرا ورقيقا وأشياء أنسيتها فقال معاوية لكن ما أعطاكم الاعشى لا ينسى وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لابنة هرم بن سنان المرّى ما وهب أبوك لزهير فقالت أعطاه مالا وأثاثا أفناه الدهر فقال عمر لكن ما أعطاكموه لا يفنيه الدهر وقال المفسرون فى قول الله عز وجل عن ابراهيم صلوات الله عليه واجعل لى لسان صدق فى الآخرين أى ثناء حسنا وفى قوله تعالى وتركنا عليه فى الآخرين سلام على ابراهيم أى يقال له هذا فى الآخرين والعرب تحذف هذا الفعل من قال ويقول استغناء عنه قال الله عز وجل فأما الذين اسودّت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم أى فيقال لهم ومثله والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى أى يقولون وكذلك والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم (حدثنا يموت بن المزرع البصرى قال حدثنا فيض بن سلمة المنبّز بدماذ قال حدثنا أبو عبيدة قال قال الحجاج يوما لعمار العرب رهم فى مجلسه ما أحسب هذا المزونى يناصحنا فى حربنا يعنى المهلّب والرأى مشترك فقالوا

قد قامت عندهم مقام الولادة والأرحام الماسة وزعمت انه أراد الفرقة والتحزب وانك أردت الألفة والتقرب ثم زعمت أيضا ان البنوة خراسانى وان نسب الابناء نسب آبائهم وان حسن صنيع الآباء وقديم فعال الأجداد هو حسب الأبناء وان الموالى بالعرب أشبه واليهم أقرب وبهم أمس لان النسبة قد تنقلت الموالى الى العرب فى كثير من المعانى لانهم عرب فى المدعى وفى العاقلة وفى الراية وهذا تأويل قوله

الرأى للامير أصلحه الله أن يكتب الى ابن الفجاءة باطعامه بعض الارضين فاذا هو نخع بطاعته وأظهر الدعوة له سهلت الحيلة فيه فقال وفقكم الله وكتب الى ابن الفجاءة وأنفذه على يد الغضبان بن القبعثرى الشيبانى نسخة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من الحجاج بن يوسف الى قطرى بن الفجاءة سلام عليك الموحد الله والمصلى عليه محمد عليه السلام أما بعد فانك كنت اعرابيا بدويا تستطعم الكسرة وتخف الى التمرة ثم خرجت تحاول ما ليس لك بحق واعترضت على كتاب الله ومرقت من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فارجع عما أنت عليه بما ترين لك وادعنى فقد آن لك فلما أوصل الغضبان الكتاب الى قطرى قال ياغلام اقرأ هذه الصحيفة فتلا عليه ما فيها فتنهد قطرى الصعداء فقال ياغضبان ألقيتنى محزونا وأنشأ يقول

فيا كبدا من غير جوع ولا ظما ... ووا كبدا من وجد أم حكيم

فلو شهدتنى يوم دولاب أبصرت ... طعانا فتى فى الحرب غير لئيم

غداة طفت علماء بكر بن وائل ... وعجنا صدور الخيل نحو تميم

وكان بعبد القيس أول حدنا ... وآب عميد الازد غير ذميم

يعنى المهلب وأم حكيم هذه امرأة من الخوارج قتلت بين يديه ثم قال ياغلام اكتب بسم الله الرحمن الرحيم من قطرى بن الفجاءة الى الحجاج بن يوسف سلام على من اتبع الهدى ذكرت فى كتابك أنى كنت بدويا أستطعم الكسرة وأبدر الى التمرة وبالله لقد قلت زورا بل الله بصرنى من دينه ما أعماك عنه اذ أنت سائح فى الضلالة غرق فى غمرات الكفر ذكرت أن الضرورة طالت بى فهلا برزلى من خربق من نال الشبع وانكا فاتدعا أما والله لئن أبرز الله صفحتك وأظهر لى صلعتك لتنكرن شيعك ولتعلمن أن مقارعة الابطال ليس كتسطير الامثال)

﴿باب﴾

قال أبو العباس قال على بن أبى طالب رضى الله عنه فى خطبة له أيها الناس اتقوا الله الذى ان قلتم سمع وان أضمرتم علم وبادروا الموت الذى ان هربتم منه أدركم وان أقمتم أخذكم قال وحدثنى التوزى فى اسناد ذكره آخره عبد الملك بن عمير الليثى قال بينا نحن فى المسجد الجامع بالكوفة وأهل الكوفة يومئذ ذوو حال حسنة يخرج الرجل منهم فى العشرة والعشرين من مواليه اذ أتى

مولى القوم منهم والولاء لحمة كلحمة النسب ثم زعمت ان الاتراك قد شاركوا القوم فى هذا النسب وصاروا من العرب بهذا السبب مع الذى بانوا به من الخلال وحبوا به من شرف الخصال على أن ولاء الاتراك للباب قريش ولمصاص عبد مناف وفى سرهاشم وهاشم موضع العذار من خد الفرس ومحل العقد من لبة الكعاب وهو الجوهر المكنون والذهب المصفى وموضع المحة من البيضة والعين فى الرأس والروح

آت فقال هذا الحجاج قد قدم أميرا على العراق فاذا به قد دخل المسجد معمما بعمامة قد غطى بها أكثر وجهه متقلدا سيفا متنكبا قوسا يؤم المنبر فقام الناس نحوه حتى صعد المنبر فمكث ساعة لا يتكلم فقال الناس بعضهم لبعض قبح الله بني أمية حيث تستعمل مثل هذا على العراق حتى قال عمير بن ضابئ البرجمي ألا أحصبه لكم فقالوا أمهل حتى ننظر فلما رأى عيون الناس اليه حسر اللثام عن فيه ونهض فقال (هو لصعصعة بن وثيل الرياحي)

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفوني

ثم قال يا أهل الكوفة اني لأرى رؤسا قد أينعت وحان قطافها واني لصاحبها وكأني أنظر الى الدماء بين العمائم واللحى ثم قال (الشعر لرويشد بن رميض العنبري)

هذا أوان الشد فاشتدي زيم * قد لفها الليل بسواق حطم

ليس براعي ابل ولا غنم * ولا بجزار على ظهر وضم

ثم قال قد لفها الليل بعصلبي * أروع خراج من الدوي * مهاجر ليس باعرابي

وقال قد شمرت عن ساقها فشدوا * وجدت الحرب بكم فجدوا

والقوس فيها وتر عرد * مثل ذراع البكر أو أشد

(لا بد مما ليس منه بد)

اني والله يا أهل العراق ما يقعقع لي بالشنان ولا يغمز جانبي كتغماز التين ولقد فررت عن ذكاء وفتشت عن تجربة وان أمير المؤمنين أطال الله بقاءه نثر كنانته بين يديه فعجم عيدانها فوجدني أمرها عودا وأصلبها مكسرا فرماكم بي لانكم طال ما أوضعتم في الفتنة واضطجعتم في مراقد الضلال والله لاخزمنكم خزم السلمة ولاضربنكم ضرب غرائب الابل فانكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون واني والله ما أقول الا وفيت ولا هممت الا مضيت ولا أخلق الا فريت وان أمير المؤمنين أمرني باعطائكم أعطياتكم وان أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة واني أقسم بالله لا أجد رجلا تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام الا ضربت عنقه يا غلام اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين الى من

بالكوفة

من البدن وهم الأنف المقدم والسنام الاكوم والطينة البيضاء والدرة الزهراء والروضة الخضراء والذهب الأحمر فقد شاركوا العرب في أنسابهم وفضلوهم بهذا الفضل الخاص الذي لا يبلغه فضل وان برع بل لا يشرفه شرف وان عظم ولا مجد وان قدم فزعمت ان انساب الجميع متقاربة غير متباعدة وعلى حسب ذلك التقارب تكون الموازرة والمكافئة والطاعة والمناصحة والمحبة للخلفاء والأئمة يذكرت انه ذكر جملا من

بالكوفة من المسلمين سلام عليكم فلم يقل أحد منهم شيأ فقال الحجاج اكفف يا غلام ثم أقبل على الناس فقال اسلم عليكم أمير المؤمنين فلم تردوا عليه شيأ هذا أدب ابن نهية أما والله لأؤدبنكم غير هذا الادب أو لتستقيمن اقرأ يا غلام كتاب أمير المؤمنين فلما بلغ الى قوله سلام عليكم لم يبق فى المسجد أحد الا قال وعلى أمير المؤمنين السلام (زعم أبو العباس ان ابن نهية رجل كان على الشرطة بالبصرة قبل الحجاج). ثم نزل فوضع للناس أعطياتهم فجعلوا يأخذون حتى أتاه شيخ يرعش كبرا فقال أيها الأمير انى من الضعف على ما ترى ولى ابن هو أقوى على الأسفار منى فتقبله بدلا منى فقال له الحجاج نفعل أيها الشيخ فلما ولى قال له قائل أتدرى من هذا أيها الامير قال لا قال هذا عمير بن ضابئ البرجمى الذى يقول أبوه

هممت ولم أفعل وكدت وليتنى ٭ تركت على عثمان تبكى حلائله

ودخل هذا الشيخ على عثمان مقتولا فوطئ بطنه فكسر ضلعين من أضلاعه فقال ردوه فلما ردّ قال له الحجاج أيها الشيخ هلا بعثت الى أمير المؤمنين عثمان بدلا يوم الدار ان فى قتالك أيها الشيخ اصلاحا للمسلمين يا حرسى اضرب عنقه فجعل الرجل يضيق عليه أمره فيرتحل ويأمر وليه أن يلحقه بزاده فى ذلك يقول عبد الله بن الزبير الاسدى (الاسدى اسد خزيمة وليس من اسد قريش)

تجهز فاما ان تزور ابن ضابئ ٭ عميرا واما ان تزور المهلبا

هما خطتا خسف نجاؤك منهما ٭ ركوبك حوليا من الثلج أشهبا

فأضحى ولو كانت خراسان دونه ٭ رآها مكان السوق أو هى أقربا

(دونه الهاء عائدة على المهلب وأقربا ظرف وقيل مفعول ثان) قوله انا ابن جلا انما يريد المنكشف الامر ولم يصرف جلا لانه أراد الفعل فحكى والفعل اذا كان فاعله مضمرا أو مظهرا لم يكن الا حكاية كقولك تأبط شرا وكما قال الشاعر

كذبتم وبيت الله لا تأخذونها ٭ بنى شاب قرناها تصر وتحلب

وتقول قرأت اقتربت الساعة وانشق القمر لانك حكيت وكذلك الابتداء والخبر تقول قرأت الحمد لله رب العالمين وقال الشاعر ٭ والله ما زيد بنام صاحبه ٭ (ولا مخالط الليان جانبه) وقوله ٭ أنا ابن جلا وطلاع الثنايا ٭ لسهيم بن وثيل الرياحى وانما قاله الحجاج متمثلا وقوله

مفاخر هذه الأجناس وجهرة من مناقب هذه الأصناف وانه جمع ذلك وفصله وأجله وفسره وانه ألغى ذكر الاتراك فلم يعرض بهم وأضرب عنهم صفحا فلم يخبر عنهم كما أخبر عن جهة كل جيل وعن برهان كل صنف فذكر أن الخراسانى يقول نحن النقباء وأبناء النقباء ونحن النجباء وأبناء النجباء ومنا الدعاة قبل ان تظهر نقابة أو تعرف نجابة وقبل المغالبة والمباداة وقبل كشف القناع وزوال النقبة وبنازال ملك أعدائنا

وطلاعُ الثنايا الثنايا جمع ثنيةٍ والثنيةُ الطريق فى الجبل والطريق فى الرمل يقال له الحَلُّ وانما أراد به انه جلدٌ يطلعُ الثنايا فى ارتفاعها وصعوبتها كما قال دُريدُ بن الصمّة يعنى أخاه عبدالله

كميشُ الازار خارجٌ نصفُ ساقه ● بعيدٌ من السوآت طلّاعُ انجُد

والنجدُ ما ارتفع من الارض وقد مضى تفسيرهذا وقوله انى لأرى رؤساً قد أينعت يريد أدركت يقال أينعت الثمرةُ ايناعاً وينَعت ينَعاً وينَعاً ويقرأ انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه وينعه كلاهما جائز قال أبو عبيدة هذا الشعر يُختلفُ فيه فبعضهم ينسبه الى الاحوص وبعضهم ينسبه الى يزيد بن معاوية (قال أبو الحسن الصحيح انه ليزيد يصف جارية) وهو

ولها بالماطرين اذا ● أكل النملُ الذى جمعا خُرفةٌ حتى اذا ارتبعت ● سكنت من جاسقٍ بيعا

فى قباب حولَ دسكرةٍ ● حولها الزيتونُ قد ينعا

(قال أبو الحسن أول هذه الابيات طال هذا الهمُّ فاكتنعا ● وأمرَّ النومُ فامتنعا

وبعد هذا ما أنشده أبو العباس ويروى بالماطرون الرواية المشهورة بفتح النون ويروى بكسرها) قال أبو العباس وقوله هذا أوانُ الشدّ فاشتدى زيمُ يعنى فرساً وناقة والشعر للحُطَيم القيسى وقوله قد لفّها الليلُ بسواق حُطَم فهو الذى لا يُبقى من السير شيأ ويقال رجل حُطَمٌ للذى يأتى على الزاد لشدة أكله ويقال للنار التى لا تُبقى حُطَمةٌ وقوله على ظهر وضم فالوضمُ كل ما قُطع عليه اللحم قال الشاعر (هو عمرُ بن أبى ربيعة)

رفتيان صدق حسان الوجو ● ه لا يجدون لشئ ألم

من ال المغيرة لا يشهدو ● ن عند الجزار لحم الوضم

وقوله قد لفّها الليلُ بعصلبىٍ أى شديد وأروع أى ذكىّ وقوله خرّاج من الدوىّ يقول خرّاج من كل غمّاء شديدة (غمّاء مقصورٌ رواية عاصم) ويقال للصحراء دَوِيّةٌ وهى التى تكاد تنقضى وهى منسوبة الى الدوِ والدوّ صحراء مُلسٌ لا علم بها ولا امارة قال الحُطَيئةُ (يصف خيلها وأثنّ على معنى المرأة) وانّى اهتديتُ والدوُّ بينى وبينها ● وما خلتُ سارى الليل بالدوّ يهتدى

والداويّةُ المقفعة التى تسمع لها دويّاً بالليل وانما ذلك الدوىُّ من أخفاف الابل تنفسخ أسواتها فيها وتقول جهلةُ الاعراب ان ذلك عزيفُ الجنّ وقوله والقوسُ فيها وترٌ عُرُدُّفهو الشديد ويقال

عن مستقره وثبت ملك أوليائنا فى نصابه وبين ذلك ما قتلنا وشردنا ونهكنا ضربا وطلبا وبضعنا بالسيوف الحداد وعذبنا بألوان العذاب وبنا شفى الله تعالى الصدور وأدرك الثار ومنا الاثنا عشر النقباء والسبعون النجباء ونحن الحندقية وأبناء الحندقية ونحن الكتفية وأبناء الكتفية ومنا المسنجية ومنا برج التيهية ومناتيم خزان وأصحاب الحوزتين ومنا الزغندية والامرامردية ونحن فتحنا البلاد وقتلنا

عُرنداً فى هذا المعنى وقوله انى والله ما يُقعقَعُ لى بالشنان واحدها شَنٌّ وهو الجلد اليابس فاذا قُعقِعَ به نفرت الابل منه فضرب ذلك مثلا لنفسه وقال النابغة الذبيانى

كأنك من جمال بنى أُقَيْشٍ • يُقَعْقَعُ بين رجليه بشَنِّ

(أُقَيْشٌ حىٌّ من عُكْل) وقوله ولقد فُرِرْتُ عن ذَكاء يعنى تمام السن والذكاء على ضربين أحدهما تمام السن والآخر الحِدَّة فأُقلب فجاء فى تمام السن قول قيس بن زُهَيْر جرى المُذكيات غلابٌ (ويروى غلاء) وقال زُهَيْر يُفضِّلُها اذا اجتهدا عليه • تمامُ السنِّ منه والذكاءُ وقوله فجَمَ عيدانها يقول مَضَغها لينظر أيُّها أصلبُ يقال عَجَمْتُ العودَ اذا مضغته وكذلك فى كل شئ قال النابغة فظلَّ يَجْمُ أعلى الرَّوْقِ منقبضاً • فى حالك اللون صدقٍ غير ذى أَوَدِ والمصدر الجَمْ يقال عَجَمْتُه عَجْماً ويقال لنَوَى كل شئ عَجَمٌ مفتوح ومن أسكن فقد أخطأ كما قال الأعشى . (غزالٌ بالخيل أبرَضُ العَدُوِّ) • وجُذعانُها كالقَطِيع العَجَمْ وقوله طال ما أوضعتم فى الفتنة الايضاع ضَرْبٌ من السير وقوله فأضحى ولو كانت خراسانُ دونه يعنى دون السفر رآها مكان السَّوْق للخوف والطاعة وكان من قصة عمير بن ضابئ أن أباه ضابئ بن الحارث البُرْجُمِىّ وَجَبَ عليه حبس عند عثمان رحمه الله وأدَّبَ وذلك أنه كان استعار من قوم كلبا فأعاروه أياه ثم طلبوه منه وكان فحَّاشاً فرمى أمَّهم به فقال فى بعض كلامه

وأمُّكُمُ لا تتركوها وكلبَكم • فانَّ عُقوقَ الوالدات كبيرُ

فاضطغن على عثمان ما فعل به فلما دُعِىَ به ليُؤدَّبَ شدَّ سكِّينا فى ساقه ليقتل به عثمان فعُثِرَ عليه فأحسن أدبه فى ذلك يقول

وقائلة ان مات فى السجن ضابئٌ • لَنِعْمَ الفتى تخلو به وتواصله

وقائلة لا يبعدَنْ ذلك الفتى • ولا تبعدَنْ أخلاقه وشمائله

وقائلة لا يُبعِدِ اللهُ ضابئا • اذا الكلبُ لم يوجد له مَنْ يُنازِلُه

وقائلة لا يُبعِدِ اللهُ ضابئا • اذا الخصمُ لم يوجد له مَنْ يُقاوِلُه

فلا تُتبعينى ان هلكتُ مَلامةً • فليس بعارٍ قتلُ مَنْ لا أقاتله

هَمَمْتُ ولم أفعل وكدتُ وليتنى • تركتُ على عثمانَ تبكى حلائله

العدو بكل واد ونحن أصل هذه الدولة ومنبت هذه الشجرة وأصحاب الدعوة ومن عندنا هبت هذه الريح والانصار أنصاران الأوس والخزرج نصروا النبى صلى الله عليه وسلم فى أول الزمان وأهل خراسان نصروا ورثته فى آخر الزمان عذانا بذلك آباؤنا وغذونا به أبناءنا وصار لنا نسبا لا نعرف الا به ودينا لا نوالى الا عليه ثم نحن على وتيرة واحدة ومنهاج غير مشترك نعرف بالشيعة وندين بالطاعة ونقتل فيها

وما الفتك ما آمرت فيه ولا الذى ... تخبر من لاقيت أنك فاعله

قال أبو العباس وشبيه بقوله ما حدثنا به عن أبى شجرة السلمى وكان من فتاك العرب (أبو شجرة هو عمرو بن عبد العزى وأمه الخنساء وقال الطبرى اسمه سليم بن عبد العزى) فأتى عمر بن الخطاب رحمه الله يستحمله فقال له عمرو من أنت فقال أنا أبو شجرة السلمى فقال له عمر أعلى نفسه ألست القائل حيث اقتدت

ورويت رمحى من كتيبة خالد ... وانى لأرجو بعدها أن أعمرا

(ويروى أن أعمرا بكسر الميم ومعناه أن أفعل ذلك بكتيبة عمر)

وعارضتها شهباء تخطر بالقنا ... ترى البيض فى حافاتها والسنورا

ثم انحنى عليه عمر بالدرة فسعى الى ناقته فحل عقالها وأقبلها حزة بنى سليم باحت السير هربا من الدرة وهو يقول قد ضن عنها أبو حفص بنائله ... وكل مختبط يوما له ورق

ما زال يضربنى حتى خذيت له ... وحال من دون بعض الرغبة الشفق

ثم التفت اليها وهى حانية ... مثل الرتاج اذا مالزه الغلق

أقبلتها الحل من شوران مجتهدا ... انى لأزرى عليها وهى تنطلق

ويروى أنه كان يرمى المسلمين يوم الردة فلا يغنى شيأ فجعل يقول

ها ان رمى عنهم لمعبول ... فلا صريخ اليوم الا المصقول

قوله وكل مختبط يوما له ورق أصل هذا فى الشجرة أن يختبطها الراعى وهو أن يضربها حتى يسقط ورقها فضرب ذلك مثلا لمن يطلب فضله وقال زهير

وأيس مانع ذى قربى وذى نسب ... يوما ولا معدم من خابط ورقا

(قوله ولا معدم بالخفض عطفه على توهم الباء فى مانع ومثله ما أنشده

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ... ولا ناعب الا ببين غرابها

على توهم الباء فى مصلحين ومن فى خابط زائدة) وقوله حتى خذيت له يقول خضعت له وأكثر ما تستعمل العامة هذه اللفظة بالزيادة تقول استخذيت له وزعم الأصمعى أنه شذ فيها وأنه أحب أن يستثبت أهى مهموزة أم غير مهموزة قال فقلت لاعرابى أتقول استخذيت أم استخذأت قال

وغوت عليها سمانا موصوف ولباسنا معروف ونحن أصحاب الرايات السود فى الروايات الصحيحة والأحاديث المأثورة والذين يهدمون مدن الجبابرة وينتزعون الملك من أيدى الظلمة وفينا تقدم الخبر وصح الأثر جاء فى الحديث صفة الذين يفتحون عموريه ويظهرون عليها ويقتلون مقاتلتها ويسبون ذراريها حيث قالوا فى نعتهم شعورهم شعور النساء وثيابهم ثياب الرهبان فصدق الفعل القول وحقق الخبر

لا أقولهما قلت ولم فقال لان العرب لا تستخذى وهذا غير مهموز واشتقاقه من قولهم أذن خذواء وينمة خذواء أى مسترخية (قال أبو الحسن اليمنة ثبت مسترخ على وجه الارض تأكله الابل فتكثر عنه ألبانها) قال الاصمعى وقلت لاعرابى اتهمز الفارة قال ثم مزها الهرة وقوله انى لا زرى عليها يقول استحثها يقال زرى عليه أى عاب عليه وازرى به أى قصر به فيقول انها المجتهدة وانى لا زرى عليها أى أعيب عليها لطلبى النجاء والسرعة وقال الاخطل

فظل يقدها وظلت كأنها ٭ عقاب دعاها جنح ليل الى وكر

وقوله ها ان رمى عنهم لمعبول يقول مخبول مردود والصريح المحض الخالص يقال ذلك للبن اذا لم يشبه ماء ويقال عربى صريح ومولى صريح أى خالص قال وحدثنى محمد بن ابراهيم الهاشمى فى اسناد ذكره قال بلغ عمر بن الخطاب رحمه الله أن قوما يفضلونه على أبى بكر الصديق رحمه الله فوثب مغضبا حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال أيها الناس انى ساخبركم عنى وعن أبى بكر انه لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب ومنعت شاتها وبعيرها فأجمع رأينا كلنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن قلنا له يا خليفة رسول الله ان رسول صلى الله عليه وسلم كان يقاتل العرب بالوحى والملائكة يمده الله بهم وقد انقطع ذلك اليوم فالزم بيتك ومسجدك فانه لا طاقة لك بقتال العرب فقال أبو بكر الصديق أوكلكم رآه على هذا فقلنا نعم فقال والله لان اخر من السماء فتخطفنى الطير أحب الى من أن يكون هذا رأيى ثم صعد المنبر فحمد الله وكبره وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت أيها الناس ألا ان كثر أعداؤكم وقل عددكم ركب الشيطان منكم هذا المركب والله ليظهرن الله هذا الدين على الاديان كلها ولو كره المشركون قوله الحق ووعده الصدق بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين والله أيها الناس لو أفردت من جميعكم لجاهدتهم فى الله حق جهاده حتى أبلى بنفسى عذرا أو أقتل قتلا والله أيها الناس لو منعونى عقالا لجاهدتهم عليه واستعنت عليهم الله وهو خير معين ثم نزل فجاهد فى الله حق جهاده حتى اذعنت العرب بالحق قوله كم من فئة فهى الجماعة وهى مهموزة وتخفيف الهمز فى هذا

العيان ونحن الذين ذكرنا وذكر بلادنا امام الائمة وأبو الخلائف العشرة محمد بن على حين أراد توجيه الدعاة الى الآفاق وتفريق شيعته فى البلدان اما البصرة وسوادها فقد غلب عليها عثمان وصنائع عثمان فليس بها من شيعتنا الا القليل وأما الكوفة وسوادها فقد غلب عليها على وشيعة على فليس فيها من شيعتنا الا القليل وأما الشام فشيعة بنى مروان وآل أبى سفيان وأما الجزيرة فخارجية وحرورية ومارقة

الموضع أن تُقلَب الهمزة ياء وان كانت قبلها ضمة وهي مفتوحة قلبتها واوا نحو جُوَن تقول جُونٌ (الجُؤنة الحُقَّة يجعل فيها الحَلْي) وقوله لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه على خلاف ما تتأوله العامة ولقول العامة وجه قد يجوز فأما الصحيح فان المُصَدِّق اذا أخذ من الصدقة ما فيها ولم يأخذ ثمنها قيل أخذ عقالا واذا أخذ الثمن قيل أخذ نقدا قال الشاعر

أتانا أبو الخطّاب يضرب طبلَه ٭ فردّ ولم يأخذ عقالا ولا نقدا

(كانت الامراء اذا خرجت لأخذ الصدقة تضرب الطبول) والذي تقوله العامة تأويله لو منعوني ما يساوي عقالا فضلا عن غيره وهذا وجه والأول هو الصحيح لانه ليس عليهم عقال يُعقَل به البعير فيَطلُبه فيُمنَعه ولكن مجاز في قول العامة ماذكرنا ومن كلام العرب أتانا بجُفنة يقعد عليها ثلاثة أي لو قعد عليها ثلاثة لَصَلح وكان ارتداد من ارتدّ من العرب أن قالوا نقيم الصلاة ولا نؤتي الزكاة فمن ذلك قول الحطيئة

ألا كلُّ أرماحٍ قصارا ذلّةٌ ٭ فداءٌ لأرماحٍ نُصِبْنَ على العمرِ
فباستْ بنو عبسٍ وباستْ طيّئٌ ٭ وباستْ بنو دودانَ حاشا بني نصرِ
أبوا غيرَ ضربٍ يجثمُ الهامَ وقعُه ٭ وطعنٍ كأفواهِ المُزفَّتةِ الحُمرِ

(المزفتة المطليّة بالزفت وهو القطران يعني الابل وهو أشبه بكلام العرب ومعناه وقيل الزقاق)

أطعنا رسولَ اللهِ اذ كان بيننا ٭ فيالهفتا ما بالُ دينِ أبي بكرِ
أيورثُها بكرا اذا مات بعدَه ٭ فتلكَ وبيتِ اللهِ قاصمةُ الظهرِ
فقوموا ولا تُعطوا اللئامَ مقادةً ٭ وقوموا ولو كان القيامُ على الجمرِ
فدًى لبني نصرٍ طريفي وتالدي ٭ عشيّةَ ذادوا بالرماحِ أبا بكرِ

(قوله ذادوا بالرماح أبا بكر كذب انما خرجوا على الابل فقعقعوا لها بالشنان فنفرت وفرّت) قوله يجثم الهام وقعه انما هو مَثَل يقال جثم الطائر كما يقال برك الجمل وربض البعير وكان قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر عاملا على صدقات بني سعد فقسم ما كان في يده من أموال الصدقات على بني منقر وقال

فمن مبلغٌ عني قريشا رسالةً ٭ اذا ما أتتها محكماتُ الودائعِ
حبوتُ بما صدّقتُ في العام منقرا ٭ وأيأستُ منها كلَّ أطلسَ طامعِ

ولكن عليكم بهذا الشرق فان هنالك صدورا سليمة وقلوبا باسلة لم تفسدها الأهواء ولم تخامرها الأدواء ولم تعتقبها البدع وهم مغبطون موتورون وهنالك العدد والعدة والعتاد والنجدة ثم قال وأنا أتغامل الى حيث ما تطلع فكنا خير جند لخير امام وصدقنا ظنه وثبتنا رأيه وصوبنا فراسته وقال مرة أخرى ان أمرنا هذا شرقي لا غربي ومقبل غير مدبر يطلع كطلوع الشمس ويمتد على الآفاق امتداد النهار حتى تبلغ

قوله فاجمع رأينا كلنا أصحاب محمد فانما خفض كلا على انه توكيد لاسمائهم المضمرة والظاهرة لا تكون بدلا من المضمر الذى يعنى به المتكلم نفسه أو يعنى به المخاطب لا يجوز أن تقول مررت بى زيدا لان هذه الباء لا يشركه فيها شريك فتحتاج الى التبيين وكذلك لا يجوز ضربتك زيدا لان المخاطب منفرد بهذه الكاف فأما الهاء نحو مررت به عبد الله فيجوز لانا نحتاج الى أن نعرفنا مبينا من صاحب الهاء لانها البست للذى يخاطبه فلا ينكر نفسه وانما يحدث به عن غائب فيحتاج الى البيان وقوله أصحاب محمد اختصاص وينتصب بفعل مضمر وهو أعنى ليبين من هؤلاء الجماعة كما ينشد ❁ نحن بنى ضبة أصحاب الجمل ❁ أراد نحن أصحاب الجمل ثم بين من هم لان هذا قد كان يقع على من دون بنى ضبة معه وعلى من فوقها الى مضر ونزار ومعد ومن بعدهم وكذلك نحن العرب أقرى الناس للضيف ونحن الصعاليك لاطاقة بنا على المروءة ويختار فى هذا الشعر (هو لعمرو بن الاهتم) انا بنى منقر قوم ذوو حسب ❁ فينا سراة بنى سعد ونادبها

وقليل هذا يدل على جميع هذا الباب فافهم

(باب)

قال أبو العباس هذه أشعار اخترناها من أشعار المولدين حكمة مستحسنة يحتاج اليها للتمثل لانها أشكل بالدهر ويستعار من ألفاظها فى المخاطبات والخطب والكتب قال عبد الصمد بن المعذل

تكلفنى اذلال نفسى لعزها ❁ وهان علىها أن أهان لتكرما

تقول سل المعروف يحيى بن أكثم ❁ فقلت سل به رب يحيى بن أكثما

(بالثاء مثلثة لا غير وكذلك أكثم بن صيفى ويقال ان يحيى بن أكثم من ولد أكثم بن صيفى) وقال بشار بن برد يذكر عبيد الله بن قزعة وهو أبو المغيرة أخو الملوى المتكلم قال وقال المازنى لم أر أعلم من الملوى بالكلام وكان من أصحاب ابراهيم النظام

خليلى من كعب أعينا أخاكما ❁ على دهره ان الكريم معين

ولا تبخلا بخل ابن قزعة انه ❁ مخافة أن يرجى نداه حزين

كأن عبيد الله لم يلق ماجدا ❁ ولم يدر أن المكرمات تكون

فقل لابى يحيى متى تدرك العلى ❁ وفى كل معروف عليك يمين

اذا جئته فى حاجة سد بابه ❁ فلم تلقه الا وأنت كمين

حيثما تبلغه الاخفاف وتناله الحوافر قالوا ونحن قتلنا الصحيحة والداليه والذكوانية والراشدية ونحن أصحاب الخنادق ونباتة بن حنظلة وعامر بن ضبابة وأصحاب ابن هبيرة فلنا قديم هذا الأمر وحديثه وأوله وآخره ومناقاتل مروان ونحن قوم لنا أجسام وأجرام وشعور وهام ومناكب عظام وجباه عراض وقصر غلاظ وسواعد طوال ونحن أولد للذكورة وأنسل بعولة وأقل ضوى وصولة وأقل أنا وأنتق أرحاما

نظيرُ قوله ❁ وفي كلّ معروف عليكَ يمينُ • قولُ جرير

ولا خيرَ في مالٍ عليه أليّةٌ • ولا في يمينٍ عُوفِدَتْ بالمآثمِ

وقال اسمعيل بن القاسم (هو أبو العتاهية)

أطِعِ اللهَ يجهدكْ • عامداً أو دونَ جُهدكْ أعطِ مولاكَ كما تطـ ـلبُ من طاعةِ عبدكْ

وقال محمود تعصي الإلهَ وأنتَ تُظهرُ حبَّهُ • هذا محالٌ في القياسِ بديعُ

لو كان حبُّكَ صادقاً لأطعتَهُ • إنّ المحبَّ لمن يُحبُّ مُطيعُ

وقال أيضا إني شكرتُ لظالمي ظُلمي • وغفرتُ ذاكَ لهُ على علمي

ورأيتُهُ أسدى اليَّ يدا • لمّا أبانَ بجهلهِ حلمي

رجعتْ إساءتُهُ عليهِ وإحـ ـسانِي فعادَ مُضاعفَ الجُرمِ

وغدوتُ ذا أجرٍ ومحمدةٍ • وغدا بكسبِ الظُلمِ والإثمِ

فكأنّما الإحسانُ كانَ لهُ • وأنا المُسيءُ إليهِ في الحُكمِ

ما زالَ يظلمُني وأرحمُهُ • حتى بكيتُ لهُ من الظُلمِ

أخذَ هذا المعنى من قولِ رجلٍ من قُريشٍ لرجلٍ قالَ لهُ إني مررتُ بقومٍ من قريشٍ من آلِ الزُبيرِ أو غيرهم يشتمونكَ شتماً رحمتُكَ منهُ قالَ أفسمعتَني أقولُ الا خيراً قالَ لا قالَ إياهُم فارحَم وقالَ أبو بكرٍ الصدّيقُ رحمهُ اللهُ لرجلٍ قالَ لهُ لأشتمنّكَ شتماً يدخلُ معكَ في قبركَ قالَ معكَ واللهِ يدخلُ لا معي وقالَ ابنُ مسعودٍ إن الرجلَ ليظلمني فأرحمُهُ وقالَ رجلٌ للشعبي كلاماً أقذعَ لهُ فيهِ فقالَ لهُ الشعبي إن كنتَ صادقاً فغفرَ اللهُ لي وإن كنتَ كاذباً فغفرَ اللهُ لكَ ويروى أنهُ أتى مسجداً فصادفَ فيهِ قوماً يعتابونهُ فأخذَ بعضادتَي البابِ ثم قالَ

هَنيئاً مَريئاً غيرَ داءٍ مُخامِرٍ ❁ لِعَزّةَ من أعراضِنا ما اسْتَحَلّتِ

وذكرَ ابنُ عائشةَ أن رجلاً من أهلِ الشامِ قالَ دخلتُ المدينةَ فرأيتُ رجلاً راكباً على بغلةٍ لم أرَ أحسنَ وجهاً ولا سَمْتاً ولا ثوباً ولا دابةً منهُ فمالَ قلبي إليهِ فسألتُ عنهُ فقيلَ لي هذا الحسنُ بنُ عليِّ ابنِ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهما فأقامَ ما أقامَ فقلبي لهُ بُغضاً وحسدتُ عملياً أن يكونَ لهُ ابنٌ مثلهُ فصرتُ إليهِ فقلتُ لهُ أأنتَ ابنُ أبي طالبٍ فقالَ أنا ابنُ ابنهِ فقلتُ فبِذا وبأبيهِ أسُبُّهُما فلما انقضى كلامي

وأشدّ عصبا وأنم عظاما
وأبداننا أحمل للسلاح
وأخفافنا أملأ للعيون
ونحن أكثر مادة وأكثر
عددا وعدة ولو أن
يأجوج ومأجوج كاثرونا
من وراء النهر منا الظهر وا
عليهم بالعدد فأما الأيد
وشدة الأسر فليس لأحد
بعد عاد وثمود والعمالقة
والكنعانيين مثل أيدنا
وأسرنا ولو أن خيول
الآفاق وفرسان جميع
الأطراف جمعوا في حلبة
واحدة لكنا أكثر في العيون
وأهول في الصدور ومتى
رأيت مواكبنا وفرساننا
وبنودنا التي لا يحملها

قال

قال لى أحسبك غريبا قلت أجل قال فلم بنا فان احتجت الى منزل أنزلناك أو الى مال آسيناك أو الى حاجة عاونّاك قال فانصرفت عنه ووالله ما على الارض أحدٌ أحبّ الىّ منه وقال محمود الورّاق

يا ناظرا يرنو بعينى رافد ٭ ومشاهدا للامر غير مشاهد
منّيت نفسك ضلّة وأبحتها ٭ طرق الرجاء وهن غير قواصد
تصل الذنوب الى الذنوب وترتجى ٭ درك الجنان بها وفوز العابد
ونسيت أن الله أخرج آدما ٭ منها الى الدنيا بذنب واحد

وقال الحكمىّ (هو أبو نواس الحسن بن هانئ وهو منسوب الى حكم قبيلة من مذحج) للفضل بن الربيع

ما من يد فى الناس واحدة ٭ كيدٍ أبى العباس مولاها
نام الكرام على مضاجعهم ٭ وسرى الى نفسى فأحياها
قد كنت خفتك ثم أمّنى ٭ من أن أخافك خوف الله
فعفوت عنى عفو مقتدر ٭ جلّت له نقم فألغاها

وقال عبد الله بن محمد بن أبى عيينة لذى اليمينين (سمى ذا اليمينين لانه ضرب انسانا فجعله قسمين)

لمّا رأيتك قاعدا متمهّلا ٭ أيقنت أنك للهموم قرين
فارفض بها وتعزّ من أثوابها ٭ ان كان عندك للقضاء يقين
ما لا يكون فلا يكون بحيلة ٭ أبدا وما هو كائن سيكون
يسعى الذكىّ فلا ينال بسعيه ٭ حظّا ويحظى عاجز ومهين
سيكون ما هو كائن فى وقته ٭ وأخو الجهالة متعب محزون
الله يعلم أن فرقة بيننا ٭ فيما أرى شئ على يهون

وقال صالح بن عبد القدّوس (صلبه عبد الملك بن مروان على الزندقة أعنى صالحا)

ان يكن ما به أصبت جليلا ٭ فذهاب العزاء فيه أجلّ
كلّ آت لاشكّ آت وذو الجهل معنّى والغمّ والحزن فضل

وأنشد منشد من الابيات المنفردة القائمة بأنفسها (لهشام بن عبد الملك)

اذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى ٭ الى بعض ما فيه عليك مقال

ومنها قول ابن أبى وهيب

وانى لأرجو الله حتى كأننى ٭ أرى بجميل الظن ما الله صانع

وقال آخر

ويعرف وجه الحزم حتى كأنما ٭ تخاطبه من كل أمر عواقبه

غيرنا علمت انا لم نخلق الا لقلب الدول وطاعة الخلفاء وتأييد السلطان ولو أن أهل تبت ورجال وفرسان الهند وحلبة الروم هجم علينا هاشم ابن أشتاخ لما امتنعوا من طرح السلاح والهرب فى البلاد ونحن أصحاب اللحى وأرباب النهى وأهل الحلم والحجى وأهل الشجاعة فى الرأى والبعد من الطيش ولسنا كجند الشام المتعرضين للحرم والمنتهكين لكل محرم ونحن ناس لنا أمانة وفينا عفة ونحن نجمع بين النزاهة والقناعة

وقال أشجع السلمي رأى سري وعيون الناس راقدة * ما آخر الحزم رأى قدم الحذرا

وقال آخر فلله مني جانب لا أضيعه * وللهو مني والبطالة جانب

وقال آخر فلو عاب نفسي غير نفسي لسؤته * فكيف ونفسي قد أتت ما يعيبها

وقال آخر يرى فلتات الرأي والرأي مقبل * كان له في اليوم عينا على غد

وقال عبد الصمد بن المعذل

أمن على المجتدي * وما اتبع المن من كان لم يزل ما أتى * وما قد مضى لم يكن

أرى الناس أحدوثة * فكوني حديثا حسن

وقال أيضا زعمت عاذلتي أني لما * حفظ البخل من المال مضيع

كلفتني عذرة الباخل اذ * طرق الطارق والناس هجوع

ليس لي عذر وعندي بلغة * انما العذر لمن لا يستطيع

وقال الحسن بن هانئ الحكمي

ألم تغدت بي حاجة لم أبح بها * أخاف عليها شامتا فأداري

فأرخ عليها ستر معروف الذي * ستر ت به قدما على عواري

وقال أيضا قد قلت للعباس معتذرا * من ضعف شكري به ومعترفا

أنت امرؤ جللتني نعما * أوهت قوى شكري فقد ضعفا

فالين بعد اليوم تقدمة * لا تقتدن بالتصريح منكشفا

لا تحدثن الى عارفة * حسبي أقوم بشكر ما سلفا

وقال دعبل بن علي الخزاعي

أحببت قومي ولم أعدل بحبهم * قالوا تعصبت جهلا قول ذي جهت

دعني أصل رحمي ان كنت قاطعها * لابد للرحم الدنيا من الصلة

فاحفظ عشيرتك الأدنين انهم * حقا يفرق بين الزوج والمرة

قومي بنو مذحج والأزد اخوتهم * وآل كندة والأحياء من عدنت

ثبت الحلوم فان سلت حفائظهم * سلوا السيوف فاردوا كل ذي عنت

والصبر على الخدمة وعلى التحمز وبعد الشقة ولنا الطبول المهولة والبنود العظام ونحن أصحاب التحافيف والأجراس والبازكند والبنود الطوال والأعمدة والحقفة والقلانس الشاشية والخيول الشهرية ولنا الكافركوبات والطبرزيات في الاكف والخناجر في الأوساط ولنا تعليق السيوف وحسن الجلسة على ظهور الخيل ولنا الاصوات التي تسقط الحبالى وليس في الأرض صناعة عراقية ولا

لا تعرضن بمزح لامرئ طبن • ما راضه قلبه أجراه في الشعة

قرب قافية بالمزح جاريها • مشؤمة لم يرد اغماؤها نغمت

اني اذا قلت بيتا مات قائله • ومن يقال له والبيت لم يمت

وقال أيضا نعوني ولبانا ينعى غير شامت • وغير عدو قد أصيبت مقاتله

يقولون ان ذاق الردى مات شعره • وهيهات عمر الشعر طالت طوائله

سأقضي ببيت يحمد الناس أمره • ويكثر من أهل الرواية حامله

يموت ردي الشعر من قبل أهله • وجيده يبقى وان مات قائله

(البيت الاخير ليس لدعبل وانما هو مضمن) وقال اسمعيل بن القاسم

يا من يعيب وعيبه مستعب • كم فيك من عيب وأنت تعيب

لله درك كيف أنت وغاية • يدعوك رب عندها فتجيب

وقال أيضا يا علي بن ثابت بان مني • صاحب جل فقده يوم بنتا

يا علي بن ثابت أين أنتا • أنت بين القبور حيث دفنتا

قد لعمري حكمت لي غصص الموت • وحركتني لها وسكنتا

وقال أيضا صاحب كان لي هلك • والسبيل التي سلك

(والسبيل التي سلك ابتداء وخبر ومن قال غير هذا فقد أخطأ)

يا علي بن ثابت • غفر الله لي ولك كل حي ممالك • سوف يفنى وما ملك

وقال أيضا طوتك خطوب دهرك بعد نشر • كذاك خطوبه نشرا وطيا

فلو نشرت قوالك لي المنايا • شكوت اليك ما صنعت الينا

بكيتك يا أخي بدمع عيني • فلم يغن البكاء عليك شيا

كفى حزنا بدفنك ثم اني • نفضت تراب قبرك عن يديا

وكانت في حياتك لي عظات • وأنت اليوم أوعظ منك حيا

وكان اسمعيل بن القاسم لا يكاد يخلي شعره مما تقدم من الأخبار والآثار فينظم ذلك الكلام المشهور ويتناوله أقرب متناول ويسرقه أخفى سرقة فقوله وأنت اليوم أوعظ منك حيا اغا

جازية من أدب وحكمة وحساب وهندسة وارتفاع بناء وصنعة وفقه ورواية نظرت فيها الخراسانية الا فرغت منها الرؤساء وبدت فيها العلماء ولنا صنعة السلاح عدة للحرب وتثقيفا ودربة للجاولة والمشاولة وللكر بعد الفر مثل الدبوق والنزو على الخيل صغارا ومثل الطبطاب والصوالجة كبارا ثم رمى الجمرة والبرجاسيار والطائر الخاطف فهن أحق بالأثرة وأولى بشرف المنزلة قلت وزعم ان

أخذه من قول المؤيد لقباذ الملك حيث مات فانه قال فى ذلك الوقت كان الملك أمس أنطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس وأخذ قوله

قد لعمرى حكيت لى غصص الموت وحركتنى لها وسكنتا

من قول نادب الاسكندر فانه لما مات بكى من بحضرته فقال نادبه حركتنا بسكونه وقال اسمعيل بن القاسم (وهو أبو العتاهية)

ياعجبا للناس لو فكروا ... وحاسبوا أنفسهم أبصروا
وعبروا الدنيا الى غيرها ... فانما الدنيا لهم معبر

(معبر بفتح الميم وكسرها لابن سراج وبفتح الميم لاغير رواية عاصم)

الخير مما ليس يخفى هو المعروف والشر هو المنكر ... والموعد الموت وما بعده البعث فذاك الموعد الاكبر ... لا فخر الا فخر أهل التقى ... غدا اذا ضمهم المحشر
ليعلمن الناس أن التقى ... والبر كانا خير ما يذخر ... عجبت للانسان فى فخره ... وهو غدا فى قبره يقبر ... ما بال من أوله نطفة ... وجيفة آخره يفخر
أصبح لا يملك تقديم ما ... يرجو ولا تأخير ما يحذر ... وأصبح الامر الى غيره ... فى كل ما يمضى وما يقدر

أما قوله ياعجبا للناس لو فكروا ... وحاسبوا أنفسهم أبصروا فمأخوذ من قولهم الفكرة مرآة تريك حسنك من قبيحك ومن قول لقمان لابنه يابنى لا ينبغى لعاقل أن يخلى نفسه من أربعة أوقات فوقت منها يناجى فيه ربه ووقت يحاسب فيه نفسه ووقت يكسب فيه لمعاشه ووقت يخلى فيه بين نفسه وبين لذتها المستعين بذلك على سائر الاوقات وقوله

وعبروا الدنيا الى غيرها ... فانما الدنيا لهم معبر

مأخوذ من قول الحسن اجعل الدنيا كالقنطرة تجوز عليها ولا تعمرها وقوله

الخير مما ليس يخفى هو المعروف والشر هو المنكر

مأخوذ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاصى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعبد الله كيف بك اذا بقيت فى حثالة من الناس مرجت عهودهم وأماناتهم وصاروا الناس هكذا وشبك بين أصابعه فقلت مرنى يارسول الله فقال خذ ما عرفت ودع ما انكرت وعليك بخويصة نفسك وايالك

العربى يقول ان تكن القربى تستحق بالانساب الثابتة والارحام الشابكة وبالقدمة وبطاعة الآباء والعشيرة وبالشكر النافع والمدح الباقى وبالشعر الموزون الذى يبقى بقاء الدهر ويلوح مالاح نجم وينشد ما أهل بالحج وماهبت الصبا وماكان للزيت عاصر وبالكلام المنثور والقول المأثور وبصفة مخرج الدولة والاحتجاج للدعوة وتقييد المآثر اذ لم يكن ذلك من عادة العجم ولا كان يحفظ ذلك معروفا لسوى العرب

وعوامها قوله صلى الله عليه وسلم فى خثالة من الناس أما الخثالة فهو ما يبقى فى الاناء من ردىء الطعام وضربه مثلا وقوله مرجت عهودهم يقول اختلطت وذهبت بهم كل مذهب يقال مرج الماء اذا سال فلم يكن له مانع قال الله عز وجل مرج البحرين يلتقيان وقوله

ليعلمن الناس أن التقى • والبر كانا خير ما يذخر

مأخوذ من قول أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا حشر الناس فى صعيد واحد نادى منادٍ من قبل العرش ليعلمن أهل الموقف من أهل الكرم اليوم ليقم المتقون ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أكرمكم عند الله أتقاكم وقوله

ما بال من أوله نطفة • وجيفة آخره يفخر

مأخوذ من قول على بن أبى طالب رضى الله عنه وما ابن آدم والفخر وانما أوله نطفة وآخره جيفة لا يرزق نفسه ولا يدفع حتفه وقال ابن أبى عيينة

ما راح يوم على حى ولا ابتكرا • الا رأى عبرة فيه ان اعتبرا

ولا أتت ساعة فى الدهر فانصرمت • حتى تؤثر فى قوم لها أثرا

(فانصرفت أشبه للمطابقة والمشهور انصرمت)

ان الليالى والايام أنفسها • عن غير أنفسهم تكتم الخبرا

فأخذ هذا المعنى حبيب بن أوس الطائى فترجمه فى ألفاظ يسيرة فقال

عمرى لقد نصح الزمان وانه • لمن العجائب ناصح لا يشفق

فزاد بقوله ناصح لا يشفق على قول ابن أبى عيينة شيأ طريفا وهكذا يفعل الحاذق بالكلام ولو قال قائل ان أقرب ما أخذ منه أبو العتاهية

ليعلمن الناس أن التقى • والبر كانا خير ما يذخر

من قول الخليل بن أحمد (قال أبو الحسن زعم النسابون أنهم لا يعرفون منذ وقت النبى صلى الله عليه وسلم الى الوقت الذى ولد فيه أحمد أبو الخليل أحدا سمى باحمد غيره).

واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد • ذخرا يكون كصالح الاعمال

لكان قد قال قولا وقال العباس بن الفرج

أملى من دونه أجلى • فتى أفضى الى أملى

ونحن نرتبطها بالشعر المقفى ونقيدها بحفظ الأمين الذين لا يتكلمون على الكتب المدونة والخطوط المطرسة ونحن أصحاب التفاخر والتنافر والتنازع فى الشرف والتحاكم الى كل حكم مقنع وكاهن شجاع ونحن أصحاب التعاير بالمثالب والتفاخر بالمناقب ونحن أحفظ لانسابنا وأدعى لحقوقنا وتقييدها أيضا بالمنثور المرسل بعد الموزون المعدل بلسان امضى من السنان وارهف من السيف الحسام حتى نذكرهم ما قد درس رسمه

وقال الخليل بن أحمد وكان نظر فى النجوم فأبعد ثم لم يرضها فقال

أبلغا عنى المنجم أنى ... كافر بالذى قضته الكواكب

عالم أن ما يكون وما كا ... ن بحتم من المهيمن واجب

وقال محمد بن يسير يعيب المتكلمين أنشدنيه الرياشى

ياسائلى عن مقالة الشيع ... وعن صنوف الاهوا والبدع

دع من يقود الكلام ناحية ... فما يقود الكلام ذو ورع

كل أناس بدينهم حسن ... ثم يصيرون بعد للشنع

أكثر ما فيه أن يقال له ... لم يدن فى قوله بمنقطع

وأنشدنى الرياشى لغيره

قد نقر الناس حتى أحدثوا بدعا ... فى الدين بالرأى لم تنبعث بها الرسل

حتى استخف بحق الله أكثرهم ... وفى الذى حملوا من حقه شغل

وقال محمد بن يسير ويل لمن لم يرحم الله ... ومن تكون النار مثواه

ياحسرتى فى كل يوم مضى ... يذكرنى الموت وأنساه

من طال فى الدنيا به عمره ... وعاش فالموت قصاراه

كأنه قد قيل فى مجلس ... قد كنت آتيه وأغشاه

صار اليسير الى ربه ... يرحمنا الله وإياه

وقال أيضا أى صفو الا الى تكدير ... ونعيم الا الى تغيير

وسرور ولذة وحبور ... ليس رهنا لنا بيوم عسير

عجبا لى ومن رضاى بدنيا ... أنا فيها على شفا تغرير

عالم لا أشك أنى الى الله اذا متُّ أو عذاب السعير

ثم أهوى ولست أدرى الى أيهما بعده يصير مصيرى

أى يوم على أفظع من يو ... م به تبرز النعاة سريرى

كلما مر بى على أهل ناد ... كنت حينا بهم كثير المرور

وعفا أثره وبين القتال من جهة الرغبة والرهبة فرق وليس المعرق فى الحفاظ كمن هذى فيه حادثا وهذا باب يتقدم التالد القديم الطارف الحديث وطلاب الطوائل رجلان سجستانى واعرابى وهل أكثر النقباء الا من صميم العرب ومن حلية هذا النسب كعبد الحميد بن قحطبة ابن شبيب الطائى وأبى محمد سليمان بن كثير الخزاعى وأبى نصر مالك ابن الهيثم الخزاعى وأبى داود خالد بن ابراهيم الذهلى وكأبى عمرو لاهز بن قريط

قيل من ذا على سرير المنايا • فقيل هذا محمد بن يسير

وقال الحكمي أبو نواس

أخي ما بال قلبك ليس يبقى • كأنك لا تظن الموت حقا
ألا يا ابن الذين فنوا وبادوا • أما والله ما ذهبوا لتبقى
وما أحد بزادك منذ أحظى • وما أحد بزادك منذ أشقى
ولا لك غير تقوى الله زاد • اذا جعلت الى اللهوات ترقى

ومما يستحسن من شعره قوله

لا أذود الطير عن شجر • قد بلوت المر من ثمره

فمثل هذا لو تقدم لكان في صدور الامثال وكذلك قوله أيضا

فامض لا تمنن على يدا • منذ المعروف من كدره

وكان يقول ذكر المعروف من المنعم افساده وكتمانه من المنعم عليه كفره وفي هذا الشعر أبيات مختارة فمنها

واذا حججت القنا علقا • ورأى الموت في صعوده • راح في ثنيي مفاضته
أسد يدمي شباطفره • تتقي الطير غدوته • بقة بالشبع من جزره
فاسأل عن قوة تؤملها • جشم العباس من مطره • لا تغطى عنه مكرمة
بربا وادولا خمره • ذللت تلك الفجاج له • فهو مجتاز على بصره

وقد عابوا عليه قوله

كيف لا يذنيد من أمل • من رسول الله من نفره

وهو لعمري كلام مستهجن موضوع في غير موضعه لان حق رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضاف اليه ولا يضاف الى غيره ولو اتسع متسع فأجراه في باب الحيلة لخرج على الاحتيال ولكنه عسر موضوع في غير موضعه وباب الاحتيال فيه أن تقول قد يقول القائل من بني هاشم لغيره من أفناء قريش منا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق هذا انه من القبيل الذي أنا منه فقد أضافه الى نفسه وكذلك يقول القرشي لسائر العرب كما قال حسان بن ثابت

وما زال في الاسلام من آل هاشم • دعائم عز لا ترام ومفخر
بها ليل منهم جعفر وابن أمه • علي ومنهم أحمد المتخير

فقال منهم كما قال هذا من نفره أراد من النفر الذين العباس هذا الممدوح منهم وأما قول حسان منهم جعفر وابن أمه علي ومنهم أحمد المتخير فان العرب اذا كان العطف بالواو وقدمت وأخرت

المزني ومن كان يجري مجرى النقباء ولم يدخل فيهم مالك بن الطواف المزني وبعد فمن هذا الذي باشر قتل مروان ومن هزم ابن هبيرة ومن قتل ابن ضبارة ومن قتل نباتة بن حنظلة الاعرب الدعوة والصميم من أهل الدولة ومن فتح السند الاموي بن كعب ومن فتح افريقية الا محمد بن الاشعث وقلت وقال ويقول الموالي لنا النصيحة الخالصة والمحبة الراسخة ونحن موضع الثقة عند الشدة وعلى المولى من تحت موجبة لمحبة المولى

قال الله تبارك وتعالى هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقال يا معشر الجن والانس وقال اسجدى واركعى مع الراكعين ولو كان بثم أو بالفاء لم يصلح الا تقديم المقدم ثم الذى يليه واحدا فواحدا وأما قوله فى هذا الشعر

وكريم الحال من يمن ٭ وكريم العم من مضر

فاضاف مضر اليه فهو أجود كلام لا يمتنع منه ممتنع قال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه يوم الجمل للاشتر وهو مالك بن الحرث أحد النخع بن عمرو بن علة بن جلد وكان على الميمنة احمل فحمل فى أصحابه فكشف من بازائه ثم قال لهاشم بن عتبة بن مالك أحد بنى زهرة بن كلاب وكان على الميسرة احمل فحمل فى المضرية فكشف من بازائه فقال على رضى الله عنه لاصحابه كيف رأيتم مضرى ويمنى فاضاف القبيلتين الى نفسه قال جرير

ان الذين ابتنوا امجادا مكرمة ٭ تلكم قريش والانصار أنصارى

ومما يستحسن من أشعار المحدثين قول اسحق بن خلف البهرانى ونسبه فى بنى حنيفة لسباء وقع عليه بقوله لعلى بن عيسى بن موسى بن طلحة الاشعرى المعروف بالقمى (منسوب الى قم وهى بلدة أو قرية من خراسان)

وللكرد منك اذا زرتهم ٭ بكيدك يوم كيوم الجمل
ومازال عيسى بن موسى له ٭ مواهب غير النطاف المكل
تسل السيوف وشق الصفوف ٭ لنقض الترات وضرب القلل
ولبس العجاجة والخافقات ٭ تريك المنابر رس الاسل
وقد كشرت عن شباناتها ٭ عروس المنية بين الشعل
وجاءت تهادى وأبناؤها ٭ كان عليهم شروق الطفل
خروس نطوق اذا استنطقت ٭ جهول تطيش على من جهل
اذا خطبت أخذت مهرها ٭ رؤسا تحادر قبل النفل
ألذ اليه من المسمعات ٭ وحث الكؤس فى يوم طل
وشرب المدام ومن يشتهيه ٭ معاط له بمزاج القبل
بعثنا النواعج تحت الرحال ٭ تساقه أشداقها فى الجدل

من فوق لان شرف مولاه راجع اليه وكرمه زائد فى كرمه وخوله مسقط لقدره وبوده ان خصال الكرم كلها اجتمعت فيه لان ذلك كلما كان مولاه أكبر وأشرف وأظهر كان هو بها أشرف وأنبل ومولاك أسلم لك صدرا وأود ضميرا وأقل حسدا وأبعد قالولا لحمة كلحمة النسب فقد صار لنا النسب الذى تقوى به العربى ولنا الأصل الذى يفتخر به العجمى قال والصبر ضروب فأكرمها كلها الصبر على افشاء السر وللولى فى

اذا ما حُدِينَ بِمَدحِ الامير • سَبَقْنَ لِحاظَ المُحَثِّ العَجِل

(من كسر الميم فهو من حَثَّ ومن ضم الميم جعله من أحَثَّ يقال حث وأحث على فَعَلَ وعلى أفعَلَ لغتان) قوله تريد المَنَايِر يريد المنايا وهذه كلمة تَخِفُّ على ألسنتهم فيحذفونها وزعم الاصمعي انه سمع العرب تقول درَسَ المَنَايِرَ يريدون المنازل وجاء في التخفيف أعجبُ من هذا حدثنا بعض أصحابنا عن الاصمعي وذكر سيبويه في كتابه ولم يذكر قائله ولكن الاصمعي قال كان اخوان متجاورين لا يكلم كل واحد منهما صاحبه سائر سنته حتى يأتي وقت الرعي فيقول أحدهما لصاحبه ألا تا فيقول الآخر بلى فاير يد ألا تنهض فيقول الآخر بلى فانهض وحكى سيبويه في هذا الباب

بالخير خيرات وان شرًّا فا • ولا أُريدُ الشرَّ الا أن تا

يريد وان شرا فشر ولا أريد الشر الا أن تريد (قال ش قول أبي العباس الا أن تريد وهم وانما هو الا أن تشاء ولو كان كما قال أبو العباس كانت التاء مضمومة) وهذا خلاف ما تستعمله الحكماء فانه يقال ان اللسان اذا كثرت حركته رقت عَذَبَتُهُ • وحدثني أبو عثمان الجاحظ قال قال لي محمد بن الجَهم لما كانت أيام الزُّط أدمنتُ الفكرَ وأمسكت عن القول فاصابتني حُبسَةٌ في لساني وقال رجل من الاعراب يذكر آخر منهم

كأنَّ فيه لَفَفًا اذا نطقْ • من طول تخبيس وهمٍ وأرَقْ

وقال رجل لخالد بن صفوان انك لتُكثرُ فقال أكثرُ أضربين أحدهما فيما لا تُغني فيه القلةُ والآخر لتمرين اللسان فان حبسه يورث العُقلةَ وكان خالد يقول لا تكون بليغا حتى تُكلِّمَ امتَك السوداء في الليلة الظلماء في الحاجة المُهمَّة بما تتكلم به في نادي قومك فاغا اللسان عُضوٌ اذا مرَّنتَه مرَنَ واذا أهملته خارَ كاليد التي تُخشِّنها بالممارسة والبدن الذي تُقوِّيه برفع الحجر وما أشبهه والرِّجل اذا عُوِّدتَ المشيَ مشت وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تزالون أصحاءَ ما نزَعتُم ونزَوتُم فنزعتم في القسيِّ ونزوتم على ظهور الخيل وقال بعض الحكماء لا ينبغي للعاقل ان يُخلِّي نفسه من ثلاث في غير افراط الاكلُ والمشيُ والجماعُ فاما الاكل فان الأمعاء تضيق لتركه وكان ابن الزبير رحمه الله يُواصِلُ فيما ذكروا بين خمس عشرة من يوم وليلة ثم يُفطِرُ على سَمنٍ وصَبِر ليَفتُقَ امعاءَه قال أبو العباس قال الاول والمشيُ ان لم تتعهده أوشكت ان تطلبه فلا تجده والجماعُ كالبئر ان نزحت جمَّت وان

هذه المكرمة ما ليس لأحد ونحن أخص مدخلا وألطف في الخدمة مسلكا ولنا مع الطاعة والخدمة والاخلاص وحسن النية خدمة الأبناء للآباء والأجداد للاجداد وهم عمو اليهم آنس وبناحيتهم أوثق وبكفايتهم أسر وقد كان المنصور ومحمد بن علي وعلي بن عبد الله يخصون مواليهم بالمؤاكلة والبسط والايناس لا يبهرجون الاسود لسواده ولا الدميم لدمامته ولا ذا الصناعة الدنيئة لدناءتها ويوصون بحفظهم أكابر أولادهم

تُرِكَتْ تحتَ برمَاوِها وحقُّ هذا كلِّه القصدُ وقوله • كأنَّ عليهم شُروقَ الطفلِ • يريدُ تألُّقَ الحديدِ كأنه شمسٌ طالعةٌ عليهم وان لم تكن شمسٌ وأحسنُ من هذا قولُ سلامةَ بنِ جَنْدَلٍ

كأنَّ النعامَ باضَ فوقَ رؤوسِهم • وأعينُهم تحتَ الحديدِ جواحمُ

(أي مُتَّقِدَةٌ) فهذا التشبيهُ المصيبُ وأما قوله • أحبُّ اليه من المسمعاتِ • فقد قال مثلَه القاسمُ بنُ عيسى بنِ ادريسَ أبو دُلَفٍ العِجْلِيُّ

يومايَ يومٌ في أوانسَ كالدُّمَى • لَهْوِي ويومٌ في قتالِ الديلمِ

هذا حليفُ غلائلٍ مكسُوَّةٍ • مسكًا وصافيةً كنَضْحِ العَنْدَمِ

ولذاكَ خالصةُ الدُّروعِ وضُمَّرٌ • يكسونَ نارَ هَجَ الغُبارِ الأقتمِ

وليومهنَّ الفضلُ لولا لذَّةٌ • سبقتْ بطعنِ الديلميِّ المُعْلَمِ

وأولُ هذه القصيدة طريفٌ مستملحٌ وهو

طواهُ الهوى فطَوَى مَنْ عَدَلْ • وحالفَ ذا الصَّبوةِ المُختبَلْ

وأما قوله • تَسافَهُ أشداقُها في الجُدُلْ • فتسافهه من السفه وانما يسفها بالمَرَحِ وأنها تميلُ كذا مرةً وكذا مرةً كما قال رُؤْبةُ • يَمْشِي العَرَضْنَى في الحديدِ المُتْقَنِ • وكما قال الآخر

اذا رأى السَّوْطَ مَشَى الهَيْدَبى • ويتَّقِي الأرضَ بمُعْجٍ رِقاقِ

(الهيدبى بالدال مهملة ومعجمة وقوله بمعج رقاق يريد فليلة اللحم) وكما قال الحُطَيْئةُ

وان آنَسَتْ حِسًّا من السوطِ عارَضَتْ • بيَ الجَوْرَ حتى تَستقيمَ ضُحَى الغَدِ

والجُدُلُ جمعُ جَدِيلٍ وهو الزمامُ المجدولُ كما تقول قتيلٌ ومقتولٌ وأدنى العددِ أجْدِلَةٌ كقولك قضيبٌ وقُضُبٌ وأقضبةٌ وكذلك كثيبٌ ورَغيفٌ وجريبٌ وفُعْلانٌ كفُعُلٍ في الكثير يقال قُضْبانٌ ورُغْفانٌ وجُرْبانٌ ومثل قوله • تسافه أشداقها في الجدل • قولُ حبيبِ بنِ أوسٍ الطائي

سفيهُ الرُّمحِ جاهلُه اذا ما • بَدا فَضْلُ السفيهِ على الحليمِ

ومما يُستحسَنُ من شعرِ اسحق هذا قوله في الحسنِ بنِ سَهْلٍ

بابُ الأميرِ عَراءٌ ما به أحَدٌ • الا المُرَوِّعُ واضعٌ كفًّا على ذَقَنِ

قالتْ وقد أمَّلْتُ ما كنتُ آمُلُهُ • هذا الأميرُ ابنُ سَهْلٍ حاتمُ اليمنِ

ويجلون الكثير من موتاهم في الصلاة على جنائزهم وذلك بحضرة من العمومة وبني الأعمام والاخوة ويتذاكرون اكرام رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة مولاه حين عقد له يوم مؤته على جلة بني هاشم وجعله أميرَ كل بلدة يطؤها ويتذاكرون حبه لأسامة بن زيد وهو الحب ابن الحب وعقده له على عظماء المهاجرين وأكابر الانصار ويتذاكرون صنيعه بسائر مواليه كابي أنسة وشقران وفلان وفلان

كَفَيْتُكَ النَّاسَ لا تَلْقَى أَخَا طَلَبٍ • بَنِي دَارِكَ يَسْتَعْدِي عَلَى الزَّمَنِ

ان الرجاء الذي قد كنت آمله • وضعتُه ورجاءُ الناس في كَفَنِ

في الله منه وجَدْوَى كَفِّه خَلَفٌ • ليس السَّدَى والنَّدَى في راحة الحَسَنِ

واسحق هذا هو الذي يقول في صفة السيف

أَلْقَى بِجانِبِ خَصْرِهِ • أَمْضَى مِنَ الأَجَلِ المُتَاحْ

وكأنما ذَرَّ الهَبَا • عليه أنفاسُ الرِياحْ

واسحق هذا هو الذي يقول في مدح العربية

النَّحْوُ يَبْسُطُ من لسان الأَلْكَنِ • والمَرْءُ تُكْرِمُهُ اذا لم يَلْحَنِ

واذا طَلَبْتَ من العلوم أَجَلَّها • فأَجَلُّها منها مُقيمُ الأَلْسُنِ

قال أبو العباس وأحسبه أخذ قوله • والمرء تكرمه اذا لم يَلْحَنِ • من حديث حدثناه أبو عثمان الخُزاعيُّ عن الأصمعي قال كان يقال ثلاثة يُحْكَمُ لهم بالنُّبْلِ حتى يُدْرَى مَنْ هم وهم رجل رأيته راكبا أو سمعته يُعْرِبُ أو شَمِمْتَ منه طيبا وثلاثة يحكم عليهم بالاستصغار حتى يدرى مَنْ هُمْ وهم رجل شَمِمْتَ منه رائحة نَبِيذٍ في مَحْفِلٍ أو سمعته في مِصْرٍ عَرَبِيٍّ يتكلم بالفارسية أو رجلٌ رأيته على ظهر طريق ينازع في القَدَرِ قال أبو العباس أنشدني أحد الأمراء لشاعر من أهل الرَّيِّ يُكْنَى أبا يزيد شيأ يقوله لعبد الله بن طاهر أَحْسَنَ فيه وأصاب الفَصْلَ وقَصَدَ بالمدح الى مَعْدِنِهِ واختاره لأهله

اشْرَبْ هَنِيأً عليكَ التاجُ مُرْتَفِقا • في شاذَهْرَ ودَعْ عُمْدانَ لليمنِ

فانتَ أَوْلَى بتاجِ المُلْكِ تَلْبَسُهُ • من هَوْذَةَ بنِ عليٍّ وابنِ ذي يَزَنِ

فأَحْسَنَ الترتيبَ جِدا وان كانت الملوك كلها تلبس التاج في ذلك الدهر وانما ذكر ابنَ ذي يَزَنَ لقول أُمَيَّةَ بن أبي الصَّلْتِ الثَّقَفِيِّ حيث يقول

اشْرَبْ هَنِيأً عليكَ التاجُ مُرْتَفِقا • في رأسِ غُمْدانَ دارا منذُ عَهْدِ عادِ

وقال الأعشى في هَوْذَةَ بن علي وان لم يكن هوذة مَلِكا

مَنْ يَرْهَوْذَةَ يَسْجُدْ غيرَ مُتَثَئِّبٍ • اذا تَعَمَّمَ فوقَ التاجِ أو وَضَعَا

له أكاليلُ بالياقوتِ مُفَصَّلُها • صُوَّاغُها الآرَى عَيْباً ولا طَبَعَا

قالوا ولنا صاحب الدولة أبو مسلم عبد الرحمن بن مسلم وأبو سلمة حفص بن سليمان وأبو مسلم مولى الامام وعليهما دارت رحى الدولة وتم الأمر واتسق نظام الملك قالوا ولنا من رؤساء النقباء أبو منصور مولى خزاعة وأبو الحكم عيسى بن أعين مولى خزاعة وأبو حمزة عمر بن أعين مولى خزاعة وأبو النجم عامر بن اسماعيل مولى أبي معيط فلنا مناقب الخراسانية ولنا مناقب الموالي في هذه الدعوة ونحن منهم واليهم ومن أنفسهم

قال أبو العباس وحدثني التوزي قال سمعت أبا عبيدة يقول عن أبي عمرو قال لم يتزوج معدي قط وانما كانت التيجان لليمن فسألته عن هوذة بن علي الحنفي فقال انما كانت خرزات تنظم له قال أبو العباس وقد كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هوذة بن علي يدعوه كما كتب الى الملوك وكان يجبر لطيمة كسرى في البر بجنبات اليمامة واللطيمة الابل تحمل الطيب والبز ووفد هوذة بن علي على كسرى بهذا السبب فسأله عن بنيه فذكر منهم عددا فقال أيهم أحب اليك فقال الصغير حتى يكبر والغائب حتى يقدم والمريض حتى يصح فقال له كسرى ما غذاؤك في بلدك فقال الخبز فقال كسرى لجلسائه هذا عقل الخبز يفضله على عقول أهل البوادي الذين يتغذون اللبن والتمر وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لقد هممت أن لا أقبل هدية ويروى أن لا أتهب هبة الا من قرشي أو أنصاري أو ثقفي وروى بعضهم أو دوسي وذلك أن أعرابيا أهدى اليه هدية فمن ثم افتخر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الأمصار تفضيلا على أهل البوادي وقال عبد الله بن محمد بن أبي عيينة يعاتب رجلا من الأشراف

أتيتك زائرا لقضاء حق ... فحال الترب دونك والحجاب

وعندك معشر فيهم أخ لي ... كأن أخاه ألآل السراب

ولست بساقط في قدر قوم ... وان كرهوا كما يقع الذباب

ورائي مذهب عن كل ناء ... بجانبه اذا عز الذهاب

وقال أيضا

كنا ملوكا اذ كان أولنا ... الجود والبأس والعلى خلقوا

كانوا جبالا عزا يلاذ بها ... ورائحات بالوبل تنبعق

كانوا جهام ترسل السماء على ... الارض غيثا ويشرق الأفق

لا يرتقي الراقون ان فتقوا ... فتقا ولا يفتقون ما رتقوا

ليسوا كعزى مطيرة بقيت ... فابها من سحابة لثق

(اللثق البلل)

والضعف والجبن عند نائبة ... تنوجهم والحذار والفرق

هذا زمان بالناس منقلب ... ظهر له لبطن جديده خلق

الأسد فيه على برائنها ... مستأخرات تكاد تمزق

لا يدفع ذلك مسلم ولا ينكره مؤمن خدمناهم كبارا وحملناهم على عواتقنا صغارا هذا مع حق الرضاع والخؤولة والنشوء في الكتاب والتقلب في تلك العراص التي لم يبلغها الاكل سعيد الجد وجبه في الملوك فقد شاركنا العربي في فخره والخراساني في مجده والنبوي في فضله ثم تفردنا بعالم يشاركونا فيه ولا سابقونا اليه قالوا ونحن أشكل بالرعية وأقرب الى طباع الدهم وهم بنا آنس والينا أسكن والى لقائنا أحن ونحن بهم أرحم وعليهم

وكان سبب قوله هذا الشعر أن اسمعيل بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس كان له صديقا وكان عبد الله بن محمد بن أبي عُيَيْنَة من رؤساء مَنْ أخذ البصرة للأمون في أيام المخلوع وكان معاضداً الطاهر بن الحسين في حروبه وكان اسمعيل بن جعفر جليل القدر مطاعا في مواليه وأهله وكانت الحال بينهما ألطف حال فوصله ابن أبي عيينة بذي اليمينين فولاّه البصرة وولّى ابن أبي عيينة اليمامة والبحرين وغوص البصرة فلما رجعا الى البصرة تنكّر اسمعيل لابن أبي عيينة فهاج بينهما من التباعد على مثال ما كان بينهما من المقاربة ثم عزل ابن أبي عيينة فلم يزل يهجو اسمعيل وسأل ذا اليمينين عزله فدافعه وضنّ بالرجل فكان يهجو من أهله مَنْ يواصل اسمعيل وكان أكبر أهله قدرا في ذلك الوقت يزيد بن المنجاب وكان أعور قائم العين لم يطّلع على علته الا بشعر ابن أبي عيينة وكان منهم وكان سيد أهل البصرة أجمعين محمد بن عبّاد بن عباد بن حبيب بن المُهَلَّب ومنهم سعيد بن المهلب بن المغيرة بن حرب بن محمد بن المهلب بن أبي صُفرة وكان قصيرا وكان ابن عباد أحوَل فذلك حيث يقول ابن أبي عيينة في هذا الشعر الذي أمليناه

تَسْتَقْدِمُ النَّجْمَتانِ والبَرَقُ ● في زمنٍ سَرُّ أهلِه المَلَقُ

عُورٌ وحُولٌ وثالثٌ لهُمُ ● كأنّه بين أسطُرٍ لَحَقُ

ولهم يقول ولا ثنين ظن أنهما معهم وقد مر وابه ويدون اسمعيل بن جعفر

ألا قُلْ لرَهْطٍ خمسةٍ أو ثلاثةٍ ● يُعَدُّونَ من أبناء آل المُهَلَّبِ

على باب اسمعيل رُوحوا وبكّروا ● دَجاجَ القُرى مبثوثةً حولَ ثَعْلَبِ

وأثنُوا عليه بالجميل فانه ● يُسَرُّ لكم حُبّاً هوالحبُّ واقلبِ

يبينُ لكم عند اللقاء مُوارِباً ● ويخلُفُكم منه بناب ومخلَبِ

ولولا الذي تُولُونَهُ لتكشّفَتْ ● سَريرتُهُ عن بُغضةٍ وتَعَصُّبِ

أبَعْدَ بلائي عنده اذ وجدتُهُ ● طريحاً كنَصْلِ القِدْحِ لما يُرَكَّبِ

به صَدَأٌ قد غابَ فيه فجلوتُهُ ● بكفّي حتى ضوءُهُ ضوءُ كوكبِ

وركّبتُهُ في خُوطِ بَيْعٍ ورِشْتُهُ ● بقادمتَيْ نَسْرٍ ومَتْنِ مُعَقَّبِ

فما انْ أتاني منه الا مُبوّأٌ ● الى بَنْصُلٍ كالحريقِ مُذَرَّبِ

أعطف وجهم أشبه فمن أحق بالأثرة وأولى بحسن المنزلة ممن هذه الخصال له وهذه الخلال فيه وقلت وذكرت ان النبوي قال نحن أصل خراساني وهو مخرج الدولة ومطلع الدعوة ومنها نجم هذا القرن وصباها هذا الناب وتفجرها هذا الينبوع واستفاض هذا البحر حتى ضرب الحق بجرانه وطبق الآفاق بضيائه فابرأ من السقم القديم وشفى من الداء العضال وأغنى من العيلة وبصر من العمى وهذه بغداد وهي مستقر الخلافة

فَفَلَّتْ منه حَدَّهُ وتركتْهُ • كهُدْبة ثوب الخَزِّ لما يُهَدَّبِ

رَضيتم بأخلاق الدَنِيِّ وعِفْتُمُ • خلائقَ ماضيكم من العُمِّ والابِ

وفى هذا يقول لطاهر بن الحسين

مالى رأيتُكَ تُدْنى كلَّ مُمْتَكِثٍ • اذا تَغَيَّبَ مُلْتاثٌ اذا حَضَرا

اذا تَنَسَّمَ ريحَ الغَدْرِ قابلها • حتى اذا نَفَخَتْ فى أنفه غَدَرا

ومَنْ يجىء على التقريب مندلَه • وأنتَ تَعْرِفُ فيه المَيْلَ والصَعَرا

أَحَلَّكَ اللهُ من قَحْطانَ مَنْزِلةً • فى الرأس حيثُ أَحَلَّ السمعَ والبَصَرا

فلا تُضِعْ حَقَّ قَحْطانٍ فَتُغْضِبَها • ولا رَبيعةَ كَلَّا ولا مُضَرا

أَعْطِ الرجالَ على مقدارِ أنفسهم • وأَوْلِ كُلَّ دِعامٍ أَوْلَى وماصَبَرا

ولا تقولَنَّ انى لَسْتُ من أَحَدٍ • لا تَمْحَقِ النيِّرَيْنِ الشمسَ والقمرا

ويقول له فى أخرى

هو الصَبْرُ والتسليمُ لله والرضا • اذا زَلَّتْ بى خُطَّةٌ لا أُشاوِرُها

اذا نحن أُبْنا سالمين بأنفُسٍ • كرامٍ رَجَتْ أمرَ الخَبابِ رجاؤُها

فانفُسُنا خيرُ الغنيمة انها • تَؤوبُ وفيها ماؤُها وحَياؤُها

هى الأنفُسُ الكُبْرَى التى ان تقدمتْ • أواستأخرتْ فالقتلُ بالسيف داؤُها

سيعلم اسمعيلُ أن عَداوتى • له رِيقٌ أفْنَى لا يُصابُ دَواؤُها

ولما حُمِلَ اسمعيلُ مقيدا ومعه ابناه أحدهما فى سلسلة مقرونا معه وكان الذى تولى ذلك أحمد بن أبى خالد فى قصة كانت لاسمعيل أيام الخُضْرة فقال ابن أبى عُيَيْنة فى ذلك

مَرَّ اسمعيلُ وابنا • هُ مَعًا فى الأُسَراءِ جالسا فى مَحْمِلٍ ضَنْـ • ـكٍ على غير وطاءِ

يتغنَّى القيدُ فى رجـ • ـلَيْهِ ألوانَ الغناءِ باكيا لا رَقَأَتْ عَيْـ • ـنُكَ من طول البكاءِ

يا عُقابَ الدَجْنِ فى الأَمْـ • ـنِ وفى الخوفِ ابنَ ماءِ

وقد كان تطير عليه بمثل ما نزل به فمن ذلك قوله

لا تَعْدَمِ الغَزْلَ يا أبا الحَسَنِ • ولا هُزالَ فى دولةِ السمنِ

والقرار بعد الجولة وفيها بقية رجال الدعوة وأبناء أبناء الشيعة وهى خراسان العراق وبيت الخلافة وفيها بقية رجال الدعوة وموضع المادة وأنا أعرف فى هذا الأمر من أبى وأكثر ترداد افيه من جدى وأحق بهذا الفضل من المولى والعربى ولنا بعد فى أنفسنا ما لا ينكر من الصبر تحت ظلال السيوف القصار والرماح الطوال ولنا معانقة الأبطال عند تحطم القنا وانقطاع الصفائح ولنا المواجأة بالسكاكين وتلقى الخناجر بالعيون

ولا انتقالا من دار عافية • الى ديار البلاء والفتن
ولا خروجا الى القفار من الارض وترك الاحباب والوطن
كم روحة فيك لى مهجرة • ودلجة فى بقية الوسن
فى الحر والقر كى تولى على الـ ـبصرة عين الامصار والمدن
انى أحاجيك يا أبا حسن • ما صورة صورت فلم تكن
وما جن فى العين منظره • لو وزنوه بالزق لم يزن
ظاهره رائع وباطنه • ملآن من سوأة ومن درن

وهذا الشعر اعترض له فيه عمرو بن زعبل مولى بنى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم وكان منقطعا الى اسمعيل وولده وكان لا يبلغ ابن أبى عيينة فى الشعر ولا يدانيه ومن أمثل شعره وما اعترض له به قوله

انى أحاجيك ما حنيف على الـ ـفطرة باع الرباح بالغبن
وما شيخ من تحت سدرته • معلق نعله على الغصن
وما سيوف حمر مصقلة • قد عريت من مقابض السفن
وما سهام صفر مجوفة • تحشى خيوط الكتان والقطن
وما ابن ماء ان يخرجوه الى الارض تسل نفسه من الاذن
وما عقاب زوراء تلجم من • خلف فتهوى قصدا على سنن
لها جناحان يخفزان بها • نيطا اليها بجذوتى رسن
ياذا اليمينين اضرب علاوته • يدفع ومانى فى النار فى قرن

(قيل السفينة وقيل الراية وهو أصح لان جده حبس راية طاهر بن الحسين ثلاثة أعوام وقوله ومانى فى النار فى قرن مانى اسم علم وكان رأسا من رؤس الزنادقة) فأجابه ابراهيم السواق مولى آل المهلب وكان مقدما فى الشعر بابيات لا احفظ أكثرها منها

قد قيل ما قيل فى أبى حسن • فانتصروا فى تطاول الزمن

وهذا السواق هو الذى يقول لبشر بن داود بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب

حماك قطر الذهبا • وحربك تلتظى لهبا وأى كتيبة لاقت • لم تحسن الهربا

ونحن حماة المستلئم وأبناء المضائق ونحن أهل الثبات عند الجولة والمعرفة عند الخبرة وأصحاب المشتهرات وزينة العساكر وحلى الجيوش ومن يمشى فى الرمح ويختال بين الصفين ونحن أصحاب الفتك والاقدام ولنا بعد التسلق ونقب المدن والتقحم على ظبات السيوف وأطراف الرماح ورضخ الجندل وهشم العمد والصبر تحت الجراح وعلى حر السلاح اذا طار قلب الاعرابى وساء ظن الخراسانى ثم

ومن شعره السائر

هَبِينِي يا مُعَذِّبَتِي أَسَأْتُ ... وبالهجران قبلكم بدأتُ

فإنَّ الفضلَ منكِ فقد تَنِدْ نفسي ... عليَّ إذا أَسأْتُ كما أَسأْتُ

ولابن أبي عُيَيْنَةَ في هذا المعنى أشعار كثيرة في معاتبات ذي اليمينين وهجاء اسمعيل وغيره سنذكرها بعدُ في هذا الكتاب ان شاء الله تعالى ومن شعره المستحسن قوله في عيسى بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس وكان تزوج امرأة منهم يقال لها فاطمةُ بنت عمر بن حفص هزارمَرْد (وقعت الرواية كما في الاصل وصوابه هزَاذَمَرْد بالزاي والذال معجمة ولا خلاف في الزاي) وهو من ولد قَبيصةَ بن أبي صُفْرةَ ولم يَلِدْهُ المُهَلَّبُ وكان يقال لابي صُفْرةَ ظالم بن سرّاق

أفاطمَ قد زُوِّجْتِ عيسى فأيقني ... بذُلٍّ لديه عاجلٍ غيرِ آجلِ

فانكِ قد زُوِّجْتِ عن غيرِ خِبْرةٍ ... فتًى من بَني العباسِ ليس بعاقلِ

فان قُلْتِ من رَهْطِ النبيِّ فانه ... وان كان حُرَّ الأصلِ عبدُ الشمائلِ

فقد ظَفِرَتْ كَفَّاهُ منكِ بطائلٍ ... وما ظَفِرَتْ كَفَّاكِ منه بطائلِ

وقد قال فيه جعفرٌ ومحمدٌ ... أقاويلَ حتى قالها كلُّ قائلِ

وما قلتُ ما قالا لأنَّكِ أُخْتُنا ... وفي السِّرِّ منا والذُّرا والكواهلِ

لَعَمْري لقد أَنْبَتِّهِ في نصابِهِ ... بأنْ صِرْتِ منه في مَحَلِّ الحلائلِ

اذا ما بَنُو العبّاسِ يوماً تبادَرُوا ... عُرا المجدِ وابتاعوا كِرامَ الفضائلِ

رأيتِ أبا العباسِ يَسْمُو بنفسه ... الى بيعِ بَيّاعاتِهِ والمَباقلِ

يُرَخِّمُ بَيْضَ العامِ تحتَ دَجاجِهِ ... ليُخْرِجَ بَيْضاً من فَراريجَ قابلِ

قال أبو العباس وولدُ عيسى من فاطمة هذه لهم شجاعةٌ ونجدةٌ وشدةُ أبدانٍ وفاطمة التي ذكرها هي التي كان يَنْسُبُ بها أبو عُيَيْنَةَ أخو عبد الله ويَكْنِي عنها بدُنْيا ومن ذلك قوله لها

دَعَوْتُكِ بالقَرابةِ والجوارِ ... دُعاءَ مُصَرِّحٍ بادي السرارِ

لأنِّي عندَ مُشْتَعِلٍ بنفسي ... ومُحْتَرِقٌ عليكِ بغيرِ نارِ

وأنتِ تَوَقَّرِينَ وليس عندي ... على نارِ الصَّبابةِ من وَقارِ

فأنتِ لأنَّ مابيَ دونَ مابي ... تُدارِينَ العيونَ ولا أُدارِي

الصبر تحت العقوبة والاحتجاج عند المسألة واجتماع العقل وصحة الطرف وثبات القدمين وقلة التكفي بحبل العقابين والبعد من الفرار وقلة الخضوع للدهر والخضوع عند جفوة الزوار وجفاء الاقارب والاخوان ولنا القنا عند أبواب الخنادق ورؤوس القناطر ونحن الموت الأحمر عند أبواب النقب ولنا المواجأة في الازقة والصبر على قتال السجون فسل عن ذلك الخلدية والسكتفية والبلالية والحزبية ونحن أصحاب المكابدات

ولو والله تشتاقين شوقى • جمحت الى خالعة العذار

وقال عبد الله يعاتب ذا اليمينين

من مبلغ عنى الامير رسالة • محصورة عندى عن الانشاد
كل المصائب قد تمر على الفتى • فتهون غير شماتة الحساد
وأظن لى منها لديذ خبيئة • ستكون عند الزاد آخر زاد
مالى أرى أمرى لديذ كانه • من ثقله طود من الاطواد
وأراك ترجيه وتقضى غيره • فى ساعة الاصدار والايراد
الله يعلم ما أتيتك زائرا • من ضيق ذات يد وضيق بلاد
لكن أتيتك زائرا لك راجيا • بك رتبة الآباء والاجداد
فقد كان لى بالمصر يوم جامع • لك مصلح فيه لكل فساد
ودعوت منصورا فاعلن بيعة • فى جمع أهل المصر والاجناد
بارت مبشار عنى اليد بطلعتى • كل البوار وآذنت بكساد
فى الارض منفسح ورزق واسع • لى عندك فى غورى وفى انجادى

وقال أيضا يعاتبه

أياذا اليمينين ان العتا • ب يغرى صدورا ويشفى صدورا
وكنت أرى ان ترك العتا • ب خير وأجدر أن لا يضيرا
الى أن ظننت بان قد ظننت • بانى لنفسى أرضى الحقيرا
فاضمرت النفس فى وهمها • من الهم همّا يكد الضميرا
ولا بد للماء فى مرجل • على النار موقدة أن يفورا
ومن أشرب اليأس كان الغنى • ومن أشرب الحرص كان الفقيرا
علام وفيم أرى طاعنى • لديك ونصرى لك الدهر بورا
ألم أك بالمصر أدعو البعيد • اليك وأدعو القريب العشيرا
ألم أك أول من آت أتاك • بطاعة من كان خلفى بشيرا
والزم غرزك فى ما فط الحروب عليها مقيما صبورا

وأرباب البينات وقتل الناس جهارا فى الاسواق والطرقات ونحن نجمع بين السلة والمزاحفة وبين أصحاب القنا الطوال ما كنا رجالة والمطارد القصار ما كنا فرسانا فان صرنا كمينا فالحتف القاضى والسم الذعاف وان كنا طلائع فكلنا يقوم مقام أمير الجيش نقاتل بالليل كما نقاتل بالنهار ونقاتل فى الماء كما نقاتل على الارض ونقاتل فى القرية كما نقاتل فى المحلة ونحن أفتك وأخشب ونحن أقطع الطريق واذكر فى الثغور

مع حسن القد ودوجودة الخرط ومقادير اللحى وحسن العمة والنفس المرة وأصحاب الفتوة ثم الخط والكتابة والفقه والرواية ولنا بغداد بأسرها تسكن ماسكنا وتحرك ماتحركنا والدنيا كلها معلقة بها وصائرة الى مغناها فاذا كان هذا أمرها وقدرها فجميع الدنيا تبع لها وكذلك أهلها لأهلها وفتاكها لفتاكها وخلاعها لخلاعها ورؤساؤها لرؤسائها وصلحاؤها لصلحائها ونحن تربية الخلفاء وجيران

• فقيم تقدم جحفلة • اليد أمامي وأدعى أخيرا
كأنك لم تر أن الفتى الـ ـحمي اذا زار يوما أميرا
• فقدم من دونه قبله • ألست تراه بسخط جديرا
ألست ترى ان سف التراب • به كان أكرم من أن يزورا
وأنت ضعيف الهوى والمدى • أكون الصبا وأكون الدبورا
ولكن شهاب فان ترم بي • مهما تجد كوكبي مستنيرا
فهل لك في الاذن لي راضيا • فاني أرى الاذن غنما كبيرا
وكان لك الله فيما ابتغيت • له من جهاد ونصر نصيرا
• ولا جعل الله في دولة • سبقت اليها وريح فتورا
• فان ورائي لي مذهبا • بعيدا من الارض قاعا وقورا
به الضب تحسبه بالفلاة • اذا خفق الآل فيها بعيرا
ومالا ومصرا على أهله • يد الله من جائر أن يجورا
• واني لمن خير سكانه • وأكثرهم بنفيري نفيرا

وقال عبد الله لعلي بن محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وكان دعاه الى نصرته حين ظهرت المبيضة فلم يجبه وتوعده على فقال عبد الله

أعلي انك جاهل مغرور • لا ظلمة لك لا ولا لك نور
أكتبت توعدني ان استبطأتني • اني بحربك ما حييت جدير
فدع الوعيد فما وعيدك ضائري • أطنين أجنحة البعوض يضير
واذا ارتحلت فان نصري لاحق • أبواهم المهدي والمنصور
نبئت عليه لحومنا ودماؤنا • وعليه قد رسعينا المشكور

وقال عبد الله في قتل داود بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب من قتل بأرض السند بدم أخيه المغيرة بن يزيد

أفني تميما سعدها ورباحها • بالسند قتل مغيرة بن يزيد
صعقت عليهم صعقة عتكية • جعلت لهم يوما كيوم ثمود

ذاقت تميم عركتين عذابنا • بالسند من عمرو ومن داود

فدنا الجياد من العراق اليهم • مثل القطا مستنة لورود

يحملن من ولد المهلب عصبة • خلقت قلوبهم قلوب أسود

وفى المغيرة يقول فى قصيدة مطولة

اذا كرة فيهم كرة أفرجوا له • فرار بغاث الطير صاد فن أجدلا

وما نيل الا من بعيد بحاصب • من النبل والنشاب حتى تجدلا

وانى لمثن بالذى كان أهله • أبو حاتم ان ناب دهر فأعضلا

فتى كان يشفيه من الذم أن يرى • له مخرجا يوما عليه ومدخلا

وكان يظن الموت عارا على الفتى • يد الدهر الا أن يصاب فيقتلا

منية أبناء المهلب انهم • يرون بها حتما كتابا مؤجلا

وقد أطلق الله اللسان بقتل من • قتلنا به منهم ومن وأفضلا

أناخ بهم داود يصرف نابه • ويلقى عليهم كلكلا ثم كلكلا

يقتلهم جوعا اذا ما تحصنوا • وتقريهم هوج المجانيق جندلا

وهذا شعر عجيب من شعره وفى هذه القصة يقول

أبت الابكاء وانتحابا • وذكرا للمغيرة واكتئابا

ألم تعلم بان القتل وردا • لنا كالماء حين صفا وطابا

وقلت لها قرى وثقى بقولى • كأنك قد قرأت به كتابا

فقد جاء الكتاب به فقولى • ألا لا تعدم الرأى الصوابا

جلبنا الخيل من بغداد شعثا • عوابس تحمل الأسد الغضابا

بكل فتى أغر مهلبى • تخال بضوء صورته شهابا

ومن قحطان كل أخى حفاظ • اذا يدعى لنائبة أجابا

فما بلغت قرن كرمان حتى • تخددلحمها عنها فذابا

وكان لهن فى كرمان يوم • أمر على الشراة بها الشرابا

الوزراء ولدنا فى أفنية ملوك كنا ونحن أنجبة خلفائنا فاخذنا بآدابهم واحتذينا على مثالهم فلسنا نعرف سواهم ولا انتهم بغيرهم ولم يطمع فينا أحد قط من خطاب ملكهم وممن يترشح للاعتراض عليهم فمن أحق بالاثرة وأولى بالقرب فى المنزلة ممن هذه الخصال فيه وهذه الخلال له ان ذهبنا حفظ الله بعقب هذه الاحتجاجات وعند منقطع هذه الاستدلالات تستعمل المفاوضة بعناقب الاتراك

وأنّا تاركون غداً حديثاً • بأرض السند سعداً والربابا

تُفاخر بابن أحوزها تميم • لقد حان المفاخر لى وخابا

وفى مثل هذا البيت الاخير يقول أخوه أبو عُيينة

أعاذل صه لست من شيمتى • وان كنت لى ناصحاً مُشفقا

أراك تُفرّقنى دائباً • وما ينبغى لى أن أفرقا

أنا ابن الذى شاد لى منصباً • وكان السماك اذا حلّقا

قريع العراق وبطريقهم • وعزهم المرتجى المتقى

فمن يستطيع اذا ماذهبت أنطق فى المجد أن ينطقا

انا ابن المهلّب ما فوق ذا • لعال الى شرف مرتقى

فدعنى أغلى ثياب الصبا • بجدتها قبل أن تخلقا

(قال أبو الحسن وهذا شعر حسن أوله

ألم تنه نفسك أن تعشقا • وما أنت والعشق لولا الشقا

أمن بعد شرب كأس النهى • وشمك ريحان أهل التقا

عشقت فاصبحت فى العاشقين أشهر من فرس أبلقا

ثم قال • أعاذل صه لست من شيمتى • ثم قال بعد قوله • فدعنى أغلى ثياب الصبا •

أدنياى من غمر بحر الهوى • خذى بيدى قبل أن أغرقا

أنا لك عبد فكونى كمن • اذا سرّه عبده أعتقا

قال أبو الحسن قوله انا لك عبدٌ فوصل بالالف فهذا انما يجوز فى الضرورة والالف تُثبت فى الوقف لبيان الحركة فلم يحتج الى الالف ومن أثبتها فى الوصل قاسه على الوقف للضرورة كقوله

فان يدُ غثّاً أو سميناً فانّنى • سأجعل عينيه لنفسه مقنعا

لانه اذا وقف وقف على الهاء وحدها فاجرى الوصل على الوقف وأنشدوا قول الاعشى

فكيف أنا وانتحال القوا • فى بعد المشيب كفى ذاك عارا

والرواية الجيدة فكيف يكون انتحال القوا • فى بعد المشيب

والمقاربة بين خصالهم وخصال كل صنف من هذه الأصناف سلكناها فى هذا الكتاب سبيل أصحاب الخصومات فى كتبهم وطريق أصحاب الأهواء فى الاختلاف الذى بينهم وكتابنا هذا انما تكلفناه لنؤلف بين قلوبهم ان كانت مختلفة ولنزيد فى الألفة ان كانت مؤتلفة ولنخبر عن اتفاق أسبابهم لتجتمع كلمتهم ولتسلم صدورهم وليعرف من كان لا يعرف منهم موضع التفاوت فى النسب كم مقدار الخلاف فى الحسب

سَقَى اللهُ دُنْيا على نأيها ٭ من القطر منبعقاريقا
ألم أخدع الناس عن حبها ٭ وقد يخدع الكيس الأحمقا
بلى وسبقتهم انني ٭ أحب الى المجد أن أسبقا
ويوم الجنازة اذ أرسلت ٭ على رقبة أن جبي الخندقا
الى السال فاخمر لنا مجلسا ٭ قريبا واياك ان تخرقا

هذا مما يغلط فيه عامة أهل البصرة يقولون السال بالتخفيف وانما هو السأل باهذا وجمعه سُلَّانٌ وهو الغال وجمعه غُلَّانٌ وهو الشق الحفي في الوادي

فكنا كغصنين من بانة ٭ رطيبين حدثان ما أورقا
فقالت اترب لها اشتنشديه ٭ من شعرها الحسن المنتقى
فقلت أمرت بكتمانه ٭ وحذرت ان شاع ان يسرقا
فقالت بعيشك قولي له ٭ تمتع لعلك أن تنفقا

قوله لعلك ان تنفقا اضطرار وحقه لعلك تُنفِقُ لان لعلَّ من اخوات انَّ فاجريت مُجراها ومن أتى بأن فلضارعتها عسى كما قال مُتَمِّم بن نُوَيْرَة

لعلك يوما ان تلم ملمة ٭ عليك من اللاتي يدعنك أجدعا

وهو كثير) قال أبو العباس وزعم أبو مُعاذ النَّحْوِيُّ انه كان يَعْتادُ عبدَ الله بن محمد بن أبي عيينة ويكثر المُقام عنده وكان راوية لشعره وأمُّ ابن أبي عُيَيْنَةَ بن المهلب يقال لها خَيْزُرَةُ وهي من بني سَلَمَة الخَيْزُرِ بن قُشَيْرِ بن كَعْب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعَة فابطأ عليه أياما فكتب اليَّ

تَمادَى في الجفاء أبو مُعاذ ٭ وراوَغَني ولاذ بلا مَلاذ
ولولا حَقُّ اخوالي قُشَيْرٍ ٭ أتَتْهُ قَصائدٌ غيرُ اللذاذ
كما راح الهلالي بن حَرْب ٭ به سِمَةٌ على عُنُقٍ وحاذ

يعني محمد بن حرب بن قَبيصة بن مُخارق الهلالي وكان من أقعد الناس ولقبيصة بن المخارق صحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان سار اليه فاكرمه وبسط له رداءه وقال مرحبا بخالي فقال يارسول الله رقَّ جلدي ودقَّ عظمي وقلَّ مالي وهُنْتُ على أهلي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم

لئلا يغير بعضهم مغير ويفسده عدو باباطيل مموهة وشبهات مزورة فان المنافق العليم والعدو ذا الكيد العظيم قد يصور لمن دونه الباطل في صورة الحق ويلبس الاضاعة ثياب الحزم الا أنا على حال سنذكر جملا من أحاديث رويناها وأمورا رأيناها وشاهدناها وقصصا تلقفناها من أفواه الحكماء وسمعناها وسنذكر ما حفظ لجميع الأصناف من الآلات والأدوات ثم ننظر أيهم لها أشد استعمالا

لقد أبكيت بما ذكرت ملائكة السماء ومحمد بن حرب هذا ولي شرطة البصرة سبع مرات وكان على شرطة جعفر بن سليمان على المدينة وكان كثير الأدب غزيرة فاغضب ابن أبي عيينة في حكم جرى عليه بحضرة اسحق بن عيسى وكان على شرطته اذذاك فني ذلك يقول عبد الله بن أبي عيينة

بأخوالي وأعمامي أقامت ... قريش ملكها وجباتها

متى ما أدع أخوالي لحرب ... وأعمامي لنائبة أجابوا

أنا ابن أبي عيينة فرع قومي ... وكعب والدي وأبي كلاب

خلا ابن عكابة الطربان سهل ... له فسو تصادبه الضباب

وآخر من هلال قد تداعى ... فصار كأنه الشئ الخراب

(باب)

قال أبو العباس كان ابن شبرمة اذا نزلت به نازلة قال شعابة ثم تنقشع وكان يقال أربع من كنوز الجنة كتمان المصيبة وكتمان الصدقة وكتمان الفاقة وكتمان الوجع قال عمر بن الخطاب رحمه الله لو كان الصبر والشكر بعيرين ما باليت أيهما ركبت وقال العتبي محمد بن عبيد الله بذكر ابنا له مات

أضحت بخدي للدموع رسوم ... أسفا عليك وفي الفؤاد كلوم

والصبر يحمد في المصائب كلها ... الا عليك فانه مذموم

قال أبو العباس واحسب ان حبيبا الطائي سمع هذا فاستوفه في بيتين أحدهما قوله في ادريس بن بدر الشامي

دموع أجابت داعي الحزن همع ... توصل منا عن قلوب تقطع

وقد كان يدعى لابس الصبر حازما ... فاصبح يدعى حازما حين يجزع

والآخر قوله

قالوا الرحيل فما شككت بانها ... نفسي عن الدنيا تريد رحيلا

الصبر أجمل غير أن تلددا ... في الحب أخرى أن يكون جميلا

وقال سابق البربري

وان جاء ما لا تستطيعان دفعه ... فلا تجزعا مما قضى الله واصبرا

وقال آخر أيضا

اصبر على القدر المجلوب وارض به ... وان أتاك بما لا تشتهي القدر

(فما صفا لامرئ عيش يسر به ... الا سيتبع يوما صفوه كدر)

وكان خالد بن صفوان يدخل على بلال بن أبي بردة يحدثه فيلحن فلما كثر ذلك على بلال قال له أتحدثني

وبها أشد استقلالا ومن أنقب حسبا وأيقظ عينا وأزكى نفسا وأشد غورا وأهم خواطر وأكثر نفعا في الحروب وضرا وأدرب دربة وأغمض مكيدة وأشد احتراسا وألطف احتيالا حتى يكون الخيار في يد الناظر في هذا الكتاب المتصفح لمعانيه والمقلب لوجوهه والمفكر في أبوابه والمقابل بين أوله وآخره ولا نكون نحن انتحلنا شيأ دون شئ وتقلدنا تفضيل بعض على بعض بل لعلنا ان لا نخبر عن خاصة ما عندنا

أحاديث الخلفاء وتلحن لحن السقاآت قال التوزي فكان خالد بن صفوان بعد ذلك يأتي المسجد ويتعلم الاعراب وكف بصره فكان اذا مر به موكب بلال يقول ما هذا فيقال له الامير فيقول خالد ❁ سحابة صيف عن قليل تقشع ❁ فقيل ذلك لبلال فاجلس معه من يأتيه بخبره ثم مر به بلال فقال خالد كما كان يقول فبعيل ذلك لبلال فاقبل على خالد فقال لا تقشع والله حتى تصيب منها بثوب برد فضربه مائتي سوط وقال بعضهم بل أمر به فدبس بطنه قوله بثوب مهموز وهو الدفعة من المطر بشدة وجمعه شآبيب قال النابغة يخاطب القبيلة

ولا تلاقى كما لاقت بنو أسد ❁ فقد أصابتهم منها بثؤبوب

يريد ما نال بني أسد من غارة النعمان عليهم وضرب الثؤبوب مثلا للغارة والغارة تضرب لذلك مثلا كما يقال شن عليهم الغارة أي صبها عليهم قال ابن همة

كم بازل قد وجأت لبتها ❁ بمنهل الثؤبوب أو جمل

يريد ما وجأها به من حديدة يقول لما وجأتها دفعت بثؤبوب من الدم فكأنه قال بسنان مستهل الثؤبوب أو ما أشبه ذلك وكان خالد بن صفوان أحد من اذا عرض له القول قال فيقال ان سليمان بن علي سأله عن ابنيه جعفر ومحمد فقال كيف احمادك جوارهما يا أبا صفوان فقال

أبو مالك جارلها وابن برثن ❁ فيالك جاري ذلة وصغار

(ش قوله أبو مالك صوابه أبو نافع وهو مولى لعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه) فاعرض عنه سليمان وكان سليمان من أحلم الناس وأكرمهم وهو في الوقت الذي أعرض فيه عنه والي البصرة وعم الخليفة المنصور والشعر الذي تمثل به خالد ليزيد بن مفرغ الحميري قال

سقى الله دارا لي وأرضا تركتها ❁ الى جنب داري معقل بن يسار

أبو مالك جارلها وابن برثن ❁ فيالك جاري ذلة وصغار

وكان الحسن يقول لسان العاقل من وراء قلبه فان عرض له القول نظر فان كان له أن يقول قال وان كان عليه القول أمسك ولسان الأحمق أمام قلبه فاذا عرض له القول قال كان عليه أو له وخالد لم يكن يقول الشعر ويروى انه وعد الفرزدق شيأ فأخره عنه فكان خالد أحد البخلاء فمر به الفرزدق فهدده فأمسك عنه حتى جاز الفرزدق ثم أقبل على أصحابه فقال ان هذا قد جعل احدى يديه

بحرف واحد فاذا دبرنا كتابنا هذا التدبير وكان موضوعا على هذه الصفة كان العدل له من مذاهب الجدال والمراء واستعمال الهواء وقد ظن ناس كثير أن أسماء أصناف الأجناد لما اختلفت في الصورة والخط والهجاء كانت حقائقها ومعانيها على حسب ذلك وليس الأمر على ما يتوهمون ألا ترى ان اسم الشاكرية وان خالف في الصورة والخط والهجاء اسم الجند فان المعنى فيهما ليس ببعيد لانهم يرجعون الى

سطحا وملأ الاخرى سلحا وقال ان عمرتم سطحي والا فتحتكم بسلحي وقال اياس بن معاوية المزني أبو واثلة وكان أحد العقلاء الدهاة الفضلاء لخالد لا ينبغي أن نجتمع في مجلس فقال له خالد وكيف يا أبا واثلة فقال لانك لا تحب ان تسكت وأنا لا أحب ان أسمع وخاصم الى اياس رجل رجلا في دين وهو قاضي البصرة فطلب منه البينة فلم يأته بمقنع فقيل للطالب استحلف وكيع بن أبي سود حتى يشهد لك فان اياسا لا يجترئ على رد شهادته ففعل فقال وكيع والله لاشهدن لك فان رد شهادتي لأعممنه السيف فلما طلع وكيع فهم اياس عنه فاقعده الى جانبه ثم سأله عن حاجته فقال جئت شاهدا فقال له يا أبا المطرف أتشهد كما نفعل الموالي والعجم أنت تجل عن هذا فقال اذن والله لا أشهد فقيل لوكيع بعد انما خدعك فقال أولى لابن اللخناء وشهد رجل من جلساء الحسن بشهادة عند اياس فرده فشكا الرجل ذلك الى الحسن فأتاه الحسن فقال يا أبا واثلة لم رددت شهادة فلان فقال يا أبا سعيد ان الله تعالى يقول ممن ترضون من الشهداء وليس فلان ممن أرضى واختلف نصراني الى أبي دلامة مولى بني أسد يتطبب لابن له فوعده ان برأ على يديه ان يعطيه ألف درهم فبرأ ابنه فقال للمتطبب ان الدراهم ليست عندي ولكن والله لأوصلنها اليك ادع على جاري فلان هذه الدراهم فانه موسر وأنا وابني نشهد لك فليس دون أخذها شيء فصار النصراني الى جار ابن شبرمة فسأله البينة فطلع عليه أبو دلامة وابنه ففهم القاضي فلما جلس بين يديه قال أبو دلامة

ان الناس غطوني تغطيت عنهم ٭ وان بحثوني كان فيهم مباحث

(وان حفروا بئري حفرت بآرهم ٭ ليعلم قوم كيف تلك النبائث)

فقال ابن شبرمة من ذا الذي يبحثك يا أبا دلامة ثم قال للمدعي قد عرفت شاهدين فجل عن خصمك وروح العشية الى فراح اليه فغرمها من ماله وشهد أبو عبيدة عند عبيد الله بن الحسن العنبري على شهادة رجل عدل فقال عبيد الله لمدعي أما أبو عبيدة فقد عرفته فزدني شاهدا وكان عبيد الله أحد الادباء الفقهاء الصلحاء وزعم ابن عائشة قال عتبت عليه مرة في شيء قال فلقيني يدخل من باب المسجد يريد مجلس الحكم وأنا أخرج فقلت معرضا به (للبعيث)

طمعت بليلى أن تريع واغما ٭ تقطع أعناق الرجال المطامع

فأنشدني معرضا تاركا لما قصدت له

معنى واحد وعلم واحد والذي يرجعون اليه طاعة الخلفاء وتأييد السلطان واذا كان المولى منقولا الى العرب في أكثر المعاني ومجعولا منهم في عامة الاسباب لم يكن بأعجب من جعل الخال والدا والحليف من الصميم وابن الاخت من القوم وقد جعل الله ابن الملاعنة المولود على فراش البعل منسوبا الى أمه وقد جعل اسماعيل وهو ابن أعجميين عربيا لان الله تعالى لما فتق لهاته بالعربية المبينة على غير التعسين

وبايعت ليلى في خلاء ولم يكن ٭ شهود على ليلى عدول مقانع

وكان ابن عائشة يتحدث عنه حديثا عجيبا ثم عرف مخرج ذلك الحديث ذكر ابن عائشة وحدثني عنه جماعة لا أحصيهم كثرة ان عبيد الله بن الحسن شهد عنده رجل من بني نهشل على أمر أحببته ديننا فقال له أترى قول الاسود بن يعفر ٭ نام الخلي فما أحس رقادي ٭ فقال له الرجل لا فرد شهادته وقال لو كان في هذا خير لروى شرف أهله فحدثني شيخ من الازد حديثا ظننت ان عبيد الله اياه قصد قال تقدم رجل الى سوار بن عبد الله وسوار ابن عم عبيد الله بن الحسن يدعي دارا وامرأة تدافعه وتقول لسوار انها والله خطة ما وقع فيها كتاب قط فأتى المدعي بشاهدين يعرفهما سوار فشهد له بالدار وجعلت المرأة تنكر انكارا يعضده التصديق ثم قالت سل عن الشهود فان الناس يتغيرون فرد المسئلة فحمد الشاهدان فلم يزل يريث أمورهم ويسأل الجيران فكل يصدق المرأة والشاهدان قد ثبتا فشكا ذلك الى عبيد الله فقال له عبيد الله انا أحضر مجلس الحكم معك فاتئد بالجلية ان شاء الله تعالى فقال للشاهدين ليس للقاضي ان يسألكما كيف شهدتما ولكن انا أسألكما قال فقالا أراد هذا ان يحج فأدارنا على حدود الدار من خارج وقال هذه داري فان حدث بي حادث فليتبع وليقسم على سبيل كذا قال أفعهدكما غير هذه الشهادة قالا لا فقال الله أكبر وكذا لو أدركتكما على دار سوار وقلت لكما مثل هذه المقالة أكنتما تشهدان لي فقهما انهما قد اغترا فكان سوار اذا سأل عن عدالة الشاهد يتبع المسئلة ان يقول أجائز العدالة هو فظنت أن عبيد الله رأى في الشاهد غفلة فاختبره بهذا وما أشبهه وحدثني أحد أصحابنا ان رجلا من الاعراب تقدم الى سوار في أمر فلم يصادف عنده ما يحب فاجتهد فلم يظفر بحاجته قال فقال الاعرابي وكانت في يده عصا

رأيت رؤيا ثم عبرتها ٭ وكنت للاحلام عبارا

بأني أخبط في ليلتي ٭ كلبا فكان الكلب سوارا

ثم انحنى على سوار بالعصا فضربه حتى منع منه قال فما عاقبه سوار بشئ قال وحدثت ان اعرابيا من بني العنبر سار الى سوار فقال ان أبي مات وتركني وأخا لي وخط خطين في الارض ثم قال وهجينا وخط خطا ناحية فكيف نقسم المال فقال أههنا وارث غيركم قال لا قال المال بينكم أثلاثا فقال لا أحسبك فهمت عني انه تركني وأخي وهجينا لنا فقال سوار المال بيننا أثلاثا قال فقال

والترتيب وفطره على الفصاحة العجيبة على غير النشؤ والتمرين وسلخ طباعه من طبائع العجم ونقل الى بدنه تلك الاجزاء وركبه اختراعا على ذلك التركيب وسواه تلك التسوية وصاغه تلك الصيغة ثم حماه من طبائعهم ومنعه من أخلاقهم وشمائلهم وطبعه من كرمهم وأنفتهم وهممهم على أكرمها وأسناها وأشرفها وأعلاها وجعل ذلك برهانا على رسالته ودليلا على نبوته وصار أحق بذلك النسب

الاعرابى أيأخذ الهجين كما آخذ وكما يأخذ أخى قال أجل فغضب الاعرابى قال ثم أقبل على سوار فقال تعلم والله انك قليل الخالات بالدهنا فقال سوار اذا لا يضيرنى ذلك عند الله شيأ (قيل انه ليس بالدهنا أمة وانما كان فيها الحرائر) وكان عقيل بن علفة من الغيرة والانفة على ما ليس عليه أحد علمناه فخطب اليه عبد الملك بن مروان ابنته على أحد بنيه وكانت لعقيل اليه حاجات فقال أما اذ كنت فاعلا فجنبنى هجناءك وخطب اليه ابنته ابراهيم بن هشام بن اسمعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة وهو خال هشام بن عبد الملك ووالى المدينة وكان أبيض شديد البياض فرده عقيل وقال

ردت صحيفة القرشى لما ... أبت اعراقه الا اخورارا

وكانت حفصة بنت عمران بن ابراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله قد مرت عنها فخطبها جماعة من قريش أحدهم عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب وأحدهم ابراهيم بن هشام فكان أخوها محمد بن عمران اذا دخل الى ابراهيم بن هشام أوسع له وأنشده

وقالوا يا جميل أتى أخوها ... فقلت أتى الحبيب أخا الحبيب

أحب ان نزلت جبال حسمى ... وان نابيت بثنة من قريب

وهذا الشعر لجميل بن عبد الله بن معمر العذرى فاما جميل بن معمر الجمحى فلا نسب بينه وبين معمر أى ليس بينه وبينه أب آخر وكانت له صحبة وكان خاصا بعمر بن الخطاب رضى الله عنه ويروى عن عبد الرحمن بن عوف انه قال أتيت باب عمر بن الخطاب رحمه الله فسمعته ينشد بالركبانية ... وكيف ثوائى بالمدينة بعدما ... قضى وطرا منها جميل بن معمر

فلما استأذنت عليه قال لى أسمعت ما قلت فقلت نعم فقال انا اذا خلونا قلنا ما يقول الناس فى بيوتهم (قال ش وهم أبو العباس رحمه الله فى هذا وانما القصة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه هو الذى سمع عبد الرحمن بن عوف ينشد) وكان جميل بن معمر الجمحى قتل أخا لابى خراش الهذلى يوم فتح مكة وأتاه من ورائه وهو موثق فضربه ففى ذلك يقول أبو خراش

فاقسم لو لاقيته غير موثقى ... لآبن بالعرج الضباع النواهل

لكان جميل أسوأ الناس صرعة ... ولكن أقران الظهور مقاتل

فليس كعهد الدار يا أم مالك ... ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل

وأولى بشرف ذلك الحسب وكما جعل ابراهيم أبا لمن لم يلد فالنبوى خراسانى من جهة الولادة والمولى عربى من جهة المدعى والعاقلة ولو أحاط علمنا بان زيدا لم يخلق الا من بجل عمرو لنفيناه عنه وان أيقنا انه لم يخلق الا من ماء صلبه وكما جعل النبى أزواجه أمهات المؤمنين وهن لم يلدنهم ولا أرضعنهم وفى بعض القراآت وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم على قوله ملة أبيكم ابراهيم وجعل المرأة من جهة

وعاد الغنى كالكهل ليس بقائل ٭ سوى الحق شيئا فاستراح العواذل

قوله أسوأ الناس صرعة أى الهيئة التى يصرع عليها كما تقول جلست جلسة وركبت ركبة وهو حسن الجلسة والركبة أى الهيئة التى يجلس عليها ويركب عليها وكذلك القعدة والنيمة وقوله لا بد أى لعادك وأصل هذا من الاياب والرجوع قال الله تبارك وتعالى ان الينا ايابهم وقال عبيد بن الابرص

وكل ذى غيبة يؤوب ٭ (وغائب الموت لا يؤوب)

وقوله بالعرج فهو ناحية من مكة به ولد عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان فسمى العرجى ويقال بل كان له مال بذلك الموضع فكان يقيم فيه (قال ش هذا وهم من أبى العباس رحمه الله وانما صوابه فيعبد الله بن عمر بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله عنه) والنواهل فيه قولان أحدهما العطاش وليس بشئ والآخر الذى قد شرب شربة فلم يروه فاحتاج الى أن يعلل كما قال امرؤ القيس

اذ هن أقساط كرجل الدبى ٭ أو كقطا كاظمة الناهل

وقوله أحاطت بالرقاب السلاسل يقول جاء الاسلام فمنع من الطلب بالاوتار الاعلى وجهها وكان يقال ان أول من أظهر الجور من القضاة فى الحكم بلال بن أبى بردة وكان أميرا البصرة وقاضيها وفى ذلك يقول رزبة

وأنت بابنى القاضيين قاضى ٭ (معتزم على الطريق ماضى)

وكان بلال يقول أن الرجلين ليثقلان على فأجد أحدهما على قلبى أخف فاقضى له ويروى أن بلالا وفد على عمر بن عبد العزيز بخناصرة فسدك (ش معناه لصق) بسارية من المسجد فجعل يصلى اليها ويديم الصلاة فقال عمر بن عبد العزيز للعلاء بن المغيرة بن البندار ان يكن سر هذا كعلانيته فهو رجل أهل العراق غير مدافع فقال العلاء انا آتيك بخبره فأتاه وهو يصلى بين المغرب والعشاء فقال اشفع صلاتك فان لى اليك حاجة ففعل فقال له العلاء قد عرفت حالى من أمير المؤمنين فان أنا أشرت بدك على ولاية العراق فما تجعل لى قال لك عمالتى سنة وكان مبلغها عشرين ألف ألف درهم (العمالة بضم العين أجرة العامل) قال فاكتب لى بذلك قال فارقد (معناه أسرع) بلال الى منزله فأتى بدواة وصحيفة فكتب له بذلك فأتى العلاء عمر بالكتاب فلما رآه كتب الى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وكان والى الكوفة أما بعد فان بلالا غرنا بالله فكدنا نغتر فسبكناه فوجدناه خبثا كله والسلام ويروى أنه كتب الى عبد الحميد اذا ورد

الرضاع أما واجعل امرأة البعل أم ولد البعل من غيرها وجعل الراب والدا وجعل العم فى كتاب الله أباوهم عبيده لا يتقلبون الا فيما قليهم فيه وله ان يجعل من عباده من شاء عربيا ومن شاء أعجميا ومن شاء قرشيا ومن شاء زنجيا كما ان له ان يجعل من شاء ذكرا ومن شاء أنثى ومن شاء خنثى ومن شاء أخرجه من ذلك فجعله لا ذكرا ولا أنثى ولا خنثى وكذلك خلق الملائكة وهم أكرم على الله من جميع الخليقة فلم

عليك كتابي هذا فلا تستعن على عملك بأحد من آل أبي موسى قال أبو العباس وكان بلال داهية لقنا ديباوا يقال أن ذا الرمة لما أنشده

سمعت الناس ينتجعون غيثا * فقلت لصيدح انتجعي بلالا

تناخي عند خير فتى يمان * اذا النكباء ناوحت الشمالا

فلما سمع قوله * فقلت لصيدح انتجعي بلالا * قال يا غلام مر لها بقت ونوى أراد ان ذا الرمة لا يحسن المدح قوله سمعت الناس ينتجعون حكاية والمعنى اذا تحقق انما هو سمعت هذه اللفظة أي قائلا يقول الناس ينتجعون غيثا ومثل هذا قوله

وجدنا في كتاب بني تميم * أحق الخيل بالركض المعار

فمعناه وجدنا هذه اللفظة مكتوبة فقوله أحق الخيل ابتداء والمعار خبره وكذلك الناس ابتداء وينتجعون خبره ومثل هذا في الكلام قرأت الحمد لله رب العالمين انما حكيت ما قرأت وكذلك قرأت على خاتمه الله أكبر يا فتى فهذا لا يجوز سواه وقوله اذا النكباء ناوحت الشمالا ان الرياح أربع ونكباواتها أربع وهي الريح التي تأتي من بين ريحين فتكون بين الشمال والصبا أو الشمال والدبور أو الجنوب والدبور أو الجنوب والصبا اذا كانت النكباء تناوح الشمال فهي آية الشتاء ومعنى تناوح تقابل يقال تناوح الشجر اذا قابل بعضه بعضا وزعم الأصمعي أن النائحة بهذا سميت لانها تقابل صاحبتها وقال يحيى بن نوفل الحميري ويقال أنه لم يمدح أحدا قط

فلو كنت ممتدحا للنوال * فتى لامتدحت عليه بلالا

* ولكنني أست ممن يريد * بمدح الرجال الكرام السؤالا

سيكفي الكريم آخاه الكريم * ويقنع بالود منه نوالا

ومن أحسن ما امتدح به ذو الرمة بلالا قوله

تقول عجوز مذرحي متروحا * على بيتها من عند أهلي وغاديا

أذو زوجة بالمصر أم ذو خصومة * أراك لها بالبصرة العام ثاويا

فقلت لها ان أهلي لجيرة * لآلية اليدهنا جميعا وماليا

(قوله لا لحن وهذا اللحن راجع على المرأة لان لا لا تقع الا في جواب أو واغما سألته بام وهي لم يستقر

يجعل لآدم أبا ولا أما وخلقه من طين ونسبه اليه وخلق حواء من ضلع آدم وجعلها له زوجا وسكنا وخلق عيسى من غير ذكر ونسبه الى أمه التي خلقه منها وخلق الجان من نار السموم وآدم من طين وعيسى من غير نطفة وخلق السماء من دخان والأرض من الماء وخلق اسحاق من عاقر وأنطق عيسى في المهد وأنطق يحيى بالحكمة وهو صبي وعلم سليمان منطق الطير وكلام النمل وعلم الحفظة من الملائكة

عندها علم) وما كنت مذ أبصرتني في خصومة ٭ أراجع فيها يا ابنة الخير قاضيا

ولكنني أقبلت من جانبي قسا ٭ أزور فتى يجدا كريما يمانيا

من آل أبي موسى ترى القوم حوله ٭ كأنهم الكروان أبصرن بازيا

مرتين من ليث عليه مهابة ٭ تفادى اسود الغاب منه تفاديا

وما الخرق منه يرهبون ولا الخنى ٭ عليهم ولكن هيبة هي ماهيا

قوله مذ درجي يقول مرورى فأما قولهم في المثل خير من دب ومن درج فمعناه من حيي ومن مات يريدون من دب على وجه الأرض ومن درج منها فذهب وقوله أوالك لها بالبصرة العالم ثاويا فانه يقال في هذا المعنى ثوى الرجل فهو ثاو ياقتى اذا أقام وهي أكثر ويقال أثوى فهو مثو يا فتى وهي أقل من تلك قال الاعشى

أثوى وقصر ليلة ليزودا ٭ فمضى وأخلف من قتيلة موعدا

وقوله قسا فهو موضع من بلاد بني تميم وقوله لأكثبة الدهنا فاكثبة جمع كثيب وهو أقل العدد والكثير كثب وكثبان والدهنا من بلاد بني تميم ولم أسمع الا القصير من أهل العلم والعرب وسمعت بعد من يروى مدها ولا أعرفه قال ذو الرمة

حننت الى نعم الدهنا فقلت لها ٭ أهي هلالا على التوفيق والرشد

يعني هلال بن أحوز المازني وقال جرير ٭ بازي يصعصع بالدهنا قطاتجونا ٭ وقوله كانهم الكروان أبصرن بازيا فالكروان جماعة كروان وهو طائر معروف وليس هذا الجمع لهذا الاسم بكماله ولكنه على حذف الزيادة فالتقدير كرا وكروان كما تقول أخ واخوان وودل وودلان وبرق وبرقان والبرق أعجمي ولكنه قد أعرب وجمع كما تجمع العربية واستعمل الكروان جمعا على حذف الزيادة واستعمل في الواحد كذلك تقول العرب في مثل من أمثالها

أطرق كرا أطرق كرا ٭ ان النعام في القرى

يريدون الكروان وقوله من آل أبي موسى ترى القوم حوله فقال ترى ولم يقل ترين وكانت المخاطبة أولا لامرأة الا تراه يقول

وما كنت مذ أبصرتني في خصومة ٭ أراجع فيها يا ابنة الخير قاضيا

جميع الألسنة حتى كتبوا بكل خط ونطقوا بكل لسان وأنطق ذئب أهبان بن أوس والمؤمنون من جميع الأمم اذا دخلوا الجنة وكذلك أطفالهم والمجانين منهم يتكلمون ساعة يدخلون الجنة بكلام أهل الجنة على غير الترتيب والتنزيل والتعليم على طول الأيام والتلقين فكيف يتعجب الجاهلون من انطاق اسماعيل بالعربية على غير تعليم الآباء وتأديب الحواضن وهذه المسألة ربما سأل عنها بعض القحطانية

ثم حوّل المخاطبة الى رجل والعرب تفعل ذلك قال الله عز وجل حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة فكأنّ التقدير والله أعلم كان للناس ثم حُوّلت المخاطبة الى النبي صلى الله عليه وسلم قال عَنترة بن شدّاد شطّت مزار العاشقين فأصبحت • عسرا علىّ طلابك ابنة مخرم

وقال جرير ما للمنازل لا تجيب حزينا • أصممن أم قدم المدى فبلينا

وترى العواذل يبتدرن ملامتى • واذا أردن سوى هواك عصينا

قال أولا الرجل ثم قال سوى هواك وقال آخر

ندى لك والدى وسراة قومى • ومالى أنّه منه أتانى

على تحويل المخاطبة وقوله مُرمّسين يريد سكوتا مُطرقين يقال أرمّ اذا أطرق ساكتا وقوله تفادى أسود الغاب معناه تفتدى منه بعضها ببعض وفى الشبهان سليمان بن عبد الملك أمر بدفع عيال الحجّاج وحُمته الى يزيد بن المهلّب فتفادى منهم تأويله فدى نفسه من ذلك المقام بغيره وقوله

وما الخرق منه يرهبون ولا الخنى • عليهم ولكن هيبة هى ساهيا

اذا رفعت هيبة فالمعنى ولكن أمر هيبة كما قال الله عز وجل لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ أى ذلك بلاغ ومثله قوله عز وجل طاعة وقول معروف يكون رفعه على ضربين أحدهما أمرنا طاعة وقول معروف والوجه الآخر طاعة وقول معروف أمثل ومن نصب هيبة أراد المصدر أى ولكن يُهاب هيبة وأحسن ما قيل فى هذا المعنى

يُغضى حياء ويُغضى من مهابته • فما يُكلّم الا حين يبتسم

وقال الفرزدق يعنى يزيد بن المهلب

فاذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم • خُضع الرقاب نواكس الأبصار

وفى هذا البيت شئ يستطرفه النحويون وهو أنهم لا يجمعون ما كان من فاعل نعتا على فواعل لئلا يلتبس بالمؤنث لا يقولون ضارب وضوارب وقاتل وقواتل لانهم يقولون فى جمع ضاربة ضوارب وقاتلة قواتل لم يأت ذلك الا فى حرفين أحدهما فى جمع فارس فوارس لان هذا مما لا يستعمل فى النساء فأمنوا الالتباس ويقولون فى المثل هو هالك فى الهوالك فأجروه على أصله لكثرة الاستعمال لانه مثل فلما احتاج الفرزدق لضرورة الشعر أجراه على أصله فقال نواكس الابصار ولا يكون

ممن لا علم له بعض العدنانية وهى على حال القحطانية أشد فاما جواب العدنانى فسلس النظام سهل المخرج قريب المعنى لان بنى قحطان لا يدعون لقحطان نبوة فيعطيه الله تعالى مثل هذه الاعجوبة وما الذى قسم الله بين الناس من ذلك الا كما صنع فى طينة الأرض فجعل بعضها حجرا وبعض الحجر ياقوتا وبعضه ذهبا وبعضه نحاسا وبعضه رصاصا وبعضه صفرا وبعضه حديدا وبعضه

مثل هذا أبدا الا فى ضرورة

(باب)

قال جرير ونزل بقوم من بنى العنبر بن عمرو بن تميم فلم يقروه حتى اشترى منهم القرى فانصرف وهو يقول

يامالك بن طريف ان بيعكم ... رفد القرى مفسد للدين والحسب

قالوا نبيعكه بيعا فقلت لهم ... بيعوا الموالى واشتجيوا من العرب

لولا كرام طريف ما غفرت لكم ... بيعى قراى ولا انسأت نسكم غضبى

هل أنتم غير أوشاب زعانفة ... ريش الذنابى وليس الرأس كالذنب

قوله يامالك بن طريف فمن نصب فانما هو على انه جعل ابنا تابعا لما قبله كالشئ الواحد وهو أكثر فى الكلام اذا كان اسما علما منسوبا الى ابيهم علم جعل ابن مع ما قبله بمنزلة الشئ الواحد ومثل ذلك ❁ ياحكم بن المنذر بن الجارود ❁ ومن وقف على الاسم الاول ثم جعل الثانى نعتا لم يكن الا الرفع لانه مفرد ثنيت بعضاف فصار كقولك يازيد ذا الجمة وقوله ولا انسأ نسكم غضبى يقول لم أؤخره عنكم يقال نسأ الله فى أجلك وأنسأ الله أجلك وانسى من هذا ومعناه تأخير شهر عن شهر وكانت النسأة من بنى مدلج بن كنانة فأنزل الله عز وجل انما النسى زيادة فى الكفر لانهم كانوا يؤخرون الشهور فيحرمون غير الحرام ويحلون غير الحلال لما يقدرونه من حروبهم وتصرفهم فاستدارت الشهور لما جاء الاسلام وأبان ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض وقوله هل أنتم غير أوشاب زعانفة فالأشابة جماعة تدخل فى قوم وليست منهم وانما هو مأخوذ من الامر الأشب أى المختلط ويزعم بعض الرواة أن أصله فارسى معرب يقال بالفارسية وقع القوم فى آشوب فى اختلاط ثم تصرف فقيل تأشب النبت فصنع منه فعل (هذا وهم من أبى العباس ليس الأشابة ولا الأشب من الأوشاب لان فاء الفعل من الأشابة همزة ومن أوشاب واو ولكنه مثله فى المعنى يحتمل أن يكون أصله وشابة وأبدلت الواو المضمومة همزة) وأما الزعانف فأصلها أجنحة السمك سمى بذلك الأدعياء لانهم التصقوا بالصميم كالتصاق تلك الاجنحة بعظام السمك قال أوس بن حجر

(ومازال يفرى الشد حتى كأنما) ... قوائمه فى جانبيه زعانف

ترابا وبعضه نخارا وكذلك الزاج والمغرة والزرنيخ والمرتك والكبريت والقار والتوتيا والنوشادر والمرقشيشا والمغناطيس ومن يحصى عدد جواهر الأرض وأصناف الفلز واذا كان الامر على ماوصفنا فالنبوى خراسانى واذا كان الخراسانى مولى والمولى عربيا فقد صار الخراسانى والنبوى والمولى مولى والعرب شيأ واحدا وأدنى ذلك ان يكون الذى معهم من خصال الوفاق غامر لما معهم من خصال الخلاف

وتزعم الرواة أن ما أنفت منه جلة الموالي هذا البيت يعني قول جرير

• بيعوا الموالي واشتخيوا من العرب • لانه حطهم ووضعهم ورأى أن الاساءة اليهم غير محسوبة عيبا ومثل ذلك قول المنتجع لرجل من الاشراف ما علمت ولدك قال الفرائض قال ذلك علم الموالي لا أبالك علمهم الرجز فانه جرت أشداقهم ومن ذلك قول الشعبي وهو بقوم من الموالي يتذاكرون النحو فقال لئن أصلحتموه انكم لاول من أفسده ومن ذلك قول عنترة

فاوجدونا بالعروض أشابة • ولا كشفا ولا دعينا موالية

ومن ذلك قول الآخر

يسمونني الاعراب والعرب اسمنا • وأسماؤهم فيما رقاب المزاود

يريد أسماؤهم عندنا الحمراء وقول العرب ما يخفى ذلك على الاسود والاحمر يريد العرب والعجمي وقال المختار لابراهيم بن الاشتر يوم خازر (وقعت الرواية كما في الاصل ووجد بخط يد أبي علي البغدادي رحمه الله جازر بالجيم) وهو اليوم الذي قتل فيه عبيد الله بن زياد ان عامة جندك هؤلاء الحمراء وان الحرب ان ضرستهم هربوا فاحمل العرب على متون الخيل وارجل الحمراء أمامهم ومن ذلك قول الاشعث بن قيس لعلي بن أبي طالب رحمه الله وأتاه يتخطى رقاب الناس وعلي على المنبر فقال يا أمير المؤمنين غلبتنا هذه الحمراء على قعود بن قال فركض علي المنبر برجله فقال صعصعة بن صوحان العبدي مالنا ولهذا يعني الاشعث ليقولن أمير المؤمنين اليوم في العرب قولا لا يزال يذكر فقال علي من يعذرني من هذه الضياطرة يتمرغ أحدهم على فراشه تمرغ الحمار ويحجر قوم للذكر فيأمرني أن أطردهم ما كنت لاطردهم فأكون من الجاهلين والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ليضربنكم على الدين عودا كما ضربتموهم عليه بدءا قوله الضياطرة واحدهم ضيطر وضيطار وهو الاحمر العضل الفاحش قال خداش بن زهير

يتركب خيل لا هوادة بينها • وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر

وانما قال جرير لبني العنبر • هل أنتم غير أوشاب زعانفة • لان النسابين يزعمون أن العنبر بن عمرو بن تميم انما هو ابن عمرو بن حمراء أمهم أم خارجة البجلية التي يقال لها في المثل أشرع من نكاح أم خارجة فكانت قد ولدت في العرب في ثيف وعشرين حيا من آبائها متفرقين وكان يقول

بل هم في معظم الامر وفي كبر الشأن وعمود النسب متفقون فالاتراك خراسانية وموالي الخلفاء قصرة فقد صار فضل التركي الى الجميع راجعا وصار شرفهم زائدا في شرفهم واذا عرف سائر الاجناد ذلك سامحت النفوس وذهب التعقيد ومات الضغن وانقطع سبب الاستثقال فلم يبق الا التحاسد والتنافس الذي لا يزال يكون بين المتقاربين في القرابة وفي الصناعة وفي المجاورة على ان التوازر والتعالم في القرابات وفي

لها الرجل خطب فتقول نكح كذلك قال يونس بن حبيب فنظر بنوها الى عمرو بن تميم فوردت بلادهم فأحسوا بأنه أراد أمهم فبادروا اليه ليمنعوه تزوجها وسبقهم لانه كان راكبا فقال لها ان فيك لبقية فقالت ان شئت فجارا وقد بنى عليها ثم نقلها بعد الى بلده فتزعم الرواة أنها جاءت بالعنبر معها صغيرا وأولدها عمرو بن تميم أسيدا والهجيم والقليب فخرجوا ذات يوم يستقون فقل عليهم الماء فازلوا ما نحاما من تميم فجعل المائح يملأ الدلو اذا كانت للهجيم وأسيدا القليب فاذا وردت دلو العنبر تركها تضطرب فقال العنبر

• قد رابني من دلوى اضطرابها • والنأى عن جمرائها واغترابها • الا تحيني ملأى يحق قرابها

فهذا قول النسابين ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لعائشة رحمها الله وقد كانت نذرت أن تعتق قوما من ولد اسمعيل فهبي قوم من بني العنبر فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سرك أن تعتقي الصميم من ولد اسمعيل فأعتقي من هؤلاء فقال النسابون فهرا من قضاعة وقد قيل قضاعة من بني معد فقد رجعوا الى اسمعيل ومن زعم أن قضاعة من بني مالك بن حمير وهو الحق قال فالنسب الصحيح في قحطان الرجوع الى اسمعيل وهو الحق وقول المبرزين من العلماء انما العرب المتقدمة من أولاد عابر ورهطه عاد وطسم وجديس وجرهم والعماليق فأما قحطان عند أهل العلم فهو ابن الهميسع بن تيمن بن نبت بن قيذار بن اسماعيل صلوات الله عليه فقد رجعوا الى اسمعيل وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم من خزاعة وقيل من الانصار ارموا يا بني اسمعيل فان أباكم كان راميا قال يحيى بن نوفل يهجو العريان بن الهيثم بن الاسود الضبي وكان العريان تزوج زياد من ولد مالك بن قبيصة الشيباني وكانت عند الوليد بن عبد الملك فطلقها فتزوجها العريان وكان ابن نوفل له هجاء فقال

أعريان ما يدري أمر وسيل عنكم • أمن مذحج تدعون أم من اياد

فان قلتم من مذحج ان مذحجا • لبيض الوجوه غير جد جعاد

وأنتم صغار الهام جدل كأنما • وجوهكم مطلية بمداد

فان قلتم الحي اليمانون أصلنا • وناصرنا في كل يوم جلاد

فأطول بأبر من معد ونزوة • نزت بإياد خلف دار مراد

بنى الأعمام والعشائر أفشى وأعم من التخاذل والتعادى ولحب التناصر والحاجة الى التعاون انضم بعض القبائل فى البوادى الى بعض ينزلون معا ويظعنون معا ومن فارق أصحابه أقل ومن نصر ابن عمه أكثر ومن اغتبط بنعمته وتمنى بقاءها والزيادة فيها أكثر ممن بغاها الغوائل وتمنى انقطاعها وزوالها ولابد فى اضعاف ذلك من بعض التنافس والتخاذل الا ان ذلك قليل من كثير وليس يكون ان تصفو الدنيا

لعمر بنى شيبان اذ ينكحونه ٭ زياد لقد ما قصروا بزياد

أبعد الوليد أنكحوا عبد مذحج ٭ كنزية عيرا خلاف جواد

وأنكحها لا فى كفاء ولا غنى ٭ زيادا أضل الله سعى زياد

قوله أمن مذحج تدعون أم من اياد فبنو مذحج بنو مالك بن زيد بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبا ابن يشجب بن يعرب بن قحطان واياد ابن نزار بن معد بن عدنان ويقال ان النخع ونقيفا أخوان من اياد فأما ثقيف فهو قسى بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر فهذا قول قوم فأما آخرون فيزعمون أن ثقيفا من بقايا ثمود ونسبهم غامض على شرفهم فى أخلافهم وكثرة مناكحهم قريشا وقد قال الحجاج على المنبر تزعمون أنا من بقايا ثمود والله عز وجل يقول وثمود فما أبقى وقال الحجاج يوما لابى العسوس الطائى أى أقدم أنزول ثقيف الطائف أم نزول طيئ الجبلين فقال أبو العسوس ان كانت ثقيف من بكر بن هوازن فنزول طيئ الجبلين قبلها وان كانت ثقيف من ثمود فهى أقدم فقال الحجاج يا أبا العسوس اتقنى فانى سريع الخطفة للاحمق المتهوك فقال أبو العسوس (رواية عاصم رحمه الله العسوس وابن العسوس وفى رواية ش كما فى دخل الكتاب)

يؤدبنى الحجاج تأديب أهله ٭ فلو كنت من أولاد يوسف ما عدا

وانى لاخشى ضربة ثقفية ٭ يقد بها من عصاه المقلدا

على أننى مما أحاذر آمن ٭ اذا قيل يوما قد عتا المرء واعتدا

وقد كان المغيرة بن شعبة وهو والى الكوفة صار الى دير هند بنت النعمان بن المنذر وهى فيه عمياء مترهبة فاستأذن عليها فقيل لها أمير هذه المدرة بالباب فقالت قولوا له أمن ولد جبلة بن الايهم أنت قال لا قالت أفمن ولد المنذر بن ماء السماء قال لا قالت فمن أنت قال المغيرة بن شعبة الثقفى قالت فما حاجتك قال جئتك خاطبا قالت لو كنت جئتنى لجمال أو لمال لاطلبتك ولكنك أردت أن تتشرف بى فى محافل العرب فتقول نكحت ابنة النعمان بن المنذر والا فاى خير فى اجتماع أعور وعمياء فبعث اليها كيف كان أمركم فقالت سأختصر لك الجواب أمسينا مساء وليس فى الارض عربى الا وهو يرغب الينا ويرهبنا ثم أصبحنا وليس فى الارض عربى الا ونحن نرغب اليه ونرهبه قال فما كان أبوك يقول فى ثقيف قالت اختصم اليه رجلان منهم أحدهما أيتمها الى اياد والآخر

ويبقى من الفساد والمكروه وحتى يموت جميع الخلاف ويستوى لاهلها ويمهد اسكانها على ما يشتهون ويهوون لان ذلك من صفة دار الجزاء وليس كذلك صفة دار العمل هذا كتاب كتبته أيام المعتصم بالله رضى الله عنه ونضر وجهه فلم يصل اليه لاسباب يطول ذكرها فلذلك لم أعرض للاخبار عنها وأحببت ان يكون كتابا قصدا ومذهبا عدلا ولا يكون كتاب اسراف فى مديح قوم واغراق فى هجاء

الى بكر بن هوازن فقضى بها الهادى وقال

ان ثقيفا لم تكن هوازنا ٭ ولم تناسب عامرا ومازنا

يريد عامر بن صعصعة ومازن بن منصور فقال المغيرة أما نحن فنن بكر بن هوازن فليقل أبوك ماشاء وقالت فاختة الاشترية وهو مالك بن الحرث النخعى تبكيه وهذا الشعر رواه أبو اليقظان وكان متعصبا

أبعد الاشتر النخعى نرجو ٭ مكاثرة ونقطع بطن واد

ونخصب مذحجا باخاء صدق ٭ وان ننسب فنحن ذرا اياد

ثقيف عمنا وأبو أبينا ٭ واخوتنا لزارأولو السداد

قوله وأنتم صغار الهام حدل فالاحدل المائل العنق يقال قوس حدلاء اذا اعوجت سيتها قال الراجز

لها متاع ولها أفارط ٭ حدلاء كالرق نحاه الماخض

(كذا وقعت الرواية لها والصواب له لانه يعنى الفحل من الابل لان الشقشقة لا تكون للانثى قاله ش) وأما قوله زياد يافتى فله باب نذكره على وجهه باستقصائه بعد فراغنا من تفسير هذا الشعر وقوله لقد ما قصروا فما زائدة مثل قوله تعالى مما خطيئاتهم أغرقوا ولو قال لقد ما قصروا لم يكن جيدا ودخل الوليد فى الذم وقوله كمنزية غيرا خلاف جواد يقول بعد جواد قال الله عز وجل فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وقوله لا فى كفاء يقال هو كفؤك وكفؤ لك وكفيئك وكفاؤك اذا كان عديلك فى شرف أو ما أشبهه كما قال الفرزدق ٭ وتنكح فى أكفائها الحبطات

(أول هذا البيت ٭ بنو دارم أكفاؤهم آل مسمع ٭ وآل مسمع بيت بكر بن وائل والحبطات هم بنو الحرث بن عمرو بن تميم وانما قال هذا الفرزدق حين بلغه أن رجلا من الحبطات خطب امرأة من بنى دارم بن مالك فأجابه رجل من الحبطات

أما كان عباد كفيا لدارم ٭ بلى ولابيات بها الجيران

عباد يعنى بنى هاشم وقد تقدم هذا البيت للفرزدق فى مواضع) وقال الله عز وجل ولم يكن له كفوا أحد وقال عمر بن الخطاب رحمه الله لا منعن النساء الا من الاكفاء وتحدث أصحابنا عن الاصمعى عن اسحق بن عيسى قال قلت لامير المؤمنين الرشيد أو المهدى يا أمير المؤمنين من أكفاؤنا قال أعداؤنا يعنى بنى أمية وزياد الذى ذكر كان أخاها

آخرين فان الكتاب اذا كان كذلك شأنه وخالطه التزيد وبنى أساسه فى التكلف خرج كلامه مخرج الاستكراه والتعليق وأنفع المدائح للمادح وأجداها على الممدوح وأبقاها أثرا وأحسنها ذكرا أن يكون المديح صدقا والظاهر حال الممدوح موافقا وبه لائقا حتى لا يكون من المعبر عنه والواصف له الا الاشارة اليه والتنبيه وأنا أقول ان كان لا يمكن ذكر مناقب الاتراك الا بذكر مثالب سائر الاجناد

(هذا تفسير ما كان من المؤنث على فَعَال مكسورَ الآخر)

(وهو على أربعة أضرب والأصل واحد)

قال أبو العباس اعلم انه لا يُبْنَى شيءٌ من هذا الباب على الكسر الا وهو مؤنث معرفةٌ معدولٌ عن جهته وهو في المؤنث بمنزلة فُعَلَ نحو عُمَرَ وقُثَمَ في المذكر وفُعَلُ معدولٌ في حال المعرفة عن فاعِل وكان فاعِلٌ ينصرف فلما عُدِلَ عنه فُعَلُ لم ينصرف وفَعَال معدولٌ عن فاعِلَة وفاعِلَةُ لا ينصرف في المعرفة فَعُدِلَ الى البناء لانه ليس بعدما لا ينصرف الا المبنيُّ وبنى على الكسر لان في فاعِلَة علامةَ التأنيث وكان أصلُ هذا ان يكونَ اذا اردت به الامر ساكنا كالمجزوم من الفعل الذي هو في معناه فكَسَرْتَه لالتقاء الساكنين مع ما ذكرنا من علامة التأنيث والكسر مما يؤنث به فلم يَخْلُ من العلامة تقول للمرأة أنت فَعَلْتِ فالكسر علامة التأنيث وكذلك انتِ ذاهبةٌ وضربتُكِ يا امرأةُ فهما لا يكون الا معرفة مكسورا ما كان اسما للفعل نحو نَزَالِ يا فتى ومعناه انزل وكذلك تَرَاكِ زيدًا أي اتركه فهما معدولان عن المتاركة والمنازلة وهما مؤنثان معرفتان يدلك على التأنيث القياسُ الذي ذكرنا قال الشاعر تصديقا لذلك

ولَنِعْمَ حَشْوُ الدِّرْعِ أنتِ اذا ... دُعِيَتْ نَزَالِ وَلُجَّ في الذُّعْرِ

فقال دعيت لما ذكرته لك من التأنيث وقال الآخر وهو زيدُ الخيل

وقد عَلِمَتْ سَلامةُ أن سَيْفِي ... كَرِيهٌ كُلَّمَا دُعِيَتْ نَزَالِ

وقال الشاعر

تَرَاكِهَا من إبلٍ تَرَاكِهَا ... أما تَرَى الموتَ لَدَى أوْرَاكِهَا

أي اتركها وقال آخر (هو رؤبة)

حَذَارِ من أرْماحِنا حَذَارِ

وقال آخر (هو أبو النجم)

نَظَارِكَى أرْكَبَهُ نَظَارِ

فهذا باب من الاربعة ومنها أن يكون صفة غالبة تَحُلُّ مَحَلَّ الاسم نحو قولهم للضَّبُعِ جَعَارِ يا فتى وللذئبة حَلاقِ يا فتى لانها حالقة والدليل على التأنيث بعد ما ذكرنا قوله

لَحِقَتْ حَلاقِ بهم على أكْسائِهِم ... ضَرْبَ الرِّقابِ ولا يُهِمُّ المَغْنَمُ

وتقول في النداء يا فَسَاقِ ويا خَبَاثِ ويا لَكَاعِ تريد يا فاسقةُ ويا خبيثةُ ويا لكعاءُ لانه في النداء في موضع معرفة كما تقول للرجل يا فُسَقُ ويا خُبَثُ ويا لُكَعُ فهذا باب ثان (حكى ابن السَّرَّاج عن أبي عبيدة فرس لُكَعٌ للذكر ولُكَعَةٌ للمؤنث) ومن ذلك ما عُدِلَ عن المصدر نحو قوله (هو المُتَلِّسُ يَدُمُّ الخَمْرَ)

جَمَادِ لها جَمَادِ ولا تَقُولي ... طَوَالَ الدَّهْرِ ما ذُكِرَتْ حَمَادِ

وقال

فترك ذكر الجميع أصوب والاضراب عن هذا الكتاب أحزم وذكر الكثير من هذه الأصناف بالجميل لا يقوم الا بالقليل من ذكر بعضهم بالقبيح وهو معصية وباب من ترك الواجب وقليل الفريضة أجدى علينا أي لان ذكر الاكثر بالجميل نافلة وباب من التطوع وذكر الاقل بالقبيح معصية وباب من ترك الواجب وقليل الفريضة أجدى علينا من كثير التطوع ولكل الناس نصيب من النقص ومقدار من

وقال النابغة الذبياني

أنا اقتسمنا خطتينا بيننا ٭ فحملت برة واحتملت فجار

يريد قولي لها جودا ولا تقولي لها احدا هذا المعنى ولكنه عدل مؤنثا وهذا باب ثالث (برة اسم علم لجميع البر وفجار لجميع الفجور لان جنى تخصيصه برة بفعلت وفجار بافتعلت مثل قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فكسب للخير واكتسب للشر) والباب الرابع ان تسمي امرأة أو شيأ مؤنثا باسم تصوغه على هذا المثال نحو رقاش وحذام وقطام وما أشبهه فهذا مؤنث معدول عن رافشة وحاذمة وقاطمة اذا سميت به وأهل الحجاز يجرونه على قياس ما ذكرت لانه معدول في الاصل وسمي به فنقل الى مؤنث كالباب الذي كان قبله فلم يغيروه وعلى ذلك قالوا اسق رقاش انها سقايه وقال آخر

اذا قالت حذام فصدقوها ٭ فان القول ما قالت حذام

وينشدون ٭ واقفر من سلمى شمائل فيذبل ٭ وكذا وقع والصحيح فقد اقفرت سلمى شمائل لان قبله ٭ تأبد من أطلال جرة منزل ٭ والشعر للنمر بن تولب) وأما بنو تميم فاذا أزالوه عن النعت فسموا به صرفوه في النكرة ولم يصرفوه في المعرفة وسيبويه يختار هذا القول ولا يرد القول الآخر فيقول هذه رقاش قد جاءت وهذه غلاب قد جاءت وهذه غلاب أخرى ولا اختلاف بين العرب في صرفه اذا كان نكرة وفي اعرابه في المعرفة وصرفه في النكرة اذا كان اسما للمذكر نحو رجل سميته نزال أو رقاش أو حلاق فهو بمنزلة رجل سميته بعناق أو اتان لان التأنيث قد ذهب عنه فاحتج سيبويه في تصحيح هذا القول بانك لو سميت شيأ بالفعل الذي هو مأخوذ منه لاعربته نحو انزل واضرب لو سميت بهما رجلا لاجريتهما مجرى اصبع وأحمد وانمد ونحو ذلك فهذا يحيط بجميع هذا الباب ٭ قال أبو العباس وقالت امرأة أحسبها من بني عامر بن صعصعة زوجت في طيئ

لا تحمدن الدهر أختي أناها ٭ ولا ترثين الدهر بنت لوالد

هم جعلوها حيث ليست بحرة ٭ وهم طرحوها في الاقاصي الاباعد

ويروى عن عائشة رضي الله عنها انها قالت انما النكاح رق فلينظر امرؤ من يرق كريمته وعلى هذا جاءت اللغة فقالوا كنا في املاك فلان وفي ملك فلان وفي ملك فلان وفي ملكه فلان وفي ملكان فلان ويقول الرجل ملكت المرأة وأملكنيها وليتها وهو من ذلك أن بين الطلاق اذا وقع فيها حنث

الذنوب وانما يتفاضل بكثرة المحاسن وقلة المساوى فاما الاشتمال على جميع المحاسن والسلامة من جميع المساوى دقيقها وجليلها ظاهرها وخفيها فهذا ما يعرفونه فيهم فاذا كان الخلطاء من جمهور الناس وأهل المقايس من زعماء الجماعة يرون ذلك واجبا في الاخلاق ومصلحة في المعاش وتدبيرا في التعامل على ما فيهم من مشاركة الخطأ للصواب وامتزاج الضعف بالقوة فلسنا نشك ان الامام

انما يكون محلها محل الافراد بترك ما كان عليه كالعتاق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصيكم بالنساء فانهن عندكم عوان أى أسيرات ويقال عنى فلان فى بنى فلان اذا أقام فيهم أسيرا ويقال فلان يفك العناة وأصل التعنية التذليل وأصل الاسار الوثاق ويقال للمكتب مأسور اذا شد بالقد هذا أصل هذا فاما المثل فى قولهم انما فلان غل قل فانهم كانوا يتخذون الاغلال من القد فكانت تقمل وقال رجل يذكر امرأة تزوجت من غير كفء

لقد فرح الواشون أن نال ثعلب ٭ شبيهة ظبى مقلتاها وجيدها

أضر بها فقد الولى فامست ٭ بكف لئيم الوالدين يقودها

ولما تزوج ابراهيم بن النعمان بن بشير الانصارى يحيى بن أبى حفصة مولى عثمان بن عفان ابنته على عشر بن ألف درهم قال قائل يعيره

لعمرى لقد جللت نفسك خزية ٭ وخالفت فعل الاكثرين الاكارم

ولو كان جدك اللذان تتابعا ٭ ببدر لما راما صفيع الاثائم

فقال ابراهيم بن النعمان يرد عليه

ما تركت عشر ون ألفا لعاقل ٭ مقالا فلا تحفل ملامة لائم

وان ألم قد زوجت مولى فقد مضت ٭ به سنة قبلى وحب الدراهم

وتزوج يحيى بن أبى حفصة وهو جد مروان الشاعر ويزعم النسابون ان أباه كان يهوديا أسلم على يدى عثمان بن عفان وكان يحيى من أجود الناس وكان ذا يسار فتزوج خولة بنت مقائل بن طلبة (الرواية المشهورة باسكان اللام وتسامح ابن سراج فى فتح اللام) ابن قيس بن عاصم سيد أهل الوبر ابن سنان بن خالد بن منقر ومهرها خرقا فى ذلك يقول القلاخ بن حزن

لم أر أثوابا أجر لخزية ٭ والأم مكسوا والأم كاسيا

من الخرق الذى صب عليكم ٭ بحجر فكن المبقيات البواليا

فقال يحيى بن أبى حفصة يجيبه

تجاوزت حزنا رغبة عن بنائه ٭ وأدركت قيسا ناقيا من عنانيا

يقال ذلك للسابق اذا تقدم تقيد ما بيننا فبلغ الغاية فمن شأنه ان يثنى عنانه فينظر الى الخيل وقال

الاكبر والرئيس الاعظم مع الاعراق الكريمة والاخلاق الرفيعة والتمام فى العلم والحلم والكمال فى العزم والحزم مع التمكين والقدرة والفضيلة والرياسة والسيادة والخصائص التى معه من التوفيق والعصمة والتأييد وحسن المعونة لم يكن الله ليجلله لباس الخلافة ويحبوه بهاء الامامة وبأعظم نعمه وأسبغها وأفضل كرامة وأسناها ثم وصل طاعته بطاعته ومعصيته بمعصيته الا ومعه من

الشاعر فمن يفخر بمثل أبي وجدي ... يجئ قبل السوابق وهو ثاني

يريد ثاني عنانه وقال القلاخ في هذه القصة .

نبئت خولة قالت حين أنكحها ... لطالما كنت منذ العام أنتظر

أنكحت عبدين ترجو فضل مالهما ... في فيئهما رجوت الزب والجزر

لله در جياد أنت سائسها ... برذنتها وبها التحجيل والغرر

الحلم في موضع الحلم والعفو في موضع العفو والتغافل في موضع التغافل مالا يبلغه فضل ذي فضل ولا حلم ذي حلم ونحن قائلون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فيما انتهى الينا من القول في الاتراك زعم محمد بن الجهم وثمامة بن الاشرس والقاسم بن سيار في جماعة ممن يغشون دار الخلافة وهي دار الامامة قالوا جميعا بينا حميد بن عبد الحميد جالس ومعه أخشيد الصغدي وأبو شهاع شبيب بن بخار خداى

وقال جرير يعيبهم رأيت مقاتل الطلبات حتى ... فروج بنانه كمر الموالي

لقد أنكحتم عبد العبد ... من الصهب المشوهة السبال

فلا تفخر بقيس ان قيسا ... خزيتم فوق أعظمه البوالي

وقال آخر في مثل هذه القصة .

ألا يا عباد الله قلبي متيم ... بأحسن من صلى وأقبلهم بعلا

يذب على أحشائها كل ليلة ... دبيب القرنبى بات يقر ونقاسها

القرنبى دويبة على هيئة الخنفس منقطة الظهر وربما كان في ظهرها نقطة حمراء وفي قوائمها طول على الخنفس وهي ضعيفة المشي قال الفرزدق يعني عطية أبا جرير

قرنبى يعد فقاما مقرف ... لئيم ما أثره قعدد

(ألف قرنبى ألف الحاق وليست للتانيث والقعدد اللئيم وجمعه قعادد) وفي هذا الشعر يقول

ألم تر أنا بني دارم ... زرارة منا أبو معبد

ومنا الذي منع الوائدات ... واحيا الوئيد فلم توأد

ألسنا باصحاب يوم النسار ... واصحاب الوقعة المزبد

(النسار جبل تألفه النسور كثيرا فلذلك سمي بهذا الاسم)

ألسنا الذين تميم بهم ... تساجي وتفخر في المشهد

وناحية الخير والاقرعان ... وقبر بكاظمة المورد

اذا ما أتى قبره عائذ ... أناخ على القبر بالاسعد

أيطلب مجد بني دارم ... عطية كالجعل الاسود

ومجدُ بني دارمٍ دونه • مكانُ السماكَينِ والفرقدِ

(الرفع فى مكان أقوى وهو الوجه الجيد فى العربية) * قوله ألم تر أنا بنى منقر منصوب على الاختصاص وقد مضى تفسيره وزُرارةُ الذى ذكر هو زرارة بن عُدَس بن زيد بن عبد الله بن دارم وكان زرارة يُكنى أبا معبد وكان له بنون معبدٌ ولقيطٌ وحاجبٌ وعلقمةُ والمأموم ويزعم قوم ان المأموم هو علقمةُ ومنهم شَيبان بن زرارة وابنه يزيد بن شيبان النسّابة وكان حاجبٌ أذكرَ القوم ورَووا أن عبد الملك ذكر يوما بنى دارم فقال أحدُ جلسائه يا أمير المؤمنين هؤلاء قوم محظوظون فقال عبد الملك أتقول ذلك وقد مضى منهم لقيطُ بن زرارة ولم يُخلِّف عَقِبًا ومضى القعقاعُ بن معبد ابن زُرارة ولم يُخلِّف عَقِبًا ومضى محمد بن عُمير بن عُطارد بن حاجب بن زرارة ولم يُخلِّف عَقِبًا والله لا تنسى العرب هؤلاء الثلاثة أبدا وكان لقيط بن زرارة قُتل يوم جبلة وأُسر حاجبٌ ففُودِى فزعم أبو عبيدة انه لم يكن عُكاظىٌّ أغلى فداءً من حاجب وكان أسره زُهدَمُ العَبسىُّ (اخو كَردَم) فلحقه ذو الرُّقَيبة القُشَيرىُّ وبنو عَبس يومئذ نازلةٌ فى بنى عامر بن صَعصَعة فأخذه ذو الرُّقَيبة بعزّه وأنه فى محلّ قومه فقال حاجب لمّا تنازعنى الرجلان خفتُ ان أُقتَل بينهما فقلت لكمانى فى نفسى ففعلا فحكمتُ بسلاحى وركابى لزُهدَم وبنفسى لذى الرُّقَيبة وكان حاجب يُكنى أبا عكرشة وكان أحلم قومه وفى ذى الرقيبة يقول الشاعر (هو المُسَيَّبُ بن عَلَس واسمه زُهَير ويُكنى أبا الفضّة)

ولقد رأيتُ القاتلينَ وفعلَهم • فلذى الرُّقَيبة مالك فَضلُ

كفّاهُ مُتلِفةٌ ومُخلِفةٌ • وعطاؤهُ متدفّقٌ جَزِلُ

فُفُدِىَ حاجبٌ وقُتل فى ذلك اليوم لقيطُ وأُسر عمرو بن عمرو بن عُدَس فلذلك يقول جرير يُعيّر الفرزدق لان الفرزدق من بنى مُجاشع بن دارم وقد مضى ذكر هذا فى الكتاب ولجرير فى قيس خُوَيلِدٌ فلما هجا الفرزدقُ قيسًا فى أمر قُتَيبة بن مُسلم الباهلىّ قال

أتانى وأهلى بالمدينة وَقعةٌ • لآل تميم أقعدتْ كلَّ قائم

كأنّ رؤسَ الناس اذ سمعوا بها • مُشَدَّخةٌ هاماتُها بالأماثم

(حجارةٌ تُشدَخ بها الرؤس الواحدة أُمثومةٌ)

وما بين مَن لم يُعطِ سَمعًا وطاعةً • وبين تميم غيرُ خَزْىِ الحلائم

البلخى ويحيى بن معاذ ورجال من المعدودين المتقدمين فى العلم بالحرب من أصحاب التجارب والمراس وطول المعالجة والمعاناة بصناعة الحرب اذ خرج رسول المأمون فقال لهم يقول لكم مفترقين ومجتمعين فليثبت كل رجل منكم دعواه وحجته يقول لكم أيما أحب الى كل قائد منكم اذا كان فى مائة من نخبته وثقاته أن يلقى بهم مائة تركى أو مائة خارجى فقال القوم جميعا الأن نلقى مائة تركى أحب الينا من أن نلقى

أتغضب أن أذنا قتيبة حزتا ٭ جهارا ولم تغضب لقتل ابن خازم

وما منهما الا تقلد ماغه ٭ الى الشام فوق الشاحجات الرواسم

تذبذب في المخلاة تحت بطونها ٭ محذفة الأذناب جلح المقادم

وما أنتم من قيس فتنتجع دونها ٭ ولا من تميم في الرؤس الاعاظم

تخوفنا أيام قيس ولم ندع ٭ لعيلان أنفا مستقيم الخياشم

لقد شهدت قيس فما كان نصرها ٭ قتيبة الا عضها بالاباهم

وقال جرير يجيبه

أباهل ما أحببت قتل ابن مسلم ٭ ولا أن ترو عوا قومكم بالمظالم

ثم قال يخوف الفرزدق

تحضض يا ابن القين قيسا لتجعلوا ٭ لقومك يوما مثل يوم الاراقم

كأنك لم تشهد لقيطا وحاجبا ٭ وعمرو بن عمرو اذ دعوا يال دارم

ولم تشهد الجونين والشعب ذا الصفا ٭ وشدات قيس يوم دير الجماجم

فيوم الصفا كنتم عبيد العامر ٭ وبالجنو أضحتم عبيد اللهازم

اذا عدت الايام أخزين دارما ٭ وتخزين يا ابن القين أيام دارم

أما قول الفرزدق كان رؤس الناس اذ سمعوا بها ٭ مشدخة هاماتها بالاماثم

فان الشجاج مختلفة الاحكام فاذا كانت الشجة شقيقا يدمى فهي الدامية واذا أخذت من اللحم شيأ فهي الباضعة واذا أمعنت في اللحم فهي المتلاحمة فاذا هشمت العظم فهي الهاشمة واذا كان بينها وبين العظم جليدة رقيقة فهي السمحاق من أجل تلك الجليدة يقال ما على ثرب الشاة من الشحم الا سمحاق أي طرائق فاذا خرجت منها عظام صغار فهي المنقلة وانما أخذ ذلك من النقل وهي الحجارة الصغار فاذا أوضحت عن العظم فهي الموضحة فاذا خرقت العظم وبلغت أم الدماغ وهي جليدة قد ألبست الدماغ فهي الآمة وبعض العرب يسميها المأمومة واشتقاق ذلك افضاؤها الى أم الدماغ ولا غاية بعدها قال الشاعر

يحج مأمومة في قعرها لجف ٭ فاست الطبيب قذاها كالمغاريد

وقال ابن غلفاء الهجيمي يرد على يزيد بن عمرو بن الصعق في هجائه بني تميم

مائة خارجي وجيد ساكت
فلما فرغ القوم جميعا من
حجهم قال الرسول لجيد
قد قال القوم فقل واكتب
قولك وليكن حجة لك
أو عليك قال بل أن ألقى
مائة خارجي أحب الي لاني
وجدت الخصال التي
فضل بها التركي جميع
المقاتلة غير تامة في الخارجي
ووجدتها تامة في التركي
ففضل التركي على الخارجي
بقدر فضل الخارجي على
سائر المقاتلة وذلك لان
التركي بان من الخارجي
بأمور ليس فيها للخارجي
دعوى ولا متعلق على ان

فالنّ من هجاء بنى تميم • كمُزْداد الغَرام الى الغَرام

هُمُ تركوكَ أسلحَ من حُبارَى • رأتْ صقرًا وأشردَ من نَعام

وهُم ضربوكَ أمَّ الرأس حتى • بدَتْ أمُّ الشؤون من العظام

اذا يأسُونها جشأتْ اليهم • شمرنبثةُ القوائم أمُّ هام

(يريد غليظة القوائم) وابن خازم هو عبد الله بن خازم السُلَمِيُّ وهو أحد غربان العرب فى الاسلام وكان من أشجع الناس وقتله بنو تميم بخراسان وكان الذى ولى قتله منهم وكيعُ بن الدَوْرَقيّة القُرَيْعِيّ وقوله فوق الشاجات يعنى البغال والرَسيمُ ضربٌ من السير وانما عنى ههنا بغال البريد لقوله • محذوفة الاذناب جلح المقادم • كما قال امرؤ القيس

على كل مقصوص الذُنابَى مُعارِدٍ • يَرِيدُ السُرَى بالليل من خَيْلِ بَرْبَرا

وكانت بُرُدُ ملوك العرب فى الجاهلية الخيلَ وأما قول حرير الجونين فقد مضى ذكرهما ويوم دير الجماجم يريد الحجّاج فى وقعته بدَيْرِ الجَماجِم بعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكِنْدِيّ وقوله يا لخنوا أصبحتم عبيدَ اللهازم فاللهازم بنو قيس بن ثعلبة وبنو ذُهْل بن ثعلبة وبنو تيم اللات ابن ثعلبة وبنو عِجْل بن لُجَيْم بن صَعْب بن على بن بكر بن وائل وبنو مازن بن صَعْب بن على ثم تلهزمت حنيفةُ بن لُجَيْم فصارت معهم وأما علقمةُ بن زُرارة فانه قتلته بنو ضُبَيْعة بن قيس بن ثعلبة فقُتِل به حاجبُ أخوه أشيم بن مُرّاحيل القَيْسِيّ فقال حاجبٌ فى ذلك

فان تقتلوا منّا كريما فاننا • أبأنا به مأوى الصعاليك أشيما

قَتَلْنا به خيرَ الضُبَيْعات كلها • ضُبَيْعةَ قيسٍ لا ضُبَيْعةَ أضْجَما

وكان يقال لأشيم مأوى الصعاليك وضُبَيْعةُ أضجم الذى ذكره وضُبَيْعةُ بن ربيعة بن نزار رهط المُتَلَمِّس هذا القبهم وأما معبدُ بن زُرارة فان قيسًا أسرته يوم رَحْرَحان فساروا به الى الحجاز فاتى لقيطٌ فى بعض الاشهر الحُرُم ليفديه فطلبوا منه ألف بعير فقال لقيط ان أبانا أمرنا أن لا نزيد على المائتين فتطمع فينا ذُؤبان العرب فقال معبدٌ يا أخى افدنى بمالى فانى ميتٌ فأبى لقيط وأبى معبد أن يأكل أو يشرب فكانوا يَشْحُون فاه ويصبون فيه الطعام والشراب لئلا يهلك فيذهب فداؤه فلم يزل كذلك حتى مات فقال جرير بعيرا الفرزدق وقومه بذلك

هذه الامور التى بان بها الترکى من الخارجى أعظم خطرا وأكثر نفعا مما شاركه الخارجى فى بعضه ثم قال حميد والخصال التى يصول بها الخارجى على سائر الناس صدق الشدة عند أول وهلة وهى الدفعة التى يبلغون بها ما أرادوا وينالون بها ما أملوا والثانية الصبر على الحرب وعلى طول السرى حتى يصبحوا القوم الذين مروا بهم غارين فيهجموا عليهم وهم بشر ولحم على وضم فيجعلوا بهم على الروية وعن رد

تركتم بوادى رحمان نساءكم • ويوم الصفا لاقيتم الشعب أوعرا
سمعتم بنى مجد دعوا يال عامر • فكنتم نعاما عند ذاك منفرا
وأسلمت القلحاء فى الغل معبدا • ولاقى لقيط حتفه فتقطرا

قوله سمعتم بنى مجد دعوا يال عامر يعنى مجد بنت النضر بن كنانة ولدت ربيعة بن عامر بن صعصعة وولده بنو كلاب وبنو كعب وبنو عامر بن ربيعة والقلحاء لقب والقلح ان تركب الاسنان صفرة تضرب الى السواد ويقال لها الحبرة لشدة تأثيرها أنشد فى المازنى

لست بسعدى على فيه حبرة • واست بعبدى حقيبته التمر

يزعم أبو الحسن الاخفش (سعيد بن مسعدة) ان العرب تقول فى هذا المعنى فى أسنانه حبرة وليس ذلك بمعروف ولم يأت اسم على فعل الا ابل واطل (وامرأة بلز أى ضخمة قاله ابن قتيبة أما ابل فكما ذكروا وأما اطل فليس كما ذكروا وأصله اطل ثم حركت الطاء اتباعا لحركة الهمزة كما قالوا فى الجلد الجلد قال سيبويه ليس فى الاسماء والصفات فعل الا ابل) وقوله ولاقى لقيط حتفه فتقطرا يقال قطر لجنبيه وقتره لثنتان لان التاء من مخرج الطاء فان رمى به على قفاه قيل سلقه وسلقاه وبطحه لوجهه فان رمى به على رأسه قيل نكته ❁ رجع التفسير الى شعر الفرزدق الاول • أما قوله ومنا الذى منع الوائدات فانه يعنى جده صعصعة بن ناجية بن عقال وكانت العرب فى الجاهلية تئد البنات ولم يكن هذا فى جميعها انما كان فى تميم بن مر ثم استفاض فى جيرانهم فهذا قول واحد وقال قوم آخرون بل كان فى تميم وقيس وأسد وهذيل وبكر بن وائل لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف وقال بعض الرواة اشدد وطدتك والمعنى قريب يرجع الى الثقل فاجدبوا سبع سنين حتى أكلوا الوبر بالدم فكانوا يسمونه العلهز ولهذا أبان الله عز وجل تحريم الدم ودل على ما من أجله قتلوا البنات فقال ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق وقال ولا يقتلن أولادهن فهذا خبر بين ان ذلك للحاجة وقد روى بعضهم انهم انما فعلوا ذلك أنفة وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى أن عمها منعت النعمان الاتاوة وهى الاذيان فوجه اليهم أخاه الريان بن المنذر وكانت للنعمان خمس كتائب احداها الوضائع وهم قوم من الفرس كان كسرى يضعهم عنده عدة ومددا فيقيمون سنة عند الملك من ملوك لخم فاذا

النفس بعد الجولة والنزوة لا يظنون أن أحدا يقطع فى ذلك المقدار من الزمان ذلك المقدار من البلاد والثالثة ان الخارجى موصوف عند الناس بانه ان طلب أدرك وان طلب فات والرابعة خفة الازواد وقلة الامتعة وانها تجنب الخيل وتركب البغال وان احتاجت أمست بأرض وأصبحت بأخرى وانهم قوم حين خرجوا لم يخلفوا الأموال الكثيرة والجنان المتفقة والدور المشيدة ولا ضياعا ولا

كان فى رأس الحول ردّهم الى أهليهم وبعث بمثلهم وكتيبة يقال لها الشّهباء وهى أهل بيت الملك وكانوا بيض الوجوه يسمّون الأشاهب وكتيبة ثالثة يقال لها الصنائع وهم صنائع الملك أكثرهم من بكر بن وائل وكتيبة رابعة يقال لها الرهائن وهم قوم كان يأخذهم من كل قبيلة فيكونون رهنا عنده ثم يوضع مكانهم مثلهم والخامسة دوسر وهى كتيبة ثقيلة تجمع فرسانا وشجعانا من كل قبيلة فأغزاهم أخاه وجلّ من معه بكر بن وائل فاستاق النعم وسبى الذرارىّ وفى ذلك يقول أبو المثلّم الشكرىّ

لما رأوا راية النعمان مقبلة • قالوا ألا ليت أدنى دارنا عدن

يا ليت أمّ عسيم لم تكن عرفت • مرّا وكانت كمن أودى به الزمن

ان تقتلونا فأعيار مجدّعة • أو تنعموا فقديما منكم المنن

منهم زهير وعتّاب ومحتضر • وابنا لقيط وأودى فى الوغا قطن

ويقول النعمان فى جواب هذا

لله بكر غداة الروع لو بهم • أرمى ذرا حضن زالت بهم حضن

اذ لا أرى أحدا فى الناس أشبههم • الا فوارس خامت عنهم اليمن

وهذا خبر طويل فوفدت اليه بنو تميم فلما رآها أحب البقيا فقال

ما كان ضرّ تميما لو تغمّدها • من فضلنا ما عليه قيس عيلان

فاناب القوم وسألوه النساء فقال النعمان كل امرأة اختارت أباها ردّت اليه وان اختارت صاحبها تركت عليه فكلهن اختارت أباها الا ابنة لقيس بن عاصم فانها اختارت صاحبها عمرو بن المثلّم فنذر قيس أن لا تولد له ابنة الا قتلها فهذا شئ يعتلّ به من وأد ويقول فعلناه أنفة وقد أكذب ذلك بما أنزل الله تعالى فى القرآن وقال ابن عباس رحمه الله فى تأويل هذه الآية وكانوا لا يورّثون ولا يحوزون الا من طاعن بالرمح ومنع الحريم يريد الذكران وروت الرواة ان صعصعة بن ناجية لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم قال يا رسول الله انى كنت أعمل عملا فى الجاهلية أفينفعنى ذلك اليوم قال وما عملك قال أضللت ناقتين عشرا وبين فركبت جملا ومضيت فى بغائهما فوقع لى بيت حريد فقصدته فاذا شيخ جالس بفناء الدار فسألته عن الناقتين فقال ما نارهما قلت ميسم بنى

مستغلات ولا جوارى مطهمات وانهم لاسلب لهم ولا مال معهم فيرغب الجند فى لقائهم وانما هم كالطير لا تدخر ولا تهتم لغد ولها فى كل أرض من المياه والبرود ما يقوتها وان لم تجد ذلك فى بعض البلاد فأجنحتها تقرب لها البعيد وتسهل لها الحزون وكذلك الخوارج لا تمتنع عليهم القرى والطعم فان تمتنع عليهم ففى بنات أعواج وبنات شماج وخفة الانقال والقوة على طول الخبب ما يأتيها بأرزاقها وأكثر من

دارم فقال هما عندى وقد أحياالله بهما قوما من أهلك من مضر فجلست معه الخرجا الى فاذا عجوز قد خرجت من كسر البيت فقال لها ما وضعت فان كان سقبا شاركنا فى أموالنا وان كانت حائلا وأذناها فقالت العجوز وضعت أنثى فقلت أتبيعها قال وهل تبيع العرب أولادها قال قلت انما اشترى منك حياتها ولا اشترى رقها قال فبكم قلت احتكم قال بالناقتين والجمل قال قلت ذلك على ان يبلغنى الجمل واياها قال ففعل فآمنت بك يارسول الله وقد صارت لى سنة فى العرب على أن اشترى كل مؤودة بناقتين عشراوين وجل فعندى الى هذه الغاية ثمانون ومائتا مؤودة فقد أنقذتهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينفعك ذلك لانك لم تبتغ به وجه الله وان تعمل فى اسلامك عملا صالحا تثب عليه وكان ابن عباس يقرأ واذا الموؤدة سألت باى ذنب قتلت وقال أهل المعرفة فى قول الله عز وجل واذا الموؤدة سئلت باى ذنب قتلت انما تسئل تبكيتا لمن فعل ذلك بها كما قال الله تعالى ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله وقوله وئدت انما هو أثقلت بالتراب يقال للرجل اتئد أى تثبت وتثقل كما يقال توقر قال قصير صاحب جذيمة (هذا وهم من أبى العباس وانما هو للزباء)

ما للجمال مشيها وئيدا • أجندلا يحملن أم حديدا • (أم صرفانا باردا شديدا)

وقوله أضللت ناقتين عشراوين أضللت ضلتا منى وتحقيقه صادفتهما ضالتين كما قال (لرجل من قضاعة يقال له مالك بن عمرو وقبله

لا وجدت كلابى كما وجدت ولا • وجدت عجول أضلها ربع)

أو وجد شيخ أضل ناقته • حين تولى الجميع فاندفعوا

والعشراء الناقة التى قد أتى عليها منذ حملت عشرة أشهر وانما حمل الناقة سنة وقوله ما نارهما يريد ماء وسمهما كما قال

قد سقيت آبالهم بالنار • والنار قد تشفى من الأوار

أى عرف وسمهم فلم يمنعوا الماء وقوله فاذا بيت حريد يقول متنح عن الناس وهذا من قولهم انحرد الجمل اذا تنحى عن الاناث فلم يبرك معها ويقال فى غير هذا الموضع حرد حرده أى قصد قصده قال الراجز

قد جاء سيل جاء من أمر الله • يحرد حرد الجنة المغله

وقالوا فى قوله عز وجل وغدوا على حرد قادرين أى على قصد كما ذكرنا وقالوا هو أيضا على منع من

أرزاقها والخامسة ان الملوك اذا أرسلوا اليهم أعدادهم ليكونوا فى خفة أزوادهم وأثقالهم وليقووا على التنقل كقوتهم لم يقووا عليهم لان مائة من الجند لا يقومون لمائة من الخوارج وان كثفوا الجيش وضاعفوا العدد ثقلوا عن طلبهم وعن الفوت ان طلبهم عدوهم ومتى شاء الخارجى ان يقرب منهم ليتطرفهم أوليصيب الغرة أوليثبتهم فعل ذلك ثقة بانه يقيم عند الفرصة ورؤية

قولهم حاردت الناقة اذا منعت لبنها وحاردت السنة اذا منعت مطرها والبعير الاحرد هو الذى يضرب بيده وأصله الامتناع من المشى وأما قوله

وقبر بكاظمة المورد * اذا ما أتى قبره خائف * أناخ على القبر بالاسعد

فانه يعنى قبر أبيه غالب بن صعصعة بن ناجية وكان الفرزدق يجير من استجار بقبر أبيه وكان أبوه جوادا شريفا ودخل الفرزدق البصرة فى امرة زياد فباع ابلا كثيرة وجعل يصر أثمانها فقال له رجل انك لتصر أثمانها ولو كان غالب بن صعصعة ما صرها ففتح الفرزدق تلك الصرر ونثر المال وبلغ الخبر زيادا فطلبه فهرب الفرزدق وله فى ذلك حديث طويل واستجارته بسعيد بن العاص بالمدينة نذكره بعد هذا ان شاء الله فمن استجار بقبر غالب فأجاره الفرزدق امرأة من بنى جعفر ابن كلاب خافت لما هجا الفرزدق بنى جعفر بن كلاب أن يسبيها او يسبها فعاذت بقبر أبيه فلم يذكر لها اسما ولا نسبا ولكن قال فى كلمته التى يهجو فيها بنى جعفر بن كلاب

عجوز تصلى الخمس عاذت بغالب * فلا والذى عاذت به لا أضيرها

ومن ذلك أن الحجاج لما ولى تميم بن زيد القينى السند دخل البصرة فجعل يخرج من أهلها من شاء فجاءت عجوز الى الفرزدق فقالت انى استجرت بقبر أبيك وأتت منه بخصيات فقال لها وما شأنك فقالت ان تميم بن زيد خرج بابن لى معه ولا قرة لعينى ولا كاسب لى غيره فقال لها وما اسم ابنك فقالت خنيس فكتب الى تميم بن زيد مع بعض من شخص

تميم بن زيد لا تكونن حاجتى * بظهر فلا يعيا على جوابها
وهب لى خنيسا واحتسب فيه منة * لعبرة أم ما يسوغ شرابها
أتتنى فعاذت يا تميم بغالب * وبالحفرة الساقى عليها ترابها
وقد علم الاقوام أنك ماجد * ولينك اذا ما الحرب شب شهابها

فلما ورد الكتاب على تميم تشكك فى الاسم فقال أحبيش أم خنيس ثم قال انظروا من له مثل هذا الاسم فى عسكرنا فأصيب ستة ما بين حبيش وخنيس فوجه بهم اليه ومنهم مكاتب لبنى منقر فلما لمع بمكاتبته فأتى قبر غالب فاستجار به وأخذ منه خصيات فشدهن فى عمامته ثم أتى الفرزدق فأخبره خبره وقال انى قد قلت شعرا فقال هاته فقال

العورة ويمكنه الهرب عند الخوف وان شاء كبسهم ليقطع نظامهم أو ليقتطع القطعة منهم قال حميد فهذه هى مفاخرهم وخصالهم التى بها كره القواد لقاءهم قال القاسم بن سيار وخصلة أخرى وهى التى أرعبت القلوب وحشتها ونقضت العزائم وفسختها وهو ما تسمع الاجناد ومقاتلة العوام من ضرب المثل بالخوارج كقول الشاعر اذا ما رأى الخيل المحاذى القرى

بقبر ابن ليلى غالب عذت بعدما ٭ خشيت الردى أو ان أرد على قسر
بقبر امرئ تقرى المنين عظامه ٭ ولم يدن الا غالبا ميت يقرى
فقال لي استقدم أمامك انما ٭ فكانك أن تلقى الفرزدق بالمصر

فقال له الفرزدق ما اسمك قال لهذم قال يا لهذم حكمك مسمط قال ناقة كوماء سوداء الحدقة قال يا جارية اطرحي الينا حبلا ثم قال يا لهذم اخرج بنا الى المربد فالقه في عنق ما شئت فتخير العبد على عينه ثم رمى بالحبل في عنق ناقة وجاء صاحبها فقال له الفرزدق اغدعلي في ثمنها فجعل لهذم يقودها والفرزدق يسوقها حتى اذا نفذ بها من البيوت الى الصحراء صاح به الفرزدق يا لهذم قبح الله أخسرنا

(قوله تقرى المنين عظامه يريد أنهم كانوا ينحرون الابل عند قبور عظمائهم فيطعمون الناس في الحياة وبعد الممات وهذا معروف في أشعارهم) قوله ولم يدن الا غالبا ميت يقرى فانه نصب غالبا لانه استثناء مقدم وانما انتصب الاستثناء المقدم لما أذكره لك وذلك أن حق الاستثناء اذا كان الفعل مشغولا به أن يكون جاريا عليه لا يكون فيه الا هذا تقول ما جاءني الا عبد الله وما رأيت الا عبد الله وما مررت الا بعبد الله فان كان الفعل مشغولا بغيره فكان موجبا لم يكن في المستثنى الا النصب نحو جاءني اخوتك الا زيدا كما قال تعالى فشربوا منه الا قليلا منهم ونصب هذا على معنى الفعل والدليل على ذلك فاذا قلت جاءني القوم لم يؤمن أن يقع عند السامع أن زيدا أحدهم فاذا قال الا زيدا فالمعنى لا أعني فيهم زيدا أو استثنى ممن ذكرت زيدا ولسيبويه فيه تمثيل والذي ذكرت لك أبين منه وهو مترجم عما قال غير مناقض له وان كان الاول منقيا جاز البدل والنصب والبدل أحسن لان الفعل الظاهر أولى بان يعمل من المخترل الموجود بدليل وذلك قولك ما أتاني أحد الا زيد وما مررت باحد الا زيد والفصل بين المنفي والموجب أن المبدل من الشئ يفرغ له الفعل فانت في المنفي اذا قلت ما جاءني أحد الا زيد اذا حذفت على جهة البدل صار التقدير ما جاءني الا زيد لانه بدل من أحد والموجب لا يكون فيه البدل لانك اذا قلت جاءني اخوتك الا زيدا لم يجز حذف الاول لا تقول جاءني الا زيد وان شئت ان تقول في النفي ما جاءني أحد الا زيدا جاز ونصبه بالاستثناء الذي شرحت لك في الواجب والقراءة الجيدة ما فعلوه الا قليل منهم وقد قرئ الا قليلا منهم على ما شرحت لك في الواجب والقراءة الاولى فاذا قدمت المستثنى بطل البدل

رأى الضيف مثل الازرق المخفف

هذه زيادة القاسم بن سيار وأما حميد فانه قال فاما الشدة فالتركي فيها أحد أثرا وأجمع أمرا وأحكم شأنا لان التركي من أجل ان تصدق شدته ويمكن عزمه ولا يكون مشترك العزم ومنقسم الخواطر قد عود برذونه ان لا يثنى وان ثناه فلا علاقة بروجه الا ان يديره مرة أو مرتين والا فانه لا يدع سننه ولا يقطع ركضه وانما أراد التركي ان يؤيس نفسه من البدرات ومن ان

لانه ليس قبله شئ يُبْدَلُ منه فلم يكن فيه الا وجهُ الاستثناء فتقول ما جاءنى الا أباكَ أحدٌ وما مررت الا أباكَ بأحدٍ وكذلك تُنْشَدُ هذه الاشعارُ قال كَعْبُ بن مالك الانصارىُّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم

الناسُ أَلَبُّ علينا فيك ليس لنا ... الا السيوفَ وأطرافَ القَنا وزَرُ

وقال الكُمَيْتُ بن زيد

فالى الا آلِ أحمدَ شيعةٌ ... ومالى الا مَشْعَبَ الحقِّ مَشْعَبُ

لا يكون الا هذا وليونس قول مرغوب عنه فلذلك لم نذكره وقوله فقال لى استقدمْ أمامَ مُخْبِرٌ عن الميت بالقول فان العرب وأهل الحكمة من العجم تجعل كلَّ دليل قولا فمن ذلك قول زُهَيْر

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لم تَكَلَّمِ ... *

وانما كلامها عنده أن تُبَيِّنَ عِبَرَ مَن الآثار فيها من قدم أهلها وحدثانِ عَهْدِهم ويُرْوَى عن بعض الحكماء أنه قال هَلَّا وقفتَ على المَعاهد والجنان فقلتَ أيتها الجنانُ مَنْ شَقَّ أنهارَكِ وغَرَسَ أشجارَكِ وجنى ثمارَكِ فانها ان لم تُجِبْكَ حوارًا أجابتكَ اعتبارا وأهل النظر يقولون فى قول الله عز وجل قالتا أتينا طائعين لم يكن كلام انما فعل عز وجل ما أراد فوُجِدَ قال الراجز

قد خَتَقَ الحَوْضَ وقال قَطْنِى ... سَلَّارُوَيْدًا قد مَلَأْتُ بَطْنِى

ولم يكن كلام انما وجد ذلك فيه وكذلك قوله

فقال لى استَقْدِمْ أمامَ انما ... فكاكُ كان تلقى الفرزدقَ بالمصر

أى قد جُرِّبَ مثلُ هذا منك فى المستجير بقبره وحدثنى العباس بن الفَرَج الرياشىُّ فى اسناد قد ذَهَبَ عنى أكثره قال نزل النُّعمان بن المُنْذِر ومعه عَدِىُّ بن زيد فى ظل شجرة مُونِقة لِيَلْهُوا النُّعمان هناك فقال له عدىُّ بن زيد أيها الملك أَبَيْتَ اللَّعْنَ أتدرى ما تقول هذه الشجرة قال وما الذى تقول قال تقول

(مَنْ رآنا فَلْيُحَدِّثْ نفسَهُ ... أنه مُوفٍ على قَرْنِ زَوال

وصُروفُ الدهر لا يَبْقَى لها ... ولِما تأتى به صُمُّ الجبال)

رُبَّ رَكْبٍ قد أناخوا حولنا ... يَمْزُجون الخمر بالماء الزُّلال

(والاباريقُ عليها أُقْدُمٌ ... وجيادُ الخيل تَرْدِى فى الجِلال

عَمِرُوا الدهرَ بعيشٍ حَسَنٍ ... قَطَعوا دهرَهُمُ غيرَ عِجال)

ثم أضحَوْا عَصَفَ الدهرُ بهم ... وكذاكَ الدهرُ حالا بعد حال

يعتريه التكذيب بعد الاعتزام لهول اللقاء وحب الحياة لانه اذا علم انه قد صير بذونه الى هذه الغاية حتى لا ينثنى ولا يحيد به الى التصرف معه الابان يصنع شيأ بين الصفين فيه عطبه لم يقدم على الشدة الا بعد احكام الامر والبصر بالعودة وانما يريد ان يشبه نفسه بالمخرج الذى اذا رأى أشد القتال لم يدع جهدا ولم يدخر حيلة ولينفى عن قلبه خواطر الفرار ودواعى الرجوع وقال الخارجى عند الشدة انما

قال فتنغص النعمان وهذا فى الامثال كثير وفى الاشعار السائرة وأما قوله حكمك مسمطا فاعرابه أنه أراد لك حكمك مسمطا واستعمل هذا فكثر حتى حذف استخفافا لعلم السامع بما يريد القائل كقولك الهلال والله أى هذا الهلال وأغنى عن قوله هذا القصد والاشارة وكان يقال لرؤبة كيف أصبحت يقول خير عافاك الله فلم يضمر حرف الخفض ولكنه حذف لكثرة الاستعمال والمسمط المرسل غير المردود والكوماء العظيمة السنام

يعتمد على الطعان والاتراك تطعن طعن الخوارج وان شد منهم ألف فارس فرموا رشقا واحدا صرعوا ألف فارس فما بقى جيش على هذا النوع من الشدة والخوارج والاعراب ليست لهم رماية مذكورة على ظهور الخيل والترك يرمى الوحش والطير والبرجاس والناس والجثمة والمثل الموضوعة والطائر الخاطف ويرمى وقد ملا فروج دابته مدبرا ومقبلا ويمنة ويسرة وصعدا وسفلا ويرمى العشرة

(باب)

قال أبو العباس قال الليثى (هو الجاحظ) أعتق سعيد بن العاصى أبا رافع الأسهمى واحدا فيه من أسهم لم يسم عددها فاشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك السهم فأعتقه وكان لابى رافع بنون أشراف منهم عبيد الله بن أبى رافع وحديثه أثبت الحديث عن على بن أبى طالب وكان كالكاتب له وكان عبيد الله بن أبى رافع شريفا وكان عبيد الله ينسب الى ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ولى عمرو بن سعيد الاشدق المدينة لم يعمل شيأ قبل ارساله الى عبيد الله بن أبى رافع فقال له مولى من أنت فقال له مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبرزه فضربه مائة سوط ثم قال له مولى من أنت فقال مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربه مائة أخرى فلما رأى عبد الله أحاه غير راجع وأن عمرا قد ألح عليه فى ضربه قام الى عمرو فقال له اذكر الملح فأمسك عنه والملح ههنا اللبن يريد الرضاع كما قال أبو الطمحان القينى

وانى لارجو منهما فى بطونكم ٭ وما بسطت من جلد أشعث أغبرا

(كذا وقعت الرواية والصواب أغبر لان قبله

ولو علمت صرف البيوع لسرها ٭ بكت أن تبتاع حضنا بأذخر

قاله ش) وكما قال الآخر

لا يبعد الله رب العبا ٭ د والملح ما ولدت خالده

ويروى ان عبيد الله بن أبى رافع أتى الحسن بن على بن أبى طالب فقال انا مولاك فقال فى ذلك مولى لتمام بن عباس بن عبد المطلب يعذله ويعيره

جحدت بنى العباس حق أبيهم ٭ فما كنت فى الدعوى كريم العواقب

متى كان أولاد البنات كوارث ٭ يحوز ويدعى والدا فى المناسب

يريدان العباس أولى بولاء مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم لان العم مدعوٌّ والدا فى كتاب الله تعالى وهو يحوز الميراث وقال رجل من الثقفيين أنشدت مروان بن أبى حفصة هذين البيتين فوقع عندى أنه من هذا أخذ قوله

أنّى يكون وليس ذاك بكائن ٭ لبنى البنات وراثة الأعمام

ألفى سهامهم الكتاب فانهم ٭ أن يشرعوا فيه بغير سهام

الأسهم قبل ان يفوق الخارجى سهما واحدا ويركض دابته منحدرا من سهل أو متسفلا الى بطن واد باكثر ما يمكن الخارجى على بسيط الأرض والترى له أربعة أعين عينان فى وجهه وعينان فى قفاه وللخارجى عيب فى مستدبر الحرب وللخراسانى عيب فى مستقبل الحرب فعيب الخراسانية أن لها جولة عند أول الالتقاء فان ركبوا أكتافهم كانت هزيمتهم وكثيرا ما يثوبون وذلك بعد الخطار بالعسكر

وقال طاهر بن على بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس للطالبيين

لو كان جدكم هنالك وجدنا ٭ فتنازعا فيها الوقت خصام

كان التراث لجدنا من دونه ٭ فحواه بالقربى وبالاسلام

حق البنات فريضة معروفة ٭ والعم أولى من بنى الأعمام

وذكر الزبيريون عن ابن الماجشون قال جاءنى رجل من ولد أبى رافع فقال انى قد قاولت رجلا من موالى بعض العرب فقلت أنا خير منك فقال بل أنا خير منك فما الذى يجب لى عليه فقلت ليس فى هذا شئ فقال أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبرعم انه خير منى قال قلت قد ينصرف هذا على غير الحسب قال فلما رآنى لا أقضى له بشئ قال لى أنت دافع مغرما الآن ولا لى عنده ليس فى موضع مرضى قال وصدق فى بنى تيم لتيم من هو أشرف ولا أمنى ٭ وحدث ان أسامة بن زيد قاول عمرو بن عثمان فى أمر ضيعة يدعيها كل واحد منهما فلجت بهما الخصومة فقال عمرو يا أسامة أتأنف ان تكون مولاى فقال اسامة والله ما يسرنى بولائى من رسول الله صلى الله عليه وسلم نسبك ثم ارتفعا الى معاوية فلجا بين يديه فى الخصومة فتقدم سعيد بن العاصى الى جانب عمرو فجعل يلقنه الحجة فتقدم الحسن الى جانب اسامة يلقنه فوثب عتبة بن أبى سفيان فصار مع عمرو ووثب الحسين فصار مع اسامة فقام عبد الرحمن بن أم الحكم فجلس مع عمرو فقام عبد الله بن العباس فجلس مع اسامة فقام الوليد بن عقبة فجلس مع عمرو فقام عبد الله بن جعفر فجلس مع أسامة فقال معاوية الجلية عندى حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أقطع هذه الضيعة أسامة فانصرف الهاشميون وقد قضى لهم فقال الأمويون لمعاوية هلا اذ كانت هذه القضية عندك بدأت بها قبل الحرب أو أخرتها عن هذا المجلس فتكلم بكلام يدفعه بعض الناس وكان

الذى اعتدّ به الحجاج بن يوسف على سعيد بن جبير لما أُتى به اليه بعد انقضاء أمر ابن الاشعث وكان سعيد عبد الرجل من بنى أسد بن خزيمة فاشتراه سعيد بن العاصى فى مائة عبد وأعتقهم جميعا فقال له الحجاج يا شقى بن كسير أما قدمت الكوفة وليس يؤمّ بها الا عربى فجعلتنى اماما قال بلى قال أفما وليتنى القضاء فضيّع أهل الكوفة وقالوا لا يصلح القضاء الا لعربى فاستقضيت أبا بردة بن أبى موسى الاشعرى وأمرته ان لا يقطع أمرا دونك قال بلى قال أوما جعلتك فى يمّارى وكلهم من رؤس العرب قال بلى قال أوما أعطيتك مائة ألف درهم لتفرقها فى أهل الحاجة ثم لم أسألك عن شئ منها قال بلى قال فما أخرجك على قال بيعة كانت لابن الاشعث فى عنقى فغضب الحجاج ثم قال أفما كانت بيعة أمير المؤمنين عبد الملك فى عنقك قبل والله لا قتلنك يا حرسى اضرب عنقه ونظر الحجاج فاذا جلّ من خرج مع عبد الرحمن من الفقهاء وغيرهم من الموالى فأحب ان يزيلهم عن موضع الفصاحة والآداب ويخلطهم باهل القرى والانباط فقال انما الموالى علوج وانما أُتى بهم من القرى فقراهم أولى بهم فامر بتسييرهم من الامصار وافرار العرب بها وأمر بان ينقش على يد كل انسان منهم اسم قريته وطالت ولاية فتوالد القوم هناك فخبثت لغات أولادهم وفسدت طباعهم فلما قام سليمان بن عبد الملك أخرج من كان فى سجن الحجاج من المطلومين فيقال انه أخرج فى يوم واحد ثمانين ألفا ورد المنقوشين فرجعوا فى صورة الانباط ففى ذلك يقول الراجز

جارية لم تدر ما سوق الابل * أخرجها الحجاج من كنّ وظل

لو كان بدر حاضرا وابن حمل * ما نقشت كفاك فى جلد جمل

وقال شاعر لاهل الكوفة لما استقضى عليها نوح بن درّاج (ينسب للفرزدق)

يا أيها الناس قد قامت قيامتكم * اذ صار قاضيكم نوح بن درّاج

لو كان حيّا له الحجاج ما سلمت * كفّاه ناجية من نقش حجاج

ويروى عن حسّان المعروف بالنبطى صاحب منارة حسّان فى البطيحة قال أُريت الحجاج فيما يرى النائم فقلت أصلح الله الامير ما صنع الله بك فقال يا نبطى أهذا عليك قال فرأيتنا لا نفلت من نقشه فى الحياة ومن شقه بعد الوفاة ويروى عن حسان انه قصّ هذه الرؤيا على محمد بن سيرين فقال له ابن سيرين لقد رأيت الحجاج بالصحة قال أبو العباس وحدّثت من ناحية الزبير بن ان الجحّاف بن حكيم

واطماع العدو فى الشدة والخوارج اذا ولوا فقد ولوا وليس لهم بعد الفرار كرّ الا ما لا يعد والتركى ليست له جولة الخراسانى واذا أدبر فهو السم الناقع والحتف القاضى لانه يصيب بسهمه وهو مدبر كما يصيب بسهمه وهو مقبل ولا يؤمن رهقه قال وهم قد علموا الفرسان حمل فرسين وثلاث فرسى ومن الاوتار على حساب ذلك قال والتركى فى حال شدته معه كل شئ يحتاج اليه لنفسه واسلاحه

دخل على عبد الملك والأخطل عنده فلما بصر به الاخطل قال

ألا أبلغ الجحّاف هل هو ثائر ● بقتلى أصيبت من سليم وعامر

فقال الجحّاف بلى سوف نبكيهم بكل مهند ● وتبكى عميرا بالرماح الخواطر

ثم قال يا ابن النصرانية ما ظنك بمن تجترئ على بمثل هذا ولو كنت مأسورا لك لضمّ الأخطل خوفا فقال له عبد الملك أنا جارك منه فقال يا أمير المؤمنين هبك أجرتنى منه فى البقعة فمن يجيرنى منه فى النوم ومن هذا أو نحوه أخذ السلمى قوله (قال أبو الحسن هو أشجع السلمى يقوله للرشيد)

وعلى عدوك يا ابن عمّ محمد ● رصدان ضوء الصبح والاظلام

فاذا تنبّه رعته واذا هدا ● سلّت عليه سيوف الاحلام

وكان العديل بن الفرخ العجلى هاربا من الحجاج فجعل لا يحلّ ببلدة الا ريع لأثر براءة من آثار الحجاج فيهرب حتى أبعد ففى ذلك يقول العديل

يخشونني الحجاج حتى كأنما ● يحرّك عظم فى الفؤاد مهيض

ودون يد الحجاج من أن تنالنى ● بساط لايدى العملّس عريض

فلم ينشب أن أتى به الحجاج ففى ذلك يقول العديل

ولو كنت فى سلمى أجا وشعابها ● لكان لحجّاج على دليل

بنى قبّة الاسلام حتى كأنما ● أتى الناس من بعد الضلال رسول

أجا وسلمى جبلا طيئ وأجا مهموزا وانما هو أجا مقصور فاعلم قال زيد الخيل

جلبنا الخيل من أجا وسلمى ● تخبّ نزائعا خبب الذئاب

والشاعر اذا احتاج الى قلب الهمزة قلبها ان كانت الهمزة مكسورة جعلها ياء أو ساكنة جعلها على حركة ما قبلها وان كانت مفتوحة وقبلها فتحة جعلها ألفا وان كانت مفتوحة وقبلها كسرة جعلها ياء وان كانت قبلها ضمة جعلها واوا قال الفرزدق

راحت بمسلمة البغال عشية ● فارعى فزارة لا هناك المرتع

وقال حسان بن ثابت سألت هذيل رسول الله فاحشة ● سلّت هذيل بما سالت ولم تصب

وقال عبد الرحمن بن حسان وكنت أذلّ من وتد بقاع ● يشجّ رأسه بالفهر واجى

ولدابته وأداة دابته فاما الصبر على الحبب ومواصلة السير وعلى طول السرى وقطع البلاد فظاهر أن فرس الخارجى لا يصبر صبر بردون التركى والخارجى لا يحسن ان يعالج فرسه الا معالجة الفرسان لخيولهم والتركى أحذق من البيطار وأجود تقويما لبردونه على ما يريد من الرياضة وهو استنتجه وهو رباه فلو اراد يتبعه ان سماه وان ركض ركض خلفه قد عوده حتى عرفه كما يعرف الفرس أجذم

وأما قول الفرزدق فانه يقول لما عُزِلَ مَسْلَمَةُ بن عبد الملك عن العراق بعد قتله يزيد بن المهلب لحاجة الخليفة الى قُربه وولّى عمر بن هُبَيْرَةَ فقال

راحتْ بمَسْلَمَةَ البغالُ عشيةً • فارعَ فزارةُ لا هناكِ المَرْتَعُ

ولقد سلمتِ اذا فزارةُ أُمِّرَتْ • ان سوف تَطْمَعُ في الامارة أَتْضَعُ

قاري الامور تَنَكَّرَتْ أعلامُها • حتى أُمَيَّةُ عن فزارة تَنْزِعُ

عُزِلَ ابنُ عمرو وابن بِشْرٍ قَبْلَهُ • وأخو هَراةَ لمثلها يَتَوَقَّعُ

(تَنْزِعُ رواية عاصم فمن روى تُنْزَعُ بضم التاء يعني تُعْزَلُ ومن روى بفتح التاء وكسر الزاي فهو من النَّزْعِ في القوس وهو الرمي يشير الى أنها محتاجة الى رأيها وأنها ترمي عن قوسها) فمن جواب هذا يقول الأَسَدِيُّ لما وَلِيَ خالدُ بن عبد الله القَسْرِيُّ

بَكَتِ المنابرُ من فزارة شَجْوَها • فالآنَ من قَسْرٍ تَضِجُّ وتَخْشَعُ

ومَلُولُ خِنْدَفَ أسلمونا للعِدَى • لله دَرُّ مُلُوكِنا ما تَصْنَعُ

(دَنَوا كتاركةٍ بَنِيها جانبًا • سَفَهًا وغيرُهُمُ تَصُونُ وتُرْضِعُ)

وأما قول حسان سألتُ هذيلٌ رسولَ الله فاحشةً فليس من لغته سلتُ أَسْأَلُ مثل خفتُ أَخافُ وهما يتساولان هذا من لغة غيره وكانت هذيل سألت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ان يُحِلَّ لها الزنا ويروى ان أَسَدِيًّا وهُذَلِيًّا تفاخرا فرضيا برجل فقال اني ما أقضي بينكما الا ان تجعلا لي عَقْدًا وثيقًا أن لا تَضْرِباني ولا تَشْتِماني فاني لستُ في بلاد قومي ففعلا فقال يا أخا بني أسد كيف تُفاخِرُ العربَ وأنت تعلم انه ليس حيٌّ أحبَّ الى الجيش ولا أبغضَ الى الضيف ولا أقل تحت الرايات منكم وأما أنت يا أخا هُذَيْلٍ فكيف تكلم الناس وفيكم خلالٌ ثلاثٌ كان منكم دليلُ الحبشة على الكعبة ومنكم خَوْلَةُ ذاتُ النَّحْيَيْنِ وسألتم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ان يُحِلَّ لكم الزنا ولكن اذا أردتما بَيْتَيْ مُضَرَ فعليكما بهذين الحَيَّيْنِ من تميم وقيس قُومَا في غير حفظ الله وأما بيتُ عبد الرحمن بن حسان فانه يقوله لعبد الرحمن بن الحَكَمِ بن أبي العاصي وكان يهاجيه فقال له في كلمته

• وأما قولُك الخلفاءُ منا • فهم منعوا وريدَكَ من وداج

ولولا هُمْ لكنتَ كحوتِ بحرٍ • هَوَى في مُظْلِمِ الغَمَرات داجي

والناقة حلى والجمل جأ والبغل عدس والحمار سأساء وكما يعرف المجنون لقيه والصبي اسمه ولو حصرت مدة عمر التركي وحسبت أيامه لوجدت جلوسه على ظهر الارض نادرا والتركي يركب فحل ارماكه ويخرج غازيا أو مسافرا أو متباعدا في طلب صيد أو سبب من الاسباب فتتبعه الرمكة وأفلاؤها ان أعياه اصطيادا الناس اصطاد الوحش وان أخفق منها واحتاج الى طعام قصد

وكنتَ أذلَّ من وتدٍ بقاعٍ ٭ يُشجَّجُ رأسه بالفِهرِ واجي

وكان أحدَ من هرب من الحجاج سوّارُ بن المُضرِّب (بفتح الراء) فيه ذلك يقول

أفاتَ لِيَ الحجّاجُ ان لم أَزُرْ له ٭ دَرَابَ وأترُكْ عندهنّد فُؤاديا

فان كان لا يرضيهُ حتى تَرُدَّني ٭ الى قَطَرِيّ ما اخالُكَ راضيا

اذا جاوَزَتْ دَربَ المُجيزِ بن ناقتي ٭ فباستِ أبي الحجّاج لماثَنانيا

أَيَرجُو بنو مَروانَ سمعي وطاعتي ٭ وقومي تميمٌ والفَلاةُ ورائيا

(فاعل يرضيهُ مضمرٌ أو نَويّ تقديره فان كان لا يرضيهُ الا رضاه ولا يجوز أن يكون ما بعد يرضيهُ الفاعلَ لان سيبويه رحمه الله قال الفاعلُ لا يكون جملة وحتى تَرُدَّني جملةٌ قاله ابن الأبرش) وورائي هاهنا بمعنى أمامي قال الله عز وجل وانى خِفتُ المَوالِيَ من وَرائي وقال جل ثناؤه وكان وراءَهم مَلِكٌ يأخُذُ كلَّ سفينة غَصْباً ومن هرب من الحجاج محمد بن عبد الله بن عُمَيرٍ الثَقَفيُّ وكان يُشَبِّبُ بزينب بنت يوسف أخت الحجاج وهو القائل فيها

تَضَوَّعَ مِسكاً بطنُ نَعمانَ اذ مَشَتْ ٭ بهِ زينبٌ في نِسوةٍ عَطِراتِ

يُخَبِّئْنَ أطرافَ البَنانِ من التُقَى ٭ ويَخرُجْنَ شَطرَ اللَيلِ مُعتَجِراتِ

في كلمة له فلما أُتيَ به الحجاج قال

هالَتْ يَدي ضاقَتْ بي الارضُ رَحْبُها ٭ وان كنتُ قد طَوَّفتُ كلَّ مَكانِ

فلو كنتُ بالعَنقاءِ أو بأسُومِها ٭ لخِلتُكَ الا أن تَصِدَّ تَرانِي

(من رفع رَحْبُها فعلى البدل ومن نصب فعلى الظرف قاله ش وأسومها بفتح الهمزة وبالضم والفتح أحسن ش) ثم قال والله أيُّها الامير ان قلتُ الا خيرا انما قلتُ

يُخَبِّئْنَ أطرافَ البَنانِ من التُقَى ٭ ويَخرُجْنَ شَطرَ اللَيلِ مُعتَجِراتِ

فعفا عنه ثم قال له اخبرني عن قولك

ولما رأَتْ رَكْبَ الغُمَيرِيّ أعرَضَتْ ٭ وكُنَّ مِنَ ان يلقَينَهُ حَذِراتِ

ما كنتم قال كنتُ على حمار هَزيل ومعي صاحبٌ لي على أتان مثله وممن هرب منه مالك بن الرَيب المازنيُّ أحدُ بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم وفي ذلك يقول

دابة من دوابه وان عطش حلب رمكة من رماكه وان أراح واحدة ركب أخرى من غير أن ينزل الى الأرض وليس في الأرض أحد الا وبدنه ينتفض عن اقتيات اللحم وحده غيره وكذلك دابته تكتفي بالعنقر والعشب والشجر لا يظلها من شمس ولا يكنها من برد قال وأما الصبر على الحبب فان الثغريين والفزاتقيين والحصيان والخوارج لو اجتمعت قواهم في شخص واحد لما وفوا بتركي

ان تنصفونا يال مروان نقترب • اليكم والا فأذنوا ببعاد

فان لنا عنكم مزاحا ومرحلا • يعيس الى ريح الفلاة صوادى

فى الارض عن دار المذلة مذهب • وكل بلاد أوطنت كبلادى

(كذا وقعت الرواية بضم الهمزة وكسر الطاء والاصح أوطنت بفتح الهمزة وفتح الطاء قاله ش)

فما ترى الحجاج يبلغ جهده • اذا نحن جاوزنا حفير زياد

فلولا بنو مروان كان ابن يوسف • كما كان عبدا من عبيد اياد

زمان هو العبد المقر بذلة • يراوح ضبيان القرى ويغادى

قال ذلك لان الحجاج كان هو وأخوه معلمين بالطائف وكان لقبه كليبا وفى ذلك يقول القائل

أينسى كليب زمان الهزال • وتعليمه سورة الكوثر

رغيف له فلكة ما ترى • وآخر كالقمر الازهر

يقول خبز المعلمين يأتى مختلفا لانه من بيوت صبيان مختلفى الاحوال وأنشد أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

أما رأيت بنى بحر وقد حملوا • كأنهم خبز بقال وكتاب

هذا طويل وهذا حنبل جعد • يمشون خلف عمير صاحب الباب

وفى لقبه يقول آخر من أهل الطائف كليب تمكن فى أرضكم • وقد كان فينا صغيرا الخطر

ولما دخل الحجاج مكة اعتذر الى أهلها لقلة ما وصلهم به فقال قائل منهم اذا والله لا نعذرك وأنت أمير العراقين وابن عظيم القريتين وذلك ان عروة بن مسعود ولده من قبل أمه وتأويل قول الله عز وجل وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم مجازه فى العربية على رجل من رجلين من القريتين عظيم والقريتان مكة والطائف والرجلان عروة بن مسعود والآخر الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ويروى ان أبا بكر الصديق رحمه الله مر بقبره ومعه خالد فقال أصبح جمرة فى النار فأجابه خالد فى ذلك بجواب غير مرضى وأما عروة بن مسعود فان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه الى الطائف يدعوهم الى الاسلام فرقى سطحة فرماه رجل بسهم فقتله فلما وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب رحمه الله الى أهل مكة أبطأ عليه فقال رد راعلى أبى أما الذى فعلت به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود لاضرمنها عليهم نارا

واحد والتركى لا يبقى معه مع طول الغيبة الا الصميم من دوابه والذى يقتله التركى بانعابه له ويبقيه عند غزاته هو الذى لا يصبر معه فرس الخارجى ولا يبقى معه كل برذون نجارى ولو سار خارجيا لا ستفرغ جهده قبل ان يبلغ الخارجى عفوه والتركى هو الراعى وهو السايس وهو الرائض وهو القناص وهو البيطار وهو الفارس فالتركى الواحد أمة على حدة قال واذا سار التركى فى غير

يقال رَقِيتُ السطحَ وما كان مثلُه أرقاه مثل خَشِيتُه أخشاه كما قال الله تبارك وتعالى أو ترقى في السماء ويقال رَقَيْتُ اللديغَ أرقيه مثل رميته أرميه ويقال ما رَقَأَتْ عينه من الدمع مهموز تَرْقَأُ يا فتى مثل قَرَأْتَ تقرأ يا فتى وكان الحجاج رأى في منامه ان عينيه قُلِعتا فطلَّق الهندين هندا بنت المُهلَّب وهندا بنت أسماء بن خارجة فلم يَلْبَثْ أن جاءه نعيُ أخيه من اليمن في اليوم الذي مات فيه ابنه محمد فقال هذا والله تأويل رؤياي ثم قال انا لله وانا اليه راجعون مُحَمَّدٌ ومُحَمَّدٌ في يوم واحد

حَسْبي بقاءُ الله من كل ميِّت ٭ وحَسْبي رجاءُ الله من كل هالك

اذا كان ربُّ العرش عنّي راضيًا ٭ فانّ شفاء النفس فيما هنالك

(ويروى فان سرور النفس) وقال مَنْ يقول شعرا يُسَلِّيني به فقال الفرزدق

ان الرَّزِيَّةَ لا رَزِيَّةَ مثلُها ٭ فُقْدانُ مثلِ محمدٍ ومحمد

ملكان قد خلَتِ المنابرُ منهما ٭ أخذ الحِمامُ عليهما بالمرصد

فقال لو زدتني فقال الفرزدق

انّي أبالُ على ابنَيْ يوسفَ جَزْعا ٭ ومثلُ فَقْدِهما للدين يُبكيني

ما سَدَّ حَيٌّ ولا ميتٌ مَسَدَّهما ٭ الا الخلائفُ من بعد النبيّين

فقال له ما صنعتَ شيأ انما زدتَ في حزني فقال الفرزدق

لئن جَزِعَ الحَجّاجُ ما من مصيبة ٭ تكون لمحزونٍ أجَلَّ وأوجعا

من المُصْطَفى والمُصْطَفى من خيارهم ٭ جناحَيْه لما فارقاه فَوَدَّعا

أخٌ كان أغنى أيمنَ الارض كلِّه ٭ وأغنى ابنُه أهلَ العراقين أجمعا

جَناحا عُقابٍ فارقاه كلاهما ٭ ولو نُزِعا من غيره لتضعضعا

فقال الآن أما قوله الا الخلائفَ من بعد النبيّين فخفض هذه النون وهي نون الجمع وانما فعل ذلك لانه جعل الاعراب فيها الا فيما قبلها وجعل هذا الجمع كسائر الجمع نحو أفلُس ومَساجِد وكالِب فان اعراب هذا كاعراب الواحد وانما جاز ذلك لان الجمع يكون على ابنية شتّى وانما يُلحَقُ منه بمنهاج التثنية ما كان على حدّ التثنية لا يُكَسَّرُ الواحدُ عن بنائه والافلان الجمع كالواحد لاختلاف معانيه كما تختلف معاني الواحد والتثنيةُ ليست كذلك لانها ضَرْبُ واحد

عساكر الترك فسار القوم عشرة أميال سار التركي عشرين ميلا لانه ينقطع عن العسكر عنة ويسرة ويصعد في ذرى الجبال ويستبطن قعور الاودية في طلب الصيد وهو في ذلك يرمي كل دابّ ودرج وطار ووقع قال والتركي لم يسر في العسكر سير الناس قط ولا سار مستقيما قط قال واذا طالت الدجلة واشتد السير وبعد المنزل وانتصف النهار واشتد التعب وشغل الناس الكلام وصمت المقصّرون

ولا يكون اثنان أكثر من اثنين عدداً كما يكون الجمع أكثر من الجمع فما جاء على هذا المذهب قولهم هذه سنين فاعلم وهذه عشرين فاعلم قال العدواني

أني أبي أبيّ ذو محافظة • وابن أبي أبي من أبيين

وأنتم معشر زيد ما على مائة • فأجمعوا كيدكم طراً فكيدوني

وقال مخيم بن وثيل وماذا يدّري الشعراء مني • وقد جاوزت حدّ الاربعين

أخو خمسين مجتمع أشدي • ونجذني مداورة الشؤون

وفي كتاب الله عز وجل ولا طعام الا من غسلين فلن قال قائل فان غسلينا واحد فانه كل ما كان على بناء الجمع من الواحد فاعرابه كاعراب الجمع ألا ترى ان عشرين ليس لها واحد من لفظها واعرابها كاعراب مسلمين واحدهم مسلم وكذلك جميع الاعراب وتقول هذه فلسطون يا فتى ورأيت فلسطين يا فتى هذا القول الاجود وكذلك يبرين وفي الرفع يبرون يا فتى وكل ما أشبه هذا فهو بمنزلته تقول قنسرون ورأيت قنسرين والاجود في هذا البيت (هو للاعشى)

وشاهدنا الجلّ وانياعمو • ن والمسمعات بقصابها

(الجلّ الورد والقصاب الاوتار وقيل الزمّار) وفي القرآن ما يصدق ذلك قول الله عز وجل كلا إنّ كتاب الابرار لفي عليين وما أدراك ما عليّون فمن قال هذه قنسرون ويبرون فنسب الى واحدة منهما رجلا أو شيأ قال هذا رجل قنسري ويبري بحذف النون والواو لمجيء حرف النسب ولو أثبتهما فكان في الاسم رفعان ونصبان وجران لان الياء مرفوعة والواو علامة الرفع ومن قال هذه قنسرين كما ترى قال في النسب قنسريّ لان الاعراب في حرف النسب وانكسرت النون كما ينكسر كل ما لحقه النسب وأما قوله ونجذني مداورة الشؤون فمعناه فهمني وعرّفني كما يقال حنكته النجارب والناجذ آخر الاضراس من ذلك قولهم ضحك حتى بدت نواجذه والشؤون جمع شأن مهموز وهو الامر وقال المفسرون من أهل الفقه وأهل اللغة في قول الله تبارك وتعالى ولا طعام الا من غسلين هو غسالة أهل النار وقال النحويون هو فعلين من الغسالة ويروى أن عمر بن عبد العزيز خرج يوما فقال الوليد بالشام والحجاج بالعراق وقرة بن شريك بمصر وعثمان بن حيان بالحجاز ومحمد بن يوسف باليمن امتلأت الارض والله جورا وكتب الحجاج الى الوليد بن عبد الملك

فلم ينطقوا وقطعهم ما هم فيه عن التشاغل بالحديث وتفسخ كل شئ من شدة البرد وعني كل جليد قوي على طول السري ان تطوى له الارض وكلما رأى خيالا أو علما استبشر به وظن انه قد بلغ المنزل واذا بلغه الفارس نزل وهو متفجع كانه صبي مجنون يئن أنين المريض ويسترجع الى الثواب ويتداوى مما به بالتمطي والتفجع ترى التركي في تلك الحال وقد صار ضعف ما صار وقد

بعد وفاة محمد بن يوسف أُخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أنه أُصيب لمحمد بن يوسف خمسون ومائة ألف دينار فان يكن أصابها من حلها فرحمه الله وان تكن من خيانة فلا رحمه الله فكتب اليه الوليد أما بعد فقد قرأ أمير المؤمنين كتابك فيما خلّف محمد بن يوسف وانما أصاب ذلك المال من تجارة أحللناها له فترحّم عليه رحمه الله ويروى أن يزيد بن معاوية قال لمعاوية في يوم بُويع له على عهده فجعل الناس يمدحونه ويُقرظونه يا أمير المؤمنين والله ما ندري أتخدع الناس أم يخدعونا فقال له معاوية كلٌّ من أردت خديعته فتخادع لك حتى تبلغ منه حاجتك فقد خدعته ويروى أن الحجاج كتب الى عبد الملك بن مروان وبلغني أن أمير المؤمنين عطس عطسة فشمّته قوم فقال يغفر الله لنا ولكم فيا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما وزعم الاصمعي قال خرج الوليد وما على الناس وهو مُشعانّ الرأس فقال مات الحجاج بن يوسف وثَرّة بن شريك وجعل يتفجّع عليهما قوله مشعانّ الرأس يعني منتفخ الشعر متفرقه (الرواية منتفخ والصحيح منتفش قاله ابن سراج) ومثل هذا لا يكون في شعر لان في هذا التقاء ساكنين ولا يقع مثل هذا في وزن الشعر الا فيما تقدم ذكره في المتقارب وليس ذا على ذلك الوزن وحُدّثت أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله وجّه عبد الله بن عبد الأعلى ومعه رجل من عَنَس الى اليون فقال العَنَسي لحلابي عمد دونه وقال لي احفظ كل ما يكون منه فلما صرنا اليه صرنا الى رجل عربي اللسان انما نشأ بعَسْقَ فذهب عبد الله ليتكلم فقلت على رسلك فحمدت الله وصليت على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قلت اني وُجّهت بالذي وجّه به هذا وان أمير المؤمنين يدعوك الى الاسلام فان تقبله تُصب رُشدك وان لا أحسب أن الكتاب قد سبق عليك بالشقاء الا أن يشاء الله غير ذلك فان قبلت والا فاكتب جواب كتابنا قال ثم نتكلم عبد الله فحمد الله وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم وذهب في القول وكان مُعوّها فقال له أليون يا عبد الله ما تقول في المسيح فقال روح الله وكلمته فقال أيكون ولد من غير فحل فقال عبد الله في هذا نظر فقال أي نظر في هذا أما نعم وأما لا فقال عبد الله آدم خلقه الله من تراب فقال ان هذا أُخرج من رحم قال في هذا نظر قال له أليون بالرومية اني أعلم أنك لست على ديني ولا على دين الذي أرسلك قال وأنا أفهم بالرومية ثم قال أتعظمون يوما غير يوم الجمعة فقال نعم فقال وما ذلك اليوم أمن أعيادكم هو فقال لا قال فلم تعظمونه قال عبد القوم كانوا صالحين قبل أن يصير اليكم قال فقال له

أتعب مناكبيه كثرة النزع يرى لقرب المنزل عيرا أو ظبيا أو عرض له ثعلب أو أرنب كيف يركض ركض مبتدئ مستأنف حتى كأن الذي سار ذلك السير وتعب ذلك التعب غيره وان بلغ الناس واديا فازدحموا على مسلكه أو على فطرة بطن يردونه فاقتصه ثم طلع من الجانب الآخر كأنه كوكب وان انتهوا الى عقبة صعبة تركه السير وذهب في الجبل صعدا ثم تدلى من موضع

اليون بالرومية قد علمت أنك لست على ديني ولا على دين الذي أرسلك فقال له عبد الله أتدري ما يقول أهل السفه قال وما يقولون قال يقولون قال ابليس أمرت أن لا أسجد الا لله ثم قيل لي اسجد لآدم قال فقال له بالرومية الامر فيك أبين من ذلك قال ثم كتب جواب كتابي قال فرجعنا الى عمرها قال فخبرناه بما أردنا ثم مضينا فرددني اليه من باب الدار فخلا بي فأخبرته فقال لعنه الله لقد كانت نفسي تأباه ولم أحسبه يجترئ على مثل هذا قال فلما خرجت قال لي عبد الله ما الذي قال لك قال قلت قال لي أتطمع فيه قلت لا ولما وجه عبد الملك الشعبي الى صاحب الروم فكلمه قال له صاحب الروم بعد انقضاء ما بينهما أمن أهل بيت المملكة أنت قال قلت لا ولكني رجل من العرب قال فكتب معي رقعة وقال لي اذا أديت جواب ما جئت له فأد هذه الرقعة الى صاحبك قال فلما رجعت الى عبد الملك فأعطيته جواب كتابه وخبرته بما دار بيننا مضيت ثم ذكرت الرقعة فرجعت فدفعتها اليه فلما ولّيت دعاني فقال لي أتدري ما في هذه الرقعة قلت لا قال فيها العجب لقوم فيهم مثل هذا كيف ولّوا أمورهم غيره تمال فلما ولّيت دعاني فقال لي أفتدري ما أراد بهذا قلت لا قال حسدني عبدك فاراد أن أقتلك قال فقلت انما كثرت عنده يا أمير المؤمنين لانه لم ير لك قال فرجع الكلام الى ملك الروم فقال لله أبوه ما عدا ما في نفسي وحدثت ان معاوية كان اذا أتاه عن بطريق من بطارقة الروم كيد لا سلام احتال له فاهدى اليه وكاتبه حتى يغري به ملك الروم فكانت رسله تأتيه فتخبره بان هناك بطريقا يؤذي الرسل ويطعن عليهم ويسيء عشرتهم فقال معاوية أي شيء في عمل الاسلام أحب اليه فقيل له الخفاف الحمر ودهن البان فالطفهم بما حتى عرفت رسله باعتياده ثم كتب كتابا اليه كانه جواب كتابه منه يعلمه فيه انه وثق بما وعده به من نصره وخذلان ملك الروم وأمر الرسول بان يتعرض لان يظهر على الكتاب فلما ذهبت رسله في أوقاتها ثم رجعت اليه قال ما حدث هناك قالوا فلان البطريق رأيناه مقتولا مصلوبا فقال وانا أبو عبد الرحمن وحدثت أن ملك الروم في ذلك الاوان وجه الى معاوية ان الملوك قبلك كانت تراسل الملوك منا ويجهد بعضهم في ان يغرب على بعض أفتأذن في ذلك فاذن له فوجه اليه برجلين أحدهما طويل جسيم والآخر أيد فقال معاوية لعمرو أما الطويل فقد أصبنا كفأه وهو قيس ابن سعد بن عبادة وأما الآخر الأيد فقد احتجنا الى رأيه فيه فقال ههنا رجلان كلاهما اليد

يعجز عنه الوعل وأنت تحسبه مخاطرا بنفسه للذي ترى من مطلعه ولو كان في كل ذلك مخاطرا لما دامت له السلامة مع تتابع ذلك منه قال ويعجز الخارجي بانه اذا طلب أدرك واذا طلب فات والترى ليس يحوج الى ان يفوت لانه لا يطلب ولا يرام ومن يروم مالا يطمع فيه فهذا دليل على انا قد علمنا ان العلة التي عمت الخوارج بالنجدة استوا حالاتهم في أشد الديانة واعتقادهم بان

بَغيضٌ محمدُ بن الحَنَفيَّة وعبدُ الله بن الزُّبَيْر فقال معاوية مَنْ هو أقربُ الينا على حال فلما دخل الرجلان وَجَّهَ الى قيس بن سعد بن عُبادة يُعلِمُه فدخل قيسٌ فلما مَثَلَ بين يدي معاوية نَزَعَ سراويلَه فرمى بها الى العِلْج فلبسها فطالت ثَنْدُوَتُه (الثندوة ما اسود حول الحلمة) فأطرق مغلوباً فَفُدِنَتْ ان قيساً لئيم في ذلك فقيل له لم تبدَّلتَ هذا التبدُّل بحضرة معاوية هلَّا وجَّهتَ الى غيرها فقال

أردتُ لكيما يَعلَمَ الناسُ أنها ٭ سَراويلُ قيسٍ والوُفودُ شُهودُ

وان لا يقولوا غابَ قيسٌ وهذه ٭ سَراويلُ عادِيٍّ غَشَتْه ثَؤودُ

وانِّي من القوم اليَمانينَ سَيِّدٌ ٭ وما الناسُ الا سيِّدٌ ومَسودُ

وبَذَّ جميعَ الخَلْقِ أصلي ومَنْصِبي ٭ وجسمٌ به أعلو الرجالَ مَديدُ

وكان قيس سِناطاً فكانت الانصارُ تقول لوددنا أنا اشترينا له لِحْيَةً بأنصاف أموالنا وسنذكر خبره بعد انقضاء الخبران شاء الله (السِناط والسَّنوط أن يكون في الذقن شيء من الشعر ولا يكون في العارضين شيء فان لم يكن فيهما جميعاً شيء فهو القُطُّ) ثم وَجَّهَ الى محمد بن الحنفية فدخل فخبَّرَ بما دُعِيَ له فقال قولوا له ان شاء فليجلس ولْيُعطِني يده حتى أُقيمَه أو يُقعِدَني وان شاء فليكن القائمَ وانا القاعدَ فاختار الرومِيُّ الجلوسَ فقامه محمدٌ وعجز هو عن اقعاده ثم اختار أن يكون محمدٌ هو القاعدَ فجذبه فأقعده وعجز الرومِيُّ عن اقامته فانصرفا مغلوبين وحدثني أحدُ الهاشميين ان ملكَ الروم وَجَّهَ الى معاوية بقارورة فقال ابعثْ الَيَّ فيها من كل شيء فبعثَ الى ابن عباس فقال لِمُلَاطِه له ماءً فلما وُرِدَ بها على ملك الروم قال لله أبوه ما أدْهاه فقيل لابن عباس كيف اخترت ذلك فقال لقول الله عز وجل وجعلنا من الماء كلَّ شيءٍ حيٍّ وقيل لرجل من بني هاشم وهو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين وكان يُقدَّمُ في معرفته ما طَعْمُ الماء فقال طعمُ الحياة وأما عبد الله بن الزُّبَيْر فيذكر أهلُه انه قال عالِجْني لحيتي لتتصل لي الى ان بلغتْ سنتين سنةً فلما أكلتْها يَئِسْتُ منها وكان قيس بن سعد شجاعاً جواداً سيداً وجاءته عجوز قد كانت تألفُه فقال لها كيف حالك فقالت ما في بيتي جُرَذٌ فقال ما أحسنَ ما سألتِ أما والله لأُكثِرَنَّ جِرْذانَ بيتك وكان سعدُ بن عُبادة حيث تَوَجَّهَ الى حَوْرانَ قَسَمَ ماله بين ولده وكان له حَمْلٌ لم يَشْعُر به فلما وُلِدَ له قال له عمر بن الخطاب يعني قيساً لَأَنْقُضَنَّ ما فعل سعدٌ فجاءه قيسٌ فقال يا أميرَ المؤمنين نصيبي لهذا المولود ولا تَنْقُضْ ما فعل سعد قال أبو العباس حُدِّثْتُ

القتال دين لاننا حين وجدنا السجستاني والخزري واليماني والمغربي والعماني والازرقي منهم والنجدي والاباضي والصفوي والمولى والعربي والعجمي والاعرابي والعبيد والنساء والخائن والفلاح كلهم يقاتل مع اختلاف الانساب وتباين البلدان علمنا ان الديانة هي التي سوت بينهم في ذلك كان كل جحام في الارض من أي جنس كان ومن أهل أي بلد كان فهو يحب النبيذ وكان

هذا الحديث من حيث أثق به ان أبا بكر وعمر رحمهما الله مشيا الى قيس بن سعد يسألانه فى أمر هذا المولود فقال نصيبى له ولا أغير ما فعل سعد وكان معاوية كتب الى قيس بن سعد وهو والى مصر لعلى بن أبى طالب رحمه الله أما بعد فانك يهودى ابن يهودى ان غلب أحب الفريقين اليك عزلك واستبدل بك وان غلب أبغضهما اليك قتلك ومثل بك وقد كان أبوك فوق سهمه ورمى غرضه فاكثر الحز واخطأ المفصل حتى خذله قومه وأدركه يومه فمات غريبا بحوران والسلام فكتب اليه قيس أما بعد فانك وثن ابن وثن لم يقدم ايمانك ولم يحدث نفاقك ولم تدخل فى الدين كرها ولم تخرج منه طوعا وقد كان أبى فوق سهمه ورمى غرضه فسعيت عليه أنيت وأبوك ونظرا لك فلم تشكروا غباره ولم تذكروا شأوه ونحن أنصار الدين الذى خرجت منه وأعداء الدين الذى خرجت اليه والسلام وكان قيس موصوفا مع جماعة قد بيدوا الناس طولا وجمالا منهم العباس بن عبد المطلب رحمه الله وولده وجرير بن عبد الله البجلى والاشعث بن قيس الكندى وعدى بن حاتم الطائى وابن جذل الطعان الكنانى وأبو زبيد الطائى وزيد الخيل بن مهلهل الطائى وكان أحد هؤلاء يقبل المرأة على الهودج وكان يقال للرجل منهم مقبل الظعن وكان طلحة بن عبيد الله موصوفا بالتمام

أصحاب الخلقان والسماكين والنماسين والحاكة فى كل بلد ومن كل جنس شرار خلق الله فى المبايعة والمعاملة فعلمنا بذلك ان ذلك خلقة فى هذه الصناعات وبنية فى هذه التجارات حتى صاروا من بين جميع الناس كذلك قال ورأيناه فى بلاده ليس يقاتل على دين ولا على تأويل ولا على ملك ولا على خراج ولا على عصبية ولا على غيره دون الحرمة ولا على حمية ولا على عداوة

(باب)

قال أبو العباس قال السليك ابن السلكة وهى أمه وكانت سوداء حبشية وكان من غربان العرب وهو السليك بن عمير السعدى

ألا عتبت على فصار عتبى ... وأعجبها ذوو اللمم الطوال

فانى يا ابنة الاقوام أربى ... على فعل الوضى من الرجال

فلا تصلى بصعلوك تؤوم ... اذا أمسى يعد من العيال

ولكن كل صعلوك ضروب ... بنصل السيف هامات الرجال

(كل خبر ابتداء والتقدير همم)

أشاب الرأس أنى كل يوم ... أرى لى خالة وسط الرحال

يشق على ان ألقين ضيما ... ويعجز عن تخلصهن مالى

قوله وأعجبها ذوو اللمم الطوال يعنى الجمم وان شئت قلت الجمام يقال جمة وجمم كقولك ظلمة

وظُلْم ويقال جِمام كقولك جُفْرة وجِفار (الجُفْرة هى الحفرة العظيمة) ورُمّة وبِرام قال الشاعر

امّا تَرَى لِمَتِى أودَى الزمانُ بها ● وشَيَّبَ الدهرُ أصداغى وأفوادى

وقوله على فَعِل الوَضِئ من الرجال يريد الجميل وهو فعيل من وَضُؤَ يَوْضُؤُ يا فتى تقديره كَرُم يَكْرُم وهو كريم ومصدره الوَضاءة وكذلك قَبُح يَقْبُح قَباحة وسَمُح يَسْمُح سَماحة ويقال ما كنتَ وَضيئا ولقد وضُؤْتَ بعدنا وقوله فلا تَصلى بصعلوك يقول لا تتّصلى به كما نال ابن أحمر

ولا تَصلى بمَضْروك اذا ما ● سَرَى فى القوم أصبحَ مُستكينا

اذا شَرِبَ المُرضّة قال أرْوى ● على ما فى سقائك قد روينا

(اذا صُبَّ ابن حَليبٍ على حامض فهى المُرضّة) والصعلوك الذى لا مال له قال الشاعر (جابر بن عُلْبَة الطائى)

كان الفتى لم يَغْرَ يوما اذا اكْتَسى ● ولم يَتَّضِعْ كالذى مَوَّلا

وقوله نَؤُوم يصفه بالبلادة والكسل وكانت العرب تمدح بخفة الرؤس عن النوم وتذمّ النومة كما قال عبد الملك لمؤدب ولده علّمهم العَوْم وخُذْهم بقلة النوم وانما تَوَجَّع لخالاته لانهن كنّ اماءً ويروى عن رجل من قريش لم يُسَمَّ لنا قال كنت أجالس سعيد بن المُسَيَّب فقال لى يوما مَنْ أخوالُك فقلتُ أمّى فتاةٌ فكأنّى نَقَصْتُ فى عينه فأمْهَلْتُ حتى دخل عليه سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رحمه الله فلما خرج من عنده قلتُ ياعَمِّ مَنْ هذا فقال يا سبحان الله أتجهل مثل هذا من قومك هذا سالم بن عبد الله بن عمر قلت فمَنْ أُمُّه قال فتاة قال ثم أتاه القاسم بن محمد بن أبى بكر الصدّيق رحمه الله فجلس عنده ثم نهض فقلت ياعَمِّ مَنْ هذا فقال أتجهل من أهلك مثلَه ما أعجب هذا هذا القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق قلت فمن أمه قال فتاة فأمْهَلْتُ شيأ حتى جاءه على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه فسلم عليه ثم نهض فقلتُ ياعَمِّ مَنْ هذا قال هذا الذى لا يَسَعُ مسلما ان يجهله هذا على بن الحسين بن على بن أبى طالب قلتُ فمن أمه قال فتاة قال قلتُ ياعَمِّ رأيتُنى نَقَصْتُ فى عينك لما علمت انى لأمّ ولد أتعالى فى هؤلاء اسوةٌ قال فجَلَلْتُ فى عينه جدًّا وكانت أمُّ على بن الحسين سُلافةَ من ولد يزدجرد معروفةَ النسب وكانت من خيرات النساء ويروى أنه قيل لعلى بن الحسين رحمه الله انك من أبرّ الناس ولستَ تأكل مع أمك فى صَحْفة فقال أكره أن تَسبق يدى الى ما قد سبقت اليه عيناها فأكون قد عَقَقْتُها وكان يقال له ابن الخِيَرَتَيْن (يجوز بالياء أفصح) لقول رسول الله صلى الله

ولا على وطن ولا على منع دار ولا مال وانما يقاتل على السلب والخيار فى يده وليس يخاف الوعيد ان هرب ولا يرجو الوعد ان أبلى عذرا وكذلك هم فى بلادهم وعاداتهم وحروبهم وهو الطالب غير المطلوب ومن كان كذلك فانما يأخذ العفو من قوته ولا يحتاج الى مجهوده ثم مع ذلك لا يقوم له شئ ولا يطمع فيه أحد فاطن عن هذه صفته ولو اضطره احراج أو غيره أو غضب أو دين أو عرض

عليه وسلم لله من عباده خيرتان فخيرته من العرب قريش ومن العجم فارس وكانت سلافة عمة أم يزيد الناقص أو أختها وقال رجل من ولد الحكم بن أبي العاصي يقال له عبيد الله بن الحر وكان شاعرا متقدما وكان لأم ولد وهو من ولد مروان بن الحكم

فان تك أمي من نساء أفاءها ... جياد القنا والمرهفات الصفائح

فتبا لفضل الحر ان لم أنل به ... كرائم أولاد النساء الصرائح

وانما أخذ هذا من قول عنترة

وأنا امرؤ من خير عبس منصبا ... شطرى ونحدا أحمى سائرى بالمنصل

(شطرى مبتدأ والخبر في المجرور وفيله) وأنشد لبلال بن جرير بلغه ان موسى بن جرير كان اذا ذكره نسبه الى أمه لانه ابن أم ولد فيه تول قال ابن أم حكيم فقال بلال

يارب خال لى أغر أبلجا ... من آل كسرى يغتدى متوجا ... ليس بخال للئ يدعى عشنجا

والعشنج المتقبض الوجه السيئ المنظر وكان سبب أم بلال عند جرير أن جريرا في أول دخوله العراق دخل على الحكم بن أيوب بن أبي عقيل الثقفي وهو ابن عم الحجاج وعامله على البصرة وفي ذلك يقول جرير

أقبلن من نهلان أو وادى خيم ... على قلاص مثل خيطان السلم

اذا قطعن علما بدا علم ... حتى أنخناها الى باب الحكم

خليفة الحجاج غير المتهم ... فى ضئضئ المجد وبحبوح الكرم

فكتب الحكم بعد أن فاطنه الى الحجاج وذلك في أول سببه انه قدم على أعرابي باقعة لم أر مثله (يريد داهية والباقعة طائر حذر) فكتب اليه الحجاج ان يحمله معه فلما دخل عليه قال له بلغني انك ذو بديهة فقل في هذه الجارية فقامت على رأسه فقال جرير مالي ان أقول فيها حتى أتأملها ومالي ان أتأمل جارية الامير فقال بلى فتأملها واسئلها فقال لها ما اسمك يا جارية فامسكت فقال لها الحجاج خبريه بالخنا فقالت أمامة فقال جرير

ودع أمامة ان منك رحيل ... ان الوداع لمن تحب قليل

مثل الكثيب غدا لت أعطافه ... فالريح تجبره مرة وتهيل

هذى القلوب صواديا تيمتها ... وأرى الشفاء وما اليه سبيل

له بعض ما يصحب المقاتل المحامى من العلل والاسباب قال وقناة الخارجى طويلة صماء. وقناة التركى مطرد أجوف والقنا الجوف القصار أشد طعنة وأخف محملا والعجم تجعل القنا الطوال للرجالة وهى قنا الابناء على أبواب الخنادق والمضائق والأبناء فى هذا الباب لا يجرون مع الاتراك والخراسانية لان الغالب على الأبناء المطاعنة على أبواب الخنادق وفى المضائق وهؤلاء أصحاب

فقال له الحجاج قد جعل الله لك السبيل اليها خذها هي لك فضرب بيده الى يدها فمنعت عليه فقال

ان كان طبكم الدلال فانه ٭ حسن دلالك يا امام جميل

(ش بنصب الطب ورفع الدلال وبالعكس برفع الطب ونصب الدلال والطب هنا المذهب والدلال الدالة) فاستضحك الحجاج وأمر بتجهيزها معه الى اليمامة وخبرت انها كانت من أهل الري وكان اخوتها أحرارا فاتبعوه فأعطوه بها حتى بلغوا عشرين ألفا فلم يفعل ففي ذلك يقول

اذا عرضوا عشرين ألفا تعرضت ٭ لأم حكيم حاجة هي ماهيا

لقد زدت أهل الري عندي مودة ٭ وحببت أضعافا الى الموواليا

فأولدها حكيما وبلالا وخزرة بني جرير هؤلاء ممن أذكر من ولدها ويقال ان الحماني قال بلالا ذات يوم فيما كان بينهما من الشر فقال يا ابن أم حكيم فقال له بلال ما تذكر من ابنة دهقان وأخيذة رماح وعطية مالك ليست كامة التي بالمروت تغدو على أن رضاتها كافا عقباها حافرا حمار فقال له الحماني أنا أعلم بأمة انما عتب عليها الحجاج في أمر الله أعلم به فخاف ان يدفعها الى الأمم العرب فلما رأى أباك لم يشكك فيه قال وأنشدت لرجل من رجال بني سعد

أنا ابن سعد وتوسطت العجم ٭ فأنا فيما شئت من خال وعم

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله ليس قوم أكيس من أولاد السراري لانهم يجمعون عز العرب ودهاء العجم وكتب أمير المؤمنين المنصور الى محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب رحمهم الله لما كتب اليه محمد واعلم اني لست من أولاد الطلقاء ولا أولاد اللعناء ولا أعرقت في الاماء ولا حضنتني أمهات الاولاد ولقد علمت ان هاشما ولد عليا مرتين وان عبد المطلب ولد الحسن مرتين وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدني مرتين من قبل جدتي الحسن والحسين يعني ان أم علي فاطمة بنت أسد بن هاشم وأم الحسن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم وان أمه فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم فكتب اليه المنصور اما ما ذكرت من ولادة هاشم عليا مرتين وولادة عبد المطلب الحسن مرتين فخير الاولين والآخرين رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلده هاشم الا مرة واحدة ولا عبد المطلب الا مرة واحدة وله السبق الى كل خير ولقد علمت انه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم

الخيل والفرسان وعلى أصحاب الخيل والفرسان يدور أمر الفروسية فهم الفر والكر والفارس هو الذي يطوي الجيش طي السجل ويفرقهم فرق الشعر وليس يكون الكمين ولا الطليعة ولا الساقة الا الكبار منهم وهم أصحاب الأيام المذكورة والحروب الكبار والفتوح العظام

(فصل منها) والشح على الوطن والحنين اليه والصبابة به مذكور في القرآن مخطوط في الصحف

وعمومته أربعة فآمن به اثنان أحدهما أبي وكفر به اثنان أحدهما أبوك وأما ما ذكرت انه لم تعرق فيه الاما فقد خرجت على بني هاشم طرا أولهم ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم على ابن الحسين الذي لم يولد فيكم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مولود مثله وهذه رسالة للحصور طريفة مستحسنة جدا سنعملها في موضعها من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وأنشدني الرياشي

ان أولاد السراري ... كثروا يا رب فينا رب ادخلني بلادا ... لا أرى فيها هجينا

والهجين عند العرب الذي أبوه شريف وأمه وضيعة والاصل في ذلك ان تكون أمة وانما قيل هجين من أجل البياض وكانهم قصدوا قصد الروم والصقالبة ومن أشبههم والدليل على أن الهجين الابيض ان العرب تقول ما يخفى ذلك على الاسود والاحمر أي العربي والعجمي ويسمون الموالي وسائر العجم الخزاء وقد ذكرنا ذلك ولذلك قال زيد الخيل

(وأسلم عرسه لمرا تنا) ... وأيقن انني صهب السبال

أي كهؤلاء العدو من العجم وقال ابن الرقيات

ان قومي تعيرا للون مني ... وعسلا الشيب مفرقي وقذالي

فظلال السيوف شيبن رأسي ... وطعاني في الحرب صهب السبال

فقيل هجين من ههنا واذا كانت الام كريمة والاب خسيسا قيل له المذرع قال الفرزدق

اذا باهلي تحته حنظلية ... له ولدا منها فذاك المذرع

وقال الآخر ان المذرع لا تغني خؤولته ... كالبغل يعجز عن شوط المحاضير

(جمع محضير وهو الفرس السريع) وانما سمي مذرعا للرقشتين في ذراع البغل وانما صار تافيه من ناحية الحمار قال هدبة

ورثت رقاش اللؤم عن آبائها ... كتوارث الحمرات رقم الأذرع

وقال عبد الله بن العباس في كلام يجيب به ابن الزبير والله انه لمصلوب قريش ومني كان عوام بن عوام طمع في صفية بنت عبد المطلب من أبوك يا بغل فقال خالي الفرس

(باب)

قال أبو العباس قال اعرابي

كل امرئ ذي لحية عثولية ... يقوم عليها ظن ان له فضلا

بين جميع الناس غير أن التركي للعلل التي ذكرنا أشد حنينا وأكثر زوعا وباب آخر مما كان يدعوهم الى الرجوع قبل ثنى العزم والعادة المنقوضة وذلك ان الترك قوم يشتد عليهم الحضر وطول اللبث والمكث وقلة التصرف والتحرف وأصل بنيتهم انما وضع على الحركة وليس للسكون فيهم نصيب وفي قوى أرواحهم فضل على قوى أبدانهم لأنهم أصحاب توقد وحرارة

وما الفضلُ فى طول السبال وعرضها • اذا اللهُ لم يجعل لصاحبها عقلا

ويروى لحاملها عثولية يقول كثيرة والمستعمل يقال رجل عثولٌ اذا كان كثير الشعر وأصل ذلك فى الرأس واللحية وبناه الاعرابى بناء جدول كانه عثولٌ ثم نسب اليه والسبلة مقدم اللحية يقال لما أسبل من الشارب بين سبلتان وتقول العرب أخذ فلان شفرة فلثم بها سبلة بعيره أى نحره واللثم الشق فهذا ما أسبل من جوانبه وقال بعض المحدثين

وما حسن الرجال لهم بحسن • اذا ما أخطأ الحسن البيان

كفى بالمرء عيبا أن تراه • له وجه وليس له لسان

وقال آخر انى على ما تزدرى من دمامتى • اذا قيس ذرعى بالرجال طويل

ونظر يزيد بن مزيد الشيبانى الى رجل ذى لحية عظيمة وقد تلفقت على صدره فاذا هو خاضبٌ فقال انك من لحيتك فى مؤونة فقال أجل ولذلك أقول

لها دارهم الدهن فى كل جمعة • وآخر للحناء يبتدران

ولولا تولى من يزيد بن مزيد • لصوّت فى حافاتها الجامان

وقال اسحق بن خلف يصف رجلا بالقصر وطول اللحية

ما سرّنى أننى فى طول داود • وأننى علم فى البأس والجود

ما شئت داود فاستضحكت من عجب • كاننى والدمى مولود

ما طول داود الاطول لحيته • يظل داود فيها غير موجود

تكنه خصلة منها اذا انفتحت • ريح الشتاء وجف الماء فى العود

كالأنجعنى مصقولا عوارضها • سودا فى لين خد الغادة الرود

أجزى وأغنى من الخز الصفيق ومن • بيض القطائف يوم القر والسود

ان هبت الريح أدنته الى عدن • ان كان مالف منها غير معقود

(القر بالقاف يريد البرد ويروى بالغين يريد السحائب البيض وجعلها غرا لبياضها) وفى الحديث من سعادة المرء خفة عارضيه وليس هذا بناقض لما جاء فى اعفاء اللحى واحفاء الشوارب فقد روى أنهم قالوا لا بأس بأخذ العارضين والتبطين وأما الاعفاء فهو التكثير وهو من الاضداد قال الله

واستعمال وفطنة كثيرة خواطرهم سريع لحظهم وكانوا يرون الكفاية معجزة وطول المقام بلادة والراحة غفلة والقناعة من قصر الهمة وان ترك الغزو يورث الذلة وقد قالت العرب فى مثل ذلك قال عبد الله بن وهب الراسبى حب الهوينا يكسب النصب والعرب تقول من غلا دماغه فى الصيف غلت قدره فى الشتاء وقال اكثم بن صيفى ما أحب انى مكفى كل أمر الدنيا قيل ولم قال

عز وجل حتى عفَوا أى حتى كثُروا ويقال عفَا وبَرُ الناقة اذا كثر قال الشاعر

ولكنا نعُضُّ السيف منها ... بأسوُق عافيات اللحم كُومِ

والكُوم العظام الأسنمة واحدتها كَوماء ويقال عفَا الربْعُ اذا درس ومن ذلك

على آثار من ذهَبَ العفاءُ ... أى الدروس وقال مسلمة بن عبد الملك انى لأعجَبُ من ثلاثة من رجل قصَّر شعره ثم عاد فأطاله أو سَمَّر ثوبه ثم عاد فأسبله أو تمتَّع بالسرارى ثم عاد الى المهيرات واحدة المهيرات مهيرةٌ وهى الحُرَّة المهورة ومفعولٌ يخرُجُ الى فعيل كمقتول وقتيل ومجروح وجريح قال الأعشى

ومنكوحة غير مهورة ... وأخرى يقالُ لها فادها

(فادها من فديت الاسير وهو وصف شيئا أخذ فيه اما وحرائر) فهذا المعروف فى كلام العرب مَهَرتُ المرأة فهى مهورة ويقال وايس بالكثير أمهَرتُها فهن ممهَرة أنشدنى المازنى

أخذن اغتصابا خطبة عجرفية ... وأمهرن أرماحا من الخط ذبلا

(عجرفية جافية خطبة مصدر معنى) وأهل الحجاز يرَوْن النكاح العقد دون الفعل ولا ينكرونه فى الفعل ويحتجون بقول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فهذا الأشيع فى كلام العرب قال الاعشى

وأمتعت نفسى من الغانيا ... ت اما نكاحا واما أزَنْ

ومن كل بيضاء رعبوبة ... لها بشر ناصع كاللبَنْ

(قوله أزَنْ أراد أزَنى ثم حذف الياء وخفف النون فقال أزَنْ) ويكون النكاح الجماع وهو فى الاصل كناية قال الراجز

اذا زنيت فأجد نكاحا ... وأعمل العدو والرواحا

والكناية تقع عن هذا الباب كثيرا والاصل ما ذكرنا لك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آتانا من نكاح لا من سفاح ومن خطب المسلمين ان الله عز وجل أحل النكاح وحرم السفاح والكناية تقع عن الجماع قال الله عز وجل أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم فهذه كناية عن الجماع قال أكثر الفقهاء فى قوله تبارك وتعالى أو لامستم النساء قالوا كناية عن الجماع وليس الامر عندنا كذلك وما أصف مذهب أهل المدينة فقد فرغ من النكاح تصريحا وانما الملامسة أن يلمسها الرجل بيده أو بأدنى جسده من جسدها فذلك ينقض الوضوء فى قول أهل المدينة لانه قال

أحاف عادة العجز فهذه كانت علل الترك فى حب الرجوع والحنين الى الوطن ومن أعظم ماكان يدعوهم الى الشرود ويبعثهم على الرجوع ويكره عندهم المقام ماكانوا فيه من جهل قوادهم بمقادرهم وقلة معرفتهم بأخطارهم واغفالهم موضع الرد عليهم والانتفاع بهم ولانهم حين جعلوهم أسوة أجنادهم لم يقنعوا أن يكونوا فى الحاشية والحشوة وفى عمارة

تبارك وتعالى بعد ذكر الجنب أو لامستم النساء وقوله عز وجل كناية أكلان الطعام كناية باجماع عن قضاء الحاجة لان كل من أكل الطعام فى الدنيا أنجى يقال نجا وأنجى اذا قام لحاجة الانسان وكذلك وقالوا الجلودهم لم شهدتم علينا كناية عن الفروج ومثله أو جاء أحد منكم من الغائط فاما الغائط كالوادى وقال عمرو بن معدى كرب

وكم من غائط من دون سلمى ● قليل الانس ليس به كتيع

يقال وهم الرجل يوهم اذا شك وهو الاجود ويجوز يهم ويهم ويهم لعلل وكذلك ما كان مثله نحو وجل يوجل ووحل يوحل ووجع يوجع ويجوز وهم أن تقول يوم فان المعتل من هذا يجىء على مثال حسب يحسب مثل ولى الامير يلى ورم الجرح يرم فهذا جميع ما فى هذا الباب وقال رجل أحسبه من بنى عميم

لا تسألن الخيل يا سعد ما لها ● وكن أخبريات الخيل علك تجرح
لعلك تحمى عن صحاب بطعنة ● فما عاند يثنى الحصا حين ينفح
وأكرم كريما ان أتاك لحاجة ● لعاقبة ان العضاه ترح
(بذا فامدحينى وانديينى فانى ● فتى تعتريه هزة حين يمدح

اذا أدبر القيظ وبرد الليل تحرك للشجر ورق رطب فيقال أخلف الشجر وتروح) قوله لا تسألن الخيل يا سعد ما لها يقول لا تتخلف عن القتال وتسأل عن أخبار القوم ولكن كن فيهم كما قال مهلهل

ليس مثلى يخبر القوم عن آ ● بائهم قتلوا وينسى القتالا
ثم أرمى حومة الكتيبة حتى ● حذى الورد من دماء نعالا

يقول كنت فى حومة القتال وصليت الحرب أكثر مما صليها غيرى ويروى عن رجل من بنى أسد بن عبد العزى يقال له فلان (ش هو عبد الله) بن الزبير انه زوج ابنته عمرو بن عثمان بن عفان فلما نصت عليه طلقها على المنصة فجاء أبوها الى عبد الله بن الزبير فقال ان عمرو بن عثمان طلق ابنتى على المنصة وقد ظن الناس ان ذلك لعاهة وأنت عمها فقم فادخل اليها فقال عبد الله أو خيرا من ذلك جيؤنى بالمصعب فخطب عبد الله فزوجها من المصعب وأقسم عليه ليدخلن بها فى ليلته فلا تعرف امرأة نصت على رجلين فى ليلتين ولا غيرها فأولدها المصعب عيسى وعكاشة

العامة ومن عرض العساكر وأنفوا لانفسهم وذكروا ما يجب لهم ورأوا ان الضيم لا يليق بهم وان الخمول لا يجوز عليهم وانهم فى المقام على من لم يعرف حقهم ألوم ممن منعهم حقهم فلما صادفوا ملكا حكيما وباقدار الناس عليها لا يميل الى سوء عادة ولا يجنح الى هوى ولا يتعصب لبلد على بلد يدور مع التدبير ما دار ويقيم مع الحزم حيث ما أقام أقاموا اقامة من منح الحظ ودار

فلما كان يوم مسكن وهرب أكثر الناس عن المصعب دخل الى سكينة ابنة الحسين بن علي بن أبي طالب وكانت له شديدة المحبة وكانت تحظى ذلك فلبس غلالة ونوشح عليها وانتضى السيف فلما رأت ذلك علمت انه عزم أن لا يرجع فصاحت من ورائه واحر باه فالتفت اليها فقال أوهذا الى في قلبك فقالت اي والله وأكثر من هذا فقال أما لو علمت لكان لي ولك شأن ثم خرج فقال لابنه عيسى يا بني انج الى نجران فان القوم لا حاجة بهم الى غيري وسأتفلت بحيلة أو بقيا فقال يا أبتاه لا أحدث والله عنك أبدا فقال أما والله لئن قلت ذلك لما زلت أتعرف الكرم في أسرارك وأنت تتقلب في مهدك (ش الأسرار جمع سر وهي الطرائق في الجبهة) فقتل بين يدي أبيه ففي ذلك يقول شاعر أهل الشام من اليمانية

نحن قتلنا مصعبا وعيسى ٭ وابن الزبير البطل الرئيسا ٭ عمدا أذقنا مضر التنئيسا

وقال رجل يعاتب رجلا

فلو كان شهم النفس أو ذا حفيظة ٭ رأى ما رأى في الموت عيسى بن مصعب

وقال بلال بن جرير يمدح عبد الله بن الزبير (يقال ان بلالا لم يلحق ابن الزبير الا أن يكون مدحه ميتا)

مد الزبير عليك ذيبني العلا ٭ كنفيه حتى نالنا العيوقا

(ويروى كنفيه وهو أظهر لقوله حتى نالنا)

ولو ان عبد الله فاخر من ترى ٭ فات البرية عزة وسموقا

قرم اذا ما كان يوم تفسرة ٭ جمع الزبير عليك والصديقا

لو شئت ما فاتوك اذ جاريتهم ٭ ولكنت بالسبق المبرحقيقا

لكن أتيت مصليا برأيهم ٭ ولقد ترى ورى لديك طريقا

عاد الحديث الى تفسير الابيات المتقدمة قوله لعلك تحمى عن صحاب بطعنة يقال حميت الناحية أحميها حميا وحماية كما قال الفرزدق

واذا النفوس جشأن طأمن جاشها ٭ ثقة لها بحماية الأدبار

ومعنى ذلك منعت ودفعت ويقال أحميت الارض أي جعلتها حمى لا تقرب وأحميت الحديد أحميه احماء وحميت أنثى محمية يا فتى اذا أنت أبيت الضيم وصحاب جمع صاحب وقد يقال هو جمع صحب

بالحق ونبذ العادة وآثر الحقيقة ووصل نفسه بقطيعة وطنه وآثر الأمامة على ملك الجبرية واختار الصواب على الألف ثم اعلم بعد ذلك كله ان كل أمة وقرن وجيل وبني أب وجدتهم قد برعوا في الصناعات وفضلوا الناس في البيان وفاقوهم في الآداب أو في تأسيس الملك أو في النصر بالحرب فانك لا تجدهم في الغاية وفي أقصى النهاية الا ان يكون الله تعالى قد حضرهم لذلك

كما تقول تاجرٌ وتجّرٌ وراكب وركبٌ ونحو ذلك ثم تجمع صحّابًا على صحاب كقولك كلبٌ وكلابٌ وفرخٌ وفراخٌ فهذا مذهب حسنٌ ومن قال هو جمع صاحب فنظيره قائم وقيام وتاجر وتجار وقوله لها عاند ينفي الحصا يعني الدم يقال عنّد العِرقُ اذا خرج الدم منه بحِدّة وينفي الحصا يعني الدم بشدة جريه كما قال

مُصَمِّصةً تَنْفِي الحَصَا عن طَرِيقِها ● (يُقَطِّعُ أَحْشاءَ الرَّعِيلِ انتشارُها)

يعني طعنةً وقال آخر في صفة طعنة

ومُسْتَنَّةٍ كاستِنانِ الحَرُو ● فِ قد قَطَعَ الحبلَ بالمِرْوَدِ

والحروف ههنا انما هو الفَلُوُّ الصغير وقوله

وأكرمُ كريمًا ان أتاكَ لحاجةٍ ● لعاقبةٍ ان العِضاهَ تَرَوَّحُ

يقول الشجر يصيبه الندى في آخر الصيف فينشأ له بردٌ فيقول اعلم تحتاج الى هذا الكريم وقد قدر ومثله ولا تُهِينَ الكريمَ علّكَ أن ● تركَعَ يومًا والدهرُ قد رفَعَهْ

أراد ولا تُهِينَنْ بالنون الخفيفة فحذفها لالتقاء الساكنين وهذا الحكم فيها ومثله في المعنى قول عبّاد بن عبّاد بن حبيب بن المُهَلَّب

اذا خَلَّةٌ نابتْ صديقَكَ فاغتنِمْ ● مَرَمَّتَها فالدهرُ بالناس قُلَّبُ

وبادرْ بمعروفٍ اذا كنتَ قادرًا ● زوالَ اقتدارٍ أو غِنًى عنكَ يَعقُبُ

(زوالَ مفعول لبادرْ قاله ش) ومثل هذا كثير وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين رحمهم الله اني لأسارع الى حاجة عدوي خوفا من أن أردّه فيستغني عني وقال رجل من العرب ما رددت رجلا عن حاجة فولّى عني الا رأيتُ الغنى في قفاه وقال عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ما رأيت أحدا أسعفتُه في حاجة الا أضاء ما بيني وبينه ولا رأيتُ رجلا رددته عن حاجة الا أظلم ما بيني وبينه وقال عمر بن الخطاب رحمه الله من يئس من شيء استغنى عنه وقال عبد الله بن هَمّام السَّلُولي

فاخلَفْ وأتلِفْ انما المالُ عارةٌ ● فكُلُّه مع الدهر الذي هو آكِلُهْ

فاهونُ مفقودٍ وأيسرُ هالكٍ ● على الحيّ مَن لا يَبْلُغُ الحيَّ نائلُهْ

عارة أي معار ووزنه فَعَلَة وقال أحد المحدثين (هو محمود الوَرّاق) وليس من هذا الباب ولكنا ذكرناه

المعنى بالاسباب وقصرهم عليه بالعلل التي تقابل تلك الأمور وتصلح لتلك المعاني لان من كان منقسم الهوى مشترك الرأي متشعب النفس غير موفر على ذلك الشيء ولا مهيأ له لم يحذق من تلك الاشياء شيأ بأسره ولم يبلغ فيه غايته كاهل الصين في الصناعات واليونانيين في الحكم والآداب والعرب فيما نحن ذاكروه في موضعه والساسان في الملك والاتراك في الحروب الا ترى ان اليونانيين

في الاعارة أعارك مالهُ لتقوم فيه * بطاعته وتعرف فضل حقه

فلم تشكره نعمته ولكن * قويت على معاصيه برزقه

تجاهره به عودا وبدءا * وتستخفي بها من شر خلقه

وقال جرير وانى لاستحيي أخي أن أرى له * على من الحق الذي لا يرى ليا

هذا بيت يحمله قوم على خلاف معناه وانما تأويله انى لاستحيي أخي أن يكون له علي فضل ولا يكون لي عليه فضل ومني اليه مكافأة فاستحيي أن أرى له علي حقا لما فعل الي ولا أفعل اليه ما يكون لي به عليه حق وهذا من مذاهب الكرام ومما تأخذ به أنفسها فاما قول عائذ الكلب الزبيري (اسمه عبد الله بن مصعب الزبيري وسمي عائذ الكلب بقوله

مالي مرضت فلم يعدني عائد * منكم وعرض كلبكم فاعود

وأشد من مرضي على صدودكم * وصدود كلبكم علي شديد)

لعبد الله بن حسن بن حسن

له حق وليس عليه حق * ومهما قال فالحسن الجميل

وقد كان الرسول يرى حقوقا * عليه لغيره وهو الرسول

فانه ذكره بقلة الانصاف فقال يرى له حقا على الناس ولا يرى لهم عليه حقا من أجل نسبه برسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ذلك بقوله

وقد كان الرسول يرى حقوقا * عليه لغيره وهو الرسول

فالذي يفتخر به عبد الله يرى للناس عليه حقا فالمفتخر به أجدر وقد قيل لعلي بن الحسين وكان بين الفضل رحمه الله يا بالك اذا سافرت كتمت نسبك أهل الرفقة فقال أكره ان آخذ برسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا أعطى مثله وانما يعتري هذا الباب من الظلم وقلة الانصاف والبعد من الرقة عليهم الجهلة من أهل هذا النسب والله جل ذكره يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين رؤوف رحيم وقال تعالى اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم فاذا كان هو صلى الله عليه وسلم يخاف من المعصية فكيف يأمنها غيره به وأما قول جرير لهشام بن عبد الملك فهو المدح الصحيح على خلاف هذا المعنى قال

الذين نظروا في العلل لم يكونوا تجارا ولا صناعا باكفهم ولا أصحاب زرع وفلاحة وبناء وغرس ولا أصحاب جمع ومنع وكد وكانت المماليك تفزعهم وتجري عليهم كفايتهم فنظروا حين نظروا بانفس مجتمعة وقوة وافرة وأذهان فارغة حتى استخرجوا الآلات والأدوات والملاهي التي تكون جماما للنفس وراحة بعد الكد وسرورا يداوي فرح الهموم فصنعوا من المرافق

وأنت اذا نظرت الى هشام ... عرفت نجار منتجب كريم

ولي الحق حين يؤم حجا ... صفوفا بين زمزم والحطيم

يرى للمسلمين عليه حقا ... كفعل الوالد الرؤف الرحيم

اذا بعض السنين تعرقتنا ... كفى الأيتام فقد أبي اليتيم

وفي هذا الشعر أمير المؤمنين على صراط ... اذا اعوج الموارد مستقيم

أمير المؤمنين جمعت دينا ... وحلما فاضلا لذوي الحلوم

لك المتخيران أبا وخالا ... فاكرم بالحؤولة والعموم

فيا ابن المطعمين اذا شتونا ... ويا ابن الذائدين عن الحريم

سما بك خالد وبنو هشام ... الى العلياء في الحسب الجسيم

(وهم أبو العباس في قوله وبنو هشام وانما وقع في شعره وأبو هشام وهو الصحيح يريد اسمعيل بن هشام وهو جده من قبل أمه)

وتنزل من أمية حيث ألفى ... شؤون الرأس مجتمع الصميم

تواصت من تكرمها قريش ... برد الخيل دامية الكلوم

فما الأم التي ولدت قريشا ... بعقرفة النجار ولا عقيم

وما فضل يا نجب من أبيكم ... ولا خال بأكرم من عميم

فما أولاد برة بنت مر ... الى العلياء في الحسب العظيم

لك الغر السوابق من قريش ... فقد عرف الأغر من البهيم

قوله حين يؤم حجا فيكون الحج جمع حاج كما يقال تاجر وتجر وراكب وركب قال العجاج

بواسط أكرم داردارا ... والله سمى نهركم الانصارا

فاخرجه على ناصر ونصر قال ويجوز أن يكون حج أصحاب حج كما قال الله عز وجل واسأل القرية يريد أهلها وقوله كفعل الوالد الرؤف الرحيم يقال رؤف على فعل مثل يقظ وحذر ورؤوف على وزن ضروب وقال الانصاري (هو كعب بن مالك)

نطيع نبينا ونطيع ربا ... هو الرحمن كان بنا رؤوفا

وصاغوا من المنافع كالقرسطونات والقبانات والاسطرلابات وآلة الساعات وكالكرنيا والكسيران والبوكار وكاصناف المزامير والمعازف والطب والحساب والهندسة واللحون وآلات الحرب وكالمجانيق والقرادات والزيلات والدبابات وآلة النفاطين وغير ذلك مما يطول ذكره وكانوا أصحاب حكمة ولم يكونوا فعلة يصورون الآلة ويخرطون الاداة ويصوغون المثل ولا

وقد قرئ ان الله رؤف بالعباد ورؤف أكثر وانما هو من الرأفة وهى أشد الرحمة ويقال رآفة وقرئ ولا تأخذكم بهما رآفة فى دين الله على وزن الصرامة والسفاهة وقوله اذا بعض السنين تعرفنا يفسر على وجهين أحدهما ان يكون ذهب الى ان بعض السنين سنون كما قال الأعشى

وتشرق بالقول الذى قد أذعته * كما شرقت صدر القناة من الدم

لان صدر القناة قناة ومن كلام العرب ذهبت بعض أصابعه لان بعض الاصابع اصبع فهذا قول والاجود ان يكون الخبر فى المعنى عن المضاف اليه فأقحم المضاف اليه توكيدا لانه غير خارج من المعنى وفى كتاب الله عز وجل فظلت أعناقهم لها خاضعين انما المعنى فظلوا لها خاضعين والخضوع بين فى الاعناق فأخبر عنهم فأقحم الاعناق توكيدا وكان أبو زيد الانصارى يقول أعناقهم جماعاتهم تقول أتانى عنق من الناس والاول قول عامة النحويين وقال جرير

لما أتى خبر الزبير تواقفت * سور المدينة والجبال الخشع

وقال أيضا رأت مر السنين أخذن منى * كما أخذ السرار من الهلال

وقال ذو الرمة مشين كما اهتزت رماح تسفهت * أعاليها مر الرياح النواسم

(زعم بعضهم أن البيت مصنوع والصحيح فيه مر ضى الرياح النواهم والمرضى التى تهب بلين) ومثل هذا كثير وعلى مثل هذا القول الثانى تقول يا تميم تميم عدى لانك أردت يا تميم عدى وأقحمت الاول توكيدا (كذا وقع وأقحمت الاول توكيدا وانما الصحيح وأقحمت الثانى توكيدا) وكذلك لا أبالك لان الالف لا تثبت فى الاب فى النصب الا فى الاضافة أو بدلا من التنوين فانما أراد لا أبالك ثم أقحم اللام توكيدا للاضافة وأنشد المازنى

وقد مات شماخ ومات مزرد * وأى كريم لا أبالك يخلد

وقال آخر أبالموت الذى لابد أنى * ملاق لا أبالك تخوفينى

وقوله على صراط فالصراط المنهاج الواضح وكذلك قالت العلماء فى قول الله عز وجل اهدنا الصراط المستقيم وقوله سما بن خالد يريد خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب لان أم هشام بنت هشام بن اسمعيل بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان هشام بن المغيرة أجل قرشى حلما وجودا وكانت قريش تؤرخ بموته كما كانت تؤرخ

يحسنون العمل به ويشيرون اليها ولا يمسونها يرغبون فى التعليم ويرغبون عن العمل فاما سكان الصين فانهم أصحاب السبك والصياغة والافراغ والاذابة والاصباغ العجيبة وأصحاب الخرط والنجر والتصاوير والنسج والخط ورفق الكف فى كل شئ يتولونه ويعانونه وان اختلف جوهره وتباينت صنعته وتفاوت ثمنه فاليونانيون يعرفون العلل ولا يباشرون العمل

بعام الفيل وعُلِّمَ فلان قال الشاعر * زمان تَنَاعَى الناسُ موتَ هشام * ومن أجله يقول القائل

فَأَصْبَحَ بَطْنُ مَكَّةَ مُقْشَعِرًّا * كَأَنَّ الارضَ ليس بها هشامُ

يقول هو وان كان مات فهو مدفون فى الارض فقد كان يجب من أجله ان لا ينا لها جَدْبٌ وقال الآخر

ذَرِينِى أَصْطَبِحْ يا سَلْمَ إِنِّى * رأيتُ الموتَ نَقَّبَ عن هشامِ

قوله نَقَّبَ أى طَوَّفَ حتى أصاب هشاما قال الله عز وجل فَنَقَّبُوا فى البلاد أى طَوَّفُوا ومثله قول امرئ القيس

وقد نَقَّبْتُ فى الآفاق حتى * رَضِيتُ من الغنيمة بالإياب

فأما التاريخ الذى يُؤَرَّخُ به اليوم فأوَّلُ من فعله فى الاسلام عُمر بن الخَطَّاب رحمه الله حيث دَوَّنَ الدَّوَاوِينَ فقيل له لو أرخت يا أمير المؤمنين لكنت تَعْرِفُ الامور فى أوقاتها فقال وما التاريخ فَأُعْلِمَ ما كانت العجم تفعله فقال أَرِّخُوا فقالوا مُذْ أى سنة فاجمعوا على سنة الهجرة لانه الوقتُ الذى حَكَمَ فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على غير تَنِيَّةٍ ثم قالوا فى أى شهر فقالوا نستقبل بالناس أمورهم فى شهر المحرم اذا انقضى حَجُّهُمْ وكانت هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الآخر (الذى اتفق عليه أن هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت فى ربيع الاول وفيه مات صلى الله عليه وسلم) فَقَدَّمَ التاريخُ على الهجرة هذه الاشهر وجاء فى تصحيح هذا الوقت أعنى المحرم ما رُوِىَ لنا عن ابن عباس رحمه الله فانه قال فى قول الله عز وجل والفجر وليال عشر قال فَأَقْسَمَ بفجر السنة وهو المحرم وقوله فى الام التى وَلَدَتْ قريشا يعنى بَرَّةَ بنت مُرٍّ كانت أم النضر بن كنانة وهو أبو قريش ومن لم يكن من ولده فليس بقرشى وتَيْمُ بن مُرٍّ خالُهُ وكان يقال مَنْ عَرَفَ حَقَّ أخيه دام له إخاؤه ومَنْ تكبر على الناس ورجا ان يكون له صديقٌ فقد غَرَّ نفسه وقيل ليس للجُوجِ تَدْبِيرٌ ولا لسيِّئِ الخُلُقِ عَيْشٌ ولا لمتكبر صديقٌ وقيل مَنْ بَسَطَ بالخير لسانه انبسطت فى القلوب محبتُهُ والمِنَّةُ تُفْسِدُ الصنيعة ويروى ان شاعرا أتى أبا البَخْتَرِىِّ (البخترى بفتح الباء وبالخاء المعجمة) وَهْبَ بن وَهْبٍ وكان من أجود الناس وكان اذا سمع مَدْحَ المادح ضحك وسَرَى السرورُ فى جوانحه وأعطى وزاد فانا هذا الشاعر فانشده

لِكُلِّ أُنَاسٍ فَضْلُ نَصِيبٍ من العُلا * ورأسُ العُلا طُرًّا عَقِيدُ النَّدَى وَهْبُ

وما ضَرَّ وَهْبًا قولُ مَنْ غَمَطَ العُلا * كما لا يَضُرُّ البَدْرَ يَنْبَحُهُ الكَلْبُ

وسكان الصين يباشرون العمل ولا يعرفون العلل لان أوائلهم حكما. وهؤلاء فعلة وكذلك العرب لم يكونوا تجارا ولا صناعا ولا اطباء ولا حسابا ولا أصحاب فلاحة فيكونوا مهنة ولا أصحاب زرع لخوفهم صغار الجزية ولم يكونوا أصحاب جمع وكسب ولا أصحاب احتكار لما فى أيديهم وطلب لما عند غيرهم ولا طلبوا المعاش من ألسنة الموازين ورؤوس المكاييل ولا عرفوا الدوانيق والقراريط

(غَمَطَ كفر النعمة وغَمَطَ ويقال أيضا تَنَقَّص) فَثَنَى له الوسادة وهَشَّ اليه ورَفَدَه وحَمَلَه وأضافه فلما أن أراد الرحيل الرحلة لم يخدمه أحد من غلمان أبي البختري ولا عقد له ولا حل معه فانكر ذلك مع جميل ما فعل به وأنه قد تجاوز به أمله فعاتب بعضهم فقال له الغلام انا انحا نعين النازل على الاناخة ولا نعين الراحل على الفراق فبلغ هذا الكلام جليلا من القرشيين فقال والله لفعل هؤلاء العبيد على هذا القصد أحسن من رفد سيدهم

(باب)

قال عبد الملك بن مروان يوما لجلسائه وكان يجتنب غير الأدباء أي المناديل أفضل فقال قائل منهم مناديل مصر كانها غرقئ البيض (الغرقئ بهمز ولا همز وكذلك فعله) وقال آخر مناديل اليمن كانها أنوار الربيع فقال عبد الملك ما تعدو شيأ أفضل المناديل ما قال أخو تميم يعني عبدة بن الطبيب (عبدة باسكان الباء)

لما نزلنا نصب ناظل أخيية ... وفار للقوم باللحم المراجيل

وردوا أشقر ما يؤنيه طابخه ... ما غير الغلي منه فهو ما كول

ثم ثنينا الى بيد مسومة ... أعرافهن لايدينا مناديل

قوله غرقئ البيض يعني القشرة الرقيقة التي تركب البيضة دون قشرها الاعلى وقشرها الاعلى يقال له القيض وقوله المراجيل انما أحدُه المراجل ولكن لما كانت الكسرة لازمة أشبعها للضرورة كما قال • نفى الدراهيم تنقاد الصياريف • (الجمة في الصياريف) وقدم تفسير هذا وقوله وردوا أشقر ما يؤنيه طابخه يقول ما تغير من اللحم قبل نضجه وقوله ما يؤنيه طابخه يقول ما يؤخره لانه لو آناه لانضجه لان معنى آناه بلغ به اناه أي ادراكه قال الله عز وجل الى طعام غير ناظرين اناه وتقول اني يأتي اني اذا أدرك وآن يئين مثله وقوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم آن أي قد بلغ اناه وقوله ما غير الغلي منه فهو ما كول يقول نحن أصحاب صيد وهذا من فعلهم (العرب لا تنضج اللحم اما لاستعجالها للضيف واما لان ذلك مستحب عندها فلذلك قال لا يؤنيه وقيل لتعجيل القرى) وقوله مسومة تكون على ضربين أحدهما ان تكون معلمة والثاني ان تكون قد أسيمت في المرعى وهي ههنا معلمة وقد مضى هذا التفسير وانما أخذ مني

ولم يفتقروا الفقر المدفع الذي يشغل عن المعرفة ولم يستغنوا الغنى الذي يورث البلادة والقروة التي تحدث الغرة ولم يحتملوا ذلا فظ فيميت قلوبهم ويصغر عندهم أنفسهم وكانوا سكان فياف وتربية العراء لا يعرفون العمق ولا الشق ولا البحار ولا الغلظ ولا العفن ولا التخم أذهان حديدة ونفوس منكرة فحين حملوا حدهم ووجهوا قواهم الى قول الشعر وبلاغة المنطق وتثقيف

هذه الابيات من بيت امرئ القيس فانه جمع ما فى هذه الابيات فى بيت واحد مع فضل التقدم

غمسٌ باعراف الجياد أكفنا ● اذا نحن قمنا عن شواء مضهب

وهو الذى لم يدرك وغمس غمسح ويقال للمنديل المشوش وكانت العرب تألف الطيب وتطرح ذلك فى حالتين فى الحرب والصيد قال النابغة

سهكين من صدأ الحديد كأنهم ● تحت الستور جنة البقار

وقال آخر وأسيافكم مسك محل أكفكم ● على انها رتع الدماء تضوع

(تضوع رواية) معنى تضوع تفوح وروى عن ابنة هانى بن قبيصة (ذكر يعقوب انها ابنة قيس بن خالد الشيبانى ش) انه لما قتل عنها القيط بن زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة فتزوجها رجل من أهلها فكان لا يزال يراها تذكر لقيطا فقال لها ذات مرة ما استحسنت من لقيط فقالت كل أموره كانت حسنة ولكنى أحدثك انه خرج مرة الى الصيد وقد انتشى فرجع وبقميصه نضخ من دم صيده والمسك يضوع من أعطافه ورائحة الشراب من فيه فضممنى ضمة وشمنى شمة فليتنى كنت متُّ قبل ذلك قال ففعل زوجها مثل ذلك ثم ضمها اليه وقال أين انا من لقيط فقالت ماء ولا كصداء مثل حذام ووزنها فعال، وموضع اللام همزة وهى بئر معقدمة واسمها ماذكرنا عن الاصمعى وأبى عبيدة وكذلك سمعنا العرب تقوله ومن ثقل فقد أخطأ ومثل ذلك رجل ولا كمالك (فما يقال فتى ولا كمالك وقد تقدم لابى العباس فتى وهو الصواب) يعنون مالك بن نويرة ومرعى ولا كالسعدان وحدثنى على بن عبد الله عن ابن عائشة قال كان ذو الاصبع العدوانى رجلا غيورا وكانت له بنات أربع وكان لا يزوجهن غيرة فاسمع عليهن يوما وقد خلون يتحدثن فقالت قائلة منهن لتقل كل واحدة منكن ما فى نفسها ولتصدق جميعا قال فقالت كبراهن

ألا ليت زوجى من أناس ذوى غنى ● حديث الشباب طيب النشر والذكر

أصون بأكباد النساء كأنه ● خليفة جان لا يقيم على هجر

قال وقالت الثانية ألا ليته يعطى الجمال بديته ● له جفنة تشقى بها النيب والجزر

له حكمات الدهر من غير كبرة ● تشين فلان ولا ضرع عمر

(أخذ الحارب وهو مأخوذ من حكمة اللجام ش) فقلن لها أنت تريدين سيدا فقالت الثالثة

اللغة وتصاريف الكلام وقيافة البشر بعد قيافة الأثر وحفظ النسب والاهتداء بالنجوم والاستدلال بالآثار وتعرف الانواء والبصر بالخيل والسلاح وآلة الحرب والحفظ لكل مسموع والاعتبار بكل محسوس واحكام شأن المناقب والمثالب بلغوا فى ذلك الغاية وحازوا كل أمنية وببعض هذه العلل صارت نفوسهم أكبر وهممهم أرفع وهم من جميع الأمم أخر ولآبائهم

ألا هل تراها مرّة حليلها * أشمّ كنصل السيف بين المهنّد

عليما بأدواء النساء ورهطه * إذا ما انتمى من أهل بيتي ومحتدي

(حليلها بفتح اللام وبالضم واسم مثله) فقلن لها أنت تريدين ابن عمّ لك فقد عرفته وقلن للصغرى ما تقولين فقالت لا أقول شيأ فقلن لا بدّ عندك وذاك انك اطّلعت على أسرارنا وتكتمين سرّك فقالت زوج من عود خير من قعود قال فقطبن فزوّجهن جميعا ثم أمهلهن حولا ثم زارهن الكبرى فقال لها كيف رأيت زوجك قالت خير زوج يكرم أهله وينسى فضله قال لها فما لكم قالت الإبل قال وما هي قالت نأكل لحمانها ونرعى وبارها ونشرب ألبانها إجرارا وتحملنا وضعفتنا سعا فقال زوج كريم ومال عميم ثم زارها الثانية فقال لها كيف رأيت زوجك قالت يكرم الحليلة ويقرب الوسيلة قال فما لكم قالت البقر قال وما هي قالت تألف الفناء وتملأ الإناء وتولد السقاء ونساء مع نساء قال لها رثيت وحظيت ثم زارها الثالثة فقال لها كيف رأيت زوجك فقالت لا تمنع بذرا ولا تبخل حكرا قال فما لكم قالت المعزى قال وما هي قالت لو كنا نولد ما فطمنا ونسلخها أدمنا لم نبع بها أنعما فقال لها جذوة معنية ثم زارها الرابعة فقال لها كيف رأيت زوجك فقالت شر زوج يكرم نفسه ويهين عرسه قال لها فما لكم قالت شر مال الضأن قال لها وما هي قالت جوف لا يشبعن وهم لا ينقعن وصمّ لا يسمعن وأمر مغويتهن يتبعن فقال أشبه امرؤ بعض بزه (أشبه امرأ بعض بزه رواية) فأرسلها مثلا قال علي بن عبد الله قلت لابن عائشة ما قولها وأمر مغويتهن يتبعن فقال اما تراهن يمرزن فتسقط الواحدة منهن في ماء أو وحل وما أشبه ذلك فيتبعنها اليه قول الثانية له جنة تشقى بها النيب والجزر فالنيب جمع ناب وهي المسنّة وانما قيل لها ناب لطول نابها قال أوس ابن حجر * تشبّه نابا وهي في السنّ بكرة * وتقدير نيب من الفعل فعل ولكن ما كان من ذوات الياء كسر له موضع الفاء من الفعل لتصح الياء لان الياء اذا سكنت وانضم ما قبلها كانت واوا في الاصل نحو موقن وموسر وان فارقتها الضمة عادت الى أصلها نحو قولك ميأسر ومثل ذلك أبيض وبيض وانما بيض فعل كأحمر وحمر وأصفر وصفر ولكن كسرت الذون لتصح الياء ولو كانت واوا في الاصل لم تغير نحو أسود وسود وقوله ناب تقديرها فعل متحركة العين ولا تنقلب الياء ولا الواو ألفا الا وهما في موضع حركة وما قبلها مفتوح نحو باع وقال ورمى وغزا الا ان التقدير فعل ولو كان

أذكر وكذلك الترك أصحاب عمد وسكان فياف وأرباب مواش وهم اعراب العجم كما ان هذيلا اكراد العرب لم تشغلهم الصناعات ولا التجارات ولا الطب والفلاحة والهندسة ولا غراس ولا بنيان ولا شق أنهار ولا جباية غلات ولم تكن همهم غير الغزو والغارة والصيد وركوب الخيل ومقارعة الابطال وطلب الغنائم وتدويخ البلاد وكانت همهم الى ذلك مصروفة وكانت لهذه

على فَعْل لصحة الياء والواو وكما تقول بَيْعٌ وقَوْلٌ وفَعْلٌ قد يجمعونه على فُعْل كقولهم أَسَدٌ وأُسْدٌ ورَئْنٌ ورُؤْنٌ وقولها تشتهي بها النيب والجزر فانما عطفت أحدهما على الآخر لان من الابل ما يكون جزورا للنحر لا غير وأما قولها ولا ضرع نمر فالضَّرَعُ الضعيف والغُمْرُ الذي لم يجرب الامور ويروى ان الحجاج لما ورد عليه ظَفَرُ المُهَلَّب بن أبي صُفْرة وقَتْلُه عبد ربه الكبير وهَرَبُ قَطَرِيّ عنه تمثَّل فقال لله دَرُّ المهلب والله لكأنه ما وَصَفَ لَقيطٌ الإياديُّ حيث يقول

المعاني والأسباب مسطرة ومصورة عليها وموصولة بها أحكموا ذلك الأمر بأسره وأتوا على آخره وصار ذلك هو صناعتهم وتجارتهم ولذتهم في الحرب وفخرهم وحديثهم وسمرهم فلما كانوا كذلك صاروا في الحرب كاليونانيين في الحكمة وأهل الصين في الصناعات والاعراب فيما عددنا ونوعنا وكالساسان في الملك والسياسة ومما يستدل به على انهم قد استقصوا هذا الباب واستفرغوه

وقَلِّدُوا أمركم لله دَرُّكُمُ ... رَحْبَ الذراع بأمر الحرب مُضْطَلِعا
لا مُتْرَفًا إن رَخاءُ العيش ساعَدَهُ ... ولا إذا عَضَّ مَكْروهٌ به خَشَعا
ما زال يَحْلُبُ هذا الدهر أشْطُرَهُ ... يكون مُتَّبَعًا طَوْرًا ومُتَّبِعا
حتى استمرَّتْ على شَزْرٍ مَريرَتُهُ ... مُرَّ العَزيمةِ لا رِئْدًا ولا ضَرِعا

فقام اليه رجل فقال أيها الامير والله لكأني أسمع هذا التمثيل من قَطَرِيّ في المهلب فَسُرَّ الحجاج بذلك سرورا تبين في وجهه وقولها كنصل السيف عن المُهَنَّد فالمهند المنسوب الى الهند وقولها من أهل بيتي ومحتدي فالمحتد الاصل قال الشاعر

وفي السِّرِّ من فَحْطانَ أولادُ حُرَّةٍ ... عظامُ اللِّهابِ بيضٌ كرامُ المحامِدِ

وقوله مال عميم يقول جامعٌ أخذه من عَمَّمْتُهم وقوله جِذْوَةٌ مُغْنيةٌ فالجذوة جمع جَذْوة وهي القطعة وأصل ذلك في الخشب ما كان منه فيه نار قال الله عز وجل أو جَذْوة من النار وتجمع أيضا جِذًا قال ابن مُقْبِل

باتت حَواطِبُ سَلْمَى يَلْتَمِسْنَ لها ... جَزْلَ الجِذا غيرَ خَوَّارٍ ولا دَعِرِ

الخوار الضعيف والدعر الكثير الثقب يقال عودٌ دَعِرٌ وقولها جوف لا يشبعن تقول عظام الاجواف وهم لا ينقعن الهيم العطاش يكون الواحد من هيم أهيم ويقال في هذا المعنى هَيْمان وقال بعض المفسرين في قول الله عز وجل فشاربون شُرْبَ الهيم قال هي الابل العطاش وقال ذو الرُّمَّة (يصف حميرا)

فراحت الحُقْبَ لم تَقْضَعْ صَرائرها ... وقد نَشَصْنَ فلاريٌّ ولا هيم

(الحقب البيض الاعجاز من الحمير) ويقال قَضَعَ صارَّتَه اذا روي والصارَّة شدة العطش والنُّشوح ان تشرب دون الري يقال نَشَحَ يَنْشَحُ ومثله تَغَمَّرَ اذا لم يَرْوَ ويقال للقدح الصغير الغُمَرُ من هذا وقال بعض المفسرين الهيم رمال بعينها واحدتها هَيْماء وقولها لا ينقعن أي لا يَرْوَيْنَ يقال

نقعت ماشية بني فلان بري اذا لم تبلغ من الماء حقها ويقال للماء النَقْع ويقال البَقع في غير هذا الموضع للغبار يقال أثاروا النَقْع بينهم والنَقْع اسم موضع بعينه قال الشاعر

لقد حَبَّبَتْ نُعْمُ البنا بوجهها ... مَساكِنَ ما بين الوَتائر والنَقْع

(الوتائر بالتاء منقوطة باثنتين من فوق) والنَقْع الصُراخ قال لَبيدٌ

فمتى يَنقَعْ صُراخُ صادِقٌ ... يُحلبوه ذات جَرْسٍ وزَجَلْ

وقولها وصم لا يسمعن طريف من كلام العرب وذلك انه يقال لكل صحيح البصر ولا يُعمَل بصره أعمى وانما يراد به انه قد حَلَّ محلَّ من لا يُبصر البَتَّة اذا لم يُعمل بصره وكذلك يقال للسميع الذي لا يقبل أصَمّ قال الله جل ذكره صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ كما قال جل ثناؤه أم على قلوب أقفالها وكذلك انك لا تُسمِع الموتى ولا تُسمِع الصُمّ الدعاء وقوله عز وجل كمَثَل الذي يَنعِق بما لا يسمع الا دعاء ونداء وتقول العرب أبلَدُ من راعي ألضأن ويُقال أحمَقُ من راعي ضأن ثمانين (قوله أحمق من راعي ضأن ثمانين المَثَل لكُثَيِّر في أعرابي خَبَّره فاختار ذلك ذكره أبو عبيد وهذا غير ما أشار اليه أبو العباس) وتحدث عمرو بن بَحر قال كان يقال لا ينبغي لعاقل ان يشاور واحدا من خمسة القَطّان والغزّال والمُعلِّم وراعي ضأن ولا الرجل الكثير المحادثة للنساء وقيل في مثل هذا لا تَدَعْ أمّ صبيك تضربه فانه أعقل منها وان كان طفلا وقال الأحنَف بن قيس اني لأجالس الأحمق الساعة فأتبيَّن ذلك في عقلي وقال جل ثناؤه في صفة النساء أو مَن يُنشَّأ في الحِلية وهو في الخصام غير مُبين وحُدِّثتُ ان عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة أتى المدينة فاقام بها فغنى في ذلك يقول

يا خليلَيَّ قد مَلِلْتُ ثَوائي ... بالمُصَلَّى وقد شَنِئْتُ البَقيعا

فلما أراد الشخوص شخص معه الأحوص بن محمد فلما زالا وَدّان صارا اليهما نُصَيْب فقضى الأحوص لبعض حاجته فرجع الى صاحبيه فقال اني رأيت كُثَيِّرا بموضع كذا فقال عمر فابعثوا اليه ليصير الينا فقال الأحوص أهو يصير اليكم هو والله أعظم كبرا من ذلك قال فاذا نصيرُ اليه فصاروا اليه وهو جالس على حلد كبش فوالله ما رفع منهم أحدا ولا القُرَشيّ ثم أقبل على القرشي فقال يا أخا قُرَيش والله لقد قلتَ فاحسنتَ في كثير من شعرك ولكن خبّرني عن قولك

قالت لها أختُها نُعاتبها ... لا تُفسِدَنَّ الطَوافَ في عُمَر

وبلغوا أقصى غايته وتعرفوه ان السيف الى ان يتقلده متقلد ويضرب به ضارب قد مر على أيد كثيرة وعلى طبقات من الصناع كل واحد منهم لا يعمل عمل صاحبه ولا يحسنه ولا يدعيه ولا يتكلفه لان الذي يذيب حديد السيف ويميعه ويصفيه ويهذبه غير الذي يعده ويعطه والذي يعده ويعطه غير الذي يطبعه ويسوي متنه ويقيم خشيبته والذي يطبعه ويسوي متنه سوى الذي

(كذا وقعت الرواية لا تفسدن على النهى والصحيح لتفسدن على القسم كأنها قالت والله لتفسدن)

قُومي تَصَدَّيْ له لِيُبْصِرَنا • ثم اغْمِزِيه يا أُخَيَّ في خَفَرِ

قالت لها قد غَمَزْتُه فأبى • ثم اسْبَطَرَّتْ تَشْتَدُّ في أُثَرِي

والله لو قد قلتِ هذا في هِرَّةٍ أهلكِ ما عدا أردتِ ان تَنْسُبَها ففَسَبْتِ بنفسكِ أهكذا يقال للمرأة انما توصف بالخَفَر وأنها مطلوبةٌ ممتنعةٌ هلا قلتَ كما قال هذا وضرب بيده على كتف الأحوص

أدور ولَوْلا أنْ أرى أمَّ جَعْفَرٍ • بأبياتِكم ما دُرْتُ حيث أدورُ

وما كنتُ زَوَّاراً ولكنَّ ذا الهوى • اذا لم يَزُرْ لا بدَّ أن سيَزورُ

لقد مَنَعَتْ معروفَها أمُّ جعفرٍ • وانى الى معروفِها لَفَقيرُ

قال فامتلأ الاحوص سروراً ثم أقبل عليه فقال يا أحوص خبِّرْني عن قولك

فان تَصِلي أصِلْكِ وان تَعُودي • لهَجْرٍ بعدَ وصلكِ لا أُبالي

أما والله لو كنتَ من خُؤُولة الشعراء لما لِمْتَ هلا قلتَ مثل ما قال هذا وضرب بيده على جنب نُصَيْب

يَزِينُكِ المِسْكُ قبل أن يَضَعَ الرَّكْبُ • وقُبْلُ ان تَمَسِّيناً فما مَلَّ القلبُ

قال فانتفخ نصيب ثم أقبل عليه فقال له ولكن اخبرني عن قولك يا أسودُ

أهيمُ بعدَكِ ما حييتُ وان أمُتْ • فوا حَزَناً من ذا يَهيمُ بها بعدي

كأنك اعتممتَ ان لا يفعلَ جرابعدكَ ولا يكني فقال بعضهم لبعض قوموا فقد استوت الفرقة وهي لُعْبةٌ على خطوط فاستوازها انقضازها (قال أبو الحسن الطَّيِّبُ هي السُّدَّرُ فاذا زِيدَ في خطوطه سمَّتْه العربُ الفرقةَ وتسميه العامة السُّدَّر) قال وحدَّثَ ان كُثَيِّراً دخل على عبد الملك ابن مَرْوانَ وعنده الاخطل فانشده فالتفت عبد الملك الى الاخطل فقال كيف تَرَى فقال حجازي جُوَّعٌ مقرورٌ دعني أضَعْمُه يا أمير المؤمنين فقال كثير من هذا يا أمير المؤمنين فقال له هذا الاخطل فقال له كثير مَهْلاً فهلا ضَعْمتَ الذي يقول

لا تطلبَنَّ خُؤُولةً في تَغْلِبٍ • فالزَّنْجُ أكرمُ منهمُ أخوالا

والتَّغْلبيُّ اذا تنحنح للقِرَى • حَكَّ استَه وتمثَّلَ الأمثالا

(أخوالا منصوب على الحال ومن زعم أنه تمييز فقد أخطأ) فسكت الاخطل فما أجابه بحرف

قال

يسقيه ويرهفه والذي يسقيه ويرهفه غير الذي يركب قبيعته ويستوثق من سيلانه والذي يعمل مسامير السيلان وشاذى القبيعة ونعل السيف غير الذي ينحت خشب غمده والذي ينحت خشب غمده غير الذي يدبغ جلده والذي يدبغ جلده غير الذي يحليه والذي يحليه ويركب نصله غير الذي يخرز حمائله وكذلك السرج وحالات السوم والجعبة والرمح وجميع السلاح فما هو خارج

قال أبو العباس سمعت من ينشد هذا الشعر ❁ والتغلبي اذا تنحنح للقرى ❁ وهو أبلغ قال وخبرت ان نصيبا نزل بامرأة تكنى أم حبيب من أهل مكة وكانت تضيف في ذلك الموضع وتقرى ولا يزال الشريف قد نزل بها فافضل عليها الفضل الكثير ولا يزال الشريف ممن لم يحتمل بها يثنا ولها بالخير ليعينها على مروءتها فنزل بها نصيب ومعه رجلان من قريش فلما أرادوا الرحلة عنها وصلها القرشيان وكان نصيب لا مال معه في ذلك الوقت فقال لها ان شئت فلك أن أوجه اليك بمثل ما أعطاك أحدهما وان شئت قلت فيك شعرا فعزلت أم حبيب (أي مالت الى أن يتغزل بها) فقالت بل الشعر فقال

الا حي قبل البين أم حبيب ❁ وان لم تكن منا غداة بقريب

وان يبكرن اني أحب صادقا ❁ فما أحد عندي اذا بحبيب

تهائم أصلت قلبه متلبثة ❁ غريب الهوى واها لكل غريب

وحدث أن نصيبا أتى عبد الملك فانشده فاستحسن عبد الملك شعره وسره فوصله ثم دعا بالغداء فطعم معه فقال له عبد الملك يا نصيب هل لك فيما يتنادم عليه فقال يا أمير المؤمنين تأملني قال قد أراك فقال يا أمير المؤمنين جلدي أسود وخلقي مشوه ووجهي قبيح واست في منصب وانما بلغني مجالستك وموأكلتك عقلي وأنا أكره يا أمير المؤمنين أن أدخل عليه ما ينقصه فاعجبه كلامه فاعفاه وقال الوليد بن عبد الملك للحجاج في وفدة وفدها عليه وقد أكلا هل لك في الشراب فقال يا أمير المؤمنين ليس بحرام ما أحللته ولكني أمنع أهل عملي منه وأكره أن أخالف قول العبد الصالح وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه فاعفاه وقال مسلمة بن عبد الملك يوما لنصيب أمدحت فلانا لرجل من أهله فقال قد فعلت قال أو حرمك قال قد فعل قال فهلا هجوته قال لم أفعل قال ولم قال لاني كنت أحق بانجاز منه اذ رأيته موضعا لمدحي فأعجب به مسلمة فقال اسألني قال لا أفعل قال ولم فقال لان كفك بالعطية أجود من لساني بالمسئلة فوهب له ألف دينار وحدث أن الكميت بن زيد أنشد نصيبا فاستمع له فكان فيما أنشده

وقد رأينا بها حورا منعمة ❁ بيضا تكامل فيها الدل والشنب

فثنى نصيب خنصره فقال له الكميت ما تصنع فقال أحصي خطأك تباعدت في قولك تكامل فيها الدل والشنب هلا قلت كما قال ذو الرمة

أو جنة والتركي يعمل هذا كله بنفسه من ابتدائه الى غايته ولا يستعين برفيق ولا يفزع الى رأي صديق ولا يختلف الى صانع ولا يشغل قلبه بعطله وتسويفه واكاذيب مواعيده ويغرم كراءه وليس في الارض كل تركي كما وصفنا كما انه ليس كل يوناني حكيما ولا كل صيني حاذقا ولا كل اعرابي شاعرا فائقا ولكن هذه الامور في هؤلاء أعم وأتم وفيهم أظهر وأكثر قد قلنا في السبب الذي تكاملت به

لَمياءُ في شَفَتَيها حُوَّةٌ لَعَسٌ • وفي اللِّثاتِ وفي أنيابِها شَنَبُ

ثم أنشده في أخرى

كأنَّ الغُطامِطَ من بَرْيِها • أراجيزُ أَسْلَمَ تَهْجو غِفارا

(وقعت الرواية من جريها وسوّابه من غليها لانه يصف قدرا فيه لحم فشبه غليان القدر وارتفاع اللحم فيه بالموج الذي يرتفع) فقال له نصيب ما هَجَتْ أَسْلَمُ غِفارًا قَطُّ فاستحيا الكميت فسكت قال أبو العباس والذي عابه نصيب من قوله تكامل فيها الذل والشنب قبيح جدا وذلك أن الكلام لم يجر على نظم ولا وقع الى جانب الكلمة ما يشاكلها وأول ما يحتاج اليه القوا أن ينظم على نسق وأن يوضع على رسم المشاكلة وخُيِّرتُ أن عمر بن لَجَأ قال لابن عم له انا أشعر منك قال له وكيف قال لانى أقول البيت وأخاه وأنت تقول البيت وابن عمه وأنشد عمرو بن بحر

وشَعْرٍ كبَعْرِ الكَبْشِ فَرَّقَ بينَه • لسانُ دَعِيٍّ في القَريضِ دَخيلُ

وبعر الكبش يقع متفرقا فمن ذلك قول ابنة الحُطَيْئة له لما زُفّ في بني كُلَيْب بن يربوع تركت الثروة والعدد وزُفَّت في بني كُلَيْبٍ بَعْرَ الكَبْشِ يقال بَعْرٌ وبَعْرٌ وشَعْرٌ وشَعْرٌ وشَعَرٌ وشَعَرٌ ويقال المصدر قَصٌّ وقَصَصٌ وكذلك نَهْرٌ ونَهَرٌ وزعم الاصمعي أنه سأل أعرابيا وهو بالموضع الذي ذكر زُهَيْر

ثم اسْتَمَرُّوا وقالوا إنَّ مَشْرَبَكُمْ • ماءٌ بشَرْقِيَ سَلْمَى فَيْدُ أو رَكَكُ

قال الاصمعي فقلت لاعرابي أتعرف رككا فقال لا ولكن قد كان ههنا ما يسمى ركّا فيد ليست فيه لغتان ولكن الشاعر اذا احتاج الى الحركة أتبع الحرف المتحرك الذي يليه الساكن ما يشاكله فحرّك الساكن بتلك الحركة قال عبد مناف بن ربع (ش ربعي) الهذلي

اذا تجاوبَ نَوْحٌ قامَتا معه • ضَرْبًا أليما بسِبْتٍ يلمَعُ الجَلَدا

يريد الجلد فهذا مطرد (قال ابن القُوطية لَمَعَ الحُبُّ قلبه والصَّرْدُ جسدَه أحرقه) ومن مذاهبهم المطردة في الشعر أن يُلْقوا على الساكن الذي يُسَكَّن ما بعده للتقييد حركة الاعراب كما قال الراجز (قال ابن السيد أحسبه لعبيد بن ماوية) • أنا ابنُ ماوِيَّةَ اذ جَدَّ النَّقُرْ • يريد النَّقُرُ يافتى وهو النَّقْرُ بالحبل فلما أسكن الراء التي حركتها على الساكن الذي قبلها (النُّقَيْر صوت باللسان يُسَكِّن به الفرس اذا اضطرب بفارسه قال امرؤ القيس

أُخَفِّضُه بالنَّقْرِ لما عَلَوْتُه • ويَرْفَعُ طَرْفًا غيرَ جافٍ غَضيضِ)

النجدة والفروسية في الحرب دون جميع الامم في العالم التي من أجلها نظموا جميع معاني الحرب وهي معان تشتمل على مذاهب غريبة وخصال عجيبة فمنها ما يقضي لأهله بالكرم وبعد الهمة وطلب الغاية ومنها ما يدل على الادب الشديد والرأي الأصيل والفطنة الثاقبة والبصيرة النافذة ألا ترى انه ليس بداصاحب الحرب من الحلم والعلم والحزم والعزم والصبر

وشبيهٌ بهذا قولُهُ عجبتُ والدهرُ كثيرٌ عَجَبُهْ • من عَنَزِيٍّ سَبَّنِي لم أَضْرِبُهْ .

أرادلم أضربْهُ بافتى فلما أسكن الهاء ألقى حركتها على الباء وكان ذلك فى الباء أحسن لخفاء الهاء. وقال أبو النجم. • أقول قَرِّبْ ذا وهذا أَزْحَلُهْ • يريد أزحله يافتى (أقول قَرِّبْ ذا وهذا ازْحَلُهْ كذا عن ش) وقال ظَرَفَةُ حابسيٌّ يَفْعُ وقفتُ به • لو أُطيعُ النفسَ لم أَرِمُهْ .

ولم يلزمه رد الياء لما تحركت الميم لان تحركها ليس لها على الحقيقة وانما هى حركة الهاء. وأما قول الشاعر حديثُ بَنِى بَدْرٍ اذا ما لَقِيتَهُم • كَنَزْوِ الدَّبَى العَرْفَجَ المُتَقارِبِ

فليس كقوله وشعر كبعر الكبش ولكنه وصفهم بضُؤولة الاصوات وسرعة الكلام وادخال بعضه فى بعض والذى يُحْمَدُ الجَهارَةُ والفَخامَةُ وأُنْشِدْتُ لرجل قال يمدح الرشيد

جَهيرُ الكلامِ جَهيرُ العُطاسِ • جَهيرُ الرُّواءِ جَهيرُ النَّغَمْ

يَخُطُّونَ على الأَينِ خَطْوَ الظَّليمِ • ويَعْلُونَ الرِّحالَ بِخَلْقٍ عَمَمْ

(الرجل هزالعُمانىُّ الشاعرُ وقوله عمم أى جسيم والأين الاعياء ويكون الاين الحيية وهى الأيم) ويروى ان الرشيد كان يأتزر فى الطواف فيُذَنِّبُ ازاره ويباعد بين خُطاه فاذا رجع بيده كاد يَفْتِنُ مَنْ يراه فعند ذلك مُدِحَ بهذا الشعر ويروى ان عائشة رحمها الله نظرت الى رجل مُمَاوِتٍ فقالت ما هذا فقالوا أحدُ القُرَّاء فقالت قد كان عمر بن الخطاب قارئا فكان اذا قال أَسْمَعَ واذا مشى أسرع واذا ضرب أوجَعَ ويروى ان عمر بن الخطاب رحمه الله نظر الى رجل مُظْهِرٍ للنُّسْكِ مُمَاوِتٍ فَخَفَقَهُ بالدِّرَّة وقال لا تُمِتْ علينا ديننا أماتك الله ويروى ان عبد الملك بن صالح بن على بن عبد الله بن عباس أتته وُفُودٌ من الروم وقام السماطان فَأُتِىَ برجل منهم وعَطَسَ أحدُ مَنْ فى السماطين فَأَخْفَى عَطْسَتَهُ فقال له عبد الملك لما انقضى أمر الوَفْدِ هَلَّا إذْ كنتَ لئيمَ العُطاسِ أتبعت عَطْسَتَكَ صيحةً حتى تخلع بها قلب العِلْجِ وكان العباس بن عبد المطلب رحمه الله أجهرَ الناس صوتا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انهزم الناس يوم حُنَيْنٍ يا عباسُ اصْرُخْ بالناس ويروى ان غارة أتتهم يوما فصاح العباس يا صباحاه فاستسقطت الحوامل لشدة صوته وقد طُعِنَ فى قول النابغة الجَعْدِىِّ

(وأَزْجُرُ الكاشِحَ العَدُوَّ اذا غـ ـستابكَ عندى زَجْرا على أَضَمِ)

زَجْرَ أبى عُرْوَةَ السِّباعَ اذا • أَشْفَقَ أن يَخْتَلِطْنَ بالغَنَمِ

والكتمان ومن الثقافة وقلة الغفلة وكثرة التجربة ولابد من البصر بالخيل والسلاح والخبرة بالرجال وبالبلاد والعلم بالمكان والزمان والمكايد وبما فيه صلاح الامور كلها والملك يحتاج الى أواخ شداد وأسباب متان ومن أمتنها سببا وأعمها نفعا مائبته فى نصابه وسكنه فى قراره وزاد فى تمكينه وبهائه وقطع أسباب المطمعة فيه ومنع أيدى البغاة من الاشارة اليه فضلا عن البسط عليه قد قلنا

وذلك ان الرواة احتملت هذا البيت على انه كان يزجر الذئاب ونحوها مما يغير على الغنم فيقتق مرارة السبع في جوفه (يروى زجر أبي عروة السباع بخفض السباع كما قيل قيس الرقيات فصار على هذا يعرف بأبي عروة السباع مثل ذلك) فقال من يطعن في هذا السبع أشد أيدا من الغنم فاذا فعل ذلك بالسبع هلكت الغنم قبله فقال من يحتج له ان الغنم كانت قد أنست بهذا منه والصوت الرائع أنس لمن أنس به كالرعد القاصف الذي لولا خشية صاعقته لم يفزع كبير فزع ولو جاء أول منه من جوف الارض لذعر ولم يبعد أن يقتل اذا أتى من حيث لم يعتمد وجملة هذا البيت انه وصف شدة صوت المذكور وتأويله انه من تكاذيب الاعراب وحدث ان الحسن نظر الى رجل يجود بنفسه فقال ان أمر هذا آخره لجدير بان يهد في أوله وان أمر هذا أوله لجدير ان يخاف آخره وقيل لرجل من أشراف العجم في علته التي مات فيها ما بك قال فكر عجيب وحسرة طويلة فقيل مم ذاك فقال ما ظنكم بمن يقطع سفرا قفرا بلا زاد ويسكن قبرا موحشا بلا مؤنس ويقدم على حكم عادل بلا حجة وقال بعض المحدثين وهو محمود الوراق

بأي اعتذار أم بأية حجة ... يقول الذي يدري من الامر لا أدري

اذا كان وجه العذر ليس ببين ... فان اطراح العذر خير من العذر

واعتذر رجل الى سلم بن قتيبة من أمر بلغه عنه فعذره ثم قال له يا هذا لا يحملنك الخروج من أمر تخلصت منه على الدخول في أمر لعلك لا تتخلص منه وقيل لخالد بن صفوان أي اخوانك أحب اليك فقال الذي يسد خللي ويغفر زللي ويقبل علتي وافتقد عبد الله بن جعفر بن أبي طالب صديقا له من مجلسه ثم جاءه فقال له أين كنت غيبتك فقال خرجت الى عرض من أعراض المدينة مع صديق لي فقال له ان لم تجد من صحبة الرجال بدا فعليك بصحبة من ان صحبته زانك وان خفقت له صانك وان احتجت اليه مانك وان رأى منك خللا سدها أو حسنة عدها وان وعدك لم يخرضك وان كثرت عليه لم يرفضك وان سألته أعطاك وان أمسكت عنه ابتداك قال أبو العباس وامتدح نصيب عبد الله بن جعفر فأمر له بخيل وابل وأثاث ودنانير ودراهم فقال له رجل أمثل هذا الاسود يعطى مثل هذا المال فقال له عبد الله بن جعفر ان كان اسود فان شعره لابيض وان ثناءه لعربي ولقد استحق بما قال أكثر مما نال وهل أعطيناه الا ثيابا تبلى ومالا يفنى ومطايا تنضى

في مناقب جميع الاصناف مجمل ما انتهى الينا وبلغه علمنا فان وقع بالموافقة فبتوفيق من الله تعالى وصنعه عز ذكره وان قصر دون ذلك فالذي قصر بنا نقصان علمنا وقلة حفظنا واسماعنا وربما حسنه الذي نضمر من المحبة والاجتهاد في القربة فلا نرجع في ذلك الى أنفسنا بلائمة وبين التقصير من جهة العجز وضعف القوة فرق ولو كان هذا الكتاب من كتب المناقضات وكتب المسائل

وأعطانا مدحا يروى وثناء يبقى وقيل لعبد الله بن جعفر انك لتبذل الكثير اذا سئلت وتضيق فى القليل اذا تُوجِّعت فقال انى أبذل مالى وأضن بعقلى وقيل ليزيد بن معاوية ما الجود فقال اعطاء المال من لا تعرف فانه لا يصير اليه حتى يتخطى من تعرف وخُبِّرت عن رجل من الانصار قال لابن عبد الرحمن بن عوف ما ترك لك أبوك قال ترك لى مالا كثيرا فقال ألا أعلمك شيأ هو خير لك مما ترك لك أبوك انه لا مال لعاجز ولا ضياع على حازم والرقيق جمال وليس بمال فعليك من المال بما يعولك ولا تعوله وقال معاوية الخفض والدعة سعة المنزل وكثرة الخدم وقيل لحريم المرى وهو المنبز بخريم الناعم ما النعمة فقال الأمن فانه ليس لخائف بعيش والغنى فانه ليس لفقير عيش والصحة فانه ليس لسقيم عيش قيل ثم ماذا قال لا مزيد بعد هذا وقال سلم بن قتيبة الشباب الصحة والسلطان الغنى والمروءة الصبر على الرجال وقال المهلب بن أبى صفرة العجب لمن يشترى المماليك بماله ولا يشترى الاحرار بمعروفه وكان يقول لبنيه اذا غدا عليكم الرجل وراح مسلما فكفى بذلك تقاضيا وقال خالد بن عبد الله القسرى محض الجود ما لم تسبقه مسئلة وما لم يقبعه منّ ولم يزريه قصر ووافق موضع الحاجة وقال بعض المحدثين وهو (حبيب) الطائى

أسائل نصرا لا تسله فانه ... أحن الى الارفاد منك الى الرفد

وقال آخر وهو أبو العتاهية

لا تسألن المرء ذات يديه ... فلمعقرتك من رغبت اليه

المرء ما لم ترزه لك مكرم ... فاذا رزأت المرء هنت عليه

وكما يكون لديك من عاشرته ... فكذاك فارض بأن تكون لديه

ودخل التمار العذرى على معاوية فى عباءة فاحتقره فرأى ذلك الضارع فى وجهه فقال له يا أمير المؤمنين ليست العباءة تكلمك انما يكلمك من فيها ثم تكلم فلما سمعه ثم نهض ولم يسأله فقال معاوية ما رأيت رجلا أحقر أولا ولا أجل آخرا منه ودخل محمد بن كعب القرظى على سليمان بن عبد الملك فى ثياب رثة فقال له سليمان ما يحملك على لبس مثل هذه الثياب فقال أكره أن أقول الزهد فأطرى نفسى أو أقول الفقر فأشكو ربى وحدثنى التوزى قال دخل سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب على هشام بن عبد الملك فى ثياب وعليه عمامة تخالفها فقال له هشام كأن العمامة

والجوابات وكان كل صنف من هذه الاصناف يريد الاستقصاء على صاحبه ويكون غايته اظهار نفسه وان لم يصل الى ذلك الا باظهار نقص أخيه وليه لكان كتابنا كبيرا كثير الورق عظيما ولكن القليل الذى يجمع خيرا من الكثير الذى يفرق ونحن نعوذ بالله من هذا المذهب ونسأله العون والتسديد انه سميع قريب فعال لما يريد

﴿فصل من صدر كتابه فى حجج النبوة﴾

ليست من الثياب قال انها مستعارة فقال له كم سنك قال ستون سنة قال ما رأيت ابن ستين أبقى كدنة منك (كدنة قوة الجسم قال ابن القوطية في الافعال كدن الشفة كدونا اسودت وأكدن البعير كنز لحمه وشحمه) ما طعامك قال الخبز والزيت قال أما انا آجمهما ما قال اذا آجمتهما تركتهما حتى أشتهيهما ثم خرج من عنده وقد صدع فقال أترون الاحول لقعني بعينه فمات من تلك العلة (قال ابن الاعرابي لقع فلان فلانا بعينه وزلقه وزلقه وأزلقه وشقذه وشوهه ويقول الرجل اذا أجاد في عمله لا تشره علي أي لا تقل لي أجدت فتصيبني بالعين ورجل معين اذا أصيب بالعين وشاه وشانه وشقذ وشقذان) ونظر اعرابي الى رجل جيد الكدنة فقال يا هذا اني لارى عليك قطيفة محكمة من نسج أضراس ودخل أبو الاسود الدؤلي (اسم أبي الاسود الدؤلي ظالم بن عمرو بن سفيان وقيل ابن عمرو بن جندل بن سفيان وأمه من بني عبد الدار بصري تابعي ثقة من أصحاب علي من كتابه) على عبيد الله بن زياد في ثياب رثة فكساه ثيابا حسانا فخرج وهو يقول

كسانا وما استكسيته فشكرته * أنعم لك يعطيك الجزيل وناصر

وان أحق الناس ان كنت ماذما * بمدحك من أعطاك والعرض وافر

وحدثني الرياشي قال دخل أبو الاسود الدؤلي على عبيد الله بن زياد وقد أسن فقال له عبيد الله جزاك الله يا أبا الاسود انك لجميل فلو تعلقت تميمة ترد عنك بعض العيون فقال أبو الاسود

أفنى الشباب الذي أفنيت جدته * كر الجديدين من آت ومنطلق

لم يتركا لي في طول اختلافهما * شيأ أخاف عليه لذعة الحدق

قوله فلو تعلقت تميمة هي المعاذة يعلقها الرجل قال ابن قيس الرقيات

صدروا ليلة انقضى الحج فيهم * طفلة زانها أغر وسيم

يتقي أهلها العيون عليها * فعلى جيدها الرقى والتميم

وقال أبو ذؤيب واذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

وقوله لذعة الحدق فهو من قولك لذعته النار اذا لفحته ويقال لذع فلان فلانا بأدب اذا أدبه أدبا يسيرا كأنه كالمقدار الذي وصفناه من النار وقول ابن قيس الرقيات زانها أغر وسيم فالاغر الابيض يعني الوجه والوسيم الجميل والمصدر الوسامة والوسام وقال بعض المحدثين ذكرناه بقول

الحمد لله الذي عرفنا نفسه وعلمنا دينه وجعلنا من الدعاة اليه والمحتجين له فنحن نسأله تمام النعمة والعون على أداء شكره وان يوفقنا للحق برحمته انه ولي ذلك والقادر عليه والمرغوب اليه فيه وصلى الله على محمد وآله وسلم ثم انا قائلون في الاخبار ومخبرون عن الآثار ومفرقون بين أسباب الشبهة وأسباب الحجة ثم مفرقون بين الحجة التي تلزم الخاصة دون العامة ومخبرون عن الضرب الذي

أبي الاسود

قد كنتُ أرتاعُ للبيضاء في حَلَكٍ ٭ فصرتُ أرتاعُ للسوداء في بَقَقِ

مَنْ لم يَشِبْ ليس بملاقٍ لخليلته ٭ وصاحبُ الشيبِ للنسوان ذو مَلَقِ

قد كنتُ أفرقُ منه في شبيبته ٭ فصار يفرقُ مني كان ذا فَرَقِ

ان الخضابَ لتدليسٍ يُغَشُّ به ٭ كالثوبِ في السوقِ مطويا على حَرَقِ

ويروى يُطْوَى لتدليسٍ على حَرَقٍ وشبيهٌ بهذا المعنى قول أبي تمام

طال انكاري البياضَ وانْ عُمِّرْتُ شيأ أنكرتُ لونَ السوادِ

وحدثني الزياديُّ قال قيل لاعرابي ألا تختضبُ بالوسمة فقال لم ذاك فقال لتصبو اليك النساء فقال أما نساؤنا فما يردْنَ بنا بديلاً وأما غيرهن فما نلتمسُ صبوتهن وقال العُتْبيُّ

وقائلةٍ تَبَيَّضَ والغواني ٭ نوافرُ عن معالجةِ القتيرِ

(ويروى معالجة بكسر اللام من فتح اللام جعله مصدرا ومن كسر اللام فهي الجماعة التي تعالج ذلك الشيء)

عليكِ الخطرَ محلكِ أن تدنّي ٭ الى بيضٍ ترائبُهنّ حُورِ

فقلتُ لها المشيبُ نذيرُ عمري ٭ ولستُ سُوَيْدَا وجهِ النذيرِ

وقال آخر وهو أبو خالد يزيد بن محمد المهلبي

صبغتُ الرأسَ خَتْلاً للغواني ٭ كما غطّى على الريبِ المريبُ

أُعَلِّلُ مرةً وأُعاوِدُ أخرى ٭ ولا تُحْصَى من الكِبَرِ العيوبُ

أسوفُ توبتي خمسينَ عاما ٭ وظني أن مثلي لا يتوبُ

يُقَوِّمُ بالثقافِ العودُ لدنا ٭ ولا يتقوّمُ العودُ الصليبُ

وقال مالك بن دينار جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم وكان يقول ما اشتدّ فطامُ الكبير وقال آخر

دعي لومي ومعتبتي أُماما ٭ فاني لم أُعَوِّدْ أن ألاما

وكيف ملامتي اذ شابَ رأسي ٭ على خُلُقٍ نشأتُ به غلاما

وقيل لاعرابي ألا تغيّر شيبك بالخضاب فقال بلى ففعل ذلك مرة ثم لم يعاود فقيل له لم لا تعاود الخضاب فقال باهناه لقد شدّ حيائي فجعلت احالُ ميتا وقال بعض المحدثين وهو محمود الوراق

ياخاضبَ الشيبِ الذي ٭ في كلِّ ثالثةٍ يعود

ان الفضولَ اذا بدا ٭ فكأنه شيبٌ جديد

يكون الخاصة فيه حجة على العامة وعن الموضع الذي يكون القليل فيه أحق بالحجة من الكثير ولم شاع الخبر وأصله ضعيف ولم خفي وأصله قوي وما الذي يؤمن من فساده وتبديله مع تقادم عصره وكثرة الطاعنين فيه وعن الحاجة الى رواية الآثار والى سماع الاخبار وعن أخلاق الناس وآبائهم ومذاهب أسلافهم وعن سير الملوك قبلهم وما صنعت الايام بهم وعن شرائع أنبيائهم

وله بديهة لوعة • مكروهها أبدا عتيد فدع المشيب لما أرا • د فلن يعود كما تريد

وقال محمود أيضا

أليس عجيبا بأن الفتى • يصاب ببعض الذى فى يديه

فمن بين بالله موجع • وبين معز معذ اليه

ويسلبه الشيب شرخ الشباب • فليس يعزيه تلق عليه

وقال أيضا

ياخاضب الشيبة نح فقدها • فانما تدرجها فى كفن

أما تراها منذ عاينتها • تزيد فى الرأس بنقص البدن

وقال أيضا

اغتنم غفلة المنية واعلم • أنما الشيب للمنية جسر

كم كبير يوم القيامة يقضى • وصغير له هنالك قدر

(قال أبو الحسن يقال جسر وجسر وهو مأخوذ من الناقة الكبيرة يقال لها الجسر) وقال أعرابى (هو أبو النجم)

قالت سليمى أنت شيخ أزرع • فقلت ماذا لى أصلع • ثم حسرت عن صفاة تلمع

فاقبلت قافلة تسترجع • مار أس ذا الا جبين أجمع

وقال آخر وهو رؤبة

قد ترك الدهر صفاتى صفصفا • فصار رأسى جبهة الى القفا

كأنه قد كان ربعا فعفا • يمشى ويقضى للمنايا هدفا

وكان نصر بن حجاج بن علاط السلمى ثم البهزى جميلا فعمر عليه عمر بن الخطاب رحمه الله فى أمر الله أعلم به فحلق رأسه وكان عمر أصلع لم يبق من شعره الاحفاف كذلك قال الاصمعى فقال نصر بن حجاج

لضن ابن خطاب على بجمة • اذا رجلت تهتز هز السلاسل

فصلع رأسا لم يصلعه ربه • برق رقيقا بعد اسود جاثل

لقد حسد الفرعان أصلع لم يكن • اذا ماشى بالفرع بالمتخايل

قوله بالفرع المتخايل ليس أنه جعل بالفرع من صلة المتخايل فيكون معناه بالذى يختال بالفرع فيكون قد قدم الصلة على الموصول ولكنه جعل قوله بالفرع تبيينا فصار بمنزلة بك التى تقع بعد مرحبا للتبيين وقد مر تفسير هذا مستقصى فى الكتاب المقتضب وقال آخر

تغطى غميرا بالعمائم لؤمها • وكيف يغطى اللؤم طى العمائم

واعلام رسلهم وعن أدب حكمائهم وأقاويل أئمتهم وفقهائهم وعن حالات من غاب عن أبصارهم فى دهرهم ولم كان الاخبار على الناس أخف من الكتمان ولم كان الصمت أثقل عليهم من الكلام وما الضرب الذى يقدرون على كتمانه وطيه والضرب الذى لا يقدرون الا على اذاعته ونشره ولم اجتمعت الامم على الصدق فى أمور واختلفت فى غيرها ولم حفظت أمورا ونسيت

فان تضربونا بالسياط فاننا ٭ ضربناكم بالمرهفات الصوارم .

وان تحلقوا منا الرؤس فاننا ٭ حلقنا رؤسا بالظبا والعلاصم

وان تمنعوا منا السلاح فعندنا ٭ سلاح لنا لا يشترى بالدراهم

حلائم يبدو املاء الاكف كانها ٭ رؤس رجال حلقت بالمواسم

وكان يزيد بن الطثرية غزلا وكان أخوه ثور ذا مال فكان يزيد يأتى العطار فيقول اذهنى دهنة بناقة من ابل ثور فيفعل ذلك وكان ذا جمة حسنة فاذا كثر عليه الدهن هرب فتبدى فاذا ذكر حوشية وهى امرأة كان يشبب بها (حوشية بنت أبى فديك بن قرة ولها مع يزيد حديث طريف) قدم فاقتطع من ابل أخيه ما يقضى به دينه وفى ذلك يقول

قضى غرمائى حب أسماء بعدما ٭ تخوفنى ظلم لهم وفجور

فذلك ذأبى ما حييت وما مشى ٭ ثور على ظهر الفلاة بعير

فاستعدى عليه ثور السلطان فامر بحلق رأسه فقال

أقول لثور وهو يحلق مقتى ٭ بعقفاء مردود عليها انصابها

ترفق بها يا ثور ليس ثوابها ٭ بهذا ولكن عند ربى ثوابها

الا ربما يا ثور فرق بينها ٭ أنامل رخصات حديث خضابها

فيهلك مدرى النعاج فى مدلهمة ٭ اذا لم تفرج مات غما سوابها

لحاها ثور ترف كانها ٭ سلاسل برق لينها وانسكابها

ورحت برأس كالصخيرة أشرفت ٭ عليها عقاب ثم طارت عقابها

خدلية كالشريعة الفرد جادها ٭ من الصيف ثوأم مطير سحابها

سواها ولم كان الصدق أكثر من الكذب ولم كان الصمت أثقل والقول أفضل والعجب من ترك الفقهاء تمييز الآثار وترك المتكلمين القول فى تصحيح الأخبار وبالأخبار يعرف الناس النبى من المتنبى والصادق من الكاذب وبها يعرفون الشريعة من السنة والفريضة من النافلة والحظر من الاباحة والاجماع من الفرقة والشذوذ من الاستفاضة والرد من

(باب)

قال رجل من المتقدمين وهو قيس بن عاصم المنقرى

أنا ابن عبد الله وابن مالك ٭ ويا ابن ذى البردين والفرس الورد

اذا ما أصبت الزاد فالنهبى له ٭ أكيلا فانى لست آكله وحدى

قصيا كريما أو قريبا فانى ٭ أخاف مذمات الاحاديث من بعدى

وانى لعبد الضيف مادام ثاويا • وما من خلالى غيرها شيمة العبد

غيرها استثناء مقدم وقد مضى تفسيره وقوله فصيا كريما من طريف المعانى وذلك انه لم يحتج الى ان يشترط فى نسبته الكرم لانه قد ضمن ذلك واشترط فى القصى ان يكون كريما لانه كره ان يكون مواكله غير كريم وهذا ليس من الباب الذى ذكره جرير حيث يقول فى هجاء بنى هزان

ضيفكم جائع ان لم يبت غزلا • وجاركم يا بنى هزان مسروق

رأيت هزان فى أرواح نسوتها • رحب وهزان فى أخلاقها ضيق

وقال آخر من المحدثين وهو يحيى بن نوفل أنشد دعبل

كنت ضيفا ببرمنا يا لعبد الله والضيف فقه معلوم

فانبرى يمدح الصيام الا ان • صمت يوما ما كنت فيه أصوم

ثم أنشا يستام برذون الورد • ملحا حكما يلح الغريم

(قال الاخفش يروى برذون الزرد وهو الاصفر)

ولعمرى ان ابن قيلة اذ يستـ ـام برذون ضيفه للئيم

وقال رجل أنشدنيه السجستانى بقوله لابن دعلج وكان ابن دعلج يتوالى بنى غنيم

اذا جئت الامير فقل سلام • عليك ورحمة الله الرحيم

وأما بعد ذاك فلى غريم • من الاعراب قبح من غريم

لزوم ما علمت بباب دارى • لزوم الكهف أصحاب الرقيم

له مائة على ونصف أخرى • ونصف النصف فى صك قديم

دراهم ما انتفعت بها ولكن • حبوت بها شيوخ بنى غنيم

(زاد أبو الحسن أتونى فى العشيرة يسألونى • ولم ألك فى العشيرة بالمليم

قال أبو الحسن لم يعرف أبو العباس هذا البيت الاخير وهو صحيح) وجاور قيس بن عاصم بن سنان ابن خالد بن منقر بن عبيد ناجرا خمارا فشرب شرابه وأخذ متاعه ثم أوثقه فقال افدنفسك وقال فى ذلك

وناجر فاجر جاء الاله به • كأن عثنونه أذناب أجمال

(قال ذلك لأن ذنب البعير يضرب الى الصهبة وفيه استواء وهو يشبه اللحية) وقال القرين تواب

المعارضة والنار من الجنة وعامة المفسدة والمصلحة فاذا نزلت الاخبار منازلها وقسمتها ذكرت حجج الرسول صلى الله عليه وسلم ودلائله وشرائعه وسننه ثم جنست الآثار على أقدارها ورتبتها فى مراتبها وقربت ذلك واختصرته وأوضحت عنه وبينته حتى يستوى فى معرفتها من قل سماعه وساء حفظه ومن كثر سماعه وجاد حفظه بالوجوه الجليلة والأدلة الاضطرارية ولم أرد فى

اذا كنت فى سعد وأمك منهم ٭ غريبا فلا يغررك خالك من سعد

فان ابن أخت القوم مصغى اناؤه ٭ اذا لم يزاحم خاله باب جلد

واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم قيس بن عاصم على صدقات بنى سعد فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمها قيس بعد فى بنى منقر وقال

من مبلغ عنى قريشا رسالة ٭ اذا ما أتتها محكمات الودائع

حبوت بما صدقت فى العام منقرا ٭ وأيأست منها كل أطلس طامع

وجاور عروة بن مرة أخو أبى خراش الهذلى ثمالة من الازد فجلس يوما بفناء بيته آمنا لا يخاف شيأ فاستدبره رجل منهم من بنى بلال بسهم فقصم صلبه فى ذلك يقول أبو خراش

لعمر الاله وجوه قوم رضيع ٭ غدروا بعروة من بنى بلال

وأسر خراش بن أبى خراش أسرته ثمالة فكان فيهم مقيما فدعا آسره يوما رجلا منهم للمنادمة فرأى ابن أبى خراش موثقا فى القد فأمهل حتى قام الآسر لحاجة فقال المدعو لابن أبى خراش من أنت قال أنا ابن أبى خراش فقال كيف دليلا قال قطاة قال نقم فاجلس ورائى وألقى عليه رداءه ورجع صاحبه فلما رأى ذلك أصلت بالسيف وقال أسيرى فنثل الجير كنانته وقال والله لأرمينك ان رمته فانى قد أجرته فخلى عنه فجاء الى أبيه فقال له من أجارك فقال والله ما أعرفه فقال أبو خراش وقال الرواة لا نعرف أحدا مدح من لا يعرف غير أبى خراش

حمدت الهى بعد عروة اذ نجا ٭ خراش وبعض الشر أهون من بعض

فوالله لا أنسى قتيلا رزيته ٭ بجانب قوسى ما مشيت على الارض

بلى أنها تعفو الكلوم وانما ٭ توكل بالادنى وان جل ما يمضى

ولم أدر من ألقى عليه رداءه ٭ على انه قد سل عن ماجد محض

(ولم يدن منلوج الفؤاد مهيجا ٭ أضاع الشباب فى الربيلة والخفض

ولكنه قد لوحته مخامص ٭ على أنه ذو مرة صلدق النهض)

كأنهم يسعون فى اثر طائر ٭ خفيف المشاش عظمه غير ذى نحض

يبادر جنح الليل فهو مهابذ ٭ يحث الجناح بالتبسط والقبض

هذا الكتاب جمع حجج الرسول عليه السلام وتفصيلها والقول فيها لبغض مسها أولوها من كان فى أصلها من ناقليها والمخبرين عنها أولان طعن الملحدين نهكها وفرق جماعتها ونقض قواها ولكن لامور سأذكرها واحتج وكيف تقصر الحجة عن بلوغ الغاية وتنقص عن التمام والله تعالى المتوكل بها وميسر أصناف البرية ومهيج النفوس على ابلاغها وقد أخبر بذلك عن نفسه

قوله قبح الاله وجوه قوم رضع فهو جماعة راضع وقوم يقولون هو تو كيد للئيم كما يقولون جائع نائع وحسن بسن وعطشان نطشان وأجمع أكتع وقوم يقولون الراضع هو الذى يرتضع من الضرع ليلا يسمع الضيف أو الجار صوت الحلب فيطلب منه وتصديق ذلك ما أنشدناه أبو عثمان عمرو بن بحر لرجل من الاعراب ينسب ابن عم الى اللؤم والتوحش

أحب شئ اليه أن يكون له ٭ حلقوم والده فى جوفه عار

لا تعرف الريح ممساه ومصبحه ٭ ولا يشب اذا أمسى له نار

لا يحلب الضرع لؤما فى الاناء ولا ٭ يرى له فى نواحى الصحن آثار

وقوله كيف دلالك فهى كثرة الدلالة والفيلى انما تستعمل فى الكثرة يقال القينى لكثرة النميمة ويقال الهجيرى لكثرة الكلمة المتردده على لسان الرجل يقال ذكرنى هجيراى أى هو الذى يجرى على لسانى وفى الحديث كان هجيرى أبى بكر الصديق رحمه الله بلا اله الا الله ويقال كان بينهم رميا الكثرة الرمى وكذلك كل ما أشبه هذا وقوله بجانب قوسى فهو بلد تحله غمالة بالسراة وقوله بلى انها تعفو الكلوم فهى الجراح والآثار التى تشبهها قال جرير

تلقى السليطى والابطال قد كلموا ٭ وسط الرجال سليما غير مكلوم

وينشد وسط الرحال وتعفو تدرس وقوله عظمه غير ذى نحض النحض اللحم يقال يأكل نحضا ويروى الرجال نحضا وقوله فهو مهابذ يقول مجتهد وهذيل فيها سعى شديد وفى جماعة من القبائل التى تحل بأكناف الحجاز ولقى الزبرقان بن بدر وهو قاصد بصدقات قومه الى أبى بكر الصديق رحمه الله الحطيئة فى طريقه فقال له الزبرقان من أنت فقال انا أبو مليكة أنا حسب موضوع فقال له الزبرقان انى أريد هذا الوجه ومالك منزل فامض الى منزلى بهذا السهم فسل عن القمر بن القمر وكن هناك حتى أعود اليك ففعل فأنزلوه وأكرموه فأقام فيهم فحسدهم عليه بنو عمهم من بنى قريع وذلك أن الزبرقان من بنى بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم وحاسدوه بنو قريع بن عوف بن كعب بن سعد ولم يكن لعوف الا قريع وعطارد وبهدلة وكان الذين حسدوه منهم بنو لأى بن شماس بن أنف الناقة بن قريع فدسوا الى الحطيئة أن تحول الينا نعط مائة ناقة ونشد كل طنب من أطناب بيتك بحلة بحرية قال فانى لى بذلك قالوا انهم يريدون النجعة فاذا احتملوا

فتخلف

فى محكم كتابه عز ذكره حيث قال هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وأدنى منازل الاظهار اظهار الحجة على من ضاره وخالف عليه وقال عز ذكره يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون وأخبر انه أمر الاحمر والاسود ولم يكن ليأمر الاقصى كما يأمر الادنى ويأمر الغائب على الحاضر قال الله تعالى لنبيه عليه السلام

فتخلّف عنهم ثم دسّوا الى امرأة الزبرقان من خبّر بأن الزبرقان انما قدّم هذا الشيخ ليتزوج ابنته فقدح ذلك في قلبها فلما تحمل القوم تخلف الحطيئة فاحتملته القُور يعيّون فبنوا له ووفوا له فلما جاء الزبرقان صار اليهم فقال ردّوا علي جاري فقالوا ليس له بجار وقد طرحته فذلك حيث يقول الحطيئة

وانّ التي نكّبتها عن بمعاشر ٭ على غضب ان صددت كما صدّوا

أتت آل شمّاس بن لأي وانما ٭ أتاهم بها الأحلام والحسب العدّ

فان الشقي من تعادى صدورهم ٭ وذا الجد من لانوا اليه ومن ودّوا

يسوسون أحلاما بعيدا أناتها ٭ وان غضبوا جاء الحفيظة والجدّ

أقلّوا عليهم لا أبا لابيكم ٭ من اللوم أو سدّوا المكان الذي سدّوا

أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البنى ٭ وان عاهدوا أوفوا وان عقدوا شدّوا

وان كانت النعماء فيهم جزوا بها ٭ وان أنعموا لا كدّروها ولا كدّوا

وان قال مولاهم على جلّ حادث ٭ من الدهر ردّوا فضل أحلامكم ردّوا

وتعذلني أفناء سعد عليهم ٭ وما قلت الا بالذي علمت سعد

قوله جلة مجونة أي ضخمة يقال ذلك للناقة والنخلة اذا استفحلت وطالت وقوله نكّبتها يقول عدلت بها وقوله والحسب العدّ معناه الجليل الكثير وأصل ذلك في الماء يقال بئر عدّ اذا كانت ذات مادة من العيون لا تنقطع وكل ماء ثابت فهو عدّ وقوله يسوسون احلاما بعيدا أناتها يقول لا يُبلَغ آخرها وأصل الاناة من التأني والانتظار فيقول لا يُبلَغ آخرها فتُسفَّه وقوله اولئك قوم ان بنوا أحسنوا البنى وان شئت قلت البناء فهما مقصوران يقال بَنَى بِنْيَة وبُنْيَة فجمع بِنْيَة بِنًى وجمع بُنْيَة بُنًى فبِنْيَة وبِنًى ككِسْرة وكِسَر وبُنْيَة وبُنًى كظُلْمة وظُلَم فأما المصدر من بنيت فممدود يقال بنيته بناء حسنا وما أحسن بناءك وقوله وان عاهدوا أوفوا أوفى أحسن اللغتين يقال وَفَى وأَوْفَى قال الشاعر فجمع اللغتين

أما ابن بيض فقد أوفى بذمته ٭ كما وفى بقلاص النجم حاديها

وفي القرآن بلى من أوفى بعهده ٭ قال الله تبارك وتعالى وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم وقال عز وجل والموفون بعهدهم اذا عاهدوا فهذا كله على أوفى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى

وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا فاقول ان كل منطيق محجوج والحجة حجتان عيان ظاهر وخبر قاهر فاذا تكلمنا في العيان وما يفرع منه فلا بد من التعارف في أصله وفرعه منه ولا بد من التصادق في أصله والتعارف في فرعه فالعقل هو المستدل والعيان والخبر هما علة الاستدلال وأصله ومحال كون الفرع مع عدم الأصل وكون الاستدلال مع عدم

من انه قتل مسلما بعاهد وقال انا أولى من أوفى بذمته وقال السموءل في اللغة الاخرى

وفيت بأدرع الكندي اني * اذا عاهدت أقواما وفيت

وقال المكعبر الضبي (قال أبو الحسن حفظي المكعبر)

وفيت وقلما ترى الناس مثله * بتعشار اذ تحبوا الى الاكابر

وقوله وان كانت النعماء فيهم جزوابها * وان أنعموا لا تكدروا ولا كدوا

يقول ما قال جرير مثله وانى لأستحيي أخي أن أرى له * على من الحق الذي لا يرى ليا

يقول أستحيي ان أرى نعمته علي ولا يرى على نفسه لي مثلها وقوله على جل حادث فهو الجليل من الامر يقال فلان يدعي للجلي قال طرفة * وان أدع للجلي أكن من حماتها * وفيهم يقول الحطيئة

لقد مريتكم لو ان درتكم * يوما يجيء بها أمشي وأنسامي

لما بدا لي منكم غيب أنفسكم * ولم يدن لي فيكم آسي ولا راحي

أزمعت يأسا مبينا من نوالكم * ولا ترى طارد اللحر كالياس

ما كان ذنب بغيض لا أبا لكم * في بائس جاء يحدو آخر الناس

جار لقوم أطالوا هون منزله * وغادروه مقيما بين أرماس

ملوا قراه وهرته كلابهم * وجرحوه بأنياب وأضراس

دع المكارم لا ترحل لبغيتها * واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه * لا يذهب العرف بين الله والناس

قوله لقد مريتكم أصل المري المسح يقال مريت الناقة اذا مسحت ضرعها لتدر ويقال مرى الفرس والناقة اذا قام أحدهما على ثلاث ومسح الارض بيده الاخرى قال الشاعر

اذا حط عنها الرحل ألقت برأسها * الى شذب العيدان أو صفنت مرى

وهذا من أحسن أوصافها وقال بعض المحدثين يصف برذونا بحسن الادب (الشعر لمحمد بن يزيد من ولد مسلمة بن عبد الملك يصف فرسه وقبله

عودته فيما أزور حبائبي * اهماله وكذاك كل مخاطر)

واذا احتبى قربوسه بعنانه * علك اللجام الى انصراف الزائر

الدليل والعقل مضمن بالدليل والدليل مضمن بالعقل ولا بد لكل واحد منها من صاحب وليس لابطال أحدهما وجه مع ايجاب الآخر والعقل نوع واحد والدليل نوعان أحدهما شاهد عيان يدل على غائب والآخر مجيء خبر يدل على صدق ثم رجع الكلام الى الاخبار عن دلائل النبي صلى الله عليه وسلم وأعلامه والاحتجاج لشواهده وبرهانه فاقول ان السلف الذين جمعوا

ويقال مراه مائة سوط ومائة درهم اذا أوصل ذلك اليه ولِمَراهُ موضع آخر ومعناه مَرَاهُ جقه اذا دفعه عنه ومنعه منه وقد قرئ أَفَتُمْرُونَهُ على ما يَرَى أى تدفعونه وعلى فى موضع عن قال العامرى (هو القُحَيْفُ العُقَيْلى)

اذا رَضِيَتْ علىَّ بنو قُشَيْرٍ ... لَعَمْرُ اللهِ أعجبنى رِضاها

وبنو كَعْبِ بن رَبِيعَةَ بن عامر يقولون رضى الله عليك وأما الإنباس فان تدعو الناقة باسمها أو تُلَيِّنَ لها الطريق الى الحَلَب بقول أو مسيح أو ما أشبه ذلك فاذا كانت الناقة تَدِرُّ على الدعاء والمَلَق قيل ناقة بَسُوسٌ وذلك من صفاتها فى حسن الخُلُق وقوله ولم يكن لجراحى فيكم آسى يقول مداوٍ والآسى الطبيب قال الفرزدق يصف شجة

اذا نَظَرَ الآسُونَ فيها تَقَلَّبَتْ ... حَبابِيقُهُمْ من هول أنيابها الفَصْلُ

والإساءُ الدواء ممدود قال الحطيئة

هُمُ الآسُونَ أُمَّ الرأسِ لَمَّا ... تَوَاكَلَهَا الأَطِبَّةُ والإساءُ

وأما الأَسَى فمقصور وهو الحُزْنُ من ذلك يقول الله جل ثناؤه فلا تأسَ على القوم الكافرين وقال العَجَّاجُ

يا صاحِ هل تَعْرِفُ رَسْمًا مُكْرَسَا ... قال نَعَمْ أعرِفُهُ وأَبْلَسَا

وانْحَلَبَتْ عيناه من فَرْطِ الأَسَى

فاذا قلت الأَسَى قصرت أيضا وهو جمع أُسْوَةٍ يقال فلان أُسْوَتى وقُدْوَتى قال الله جل وعز لقد كان لكم فى رسول الله أُسْوَةٌ حسنةٌ والرَّمْسُ التراب يقال رُمِسَ فلان فى قبره وأشعار الحُطَيئة فى هذا الباب كثيرة ولولا أنها معروفة مشهورة لأتينا على آخرها ولكنا نذكر منها شيأ مختارا فمن ذلك قوله

جَزَى اللهُ خيرًا والجزاءُ بكَفِّهِ ... على خيرِ ما يَجزِى الرجالَ بغيضا

فلو شاءَ أذجَنَّاهُ ضَنَّ فلم يُسَلِّمْ ... وصادف مِنَّا فى البلادِ عَرِيضا

(كذا وقعت الرواية مِنَّا والصواب مِنْأً أى بُعدا مأخوذ من نَأَيْتُ اذا بَعُدْتَ ومنه النَّأْىُ) يقول كثرت محاسنه حتى كُذِّبَ ذامُّهُ فاستغنى عن أن يُكَثِّرَ مادحُهُ ثقةً بأن هاجيه غير مُصَدَّقٍ فاعتبر هذا الكلام فانك تجد رأسا فى بابه ومن ذلك قوله

وانى قد عَلِقْتُ بحبل قومٍ ... أطاعَنَهُمْ على الحسبِ التَّراءُ

اذا نَزَلَ الشِّتاءُ بجارِ قومٍ ... تَجَنَّبَ جارَ بيتِهِمُ الشِّتاءُ

القرآن فى المصاحف بعد ان كان متفرقا فى الصدور والذين جمعوا الناس على قراءة زيد بعد أن كان غيرها مطلقا غير محظور والذين حصنوه ومنعوه الزيادة والنقصان لو كانوا جمعوا علامات النبى صلى الله عليه وسلم وبرهانه ودلائله وآياته وصنوف بدائعه وأنواع عجائبه فى مقامه وظعنه وعند دعائه واحتجاجه فى الجمع العظيم وبحضرة العدد الكثير الذين لا يستطيع الشذ فى خبرهم الا الغبى

هُمُ الآسونَ أمَّ الرأسِ لمَّا ... تَوَاكَلَها الأطِبَّةُ والإساءُ

ثم قال يخاطب الزبرقان ورهطه

ألم أكُ نائيًا فدعوتموني ... فجاءتِ المواعدُ والدعاءُ

فلما كنتُ جارَكُمُ أبيتم ... وشرُّ مواطنِ الحسَبِ الإباءُ

ولما كنتُ جارَهُمُ حَبَوني ... وفيكم كانَ لو شئتم جزاءُ

فلما أن مدحتُ القومَ قلتم ... هجوتَ وهل يحلُّ لي الهجاءُ

ولم أشتمْ لكم حسبًا ولكن ... حَدَوتُ بحيثُ يُسْتَمَعُ الحُداءُ

الجاهل والعدو المماثل لما استطاع اليوم ان يدفع كونها وصحة مجيئها لا زنديق جاحد ولا دهري معاند ولا متظرف ماجن ولا ضعيف مخدوع ولا حدث مغرور ولكان مشهورا فى عوامنا كشهرته فى خواصنا ولكان استبصار جميع أعياننا فى حقهم كاستبصارهم فى باطل نصاراهم ومجوسهم ولما وجد المهدموضع طمع فى غنى يستميله وفى حدث يموه له ولولا كثرة ضعفائنا مع كثرة الدخلاء

ويروى ان الحطيئة واسمه جرول بن أوس ويكنى أبا مليكة من بحسان بن ثابت وهو ينشد (ش أدخله سيبويه رحمه الله على أن الجفنات من الجمع الكثير)

لنا الجفناتُ الغُرُّ يلمعن بالضُّحى ... وأسيافُنا يقطُرْنَ من نجدةٍ دما

فالتفت اليه فقال كيف ترى فقال ما أرى بأسًا فقال حسان انظروا الى الأعرابى يقول ما أرى بأسا أبو من قال أبو مليكة قال حسان ما كنت على أهون منك حين اكتنيت باسم أمة اسمها قال الحطيئة قال امض بسلام وكان الحطيئة فى حبس عمر بن الخطاب رحمه الله باستدعاء الزبرقان عليه فى هذه القصة ولعمر يقول

ماذا تقولُ لأفراخٍ بذى مَرَخٍ ... حُمْرِ الحواصلِ لا ماءٌ ولا شجرُ

ألقيتَ كاسبهم فى قعرِ مظلمةٍ ... فاغفرْ عليكَ سلامُ اللهِ يا عمرُ

أنتَ الإمامُ الذى من بعدِ صاحبِه ... ألقتْ اليدُ مقاليدَ الهُدى البَشَرُ

ما آثروكَ بها إذ قدَّموكَ لها ... لكنْ بدتْ آثروا إذ كانتِ الأثَرُ

ويروى عن أبى زيد الانصارى أنه قال ويروى الأثر والواحدة أثرة وأثرة ومعناه الاستئثار فرقّ له عمر فأخرجه ويُروَى أن عمر رحمه الله دعا بكرسى فجلس عليه ودعا بالحطيئة فأجلسه بين يديه ودعا بشفرة يوهمه أنه على قطع لسانه حتى ضجّ من ذلك فكان فيما قال له الحطيئة يا أمير المؤمنين انى والله قد هجوتُ أبى وأمى وهجوت امرأتى وهجوت نفسى فتبسم عمر رحمه الله ثم قال فما الذى قلت قال قلتُ لأبى وأمى والمخاطبة للام

ولقد رأيتك في النساء فسؤتني • وأبا بنيك فساءني في المجلس

وقلت لها تنحي فاجلسي مني بعيداً • أراح الله منك العالمينا

أغربالاً اذا استودعت سراً • وكانوناً على المتحدثينا

(قوله كانونا قيل الكانون التمام وقيل المثقيل وقيل الذي اذا دخل على القوم كتموا حديثهم منه وقيل هو المصطلي وقيل انه هو كانون النار لانه يؤذي ويحرق) وقلت لامرأتي

أطوف ما أطوف ثم آوي • الى بيت قعيدته لكاع

فقال له عمر رحمه الله فكيف هجوت نفسك فقال اطلعت في بئر فرأيت وجهي فاستقبحته فقلت

أبت شفتاي اليوم الا تكلما • بهجو فما أدري لمن أنا قائله

أرى لي وجهاً قبح الله خلقه • فقبح من وجه وقبح حامله

ونزل أعرابي من طيئ يقال له المثنى بن معروف بأبي جبر الفزاري فسمعه يوما يقول والله لوددت أني أبيت الليلة خالياً بابنة عبد الملك بن مروان فقال له ابن أخي أحلالاً أم حراماً فقال ما أبالي فوثب عليه فضرب رأسه بحالة ثم انتقل وهو يقول

أبلغ أمير المؤمنين رسالة • على النأي أني قد وترت أبا جبر

كسرت على اليافوخ منه رحالة • لنصر أمير المؤمنين وما يدري

على غير شيء غير أني سمعته • يبتي بنساء المسلمين بلا مهر

ويروى أن الحجاج جلس لقتل أصحاب عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فقام رجل منهم فقال أصلح الله الامير ان لي عليك حقا قال وما حقك قال سبك عبد الرحمن يوما فرددت عليه قال من يعلم ذلك قال أنشدك الله رجلا سمع ذلك الا شهد به فقام رجل من الأسراء فقال قد كان ذلك أيها الامير قال خلوا عنه ثم قال للشاهد فما منعك أن تنكر كما أنكر قال القديم يقضي ايلك قال ويحك عنه لصدقه وقال عمر بن الخطاب لرجل وهو أبو مريم السلولي والله لاجلدنك حتى تحب الأرض الدم قال أفتمنعني حقا قال لا قال فلا بأس اذا يأسف على الحب النساء (وهم أبو العباس رحمه الله في قوله أبو مريم السلولي انما هو أبو مريم الحنفي وكان سبب بغضه اياه أنه قتل أخاه زيد بن الخطاب وكان أبو مريم صاحب مسيلمة الكذاب واسم أبي مريم اياس بن صبيح ثقة كوفي واسم أبي مريم السلولي

فينا الذين نطقوا بألسنتنا
واستعانوا بعقولنا على
أغبيائنا وأغمارنا لما
تكلفنا كشف الظاهر
واظهار البارز والاحتجاج
الواضح الأن الذي دعا
سلفنا الى ذلك الاتكال
على ظهورها واستفاضة
أمرها اذ كان ذلك كذلك
فلم يؤت من أتى من
جهالنا وأحداثنا
وسفهائنا وخلفائنا الا
من قبل ضعف العناية
وقلة المبالاة ومن قبل
الحداثة والغرارة ومن
قبل انهم حملوا على عقولهم

مالك بن ربيعة من الصحابة روى عنه ابنه يزيد وغيره) وقال الحجاج لرجل من الخوارج والله انى لأبغضكم فقال له الخارجى أدخل الله أشدنا بغضا لصاحبه الجنة وأتى الحجاج بامرأة من الخوارج فجعلت لا تنظر اليه وكان يزيد بن أبى مسلم يرى رأى الخوارج ويكتم ذلك فأقبل على المرأة فقال انظرى الى الامير فقالت لا أنظر الى من لا ينظر الله اليه فكلمها الحجاج وهى كالساهية فقال لها يزيد اسمعى ويلك من الامير فقالت بل الويل لك أيها الكافر المرتد والمرتد عند الخوارج الذى له عقدهم ويظهر خلافه رغبة فى الدنيا وكان صالح بن عبد الرحمن كاتب الحجاج وصاحب دواوين العراق والذى قلب الدواوين الى العربية ثم كان على خراج العراق أيام ولى يزيد بن المهلب فأضحى يزيد وقد كان يرى رأى الخوارج فكايده يزيد بن أبى مسلم مولى الحجاج فأشار على الحجاج أن يأمره بقتل جواب الضبى وهو رأس من رؤس الخوارج وقال يزيد ان فعل برئت منه الخوارج وقتلته وان أمسك قتله الحجاج فقتله وخبرت أنه قال والله ما قتلته رغبة فى الحياة ولكنى خفت بنى الحجاج بناتى وكان يقول انى حين أقتل جوابا لحرير على الدنيا فلما عذبه عمر بن هبيرة فى خلافة يزيد بن عاتكة رمى به على قمامة وهو رماد يسفع يحكم عليها وحكم مالك بن المنذر بن الجارود وهو آخر رمق فى سجن هشام بن عبد الملك ودخل يزيد بن أبى مسلم على سليمان بن عبد الملك وكان دميما فلما رآه قال قبح الله رجلا أجرك رسنه وأشركك فى أمانته فقال له يزيد يا أمير المؤمنين رأيتنى والأمر لك وهو عنى مدبر ولو رأيتنى والامر على مقبل لاستكبرت منى ما استصغرت واستعظمت منى ما استحقرت فقال أترى الحجاج استقر فى قعر الجحيم بعد فقال يا أمير المؤمنين لا تقل ذلك فان الحجاج وطأ لكم المنابر وأذل لكم الجبابرة وهو يجىء يوم القيامة عن يمين أبيه وعن يسار أخيه فحيث كانا كان

من دقيق الكلام قبل العلم بجليله مالم تبلغه قواهم وتتسع له صدورهم وتحمله أقدارهم فذهبوا عن الحق يمينا وشمالا لان من لم يلزم الجادة تخبط ومن تناول الفرع قبل احكام الأصل سقط ومن خرق بنفسه وكلفها فوق طاقتها ولم ينل مالا يقدر عليه تفلت منه ما كان يقدر عليه فاذا كانوا كذلك فانما أتوا من قبل أنفسهم ولم يؤتوا من سلفهم أولان الله تبارك وتعالى صرف

﴿ باب ﴾

قال أبو العباس وهذا باب من تكاذيب الاعراب حدثنى أبو عمر الجرمى قال سألت أبا عبيدة عن قول الراجز

أهدموا بيتك لا أبا لكا ٭ وأنا أمشى الدألا حوالكا

فقلت لمن هذا الشعر فقال هذا يقوله الضب للحسل أيام كانت الاشياء تتكلم الدألا مشى كمشى الذئب يقال هو يدأل فى مشيه اذا مشى كمشية الذئب من ذلك قول امرئ القيس

• أَقَبَّ حَنِيثَ الرَّكْضِ والدَّأَلانِ • ومن قال فى بيت ابن عَمَّةِ الضَّبِّى

(حَقَبِيَّةٍ رَحْلُهَا بَدَنٌ وسَرْجٌ) • تُعارِضُهُ مُرَبَّبَةٌ ذَؤُولُ

فانما أراد هذا ومن قال ذَؤُولٌ فانما أراد السرعة يقال مر يذأل اذا مر يسرع وقوله حَوَالَىْ كما يقال هو يطوف حواله وحوليه وحواليه ومن قال حواليه بالكسر فقد أخطأ وفى القرآن نُودِىَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فى النار ومن حولها وحواليه تثنية حَوَال كما تقول حنانيه الواحد حنانٌ قال الشاعر

فقالتْ حَنانٌ ما أَتَى بكَ هاهنا • أذُو نَسَبٍ أم أنتَ بالحىِّ عارِفُ

والحنان الرحمة قال الله عز وجل وحنانا من لدنا وقال المتباعر (وهو الحُطَيْئَةُ) لعمر بن الخطاب رحمه الله

تَحَنَّنْ عَلَىَّ هَداكَ المَلِيكُ • فإنَّ لكلِّ مَقامٍ مَقالا

وقال طَرَفَةُ

أبا مُنْذِرٍ أفْنَيْتَ فاسْتَبْقِ بعضَنا • حَنانَيْكَ بعضُ الشَّرِّ أهْوَنُ من بعضِ

وحدثنى غير واحد من أصحابنا قال قيل لرؤبة ما قولك

لو أنَّنِى عُمِّرْتُ سِنَّ الحِسْحِلِ • أو عُمْرَ نُوحٍ زَمَنَ الفُطْحُلِ • والفَخْرُ مُبْتَلٌّ كَمِثْلِ الوَحْلِ

مازمن الفطحل قال أيام كانت السلام رطابا قوله سن الحسل مَثَلٌ تضرب به العرب فى طول العمر (ذكر ابن جنى أن الحسل يعيش ثلثمائة سنة) وأنشدنى رجل من بنى العَنْبَرِ أعرابىٌّ فصيح لعُبَيْدِ بن أيوب العَنْبَرِىّ

كانَتْ ولَيْلَى لم يكن حَلَّ أهْلُنا • بوادِ خَصِيبٍ والسَّلامُ رُطابُ

وحدثنى سليمان بن عبد الله عن أبى العَمَيْثَلِ مولى العباس بن محمد قال تكاذب أعرابيان فقال أحدهما خرجتُ مرةً على فرس لى فاذا بظلمة شديدة فيممتها حتى وصلتُ اليها فاذا قطعة من الليل لم تَنْشَبه فما زالت أحمل بفرسى عليها حتى أنهبتها فانجابت فقال الآخر لقد رميتُ ظَبْيًا مرة بسهم فعدَلَ الظبىُ عُمْدَةً فعدل السهمُ خلفه فتياسَرَ الظبى فتياسَرَ السهمُ خلفه ثم علا الظبىُ فعلا السهمُ خلفه فانحدر فانحدر عليه حتى أخذه وتزعم الرواة أن عُرْوَةَ بن عُتْبَةَ بن جعفر بن كلاب قال لابنى الجَوْنِ الكِنْدِيَّيْنِ يوم جَبَلَةَ ان لى عليكما حق الرحلتى ووفادتى فدعونى أُنْذِرْ قومى من موضعى هذا فقالوا شأنَكَ فصرخ بقومه بعد أن قال له شأنَكَ فاسمعهم على مسيرة ليلة ويروى عن حَمَّادٍ الرَّاوِيَةِ قال قالت ليلى بنت عروة بن زيد الخيل لابيها أرأيت قول أبيك

بنى عامرٍ هل تعرفون اذا غَدَا • أبو مِكْنَفٍ قد شَدَّ عَقْدَ الدَّوابِرِ

أسلافنا بنسيان أو غيره ليمتحن بذلك غيرهم فى آخر الزمان وليعرضهم لطاعته بالذب عن دينه والاحتجاج لنبيه صلى الله عليه وسلم وليجرى هذا الخير على أيديهم كما أجرى أكثر منه على أيدى أسلافهم لئلا يفرض أحد خليقته من العلماء والفقهاء ولان يجعل فضله مقسما بين جميع الأولياء وان كان الأول أحق بالتقديم والآخر أحق بالتأخير للذى قدموا من الاحتمال وأعطوا من المجهود ولانهم أصل هذا الأمر ونحن فرعه والأصل أحق بالقوة من الفرع وهم السابقون ونحن التابعون وهم الذين وطؤا لنا

بجيش تضل البلق فى جحراته * ترى الاكم منه سجدا للحوافر

وجمع كمثل الليل مرتجس الوغى * كثير تواليه سريع البوادر

ابت عادة للورد ان يكره الوغى * وحاجة رمحى فى غمير بن عامر

فقلت لابى أحضرت هذه الوقعة فقال نعم قلت فكم كانت خيلكم قال ثلثمائة أفراس أحدها فرسه قال فذكرت هذا لابن أبى بكر الهذلى فحدثنى عن أبيه قال حضرت يوم جبلة قال وكان قد بلغ مائة سنة وكان قد أدرك أيام الحجاج قال فكانت الخيل فى الفريقين معا ما كان مع ابنى الجون ثلاثين فرسا قال فحدثت بهذا الحديث الخثعمى وكان راوية أهل الكوفة فحدثنى أن خثعم قتلت رجلا من بنى سليم بن منصور فقالت أخته ترثيه

لعمرى وما عمرى على بهين * لنعم الفتى غادرتم آل خثعما

وكان اذا ما أورد الخيل بيشة * الى جنب أثراج أناخ فألجما

فأرسلها رهوا وراعى لا كنها * جراد زهته ريح نجد فأتهما

فقيل لها كم كانت خيل أخيك فقالت اللهم انى لا أعرف الا فرسه قوله قد شد عقد الدرابريد عقد دوابر الدرع فان الفارس اذا حمى فعل ذلك وقوله تضل البلق فى جحراته يقول لكثرته لا يرى فيه الا بلق والابلق مشهورا لمنظر لاختلاف لونيه من ذلك قوله

فلئن وقفت لتخطفن لداحنا * ولئن هربت ليعرفن الابلق

وجحراته نواحيه وقوله ترى الاكم منه سجدا للحوافر يقول لكثرة الجيش تطحن الاكم حتى تلصقها بالارض وقوله كمثل الليل يقول كثرة فيكاد يسد سوادهم الافق ولذلك يقال كتيبة خضراء أى سوداء وكانت كتيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى هو فيها والمهاجرون والانصار يقال لها الخضراء والمرتجس الذى يسمع صوته ولا يبين كلامه يقال ارتجس الرعد من هذا والوغى الاصوات والتوالى واللواحق يقال تلاه يتلوه اذا اتبعه وتلوت القرآن أتبعت بعضه بعضا والمثلية التى معها أولادها وقوله فأرسلها رهوا يقول ساكنة قال الله جل وعز واترك البحر رهوا ويقال عيش راء يافق أى ساكن ورعال جمع رعيل وهو ما تقدم من الخيل يقال جاء فى الرعيل الاول قال عنترة

اذ لا أبادر فى المضيق فوارسى * ولا أوكل بالرعيل الأول

وكلفونا مالم نكن لنكلفه أنفسنا فتجرعوادونا المرار ومنحونا روح الكفاية ولان الله تعالى اختارهم لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ولان القرآن نطق بفضيلتهم والله تعالى أعلم بمن بعدهم والذى جمع أسلافنا الذين جمعوا الناس على قراءة زيد دون أبى بن كعب وعبد الله بن مسعود والذين رأوا من قول عبد الله فى المعوذتين وقول أبى فى سورتى العرب ومن تعلق الناس بالاختلاف فكانوا لا يزالون قد رأوا الرجل يروى الحرف الشاذ ويقرأ بالحرف الذى لا يعرفونه فرأوا ان تحصينه لا يتم الا بحمل الناس على المقروء

وقوله زهته ريح نجد فأنهما يقول رفعته واستخفته قال ابن أبي ربيعة

فلما توافقنا وسلمت أشرفت ... وجوه زهاها الحسن أن تتخشعا

ومعنى أنهم أتى نهامة وزعم أبو عبيدة عن حدثه أن بكر بن وائل أرادت الغارة على قبائل بني تميم فقالوا ان علم بنا السليك أنذرهم فبعثوا فارسين على جوادين يريغان السليك فبصرا به فقصداه وخرج يعتص كأنه ظبي فطاردا، صحابة يوهمهما فقالا هذا النهار ولو جن عليه الليل لقد فتر فجدا في طلبه فاذا بأثره قد بال ترغاى بالارض وخدها فقالا قاتله الله ما أشد متنيه ولعل هذا كان من أول الليل فلما امتد به الليل فتر فاتبعناه فاذا به قد عثر بأصل شجرة فندر منها كمكان تلك وانكسرت قوسه فارتزت قصدة منها في الارض فنشبت فقالا لا نجاته الله والله لا نتبعه بعد هذا فرجعا عنه وأتم الى قومه (ش يروى أتم بألفه وتم بغير ألف وتم بالنون ومعنى تم الى قومه أى نفذ) فانذرهم فلم يصدقوه لبعد الغاية في ذلك يقول

يكذبني العمران عمرو بن جندب ... وعمرو بن كعب والمكذب أكذب

لئن كلتكما ان لم أكن قد رأيتها ... كرادي سهدي بها الحي موكب

كراديس فيها الحوفزان وحوله ... فوارس همام متى يدع يركبوا

فصدقه قوم فنجوا وكذبه قوم فورد عليهم الجيش فاكتسحهم وحدثني التوزي قال سألت أبا عبيدة عن مثل هذه الاخبار من أخبار العرب فقال لي ان العجم تكذب فتقول كان رجل ثلثه من نحاس وثلثه من رصاص وثلثه من ثلج فتعارضها العرب بهذا وما أشبهه ومن ذلك قول مهلهل ابن ربيعة

فلو نشر المقابر عن كليب ... فتخبر بالذنائب أي زير

بيوم الشعثمين لقر عينا ... وكيف لقاء من تحت القبور

كأنا غدوة وبني أبينا ... بجنب عنيزة رحيا مدير

كأن رماحهم أشطان بئر ... بعيد بين جاليها جرور

فلولا الريح أسمع من بحجر ... صليل البيض تقرع بالذكور

(قال أبو الحسن يقال فلان زير نساء وطلب نساء وتبع نساء وخلب نساء اذا كان صاحب نساء وذلك أن مهلهلا كان صاحب نساء فكان كليب يقول ان مهلهلا لزير نساء ولا يدرك بثار فلما أدرك

عندهم المشهور فيما بينهم وانهم ان لم يشددوا في ذلك لم ينقطع الطمع ولم يتزجر الطير لان رجلا من العرب لو قرأ على رجل من خطبائهم وبلغائهم سورة واحدة طويلة أو قصيرة لتبين له في نظامها ومخرجها وفي لفظها وطبعها انه عاجز عن مثلها ولو تحدى بها أبلغ العرب لظهر عجزه عنها وليس ذلك في الحرف والحرفين والكلمة والكلمتين ألا ترى أن الناس قد كان يتهيأ في طبائعهم ويجري على ألسنتهم ان يقول رجل منهم الحمد لله وانا لله وعلى الله توكلنا وربنا الله وحسبنا الله ونعم الوكيل وهذا كله في القرآن غير

مهلهل بنأ ربيعة كليب قال أى زير فرفع أبا بالابتداء والخبر محذوف فكأنه قال أى زير أنا فى هذا اليوم)
قال أبو العباس وحدثنى عمرو بن بحر قال أتيت أبا الربيع الغنوى وكان من أفصح الناس وأبلغهم
ومعى رجل من بنى هاشم فقلت أأبو الربيع ههنا فخرج الى وهو يقول خرج الىّ رجل كريم فلما
رأى الهاشمى استحيا من فخره بحضرته فقال أكرم الناس رديفا وأشرفهم خليفا فتحدثنا ملياً ثم
نهض الهاشمى فقلت لابى الربيع يا أبا الربيع من خير الخلق فقال الناس والله فقلت من خير الناس
قال العرب والله قلت فمن خير العرب قال مضر والله قلت فمن خير مضر قال قيس والله قلت فمن خير
قيس قال يعصر والله قلت فمن خير يعصر قال غنى والله قلت فمن خير غنى قال المخاطب لك والله
قلت أفأنت خير الناس قال نعم اى والله قلت أيسرك ان تحتلد بنت يزيد بن المهلب قال لا والله
قلت ولك ألف دينار قال لا والله قلت فألف دينار قال لا والله قلت ولك الجنة فأطرق ثم قال على ان

لا تلدمنى وأنشد ... تأبى لاعصر اعراق مهذبة ... من ان تناسب قوما غيرها كفاء
فان يكن ذاك حتم الامر دله ... فاذكر حذيفا فانى غير آباء

قوله اكرم الناس رديفا فان أبا مرثد الغنوى كان رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله
وأشرفهم خليفا كان أبو مرثد حليف حمزة بن عبد المطلب وقوله فاذكر حذيفا أراد حذيفة بن بدر
الفزارى وانما ذكره من بين الاشراف لانه أقربهم اليه نسبا وذلك ان يعصر ابن سعد بن قيس
وهؤلاء بنو ريث بن غطفان بن سعد بن قيس وقد قال عيينة بن حصن يهجو ولد يعصر وهم غنى

وباهلة والطفاوة ... أباهل ما أدرى أمن لؤم منصبى ... أحبكم أم بى جنون وأولق
أسيد أخوالى ويعصر اخوتى ... فمن ذا الذى منى مع اللؤم أحمق

فقال الباهلى يجيبه ... وكيف تحب الدهر قوما هم الولى ... نواصيكم فى سالف الدهر حلقوا
أأنت فزاريا عليك غضاضة ... وان كنت كنديا فانك ملسق

وتحدث الرواة بأن الحجاج رأى محمد بن عبد الله بن غير الثقفى وكان ينسب بزينب بنت يوسف
فارتاع من نظر الحجاج فدعا به فلما عرفه قال مبتدئا

هالك بدى ضاقت بى الارض رحبها ... وان كنت قد طوفت كل مكان
ولو كنت بالعنقاء أو بيسومها ... لخلتك الا أن تصد ترانى

انه متفرق غير مجتمع ولو أراد أن نطق الناس ان يؤلف من هذا الضرب سورة واحدة طويلة أو قصيرة على نظم القرآن وطبعه وتأليفه ومخرجه لما قدر عليه ولو استعان بجميع قحطان ومعد بن عدنان ورأوا بفهمهم وبتوفيق الله تعالى لهم ان يحصنوه مما يشكل ويمكن ان يفتعل مثله من الحرف والحرفين والكلمة والكلمتين وقد كانوا عرفوا الابتداع الكثير على البلغاء والشعراء وخافوا ان هم لم يتقدموا فى ذلك أن يتطرقوا عليه كما تطرقوا على الرواية لانهم حين رأوا كثرة الرواية فى غير ذوى السابقة ورأوا كثرة

ثم قال والله ان قلتُ الا خيرا فما قلتُ

يُخَبِّئْنَ أطرافَ البَنانِ مِنَ الطُّوَى ٭ ويَخْرُجْنَ جُنْحَ الليلِ مُعْتَجِرَاتِ

قال أجل ولكن أخبرني عن قولك

ولما رأتْ كَبَ المُنِيرِيِّ أعرضتْ ٭ وكُنَّ مِنَ ان يَلْقَينَهُ حَذِرَاتِ

في كم كنتَ قال والله ان كنتُ الا على حمار هزيل ومعي رفيقي على أتان مثله ومن ذلك ما يحكون في خبر لقمان بن عاد فانهم يصفون أن جارية له سُئلتْ عما بقي من بصره لدخوله في السن فقالت والله لقد ضعُف بصره وانه قد بقيت منه بقيةٌ انه ليفصل بين أنثر الانثى والذكر من الذر اذا دب على الصفا في أشياء تُشاكل هذا من الكذب وحُدِّثتُ أن امرأة عمران بن حطان السدوسي قالت له أما حلفت أنك لا تكذب في شعر فقال لها أوكان ذاك قالت نعم قلتَ ٭

وكذاك مِجزأةُ بنُ ثَوْرٍ ٭ وكان أشجعَ من أسامه

أيكون رجل أشجع من أحمد فقال لها ما رأيتُ أسدا فتح مدينة قطُّ ومجزأة بن ثور قد فتح مدينة (مجزأة بن ثور جعل له عمر رحمه الله رئاسة بكر فلما أسن فعل عثمان بن عفان رضي الله عنه ذلك مع ابنه شقيق بن مجزأة وقتل رحمه الله على شُسْتَر هو والبراء بن مالك وكانا من أبطال المسلمين) ومر عمران بن حطان بالفرزدق وهو ينشد فوقف عليه فقال

أيها المادحُ العبادَ ليُعْطَى ٭ انَّ لله ما بأيدي العباد

فاسْأَلِ اللهَ ما طلبتَ اليهم ٭ وارْجُ فضلَ المُقَسِّمِ الجوَّادِ

لا تقُلْ للجواد ما ليس فيه ٭ وتُسَمِّ البخيلَ باسم الجَوادِ

وأنشدني الحسن بن رجاء لرجل من المحدثين لم يُسَمِّه (وهو بكر بن النطاح في أبي دُلَف)

أبا دُلَفٍ يا أكذبَ الناسِ كُلِّهم ٭ سِوايَ فاني في مديحِكَ أكذبُ

وأنشدني آخر لرجل من المحدثين (أيضا قال أبو الحسن هو بكر بن النطاح)

انى امتدحتُكَ كاذبا فأثبتني ٭ لما امتدحتُكَ ما يُثابُ الكاذبُ

قال الاصمعي قلت لاعرابي كنت أعرفه بالكذب أصدقتَ قطُّ قال لولا اني أخاف أن أصدُقَ في هذا القلتُ لك وتحدثوا من غير وجه أن عمرو بن معدي كرب كان معروفا بالكذب وقيل لخلف

اختلافها والغرائب التي لا يعرفونها لم يكن لهم الا تحصين الشيء الذي عليه مدار الأمر وان كانوا يعلمون ان الله بالغ أمره فعلى الأئمة ان تحوط هذه الأمة كما حاط السلف أولها وان يعملوا بظاهر الحيطة اذ كان على الناس الاجتهاد وليس عليهم علم الغيوب وانما ذلك كغور جل أبصر نبيا يحيي الموتى فعرف صدقه فلما انصرف سأله عنه بعض من لم ير ذلك ولا صح عنده فعليه ان لا يكتمه وان كان يعلم ان الله تعالى سيعلمه ذلك من قبل غيره وانه عز ذكره سيسمعه صحته على حبه وكرهه ورأوا ان قراءة زيد أحق بذلك اذ كانت آخر العرض

الاحمر وكان شديد التعصب لليمن أكان عمرو بن معدى كرب يكذب فقال كان يكذب فى المقال ويصدق فى الفعال ثم ذكروا من غير وجه أن أهل الكوفة من الاشراف كانوا يظهرون بالكناسة فيتحدثون على دوابهم الى أن يطردهم حر الشمس فوقف عمرو بن معدى كرب وخالد بن الصقعب النهدى فأقبل عمرو يحدثه فقال أغرنا مرة على بنى نهد فخرجوا مستترعين فخالد بن الصقعب فحملت عليه فطعنته فأزرته ثم ملت عليه بالصمصامة فأخذت رأسه فقال له خالد ملأ أباثور ان قتيلك هو المحدث فقال يا هذا اذا حدثت فاستمع فانما تحدث بمثل ما تسمع لترهب به هذه المعدية قوله مسترعنين يقول مقدمين له يقال جاء فلان يرعف الجيش ويؤم الجيش اذا جاء متقدما لهم ويقال فى الرعاف رعف يرعف لا يقال غير رعف ويجوز يرعف من أجل العين وليس من الوجه وسنذكر هذا الباب بعد انقضاء هذه الاخبار ان شاء الله وقوله حلأ أباثور يقول استثن يقال حلف ولم يحلل أى لم يستثن وخبرت أن قاصا كان يكثر الحديث عن هرم بن حيان (الهرم الضب يقال انه فى الشتاء يأكل حسوله ولا يخرج قال الشاعر • كما أكب على ذى بطنه الهرم • قيل ان هرم بن حيان حملته أمه أربع سنين ولذلك سمى هرما) فاتفق هرم معه فى مسجد وهو يتمثل حدثنا هرم بن حيان مرة بعد مرة بأشياء لا يعرفها هرم فقال له يا هذا أتعرفنى أنا هرم بن حيان ما حدثت من هذا بشئ قط فقال له القاص وهذا أيضا من عجائبك انه ليصلى معنا فى مسجدنا خمسة عشر رجلا اسم كل رجل منهم هرم بن حيان كيف توهمت أنه ليس فى الدنيا هرم بن حيان غيرك وكان بالرقة قاص يكنى أبا عقيل يكثر التحدث عن بنى اسرائيل فيظن به الكذب فقال له يوما الحجاج بن حتمة ما كان اسم بقرة بنى اسرائيل قال حتمة فقال له رجل من ولد أبى موسى الاشعرى فى أى الكتب وجدت هذا قال فى كتاب عمرو بن العاص وقال القينى أنا أصدق فى صغير ما يضرنى ليجوز كذبى فى كبير ما ينفعنى وأنشد المازنى للاعشى وليس مما رووه الرواة متصلا بقصيدة

فصدقتهم وكذبتهم • والمرء ينفعه كذابه

وروى أن رجلا وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فكذبه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أسألك فتكذبنى لولا سخاء فيك ومقت الله عليه لشردت بك من وافد قوم معنى ومقت أحد يقال ومقته أمقه وهو على فعلت أفعل ونظيره من هذا المعتل وريم يريم وولى يلى وكذلك

ولان الجمع الذين سمعوا آخر العرض أكثر ممن سمع أوله فحملوا الناس على قراءة زيد دون أبى وعبد الله وان كان الكل حقا اذ كان رب حق فى بعض الزمان أقطع للقيل والقال وأجدر أن يميت الخلاف ويحسم الطمع فتركوا حقا الى حق العمل به أحق ولو أن فقيها رأى اطباق العلماء على صوم يوم عرفة واستنكارهم الافطار فيه فافطر وأظهر ذلك ليعلمهم موضع الفريضة من النافلة أو خاف ان يلحق الفرض على تطاول الايام ما ليس فيه كان مصيبا ولكان قد ترك حقا الى أحق منه وللحق درجات وللخلاف

لم يسع يسع كانت السين مكسورة وانما فتحت العين ولو كان أصلها الفتح لظهرت للواو نحو وجل يوجل ووحل يوحل والمصدر منه كقولك وعد يعد عدة ووجد يجد جدة ويروى أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ثم قال يا رسول الله انما أوخذ من الذنوب بما ظهر وأنا أستسر بخلال أربع الزنا والسرق وشرب الخمر والكذب فأيتهن أحببت تركت لك سرا فقال رسول الله دع الكذب فلما ولى من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم هم بالزنا فقال يسألني رسول الله فان جحدت نقضت ما جعلت له وان أقررت حددت فلم يزن ثم هم بالسرق ثم هم بشرب الخمر ففكر في مثل ذلك فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله قد تركتهن جميع وشهد أعرابي عند معاوية بشهادة فقال له معاوية كذبت فقال له الاعرابي الكذب مستبرمل في ثيابك فقال معاوية هذا جزاء من عجل وقال معاوية يوما للاحنف وحدثه حديثا أتكذب فقال والله ما كذبت منذ علمت أن الكذب يشين أهله ودخل عبد الله بن الزبير يوما على معاوية فقال اسمع أبياتا قلتهن وكان واجدا عليه فقال معاوية هات فأنشده

اذا أنت لم تنصف أخاك وجدته ... على طرف الهجران ان كان يعقل

ويركب حد السيف من أن تضيمه ... اذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل

فقال له معاوية لقد شعرت بعدنا يا أبا بكر ثم لم ينشب معاوية أن دخل عليه معن بن أوس المزني فقال له أقلت بعدنا شيأ قال نعم يا أمير المؤمنين فأنشده

لعمرك ما أدري وانى لاوجل ... على اينا تغدو المنية أول

حتى صار الى الابيات التي أنشدها ابن الزبير فقال له معاوية يا أبا بكر أما ذكرت آنفا ان هذا الشعر لك قال أنا أصلحت معانيه وهو أنف الشعر وهو بعد ظئري فما قال من شئ فهو لي وكان عبد الله بن الزبير مسترضعا في مزينة وحدث ان عمر بن عبد العزيز كتب الى أشياخ اياس بن معاوية المزني وعدي بن ارطاة الفزاري أميرا البصرة وقاضيها يومئذ فصارا اليه عدي فقرب ان عزله عند الخليفة فقال يا أبا واثلة ان لنا حقا ورحما فقال اياس أعلى الكذب تريدني والله ما يسرني أني كذبت كذبة يغفرها الله لي ولا يطلع عليها الا هذا وأومأ الى أبيه ولي ما طلعت عليه الشمس

(قال أبو الحسن المزين المدح ولم أسمع هذه اللفظة الا من أبي العباس وهي عندي مشتقة من

درجات والمحرم درجات ألا ترى ان لولي المقتول أن يقتل أو يصفح وانه ان قتل قتل بحق وان صفح صفح بحق والصفح أفضل من القتل ولو ان رجلا أخرج ساكنا بينا له أو اقتضى دينا له عند حلول أجله أو طلق زوجته وما دخل بها كان ذلك له ولحق فعل وغير ذلك الحق أولى به وكيف لا يكون أولى به وهو أحسن والثواب فيه أعظم والى سلامة الصدور أقرب وقد يكون الامران حسنين وأحدهما أحسن وقد يكون الامران قبيحين وأحدهما أقبح وبعد فعلى الناس طاعة الائمة في كل ما أمروا به الا فيما تبين أنه معصية فاما غير ذلك فانه

المازن وهو الفحل وبهذا سميت مازن كانه أراد منه أن يكثره ويروى يكثره قال القتبي المازن بيض النمل قال الشيخ قوله ان يمزنه عند الخليفة أي كانه يجعله سيد مزينة لانه كان مزنيا والصواب يمزره قال الموصلي • وانني مع ذا الشيب لوعر مزير • ولم يكن في القماة واغيا كان أميرا على البصرة الى ان مات عمر وكتب عمر الى عدي اجمع نا، ياعمن قبلك وشاورهم في اياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة واستقض أحدهما فولى عدي اياسا) ويروى أن أحا اياس صار الى ابن هبيرة فقال طرفني الصوص فخار بتهم فهزمتهم وظفرت بهم هذا المغول فجعله ابن هبيرة تحت مصلاه ثم بعث الى المصيقلة فاحضرهم فقال أيعرف منكم الرجل عمله قالوا نعم فاخرج المغول فقال لمن عمل أيكم هذا فقال قائل منهم أنا عملت هذا واشتراه مني هذا أمس (المغول سيف صغير)

(تم الجزء الأول من كتاب الكامل ويليه الجزء الثاني)

(وأوله باب مايجوز فيه يفعل الخ)

واجب مفروض ولازم غير مدفوع وعلموا أيضا انهم لايبقون الى آخر الزمان وان من يجيء بعدهم لايقوم مقامهم ولا يفصل الامور تفصيلهم ولو عرفوا كمعرفتهم وأرادوا ذلك كارادتهم لما أطيعوا كطاعتهم وعلموا أن الاكاذيب والبدع ستكثر وان الفتن ستفتح وان الفساد سيفشو فكرهوا أن يجعلوا للمتطرفين علة ولاهل الزيغ حجة بل لاشك انهم لو تركوا الناس عامة يقرؤن على حرف فلان وكلما أجاز فيه فلان عن فلان لالحق قوم في آخر الزمان بهم من ليس منهم ولا يجري مجراهم ولا يجوز مجازهم